الحملة الصليبية الخامسة

حملة جان دى برين على مصر

١٢١٨ - ١٢٢١م / ٦١٥ - ٦١٨ هـ

دكتور
محمود سعيد عمران
مدرس تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية



تقديم
دكتور
جوزيف نسيم يوسف
استاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية



الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الاسكندرية

١٩٧٨

الحملة الصليبية الخامسة

حملة جان دى برين على مصر

١٢١٨ - ١٢٢١م / ٦١٥ - ٦١٨ هـ

دكتور
محمود سعيد عمران
مدرس تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

تقديم
دكتور
جوزيف نسيم يوسف
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية



الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الإسكندرية

١٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

• رقم الايداع ٤٦٠٥ / ٧٧

الترقيم الدولى ٧ - ٣٨٥ - ٢٠١ - ١٩٧٧ ISBN

مطبعة مصنع اسكندرية للكراس
محمد محمود محمد مسعد
٩ شارع أديب إسحق . تليفون ٨٠٥٨٤٧٠ - ٨٠٠٩١٠

اللهم إمنحنا القـــوة لكى نحافظ على حقوق
مصر ، وامنحنـــا الحب حتى نـــؤدى ما علينا
من واجبـــات لمصر .

محتويات الكتاب

الفصل الخامس

سقوط دمياط فى أيدى الصليبيين ٢٥٩ – ٣٣١

الدعوة للجهاد – عرض الملك الكامل على الصليبيين – إعداد مصر والشام للقتال – تخريب بيت المقدس وبعض الأماكن الأخرى مناوشات غير حاسمة بين المسلمين والصليبيين – معركة أغسطس ١٢١٩ م (جمادى الثانى ٦١٦ هـ) – عرض ثان بالصلح على الصليبيين – قدوم النجدات الصليبية – عرض ثالث بالصلح – إشتداد الحصار حول مدينة دمياط – سقوط دمياط .

الفصل السادس

فشل الحملة الصليبية الخامسة ٣٣٢ – ٤٢٤

الدعوة للجهاد ، وبناء مدينة المنصورة – انقسام الصليبيين على أنفسهم فى دمياط وأثره – سقوط قلعة تنيس – مهاجمة ممتلكات الصليبيين فى الشام – رحيل الملك جان دى برين إلى عكا – رحيل وقدوم بعض القوات الصليبية – مهاجمة البراس – عودة الملك جان دى برين إلى دمياط – الزحف صوب القاهرة – هزيمة القوات الصليبية – أسباب فشل الحملة .

الخرائط

رقم الصفحة

تقديم الكتاب

معرفتي بالدكتور محمود سعيد عمران مدرس تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية ترجع إلى سنوات عديدة مضت. عرفته عن قرب أثناء ماضيه الجامعي الطويل، ووجدت فيه الباحث الذى يمتاز بالنشاط والأمانة والإخلاص وحب العلم والتفانى في تحصيله. حصل على درجة الليسانس فى الآداب من قسم التاريخ وعمل لدرجة الماجستير فجازها بتقدير «ممتاز»، ثم الدكتوراه فى الآداب فأحرزها بمرتبة الشرف الأولى في تاريخ العصور الوسطى.

وكتاب الزميل الدكتور محمود سعيد عمران الذى يسعدنى أن أتقدم به وبمؤلفه إلى قراء العربية في مصر وفى كافة أقطار العالم العربى، يسد فجوة هامة فى المكتبة التاريخية العربية بوجه عام، ومكتبة الحروب الصليبية على وجه الخصوص. إذ تناول بأسلوب علمى صحيح ومنهاج تاريخى سليم، حلقة من أهم حلقات الصراع الطويل المرير بين الشرق والغرب فى عصر الحروب الصليبية، وهى الحملة الصليبية الخامسة على مصر (٦١٥ - ٦١٨ هـ / ١٢١٨ - ١٢٢١ م) المعروفة بحملة جان دى برين صاحب عكا اللاتيني والملك الاسمى لبيت المقدس آنذاك.

ويعتبر هذا الكتاب القيم أول دراسة علمية موضوعية متكاملة تظهر فى هذا الموضوع الهام، وتلم بكل أطرافه وزواياه من مختلف المصادر والأصول، من عربية ولاتينية وفرنسية قديمة، خطية ومطبوعة، بغية الوصول إلى

أصدق النتائج وأصوبها التى يتمخض عنها النقد التاريخى السليم .

استهل المؤلف كتابة بمقدمة نقدية تحليليـة لمصادر البحث ومنابعه نتبين إفادته منها إذا ألقينا نظرة فاحصة مدققة إلى جواشى الكتاب وامعنا النظر فى ثناياه . إذ رجع إلى عشرات المصادر العربية بعضها لايزال خطيا لم ينشر بعد ، وإلى العديدمن الأصول الأجنبية من كتب ووثائق ومراسلات بعضها لايزال بلغته الأصليـة التى دون بها كاللاتينية أو الفرنسية القديمة . هذا ، إلى جانب الكثير من المراجع الحديثة من عربية وأجنبية . لقد غاص فى أعمـاق هذه الأصول والمراجـع ، واستخرج منها مادة علميـــة من الطراز الأول . وقام بتحليلها تحليلا علميا مقارنا يدل على عمق فى الفهم وأصالة فى التفكير .

وكمدخل طبيعى للموضوع أشار المؤلف إلى المشاريع الصليبيـــة السابقة للحملة الخامسة،والتى استهدفت مصر باعتبارها معقل القوى الإسلامية وحصنها المنيع ، وقلبها النابض بالحركه والحيـــاة ، ومركز إمدادها بالمال والرجال والمؤن والسلاح . ثم تحـدث فى الفصل الأول وعنوانه « أوروبا والشرق قبيل الحملة الصليبية الخامسة » عن الظروف السائدة فى الشرق والغرب قبيل الحملة ، من سياسية واجتماعية واقتصادية وعسكرية . وخلص منها إلى أن أحوال أوروبا وقتها كانت تسمح لها باعداد حملة صليبية كبيرة ضد المسلمين، وأن مصر ــ هى الأخرى ــ كانت على أتم استعداد لمواجهـة الغزاه ودفعهم عن البلاد .

واستهل الفصل الثانى وعنوانه « أسباب الحملة الصليبية الخامسة والإعداد لها » ، بتحليل مختلف العوامل التى أدت إلى قيام الحمـــلة ، من مباشرة وغير

مباشرة ، داخلية وخارجية ،رئيسية وثانوية . وتوصل إلى أن اللاتين كانوا يهدفون إلى توجيه ضربة قوية إلى مصر تنتهى بالاستيلاء عليها حتى يتسنى لهم تحقيق كافة أطماعهم فى العالم الإسلامى . وفى الفصل الثالث وعنوانه « الجيش الصليبى فى جيزة دمياط » ، تناول المؤلف بعض القضايا الهامة التى توصل فيها إلى نتائج محددة . من بينها الأسباب التى جعلت الصليبيين يتخذون من دمياط بالذات ، دون غيرها من الثغور والموانى المصرية ، هدفا لهجومهم ، معتمدا فى ذلك على المصادر الأجنبية الأصلية المعاصرة للفترة موضوع البحث، مثل مؤلفات جاك دى فترى وأوليفر أوف بادنبورن وروجر أوف وندوفر . وتناول بالتحليل أيضا مؤامرة ابن المشطوب التى استهدفت خلع الكامل محمد ملك مصر وتولية أخيه الصغير الفائز مكانه ليصير الحكم إليه ، مع بيان الآثار المترتبة على ذلك .

وعالج الباحث فى الفصل الرابع وعنوانه « سقوط دمياط فى أيدى الصليبيين» عددا من القضايا التى لم يُبت فيها برأى قاطع ،فى حيدة وموضوعية وجدية ، منها عروض الصلح المتتالية التى تقدم بها الملك الكامل إلى الفرنج الدخلاء أثناء حصارهم لمدينة دمياط وبعد استيلائهم عليها بهدف إتاحة الفرصة له لمواجهة الغزاة وصدهم . فاستعرض الظروف التى لابست كل عرض من هذه العروض ، مع تحليل دقيق لمواقف مختلف الأطراف المعنية منها ، مستمدا مادته الأصلية من أصول البحث ومصادرة من عربية وأجنبية. أما الفصل الخامس والأخير وعنوانه « فشل الحملة الصليبية الخامسة » ، فقد تعرض فيه المؤلف للوقائع والأحداث التالية لسقوط دمياط فى أيدى الفرنج حتى هزيمة الحملة

وجلائها عن مصر تجر وراءها أذيال الخيبة والخذلان . ومن المسائل الجديدة التي عالجها في هذا الفصل الصراع بين بيلا جيوش ممثل البابا الروماني فى الحملة وبين قائد الحملة جان دى برين حول الزعامة والسلطة ، وما ترتب عليه من آثار . واختتم الفصل بتحليل عميق لمختلف العوامل والأسباب التى أدت إلى فشل الحملة ، مما يدل على فهم كامل لكل خباياها ومشاكلها .

ولم تكن خاتمة الكتاب مجرد عرض موجز لتاريخ الحملة الصليبية وهزيمتها ،ولم تكن مجرد نتائج واستنتاجات فحسب،ولكنها سلطت الأضواء بشكل قوى على قصة هزيمة العدو الدخيل والتجارب المستفادة منها . فأشار المؤلف إلى بعض الأفكار الهامة التى ترتبط بالحروب الصليبية باعتبارها حركة من أهم حركات التاريخ الوسيط وظاهرة من أبرز ظواهرة ، من حيث موازين القوى ومراكز الثقل والأفعال وردود الافعال ، ودور مصر فى دفع العدوان وإلحاق شر أنواع الهزيمة به ومغزى ذلك ودلالته .

بهذا الاسلوب العلمى الجاد تناول الدكتور محمود سعيد عمران مختلف القضايا والمسائل المتعلقة بالحملة ، فى بحث مستقل قائم بذاته لم يدرس من قبل دراسة وافية ، تجمع بين العلم بأصوله ومنابعه العربية والاجنبية على السواء . لقد ألم بوجهتى النظر إلماما تاما ، وناقش مختلف الروايات والاسانيد المتضاربة ، وقارنها بعضها ببعض ، سعيا وراء الحقيقة التاريخية المطلقة والنهج التاريخى الصحيح .وتوصل إلى آراء وأفكار تتميز بجدتها وأصالتها وقيمتها التاريخية .

أن كتاب الدكتور محمود سعيد عمران عن الحملة الصليبيـة الخامسة على مصر يعتبر كسبا واضحا للمكتبة التاريخية العربية ، وإضـافة جديدة لها وزنها إلى سلسلة مراجع الحملات الصليبيه .

جوزيف نسيم يوسف

استاذ تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية

الاسكندرية فى أول يناير ١٩٧٨

تصدير

عرض وتحليل لمصادر الحملة

المصادر الاجنبية : مصادر شهود العيان ـ مصـادر معاصره ـ مصـادر متأخرة زمنيا ـ المصادر العربية : مصادر شهود العيان والمعاصرين ـ مصادر متأخره زمنيا . المراجع الاجنبية والعربية والمعربة .

موضوع هذا الكتاب هو حملة جان دى برين Jean de Brienne الصليبية على مصر (٦١٥ – ٦١٨ هـ / ١٢١٨ – ١٢٢١ م) المعروفة بالحملة الصليبية الخامسة . وقد إختار الباحث هذه الحملة موضوعا لدراسته لعدة أسباب ، منها خلو المكتبة العربية من كتاب قائم بذاته يتناول أحداث هذه الحملة . هذا بالإضافة إلى خلوها من بحث علمى يتناول وجهتى النظر الأسلامية والغربية لأحداثها ، كما أن لهذه الحملة فى تاريخ الحركة الصليبية أهمية خاصة لأنها أول حملة أعدتها البابوية وحشد لها الغرب الأوربى كل إمكانياته ــ تصــل إلى مصر ــ بهدف الإستيلاء عليها باعتبارها حصن العروبة ومركز إمدادها بالمال والرجال والمؤن والسلاح ، ومنها تخرخ دائما صيحة الجهاد ضــد الطارق الدخيل . وعلى ذلك رأى الصليبيون أن الإستيلاء على مصر يتيح لهم فرصة تحقيق أطماعهم ليس فى رقعة الشرق الأدنى الإسلامى فحسب وإنما فى العالم الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه . وهــذا يوضح التغيير الذى طرأ على الإستراتيجية العسكرية فى الفكر الأوربى وقتذاك . أضف إلى ذلك أن أحداث حملة جان دى برين حملت فى طياتها تنفيذ الفكرة التى أخذت تنادى إعتباراً من القرن الثالث عشر الميلادى (القرن السابع الهجرى) بكثلكة العالم الإسلامى وذلك عندما كان رجال الدين الصليبين الذين إشتركوا فى الحملة يقومون بتعميد الأسرى خاصة الأطفال منهم . ومن ذلك يتضح أن الهــدف الرئيسى للحملة هو الإستيلاء على مصر ، ليتمكن الغرب اللاتينى من نشر المسيحية على المذهب الكاثوليكي الرومانى فى الشرق كلية (١) ، عساه أن يحقق

١ ــ تتضح هذه الحقيقة بجلاء من الخطاب الذى أرسله الكاردينال جاك دى فترى ــ أسقف عكا وأحد الداعين للحملة فى أوربا والشام وأحد المشتركين فيها أيضا ــ إلى البابا =

الأهداف التي أخفقت الحملات العسكرية خلال القرن الثاني عشر (السادس الهجري) في تحقيقها . ولهذه الأسباب وغيرها التي سيتناولها الباحث بالتفسير والنقد والتحليل في ثنايا الكتاب ، تتضح أهمية دراسة هذه الحملة . ومن هذه الزوايا أدلى الباحث بدلوه في هذا الموضوع مستهدفا عرض الحقائق في صورة موضوعية ولا شيء خلاف ذلك. ثم أن الباحث وهو يتناول موضوعه نظراليه نظرة عريضة شاملة باعتبارة حلقةمن حلقات الصراع الطويل بين الشرق والغرب الذي ترجع جذوره إلى مئات السنين والذي لا يزال ممتدا حتى وقتنا هـذا . فمصر الأمس هي مصر اليوم ، هي القلعة الصامدة المناضلة المكافحة . والحروب الصليبية التي إكتوى العالم الإسلامي بنارها بالأمس ، تبدو اليوم في شكل آخر يتمثل في الوجود الصهيوني الاستعماري في بعض أجزاء الأرض العربية والهدف شبيه بنفس الهدف ، والأطماع قريبة من نفس الأطماع . فما أشبه اليوم بالبارحة .

ولما كان هذا البحث يتناول طرفا من العلاقات بين الشرق والغرب في فترة زمنية محددة هي فـترة الحملة الصليبية الخامسة ، لذلك تحتم علي الباحث الرجوع إلى مصادرها العربية والأجنبية على قدم المساواة سعياً وراء الحقيقة التاريخية المطلقة التي هي فوق كل إعتبار . ولا شك أن ما إعترى الكتابات التاريخية في هذا الميدان الفسيح من قصور ولبس في بعض النواحي التي تناولوا

= هونوريوس الثالث من دمياط (٢٢ سبتمبر ١٢١٩ م / ١١ رجب ٦١٦ هـ) أنظر
Vitry, Lettre, de Jacques de Virry edition Critique Par R. B. C. Huygcns, Leiden, 1960. P. 103.

راجع أيضـا Oliver or Padenborn, The Capture of Damietta tran. John J. Gavigan, Philadelphia, pp. 1 - 8.

فيها أحداث الحملة إنما يرجع إلى أن الكتاب الغربيين جنحوا إلى الاعتماد على شق واحد من أصول الحملة أكثر من إعتمادهم على الشق الآخر، فانطبع إستعراضهم السريع المبتور لبعض قضايا البحث ومشاكله بطابع أنصاف الحلول . وعلى ذلك أصبحت مهمة الباحث فى التاريخ لهذه الحملة هي مناقشة مختلف الأسانيد والروايات التى تعرضت للحملة ومقارنتها ببعضها بغية الوصول إلى أسلم النتائج التى يتمخض عنها البحث التاريخى السديد .

لقد توخى الباحث هـذا المنهج فى بحثه ، فرجع إلى المصادر الشرقية والغربية وبعضها لا يزال بلغته الأصلية التى كتب بها كالاتينية والبعض الآخر لا يزال مخطوطا لم ير النور بعد ، أهمها بلا شك مصادر شهود العيان ، ثم مصادر المعاصرين والمتأخرين زمنيا الذين ينقلون عادة عن الأصول المفقود أو غير المفقود .

وقد هدانا البحث إلى وضع المصادر الاوربية فى المكانة الاولى تليها المصادر العربية . والسبب في ذلك أن المصادر الغربية أسهبت فى وصف وقائع الحملة على العكس من المصادر العربية . فضلا عن أن معظم كاتبيها كانوا من شهود العيان الذين إشتركوا فى الحملة مشاركة فعلية وشهدوا وقائعها وأحداثها مما أكسب رواياتهم طابعا من الطراز الاول . والواقع أن الغوص فى أعماق هذه المصادر ليس بالامر السهل ، فمعظمها مدون باللغة اللاتينية لم ينقل إلى اللغات الحديثة بعد . ثم ان بعض هـذه المصادر لم يكن موجودا داخل جمهورية مصر العربية ، ولم يقف ذلك عقبه أمام الباحث الذى لم يدخر وسعا في الحصول عليها من الخارج . وبذلك إستطاع أن يجمع ما يقرب من واحد وعشرين خطابا ووثيقة أصلية وأصيلة كانت مبعثرة هنا وهناك . هـذا

بالاضافة إلى المصادر الأخرى لشهود العيان وغير شهود العيان والمصادر المتأخرة زمنيا .

وقام الباحث بتصنيف هذه المصادر الغربية الي مجموعات ، المجموعة الاولى منها خاصة بشهود العيان للحمله والمجموعة الثانية تتعلق بالمعاصرين من غير شهود العيان . والثالثة هي المصادر المتأخرة زمناً وأرخت للحملة أو جانبا منها ، أما الرابعة فهي التي تتحدث عن الحوادث السابقة للحملة أو اللاحقة لها وأصحابها من شهود العيان لأحداث أزمانهم . هذا وتبلغ منابع الحملة في مجموعها ثمانية وأربعون مصدر اجنبيا .

وعلى رأس المجموعة الأولى الخاصة بشهود العيان ما كتبه المؤرخ الألماني أوليفر أف بادنبورن Oliver of Padenborn وتاريخ مولده وكذلك مسقط رأسه ليس معروفا لدينا يعرف أيضا باسم أوليفر المعلم (سكولاستك) Scolastique وقد بدأ أسمه في الظهور عام ١١٩٦ م عندما كان يعمل شماسا في كنيسة بادنبورن بالمانيا . وفي عام ١٢٠٠ م عين مدرسا في مدرسة الكنيسة نفسها وفي العام التالي أصبح مدرسا في مدينة كلوني Cologne وفي عام ١٢٠٧م رحل إلى فرنسا وقضي بها بعض الوقت ثم عاد إلى كلوني مره أخرى . وساعد أوليفر في أعمال مجلس اللاتيران الكنسي Lateran Council الذى عقد في روما عام ١٢١٥ م وهو المجلس الذى دعى فيه للحملة الصليبية الخامسه موضوع الدراسة . وتوجه أوليفر بعد انتهاء أعمال المجلس إلى المانيا حيث وعظ وبشر للحملة . وفي عام ١٢١٧م أبحر من مرسيليا مع بعض قوات الحملة في طريقه إلى الشام حيث وصلها في يوليو أو أغسطس . وفي العام التالي أبحر

مع الحمله إلى دمياط وظل مع الحملة حتى هزيمتها ورحيلها فى خريف ١٢٢١م ثم نزل فى مدينة عكا وبقى بالامارات الصليبية بعض الوقت حتى إبحر إلى كلونى التي وصلها فى عام ١٢٢٢م حيث عين أسقفا لكنيسة بادنبورن فى الفترة من ١٢٢٤ – ١٢٢٥م وأسقف كنيسة سابينا Sabini بإيطاليا فى الفترة من ١٢٢٥-١٢٢٧م ، كما تولى ايضا منصب الكاردينالية في أواخر أيام حياته .
ومات أوليفر في عام ١٢٢٧ بالتحديد في الفترة من أغسطس حتى التاسع من من سبتمبر ودفن فى أيطاليا (١) . وأثناء تواجد الحملة فى مصر عمل أوليفر كاتبا المندوب البابوى الحملة الكاردينال بلاجيوس Pelagius – لذلك فانه فضلا عن كونه من شهود العيان ، فقد كان ملتصقا بقيادة الحملة ومن هنا تتضح أهمية ماتركه لنا أوليفر من مادة تاريخية تتعلق بأحداث الحملة .
والواقع أن أوليفر لم يكتب للحملة فقط فله كتابات تاريخية أخرى . وما يهمنا ونحن بصدد التاريخ للحملة خطابين صادرين من أوليفر وهو في دمياط وكتابه المعروف باسم تاريخ دمياط Hiotoria Damiatina والخطاب الأول (٢) موجه من أوليفر إلى إنجلبرت Engelbert رئيس اساقفه مدينة كلونى . وقد كتب هذا الخطاب بعد سقوط مدينة دمياط فى يد الصليبين (٥ نوفمبر ١٢١٩م / ٢٥ شعبان ٦١٦ هـ) .

واحتوى هذا الخطاب على معلومات تتعلق بغرق المعسكر الصليبي الذي

---

١ – Oliver of Padenborr, op cit., pp. 1 — 3

٢ – النص الكامل لهذا الخطاب نشره بونجارز باللغة اللاتينية عام ١٦١١ م أنظر
Bongats, J., Cesta Dei Par Francos, pp 1185 — 1192.

أقيم فى جيزة دمياط (٢٩ نوفمبر ١٢١٨م / ٩ رمضان ٦١٥ هـ) ومحاولات الاستيلاء على برج السلسلة ، كما تضمن وصفا لمدينة دمياط وحالة سكانها عندما إستولى عليها الصليبيون ، هـذا بالاضافة إلى واقعة قيـام المعظم عيسى ملك دمشق (٦١٥ — ٦٢٥ هـ/ ١٢١٨ — ١٢٢٧م) بهدم أسوار مدينة بيت المقدس وأبراجها ، ومعركة الثالث من مارس عام ١٢١٩ / ٤ ذو الحجة ٦١٥ هـ) ورحيل وقدوم بعض القوات الصليبية من وإلى دمياط وأخـيرا معركة أكتوبر من نفس العام (جمادى الثانى ٦١٦ هـ) .

والخطاب الثانى (١) أرسـله أوليفر إلى الكامل محمـد ملك مصر (٦١٥ — ٦٣٥ هـ / ١٢١٨ — ١٢٣٨م) بعد هزيمة الصليبين (٦١٨ هـ / ١٢٢١ م) . ويشهد هذا الخطاب بالمعاملة الإنسانية التى عامل بها الملك الكامل الرهائن الصليبية ، فقد كان أوليفر نفسه ضمن الرهائن ، هذا بالإضافة إلى حسن معاملة الـكامل لـكافة جنود الحملة الصليبية بعد هزيمتها . أما كتاب أوليفر « تاريخ دمياط (٢) » فقد إشتمل على أحداث الحملة منذ قدوم الحملة الهنغارية إلى عكا فى سبتمبر عام ١٢١٧م وحتى نهاية وقائع أحداث الحمـلة الصليبية الخامسة وتسليم مدينة دمياط للمسلمين. وقدم أوليفر عرضا طيبا عن أحداث الحملة الهنغارية التى دارت وقائعها فى الشام وأغارة الصليبين على حصن الطور . وأهم ماقدمه أوليفر الأحداث الخاصة بتجمع الصليبين فى قلعة الحجاج

---

١ — قام هرشت بنشر هذا الخطاب باللغة الالمانية عام ١٨٩٨ م . أنظر

Rohticht, R, Goschichte de Konigreichs. Jerusalem, p. 753.

٢ — نشر هذا الـكتاب باللغة الانجليزية تحت عنوان (سقوط دمياط) انظر ما سبق ص ١ حاشية .

ثم إبحارهم إلى مصر حيث رست قواتهم فى جيزه دمياط . وأضاف إلى ذلك كافة الأحداث المتعلقة بالمحاولات المتعددة من جانب الصليبين للاستيلاء على برج السلسلة والمناوشات التى وقعت بين المسلمين والصليبين ، كما تناول أوليفر المؤامرة التى وقعت فى المعسكر الاسلامى القائم فى العادلية جنوبى دمياط وهروب الجيش الإسلامى وكيف إنتهز الصليبيون الفرصة وعبروا إلى الضفة الشرقية للنيل . وسجل لنا أيضا المعارك العسكرية التى وقعت بين المسلمين والصليبين فى الفترة الواقعة بين عبور القوات الصليبية وحتى سقوط مدينة دمياط بما فيها عروض الصلح التى تقدم بها الملك الكامل .

كما وصف لنا الحالة السيئة التى كانت عليها مدينة دمياط عندما دخلها الصليبيون ثم كان من تحويل جامع المدينة إلى كنيسة كاثوليكية للسيدة مريم وتعميد الأسرى خاصة الأطفال منهم . وقدم لنا أوليفر كذلك وصفا ممتازاً عن تحصينات مدينة دمياط وأسوارها وأبراجها وسراديبها وهو مالم تسجله المصادر العربية ، كما صور لنا أحوال الصليبين أثناء تواجدهم فى المدينة وحتى الزحف صوب القاهرة وعرض لنا فى هذه الفترة الفساد الذى إنغمست فيه القوات الصليبية وأحداث سقوط مدينة تنيس والقيمة الاقتصادية لهذه المدينة بالنسبة لإيرادات مصر في العصور الوسطى . وعرض لنا النشاط العسكرى الذي قام به الملك المعظم ضد بعض القلاع الصليبية في الشام بغرض التخفيف من الضغط العسكرى على مصر ومغادرة الملك جان دى برين مدينة دمياط إلى عكا ثم إغارة الصليبين على مدينة البرلس وغير ذلك من الأحداث الهامة التى أفادت جانبا كبيراً من هذا البحث .

أما الفترة التى تبدأ بالتفكير في الزحف صوب القاهرة وحتى هزيمة الحملة

وفشلها فقد قدم أوليفر عرضا حيا لكافة الاحداث المتعلقة بهذه الفترة وإستعداد الجيش الصليبي للتقدم جنوبا إلى المنصورة والبطولات الرائعة التى قام بها المسلمون لوقف تقدم الصليبين ، كما قدم لنا الأخطاء التى وقعت فيها القوات الصليبية أثناء زحفهم إلى القاهرة ، ولعل أهمها إهمال مصب نهر المحلة وعدم الاهتمام بحراسة بقوات صليبية الأمر الذى سهل للقوات الاسلامية تطويق الجيش الصليبي من الخلف (١) ثم ما كان من أمر فيضان النيل وكسر المسلمين لبعض جسور النيل التى اغرقت المعسكر الصليبي ، واختتم هذه الأحداث بهزيمة الصليبين وطلبهم الجلاء عن مصر دون قيد أو شرط .

والحق أن اوليفر قدم لنا ماده تاريخية وافية عن أحداث الحملة ضنت بالكثير منها المصادر العربية . ورغم هذا فان ما كتبه أوليفر يظهر فيه التعصب الدينى بشكل واضح ، كما أنها لا تخلو أيضا من الاساطير . ومما يؤخذ على أوليفر كمؤرخ الاستطراد في بعض الاحيان وتقديم أو تاخير بعض الاحداث وتكرارها . وأخيرا نقول أن ما كتبه أوليفر بالنسبة لمعاصريه يتسم بالموضوعية الى حد كبير (٢) .

والى جانب أوليفر توجد رسائل الكاردينال جاك دى فترى Jacques de vitry وقد ولد جاك حوالى عام ١١٨٠ م وتلقى تعليما دينيا ، وتقلد فى شبابه العديد من المناصب الدينية ، وسرعان ما أصبح أحد رجال

---

١ — أنظر الخريطة رقم (٧)

٢ — Runciman, A Hiotory of the Crucades, III, P. 484.

الدين المرموقين وكان تأثيره على الحركة الصليبية في بدايات القرن الثالث عشر الميلادى لا يقل عن تأثير بطرس الناسك Peter the Hermit فى زمانه ، وكان أيضا من الداعين للحملة الالبيجنسية التى قامت فى جنوب فرنسا ، كما بشر ووعظ ودعا فى فرنسا للحملة الصليبية الخامسة ، وكرس حياته لإعادة تعزيز الوجود الصليبي فى الأرض المقدسة .

وقد حضر إجتماعات مجلس اللاتيران الكنسى شأنه فى ذلك شأن زميله أوليفر . وفى عام ١٢١٦ م عين أسقفا لمدينة عكا ، وصاحب الحملة الهنغارية فى هجومها على ممتلكات المسلمين بالشام عام ١٢١٧ م،وصاحب جاك الحملة الصليبية من بدايتها حتى نهايتها عام ١٢٢١ م ، ثم عاد إلى عكا وظل مقيما بها حتى عام ١٢٢٧ م ثم عاد إلي روما . وشغل جاك بعد ذلك عديدا من المناصب الدينية منها وظيفة الكاردينالية وممثلا للبابا فى كل من فرنسا والمانيا ، واخيرا عين بطريقا (اسميا) لمدينة بيت المقدس ولكنه توفى فى نهايه أول مايو عام ١٢٤٠ م قبل أن يتسلم مقاليد هذا المنصب (١) .

وفضلا عن كون جاك دى فترى من شهود العيان ، فقد كان أيضا رجل الدين الثانى ويلى المندوب البابوى فى الحملة ، وكان يرسل التقارير من دمياط تباعا الى هونوريوس الثالث Honorius III (١٢١٦ — ١٢٢٧ م) . وبلغ مجموع هذه التقارير سبع رسائل خمس منها كانت أثناء تواجد الحملة في مصر فقد كانت الرسالة الأولى مؤرخة في أوائل أكتوبر ١٢١٦م ، والثانية فى ربيع ١٢١٧ م ، والثالثة فى أغسطس ١٢١٨ م ، والرابعة فى سبتمبر ١٢١٨م ،

١ — Vitry, op. cit., I, Hiatory of Jerusalem, pp. III - IV.

والخامسة فى سبتمبر ١٢١٩ م ، والسادسة في ربيع ١٢٢٠ م ، والسابعة فى الثامن عشر من ابريل ١٢٢١ م ، ولا زال هناك دراسات حول التحديد الدقيق لتواريخ هذة الرسائل التى نشرت أخيرا بلغتها الأصلية وهى اللاتينية فى عام ١٩٦٠ م (١) .

وتتمتع هذه الرسائل بأهمية بالغة ، ذلك أن كاتبها حضر الاجتماعات الرسماة الخاصة بالحملة قبل وصولها إلى مصر ، كما أن هذه الوثائق تحمل فى طياتها صفة الوثائق الرسمية لكونها تقارير كانت ترسل تباعا من شخصية رسمية إلى البابوية فى روما. وتعتبر هذه الرسائل ثقة في تاريخ الحملة نظرا للمعلومات القيمة التى وردت بها واشتملت على العديد من تفاصيل وأحداث الحملة منذ قدومها الى مصر ورسوها فى جيزة دمياط ، وتفاصل الغارات المتتالية التى شنها الصليبيون حتى سقوط برج السلسلة وعبور الصليبيين للضفة الغربية للنيل . كما تناولت أيضا الأحداث التى وقعت بعد ذلك خاصة حادثة الثامن والعشرين من أغسطس عام ١٢١٩ م (١٥ جماد ٦١٦ هـ) ثم تفاصيل سقوط مدينة دميط وما تلاهما من وقائع كتحويل جامع دمياط الى كنيسة كاثوليكية وتعميد الاطفالى وتوزيع الغنائم وسقوط قاعة مدينة تنيس ، وربطها بمطرانية دمياط . كما عالجت موضوع رحيل الملك جان دى برين وبعض الصليبيين من دمياط والأسباب الكامنة وراء هذا التصرف والنتائج التى ترتبت على ذلك ، وكذلك الفساد الذى تردت فيه القوات الصليبية أثناء تواجد الحملة داخل المدينة ، والتحصينات التى أقامها الصليبيون شرقى وغربى دمياط كما أنه تناول

١ ـ أنظر ماسبق ص ١ حاشية (١)

فى خطاباته إقامة الملك الكامل وعساكرة فى المنصوره والكمائن التى كان ينصبها المسلمون للصليبيين وجهود الكامـــل والمعظم فى إقلاق مضاجع الفرنج بمصر والشام . وتعرض جاك دى فترى لموضوع ظهور المغول وقتذاك وما له من أثر على موقف كل من المسلمين والصليبيين ، ويؤخذ على هذه الرسائل أنها غير مسلسلة الحوادث ففيها تقديم وتأخير وتكرار فى بعض الاحيان كما أنها لم تتناول المراحل الاخيرة من الحملة التى تبـدأ بالزحف صوب القاهـرة حتى هزيمتها والاستسلام . ويتضـح من هذه الرسائل أن كاتبهـا كان متعصبا لديانته ومذهبه فقد كان من الذين نادوا بكثلكة الشرق الادنى الاسلامى .

وبالاضافة الى رسائل الكاردينال جاك دى فترى الذى امدنا بمادة دسمةفى موضوع الحملة مؤلفه المعروف باسم « تاريخ الشرق » Hostoria Orientales الذى تناول فيه أحوال الشرق بصفة عامة مع الاشارة إلىمدنهومو انيهوالطرق التجارية وأهمية المدن المصرية من هذه الناحية . وقد إستفاد الباحث مما وردفيه عن مدينة دمياط إذ تعرض لبعض أحداث الحملة خاصة وصف برج السلسلة وأسوار مدينة دمياط وحالة المدينة بعد سقوطها فى ايدى الصليبيين .

وإذا كان ما كتبه جاك دى فترى يصل بأحداث الحمـلة إلى نقطة تقدم القوات الصليبية من دمياط فكان على الباحث أن يبحث عن شاهد عيانآخر يستكمل من كتابته بقية أحداث الحملة حتى يمكن مقارنتها بمـا كتبه أوليفر وحتى لا يعتمد الباحث فى هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ مصـر القومى على وجهة نظر أوليفر فقط ، وقد عثر الباحث على ضالتـه المنشودة فى خطابين يتميزان بأهمية بالغة لانهما ينتسبان إلى بطرس أفمونتاجو Peter of Montagu رئيس جماعة الفرسان الداوية ١٢٢٠ م — ١٢٢٩ م وأحد شهود العيان ،وكان

أيضا ضمن الرهائن الصليبية لدى الملك الكامل فى المرحلة الاخيرة من الحملة .

والخطاب أرسله بطرس عقب إطلاق سراحه مباشرة فقد أرخ فى سبتمبر عام ١٢٢٢ م وهذا الخطاب مرسل الى أسقف اليمونيوم Elimenum وعنوانه « أحوال الاراضى المقدسة بعد سقوط دمياط . » وأهمية هذا الخطاب يرجع إلى أن بطرس كان فى دمياط وغادرها إلى عكا مصاحبا للملك جان دى برين ، وظل بها فترة من الوقت تبدأ من التاسع والعشرون من مارس ١٢٢٠ م (١) . وتناول بطرس في هذا الخطاب أخبار سقوط دمياط وتنيس ، والإمدادات الصليبية فى حوض البحر المتوسط والضائقة المالية التى عانتها الحملة ، وقيام الملك المعظم بالهجوم على الممتلكات الصليبية في الشام وأمل الصليبيين فى وصول الإمبراطور الألمانى فريدريك الثانى Frederick II (١٢١٢ — ١٢٥٠ م) للحاق بالحملة لقيادتها .

أما الخطاب الثانى فقد أرسله بطرس إلى حد رفاقه ويدعى مارتل martel وعنوان هذا الخطاب « ضياع دمياط » ، وإشتمل على أحداث مجلس الحرب الذى عقده المندوب البابوى وبعض القادة الصليبيين الذى تقرر فيه الزحف على القاهرة . كما تضمن أيضا عودة الملك جان دى برين من عكا إلى دمياط، وتقدم القوات الصليبية وإقامتها قبالة المنصورة وبحر أشمون يفصل بينهم وبين المعسكر الإسلامى ، وسجل فيه كذلك تمرد بعض الصليبيين أثناء الزحف وعودتهم إلى دمياط ثم قيام المسلمين بكسر الجسور وإغراق المعسكر الصليبي ووصول هنرى Henry كونت مالطة إلى دمياط وإنضمامه إلى رفاقه الصليبيين الذين

---

١ — Vitry , op. cit , P. — 136 —

رفضوا الإستسلام للمسلمين . وقد ذيل هذا الخطاب بالمعاملة الإنسانية التي عامل بها الملك الكامل القوات الصليبية بعد هزيمتها ، وعقد الهدنة بين الطرفين فقد كان هو الآخر ضمن الرهائن الصليبية . وأخيراً جلاء القوات الصليبية عن دمياط .

وفي ختام المجموعة الخاصة بشهود العيان ترد الخطابات الأربعة الصادرة من بعض رجال الدين وقادة الحملة أثناء تواجدهم في دمياط للبابا هونوريوس الثالث وإلى بعض الشخصيات الأوروبية والخطاب الأول منها مؤرخ في الخامس عشر من يونيو عام ١٢١٨ م أي بعد رسو الحملة في جيزة دمياط بأسبوعين تقريبا ، والثاني والثالث والرابع مؤرخة في العاشرة والحادي عشر والثاني عشر على التوالي من شهر نوفمبر عام ١٢١٩ م ، أي أن الثاني مؤرخ بعد خمسة أيام فقط من تاريخ سقوط دمياط في أيدي الصليبيين . وتناولت هذه الخطابات رسو الحملة في جيزة دمياط وعرض الصلح الذي تقدم به الملك الكامل وبعض الأحداث التي سبقت سقوط مدينة دمياط ثم سقوط المدينة في أيدي الصليبيين وحالتها عند إستيلاء الحملة عليها ، هذا بالإضافة إلى طلب النجدات من البابا وحثه على إرسال الإمبراطور فريدريك للحاق بالحملة في دمياط ثم أخبار تخريب أسوار مدينة بيت المقدس . ولهذه الخطابات أهمية تاريخية عظيمة لما حوته من معلومات عن الحملة رغم إنطباعها بالطابع الديني كما أنها تؤيد بعض الأحداث التي رواها شهود العيان الآخرين (١) .

أما المجموعة الثانية من المصادر الأجنبية فهي الخاصة بالمعاصرين من غير شهود العيان فيتصدرها الخطاب الذي أرسله فيليب أف البني Philip

١ — نشر رهرشت هذه الخطابات باللغة اللاتينية عام ١٨٩٢ م أنظر :
Rohricht. Funtten Kreuzzuges, pp. 39 - 46 .

of Albeney إلى رالــف إيرل شيستر (١) ، Ralph Earl of Chester
و يليه هذا هو أحد الفرسان الإنجليز والمعلم الخاص للملك هنري الثالث (١٢١٦ — ١٢٧٢ م) . واستقى المعلومات التاريخية التي وردت في خطابه أثناء إبحاره في البحر المتوسط بالقرب من دمياط وهو في طريقه إلى الأراضي المقدسة عندما شاهد سفنا عديدة تغادر ميناء دمياط وتحدث مع أحد البحارة واستقى منه بعض المعلومات التي تتعلق بزحف الصليبيين من دمياط صوب القاهرة وهزيمتهم وعقد الهدنة وتبادل الرهائن وتسليم دمياط . ولما كانت هذه المعلومات مسجلة بعد الهزيمة مباشرة لذلك تتضح أهميتها التاريخية والتي ترقى الى حد كبير إلى ما دونه شهود العيان .

ويلي ذلك ما كتبه روجر أف وندوفر Roger of Wendover باسم « زبدة التاريخ » Flowers of History ويشتمل هذا المؤلف على تاريخ الفترة الممتدة من سنة ٤٤٧ الى سنة ١٢٤٥ م وقد تعرض فيه لأحداث الحملة موضوع الدراسة وهو ينقل معظمها من أوليفر وجاك دى فترى ، لذلك تمتع هذا المصدر بأهمية كبرى خاصة أنه أورد بعض التفاصيل التي لم يرد ذكرها عند المؤرخين السابقين . وقد إستفاد الباحث مما كتبه روجر خاصة المعلومات الخاصة برحيل القوات الصليبية من أوربا إلى الشرق ومساعدة بعض الصليبيين لإخوانهم ضد المسلمين في أسبانيا كما تعرض أيضا للامدادات التي وصلت إلى دمياط في سبتمبر ١٢١٨ م وعلى رأسها الكاردينال بلاجيوس . هذا بالإضافة

١ — جاء رالف الى دمياط فى خريف عام ١٢١٨ م مع الامدادات التي أتى معها بلاجيوس وانظم الى صفوف الحملة وظل بدمياط حتى ربيع عام ١٢٢١ م أنظر :

Roger of Wendover, Flowers of History, II, pp. 411-2.

إلى الأمراض الجلدية التى إنتشرت بين القوات الصليبية فى شتاء نفس العام .
ويؤخذ على هذا المصدر أنه انتهى بحوادث الحملة عند سقوط مدينة دمياط وتنيس ، ولكنه استطاع أن يكملها بنصوص الخطابين الخاصين ببطرس اف مونتاجو وكذلك الخطاب الخاص بفيليب أف البنى . والملاحظ أنه يؤرخ الأحداث على الطريقة السنتين شأنه فى ذلك شأن معاصرية لذلك جاءت أحداث الحملة غير مترابطة ومتداخلة مع غيرها من الاحداث .

ومن هذه المجموعة أيضا تاريخ هرقل([1]) Eracles ويعتبر هذا المصدر أيضا ثقة فى تاريخ الحملة الصليبية الخامسة . فقد وردت به معلومات وتفاصيل لم ترد فى المصادر السابقة خاصة تفاصيل مهاجمة المسلمين لممتلكات الصليبيين فى الشام أثناء تواجد الحملة فى دمياط ، بالإضافة إلى تفاصيل عودة الملك جان دى برين من دمياط إلى عكا ومشكلة الوراثة فى أرمينيه ، والميزة الخاصة التى يتمتع بها هذا المصدر هو ذكره لأسماء كبار الشخصيات التى إشتركت فى أحداث الحملة . ويلاحظ على تاريخ هرقل تحامله على المندوب البابوى إلى حد ما وعدم الدقة فى ذكر تاريخ الأحداث خاصة تاريخ سقوط مدينة دمياط فى أيدى الفرنج ، كما أنه اخطأ عندما ذكر أن المسلمين طوقوا الصليبين من الشمال ببعض

---

١ — منشور اللغة الفرنسية القديمة فى مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية R. H. C. وهو من تذييلات وليم الصورى ولم يعرف كاتبه • فى حوالي منتصف القرن الثالث عشر الميلادى قام أحد رجال مالك فرنسا بترجمة كتاب وليم الصورى وأضاف اليه ماعرف باسم تاريخ هرقل . وقد سمى بهذا الاسم لأن بداية الكتاب تبدأ بكلمة الامبراطور هرقل أنظر :—

Runsimam, op. cit., I, p. 477, III, P. 482

السفن التى أبحرت من رشيد ثم دخلت في فرع دمياط من الشمال والواقع أن المسلمين أحاطوا بالقوات الصليبية عندما أبحرت السفن الاسلامية من بحر المحلة جنوبا واتجهت شمالا وخرجت من مصبة المواجه لشارمساح([1]) .

والى جانب ذلك يوجد تاريخ بطارقة بيت المقدس الذى تضمن بعض المعلومات عن رجال الدين اشتركوا فى أعمال مجلس اللاتيران الكنس وفى الحملة نفسها . وكذلك تاريخ الأرشيف اللاتينى لقبرص وتاريخ البطارقة اللاتين لأنطاكية ، وإلى جانب ذلك يوجد تاريخ بطارقة بيت المقدس الذى تضمن بعض المعلومات عن رجال الدين إشتركوا فى أعمال مجلس اللاتيران الكنس وفى الحملة نفسها . وكلها تضمنت بعض المعلومات الهامة عن نشاط الأساقفة فى الإعداد للحملة ، ثم حوليات الاراضى المقدسة التى تعتبر مصنفا مختصراً لتذيلات وليم الصورى .

يضاف إلى هذه المجموعة أيضا النصوص الخاصة بقرارات مجلس اللاتيران الكنسى والخطاب الذى أرسله البابا انوسنت الثالث (١١٩٨ — ١٢١٦ م) فى سنه ١١٩٨ م إلى شعب البندقية بغرض تحريم الاتجار مع المسلمين، والخطاب الذى صدر منه أيضا الى البارونات الانجليز فى عام ١٢١٦ م يطالبهم فيه ببذل الولاء والطاعة للملك الانجليزى حنا . وكذلك التقرير الذى أرسله بطريق بيت المقدس إلى البابا انوسنت الثالث عام ١٢١٤ م الذى تناول فيـــه بعض المعلومات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية عن مصر وخطاب نيقولا الأول بطريق الروم الكاثوليك بالإسكندرية إلى البابا هونوريوس

---

(١) أنظر الخريطة رقم (٧) .

الثالث في عام ١٢٢٢ م يطالبه فيه بارسال الامبراطور فريدريك الثاني لغزو مصر عن طريق فرع رشيد ، والوعد الذى قطعه فريدريك على نفسه باذلا فيه الولاء للبابا انوسنت الثالث . وتنتهى هذه المجموعة بما كتبه بول ويجــلر Paul wiegler باسم « الامبراطور المهرطق» "The Infidel Impercr" وقد تناول فيه موقف الامبراطور من الحملة ومعاقبته لهنرى كونت مالطه الذي وصل الى دمياط عقب استسلام الصليبيين على سوء تصرفه .

والمجموعة الثالثة الخاص بالمصادر الأجنبية هى المصادر المتأخرة زمنيا عن الحملة ثم كتب الرحالة . أما المصادر المتأخرة فأهمها ماكتبـــه متى أوف وستمنستر (١) Matthew of Westminester باسم « زبده التاريخ » The Flowers of History الذى تنتهى حوادثه بعام ١٣٠٧م . وماكتبه الرحالة فلكس فابرى (٢) Felex Fabri باسم « كتـاب الترحال » The Book of .

(١) ينسب الى مقاطعة وستمنستر فى انجلترا ، وكان أحد الرهبان البندكتيين ، وقد ذاع صيته مع مطالع القرن الرابع عشر الميلادى . وهو يعتمد فى تاريخه هذا على ما كتبه روجراوف وندوفرومتى البارسى اللذين عاشا فى القرن الثالث عشر الميلادى ويعتبر بلا منازع من أعظم مؤلفى عصره ، ويستحق بجداره الشهرة التى اكتسبها بين غيره من المؤرخين . أنظر :

Matthew of Westnester; The Flowers of History, I, pp. I– III.

(٢) عاش فى القرن الخامس عشر الميلادي ، وكان أحد افراد جماعة الدمنيكان . وقد زار الارض المقدسة مرتين كانت الأخيرة منها فيما بين عامى ١٤٨٠ ، ١٤٨٢م . وقد دون كتابه فى عام ١٨٨٤م وفاء بوعد كان قد قطعه على نفسه أمام أحد رفاقه . أنظر :

Fab.i, F, The Book of Wandering, Vol. I, part 1, p. I.

wandering الذى تنتهي حوادثه حوالي عام ١٤٨٣ م . وكلاهما تناول احداث الحملة باختصار . يضاف إلى ذلك ما كتبه بعض الرحالة الذين كتبوا عن بلاد الشام وأوصافها وهم بروكارد (١) Brucl ard الذى سجل مشاهداته فى عام ١٢٨٠ م ، وماسجلة مارينو سانوتو (٢) Marino Sanoto فى عام ١٣٢١ م ، وما دونه ليودلفه فون سوكيم (٣) Ludulph Von Suchem عام ١٣٥٠م.

وتأتى بعد ذلك المجموعة الرابعة الخاصة بالمصادر التى تتحدث عن الحوادث السابقة للحملة أو اللاحقة لها . والسابق منها يتصدرها ما كتبه جاك دى فترى باسم « تاريخ بيت المقدس » (The History of Jerusslem) وما كتبه وليم الصورى (٤) باسم « تاريخ الاعمال التى تمت فى بلاد ما وراء البحر » – « Histoiia Renum in partibus » « Transmarinis Gestarum »

---

(١) هو بروكارد الصهيونى 'Pruchard of Mount sion ، وهو ألمانى الأصل وعاش فى القرن الثالث عشر الميلادى . وقد قدم الى الشرق عام ١٢٢٢م . وزار مصر وسوريا ودون مشاهداته عام ١٢٨٠م . أنظر :

Bruchard, A Description of True Crusaders, pp. III-IV.

(٢) ويسمى أيضا مارينو سانودو Sanudo ويرجع أصله الى أحدى العائلات النبيله فى البندقية وقد زار الشرق وسجل مشاهداته منذ أواخر القرن الثالث عشر الميلادى حتى عام ١٣٢١ م . أنظر :

Marino Sanuto, Secrets for True Crusaders, pp. III—IV.

(٣) كان ليودلف قسيسا فى كنيسة سوكيم التابعة لأسقفيه بادبيورن بالمانيا . وقد زار الاراضى المقدسة فى الفترة من ١٢٢٦ – ١٣٤١ م ، وسجل مشاهداته فى عام ١٣٥٠ م ، أنظر :

Ludolphe von Suchem, Description of The Holy Land, p. III.

(٤) ولد وليم الصورى فى بيت المقدس حوالي عام ١١١٠ م . ويبدو أنه نشأ فى بيت

هذا بالاضافة إلى ما كتبه ريتشارد أوف ديفزس [1] Richard of Devizes وجود فرى دى فينسوف[2] Geoffrey de Vinsauf عن حملة ريتشارد قلب الأسد عام ١١٩١ – ١١٩٢ م (٥٨٧ – ٥٨٨ هـ) ، وما سجله روبرت كلارى عن سقوط القسطنطينية . وتنتهى هذه المجموعة بالخطاب الذى وجهه الكاهن يوحنا في عام ١١٥٥ م إلى الإمبراطور البيزنطى مانويل (١١٤٣–١١٨٠م) والخطاب الذى وجهه البابا اسكندر الثالث (١١٥٩ – ١١٨١م) عام ١١٧٧م إلى الكاهن يوحنا . أما المصادر التي أرخت للحوادث التالية للحملة ورجع

= المقدس نفسها ، وكان يتقن اللغات اللاتينية والفرنسية والعربية فضلا عن المامه بالعبرية والفارسية واليونانية ، وقد عمل منذ حياته المبكرة في السلك الكنسى وأصبح أحد رجال الكهنوت التابعين لرئيس أساقفة صور . وقد ارتبط بخدمة الملك عمورى الاول ملك مملكة بيت المقدس (١١٦٢ – ١١٧٣ م) الذى كلفه بكتابة تاريخه ، وعينه عمورى رئيسا لشمامسة كنيسة صور . وقد قام الاستاذ الدكتور عمر كمال توفيق بعمل دراسة تحليلية عن وليم الصورى تعتبر فى غاية الاهمية يضيق المقام هنا عن ذكرها . أنظر : عمر كمال توفيق : المؤرخ وليم الصورى ، مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، المجلد ٢١ (سنة ١٩٦٧) ص ١٨١ – ٢٠٠ .

١ – لا نعرف الكثير عن حياته ، غير أنه كان من معاصرى ريتشارد قلب الأسد ملك أنجلترا (١١٨٩ – ١١٩٩ م) وكان راهبا في مقاطعة ونشستر .

أنظر جوليه المؤرخ فى

Chronicles of The Crusades (ed. Bonn. S) London 1848, p. III.

٢ – يعد من عائلة نورمانية ولكنه أنجليزى المولد وله مؤلفات عديدة أهمها الكتاب الذى رجع إليه الباحث ، وكان معاصرا وشاهد عيان لحملة ريتشارد على الشام . أنظر :

Chronicles of The Crusades, pp. III–V.

اليها الباحث واستفاد منها فأهمها كتـــاب جوانفيل (١) Joinville عن حملتى لويس التاسع على مصر والشام ، هذا بالاضـافة الى مادونه متى الباريسى (٢) Matthew Paris عن تاريخ انجلترا فى الفـترة من ١٢٣٥ الى سنة ١٢٧٣ م .
وقد أمدت هذه المصادر الباحث بالمعلومات التاريخية القيمة خاصة بالأحـداث السابقة للحملة والتى تعتبر من مقدماتها وكـذلك بالنسبة لبعض نتائج هذا البحث ويبدو أثرها جليا فى ثنايا الرسالة .

---

١ — ولد جان دى جوانفيل حوالي عام ١٢٢٤ م . وكان أكـبر أولاد والده سيمون حاكم جوانفيل وقد خلف والده فى حكمها ، ثم أصبح بعد ذلك حاكم شامبانيا . وقد كان هو أيضا أحد فرسان الملك لويس التاسع أثناء حملتيه على كل من مصـــر وسوريا فى أواسط القرن الثالث عشر الميلادى . وقد عرف بالدقة والصدق فيما يكتب. من ذلك ومزيد من التفاصيل أنظر :

Joinville, Memoires of Louis IX, King of France, of Chronicles of the Crusades pp. 344-9.

وقد قام الاستاذ الدكتور جوزيف نسيم يوسف بمزيد من التعريف بهذا المؤرخ والظروف التي دون فيها سيرة سيده لويس التاسع وبعض الجوانب الاخرى . أنظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على مصر ص ٤ — ٥ ، العدوان الصليبى على الشام ص ٣—١٦ .

٢ — من كبار كتاب القرن الثالث عشر الميلادى . ولا نعرف شيئا عن تاريخ ميلاده أو سني حياته الاولى . وقد انخرط فى سلك الرهبنة فى ٢٢ يناير ١٢١٧ م . واشتهر بحكمته وعدالته ، وكان واسع الأطلاع غزير الثقافة أمينا منصفا فيما يكتب . ويبـــدأ تاريخه من عام ١١٣٥ وينتهى عام ١٢٥٩ م وهى السنة التى مات فيها المؤلف واكمـل هذا التاريخ حتى سنة ١٢٧٣ م راهب بدير القديس البنى بانجلترا يدعى ولیم ریشانجیه عن ذلك ولمزيد من التفاصيل أنظر :

Matthew of Westminester, op. cit., II. p. 316 - 7, Matthew Paris, English History, V-VII.

أنظر أيضا : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على الشام ص ١٩ — ٢٢ .

هذا فيما يتعلق بالمصادر الأجنبية المعاصرة والمتأخره ، أما المصادر العربيـة فأهمها على الاطلاق هو « تاريخ بطارقة الاسكندرية » (١) . وقدورد في قصة الكنيسة القبطية أن كاتبه هو أبو شاكر بن الراهب أبو الكرم بطرس بن المهذب شماس كنيسة السيدة العذراء الشهيرة بالمعلقة (٢) . وهذا يعنى أن كاتبه كان مقيما بمصر أثناء تواجد الحملة فى دمياط . والواقـــع أن تاريخ البطارقة يعتبر الحجة الأولى بلا منازع فى المصادر العربية التى أرخت للحملة . والمتصفح لصفحاته يلاحظ أن كاتبه كان ملتصقاً بالحوادث التصاقا وثيقا . فانه علاوة على ذكرة من وقائع الحملة ، أورد وصفا دقيقـــا للقلـــعة العائمة التى شيدها الصليبيون للاستيلاء على برج السلسلة وكذلك وزن سلسلة البرج التى تتصل بالمدينة ، والغارة التى قام بها الصليبيون أثنـاء إقامتهم في جيزة دمياط يوم الجمعـــة (٢٢ يونية ١٢١٩ م / ٢٦ ربيع أول ٦١٥ ه) وغارة يوم الأحـد (١ يوليو ١٢١٨ م / ٥ ربيع ثانى ٦١٥ ه) . كما أنه أشـــار إلى العـواصف التى اجتاحت المعسكرين الاسلامى والصليبى يوم (٢٩ نوفمبر ١٢١٨ م ٩ رمضان ٦١٥ ه) وأثرها على المعسكرين ، وحادثة أحـــد السعف (٣١ مارس ١٢١٩ م / ١٣ محرم ٦١٦ ه) أثناء حصار الصليبين لدمياط ، وكذلك

---

١ ــ يبدأ هذا التاريخ بعهدالقديس مرقس وينتهى باحداث عام ١٢٦١ م ، وتوجد نسخة من الكتاب بمكتبة الفاتيكان باللغة العربية مع ترجمتها اللاتينيـة . انظر : ايريس حبيب المصري : قصة الكنيسة القبطية ج ٣ ص ٢٤٦ . وقد قام بلوشيه Blochet بنشر الجزء الخاص بالحملة باللغة الفرنسية الحديثه وهو النص الذي رجع اليه الباحث . انظر :
Revue de L'Orient Latin, Vol XI, pp. 240-260,

٢ ــ ايريس حبيب المصري : المرجع السابق ج ٣ ص ٢٤٣ ، ٢٤٦ .

نشاط صفي الدين بن شكر في إعداد المال والرجال لمواجهة القوات الصليبية. هذه وتلك من المعلومات التي لم ترد في بعض المصادر الأجنبية أو العربية الأخرى مما يضفي على الكتاب أهمية خاصة. ونذكر منها على سبيل المثال أنواع الأطعمة التي قدمت للرهائن الفرنج وكذلك أسماء بعض الشخصيات الإسلامية التي قدمت كرهائن للصليبيين. هذا فضلا عن الحديث الذي دار بين الملك الصليبي والمندوب البابوي للحملة الذي أنب فيه الملك المندوب البابوي باعتباره السبب في الهزيمة التي لحقت بالحملة. ويؤخذ عليه بعض الأخطاء التي وقع فيها منها: ما ذكره من أن الملكة زوجة الملك جان دي برين كانت ضمن الرهائن الصليبية بينما كانت هذه الملكة قد ماتت منذ أكثر من عام. ورغم ذلك فان تاريخ البطارقة يعتبر أكثر المصادر العربية أسهابا في سرد أحداث الحملة ووقائعها وأكثرها دقة في ذكر تواريخ هذه الوقائع والأحداث.

والى جانب تاريخ البطارقة يوجد خمسة من المؤرخين المعاصرين هم إبن الجوزي وأبو شامة وإبن الأثير وإبن واصل وإبن خلكان. ويلاحظ على هذه المصادر جميعها إنها تناولت الحوادث الرئيسية للحملة فقط مع بعض التفصيلات البسيطة التي لا تغطي أحداث الحملة، بينما مرت مر الكرام على كثير من وقائع الحملة التي لو كانت قد امدتنا بها لزودتنا بمادة قيمة لا يمكن تجاهلها.

فابن الجوزي (١) (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٥ م) صاحب كتاب «مرآة الزمان»

---

١ - هو شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي ولد عام ٥٨٢هـ / ١١٨٦ م في بغداد وكان أبوه عبدا تركيا. ودرس في مسقط رأسه ثم شرع في الرحلة منذ اوائل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وأصبح في اخر الأمر مدرسا وكاتبا =

كأن صديقا للملك المعظم صاحب دمشق ، وقد حضر إلى دمياط وشاهد جانبا من أحداث الحملة ، كما كان باعداد بعض الامدادات فى الشام وأرسالها إلى مصر . وخير ما ورد به تفاصيل الحوادث التى وقعت بالشام وأحوال البيت الأيوبى ابان الحملة على مصر ، بالإضافة الى تفاصيل مؤامرة إبن المشطوب التى لم ترد فى غيره من المصادر .

ويلازم إبن الجوزى أبو شامة (١) (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م) ولم يأت أبو شامة فى كتابه « الذيل على الروضتين » بجديد أكثر مما ذكره إبن الجوزى اذ يلاحظ انه نقل عنه . ولكنه مع ذلك امدنا بمعلومات طيبة عن غاره الصليبيين على البرلس (يوليو ١٢١٩ م / جمادى الأولى ٦١٧ هـ) ، الا انه صور عدد القتلى الصليبيين فى هذه الموقعة بصورة مبالغ فيها .

= بدمشق ، أنظر : أبو المحاسن : المنهل الصافى (مخطوط) جـ ٥ ورقه ٥٨٩ ـ ٥٩١ . انظر أيضا : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على الشام ص ٣٤ حاشية ١ ، حاجى خليفه : كشف الظنون جـ ٢ ص ١٦٤٧ ـ ١٦٤٨ .

١ ـ هو عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان بن ابى بكر بن ابراهيم بن محمد المقدسى ، ولد بدمشق سنة ٥٩٩هـ / ١٢٠٣م . ويعرف بأبى شامه لوجود شامه على حاجبه الأيسر . وله عدة مؤلفات أهمها الروضتين فى أخبار الدولتين و « الذيل » على الروضتين » الذى نشره عزت العطار تحت اسم « تراجم رجال القرنين السادس والسابع » وهى نشره غير محققه . عن ذلك ولمزيد من التفاصيل أنظر : الكتبى : فوات الوفيات جـ ١ ص ٢٥٧ ـ ٢٥٩ ، جوزيف نسيم يوسف : المرجع السابق ص ٣٤ حاشية (٢) ، يوسف سركيس : معجم المطبوعات العربية جـ ١ ص ٣١٧ .

أما ابن الأثير (١) (ت ٦٣٠ ﻫ / ١٢٣٤ م) فقد تعرض لحوادث الحملة في كتابه « الكامل في التاريخ » ، وقد تناول خطوطها العريضة شأنها في ذلك شأن المصدرين السابقين . وخير ما ورد به الوصف الذى صور به الفزع الذي انتاب العالم الإسلامى من جراء تواجد الصليبيين في دمياط والتتار في الشرق الإسلامى وكذلك موقف العربان فى مصر من الحملة ومن القوات الإسلامية ، والفرح الذى عم العالم الإسلامى بعد هزيمة القوات الصليبية .

وإلى جانب ابن الاثير يقف إبن واصل (٢) (ت ٦٩٧ ﻫ / ١٢٩٨ م) فقد ورد فى مؤلفه « تاريخ الواصلين » المنشور جزء منه تحت اسم « مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب » وقائع الحملة ، وقد نقلها عن إبن الاثير إذ كان صغير السن أثناء تواجد الحملة فى مصر . ولكنه زاد عليها بعض التفاصيل منها موقف الأمير شجاع الدين من الملك الكامل والصليبيين عند إستلامه مدينة

١ — هو أبو الحسن على بن أبى الكرم الملقب بعز الدين والمعروف بابن الأثير ولد عام ٥٥٥ﻫ / ١١٦١م فى جزيرة ابن عمر ونشأ بها وصار الي الموصل وأهم مؤلفاته « الكامل فى التاريخ » . أنظر : أبن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ص ٤٩٤ — ٤٩٥ .

٢ — هو جمال الدين أبو عبد الله بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل قاضى حماه . ولد عام ٦٠٤ﻫ / ١٢٠٧م . وله مؤلفات كثيرة لعل أهمها « تاريخ الواصلين » وكان عمره احدى عشر سنه عندما قدمت الحملة الى دمياط . أنظر : السيوطى : بغيه الوعاه ص ٤٤ ، جمال الدين الشيال : مفرج الكروب ج ١ ص ٤ وما بعدها . وقد نشر تاريخه هذا حتى عام ٦١٥ﻫ الأستاذ الدكتور جمال الدين الشيال ويقع فى ثلاثة أجزاء ، أما الجزء الرابع الذى ينتهى بحوادث عام ٦٢٨ﻫ / ١٢٣١م فقد حققة الدكتور حسنين محمد ربيع تحت اشراف الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور وقد نشره دار الكتب عام ١٩٧٢م .

دمياط ، عندما رفض الانصياع لأوامر الكامل وتلبية طلب الصليبيين وتمسكه بموقفه ورفضه تسليم الصوارى القوات الصليبية عند جلائها .

ويختتم هذه المجموعة من المؤرخين العرب المعاصرين ابن خلكان (١) (ت ٦٨١ ﻫ / ١٢٨٢ م . وتنحصر قيمة روايته عن الحملة في مؤلفه « وفيات الاعيان » فقد جاء في ثناياة ترجمته لبعض رجال عصره البارزين، وعلى رأسهم العادل والكامل والافضل والاشرف والعزيز وهم الملوك الايوبيون الذين حركوا حوادث الحملة والاحداث السابقة واللاحقة لها وقد جاء في ثنايا هذه التراجم معلومات قيمة أفدنا منها كثيراً .

ويأتي بعد هؤلاء طائفة من الشعراء والادباء على رأسهم البهاء زهير (ت (ت٦٥٦ ﻫ / ١٢٥٨ م) . وابن مطروح (ت ٦٤٩ ﻫ / ١٢٥١ م)وابن النبيه (٦١٩ ﻫ / ١٢٢٢ م) ، وقد صوروا لنا ابتهاج المسلمين بالنصر على الصليبيين والفرح الذى عم العالم الاسلامي ابتهاجا بهذا النصر .

ويلي تلك المصادر التي اكتفى الباحث بذكرها في هذا الموضع ، بعض المصادر الأخري عاش أصحابها فى القرن الهجرى نذكر منها ، ذيل مرآة الزمان » (مخطوط) لليونيني (ت ٧٢٦ ﻫ/ ١٣٢٦ م) ، و « درر التيجان » و « كنز الدرر » (مخطوطان) لابن أيبك (٧٣٢ ﻫ / ١٣٣١ م) ، و « نهاية الارب » (مخطوط)للنويرى (ت ٧٣٢ ﻫ / ١٢٣٢ م) ، و « تاريخ أبى الفدا » و « تقويم البلدان » لأبى الفدا (ت ٧٣٢ ﻫ / ١٣٣٢ م) ، و

---

١ ــ عن ابن خلكان أنظر : الكتبى : فوات الوفيات جـ ١ ص ٥٤ ـ ٩٩

« تتمة المختصر » لابن الوردى (ث ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م) ،و «ذول الاسلام» للحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٦٨ م) ، و « فوات الوفيات » للكتـــبي (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) ، و «البداية والنهاية»لابن كثير(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م).

ومن أهم المؤلفات التى تعرضت لحوادث الحملة فى القرن التاسع الهجـري « تاريخ الدول والملوك » (١) لإبن الفرات (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م)، وكتاب « العبر » لإبن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٤ م) ، و «الخطط» للمقريزى (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م)،وكتاب « النجوم الزاهره و « المنهـــل الصافى » (مخطوط)لإبن المحاسن بن تغرى بـــردى (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) ، و « فتوح النصر » (مخطوط) لابن بهادر (عاش فى القـرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى) .

وبالاضافة الي هذه المصادر توجد بعض المصاد الأخرى المتأخـــره التى خدمت جانبا من هذا البحث أو زاوية من زواياه . كما اعتمدنا فى هذا البحث على بعض المصادر التى سجلت أخبار الحواث السابقة للحمله باعتبارها المدخل الطبيعى لها ، وقد اعتمد عليها الباحث في المقدمة أو بعض تفسيرات أخرى .

---

١ - رجع الباحث الى الجزء المنشور منه ابتداء من حـــوادث عام ٥٩٤ هـ حتى عام ٦١٥ هـ . وقد نشرة الدكتور حسن محمد الشماع وساعدت جامعة البصره على طبعه . وقد صدر تحت اسم (تاريخ ابن الفرات) ، والمجلد الرابع جـ ١ ويحوى الفترة من ٥٦٣ هـ الي ٥٨٦ هـ ،، وقد طبع عام ١٩٦٧م ، والجزء الثانى ويحوى الفترة من ٥٨٧ هـ الى ٥٩٩ هـ وقد طبع عام ١٩٦٩م ، والمجلد الخامس جـ ١ ويبدأ من حوادث عام ٦٠٠ هـ الى ٦١٥ هـ ، وقد طبع عام ١٩٧٠م . وعن ابن الفرات انظـــر : أبي المحاسن بن تغرى المنهل الصافى (مخطوط) جـ ٥ ورقه ٣٠ - ٣١.

ومن هذه المصادر « الديارات للشابشتى (ت ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م) ، و « ذيل تاريخ دمشق » لابن القلانسى (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠ م) ، و« أخبار مصر » لابن ميسر (ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) ، و « تاريخ الفارقى » لإبن الفارقى (ت ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م) ، و « الفتح القدسى » للعماد الكاتب (ت ٤٨٩هـ / ١١٩٣ م) ، و « قوانين الدواوين » لابن مماتى (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩م)،و « معجم البلدان » لياقوت الحموى » (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) ، و « النوادر السلطانية » لابن شداد (ت ٦٣٢ هـ / ١١٣٨ م) ، والروضتين«لأبي شامه» . هذا بالاضافه الي ما كتبه الجغرافيون والرحالة ، ونذكر منهم بنيامين التطيلى (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٣م) وابن جبير (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م) وإبن بطوطة (ت ٧٧٩هـ , ٣٧٧ م) والقزوينى (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)وإبن فضل الله العمرى (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م) وكل هذه المؤلفات لها قيمتها فى دراسة النواحى التاريخية والجغرافية والحربية التى سادت العصر .

أما المراجع الثانوية الأجنبية من كتب المحدثين فأهمها ما كتبه ستيفن رانسيمان (١) S. Runciman ، ورنيه جروسيه R. Grousse ، ومجموعة بنسلفانيا التى تقوم ينشرها ستون Setton ،وكذلك مؤلفات ميشو Michaud، ورينهولد رهرشت R. Rohricht . هذا بالاضافة الى ما كتبه ستيفن ، Stsvehaon ، وآرشر وكنجزفورد Archer & Kinhsford ، وكلود كاهن

---

١ ـ نقل كتاب A Story of The Crusades الي اللغة العربية الدكتور السيد الباز العرينى تحت اسم « تاريخ الحروب الصليبية » وهو يقع فى ثلاث أجزاء ، طبع بيروت ١٩٦٧ ـ ١٩٦٩ م .

C. Cahen ، والفرد دوجــان A. Duggan ، وهارولد لامب H. Lamb ، وكامبل Campbell ، وباركر (١) Barker ، وممبورج Maimbourg ، ولدلو Ludlow ، وجيبون Gibbob ، وكالــثروب Calthrop، ولويس بريــه L. Brehier ، ونختتم هذه المجموعة بالكتب الذى وضعه جوزيف دونفــان J. Donovan « بلاجيوس والحمــلة الصليبيــة الخامسة . Pelaguis and The Fifth Crusabe ».

ويقع ما كتبه دونفان فى كتيب من القطع الصغير وقد اكتفى بالرجوع إلى ما كتبه أوليفر أوف يادنبورن من بين مصادر هذا البحث ووثائقه ومراسلاته . ويؤخذ على هذا الكتيب أنه لا يعرض تاريخ الحملة عرضا تفصيليا دقيقــا ولا يهتم بمشاكل البحث وقضاياه . فضلا عن أنه تناول الحمــلة من وجهة نظر غربيه بحته ، لذلك فان استعراضه لتاريخ الحملة كان مبتورا وانطبـــع بطابع انصاف الحلول . ثم انه بعد هذا كله لا يزيـــد كله بل يقـــل عمــا جاء فى ثنايا المراجع الأجنبية الأخرى للؤرخين المحدثين .

ونختتم الحديث عن المصادر والمراجع بالمراجع العربية التى أصبحت تسد فجوة كبيرة فى تاريخ الحركة الصليبية . وخير ما جاء فيها أنها تعبر عن وجهه النظر المحايده البعيده عن الميول والأهواء . ويتصدر هذه المؤلفات بالنسبة لموضوع البحث مؤلف الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور « الحركة الصليبية ـ صفحة مشرقه فى تاريخ الجهاد العربى » . أما بقية المراجع الاخرى الاخرى فهى مؤلفات الأستاذ الدكتور عمر كمال توفيق « مملكة بيت المقدس الصليبية » و «مقدمات العدوان الصليبي» ومؤلفات الاستاذ الدكتور جوزيف نسيم

---

١ ـ نقل هذا الكتاب الي اللغة العربية الدكتور السيد الباز العرينى تحت اسم « الحروب الصليبية » ـ القاهرة ١٩٦٠ م .

يوسف « العرب والروم واللاتين » و « والوحـدة وحركات اليقظـة » و « العدوان الصليبي على مصر » و « العدوان الصليبي على الشام » . يضاف الى ذلك ما كتبه الاستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور باسم « قبرس والحروب الصليبية » ، وكتاب « الحرب الصليبية الأولى » وكتاب « الشرق العربي بين شقى الرحى : حملة لويس على مصر والشام » و « نور الدين والصليبيون » للأستاذ الدكتـور حسن حبشي ، و « حملة لويس التاسع على مصـر » للأستاذ الدكتور محمد مصطفى زياده ، وكتاب « الحروب الصليبيه ـ احدى حلقات الصراع بين الشرق والغرب » للدكتور أحمد شلبي ، وكتـــات « معركة المنصوره وأثرها في الحروب الصليبية » للدكتور عبد الرحمن زكى ، وكتاب « الشرق الاوسط والحروب الصليبية » للأستاذ الدكتور السيد الباز العرينى ، وكتاب « الحروب الصليبية في المشرق والمغرب » لمؤلفه محمــد العروسي المطوى ، و « الجهـاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرهــا للدكتور محمد محمد مرسى الشيخ .

وعلى الرغم من أن بعض هذه المراجع لم يتعرض للحملة الا في بضعة أسطر او فى بضع صفحات ، وعلى الرغم من أن بعضها لم يشر اليها اطلاقا ، الا أن لها قيمتها العملية فى تاريخ الحركة الصليبية ، فهى تسد فجـوات وثغرات عديده فى تاريخ تلك الحركة التى تعرض لها العالم الاسلامى ، وفيها الكثير من المعلومات القيمة .

الفصل الأول

الاطماع الصليبية فى مصر فى القرن الثانى عشر الميلادى / السادس الهجرى

كان الشرق الادنى الاسلامى يخضع فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى لثلاث قوى رئيسية ، أولها الخلافة العباسية فى بغداد ، وثانيهما الدولة الفاطمية في مصر ، وثالثها مسيحية رمزها الامبراطورية البيزنطية . وكانت الخلافة العباسية السنية فى بغداد قد حل بها الضعف والانهيار وسيطر عليها البويهيون الشيعيون تماما ، ولكن الحال مالبث أن تبدل بها نتيجة قدوم الاتراك السلاجقة الذين ساعدوا الخليفة العباسى القائم بأمر الله (ت ٦٧ ه / ١٠٧٤ — ١٠٧٥م) على التخلص من البويهيين ، فأضحى السلاجقة بذلك حماة الخلافة العباسية . وقد استطاع السلاجقة بعد ذلك التوغل في آسيا الصغرى وتمكن سليمان بن قتلمش (٤٧٤ — ٤٧٩ ه / ١٠٨١ — ١٠٨٦م) من إقامة مملكة شملت بعض أراضى آسيا الصغرى وقيليقية على حساب الدولة البيزنطية (١) ، على حين غدت دولة السلطان السلجوقي الأعظم ملكشاه تمتد من أقليم ماوراء النهر إلى الاناضول والشام كله ، بما فى دمشق وحلب وأنطاكية . (٢)

غير أن وفاة ملكشاه سنة (٤٨٥ ه / ١٠٩٢ م) ، أعقبها تفكك دولته ، إذ أعلن أخوه تتش أمير الشام خروجه على بركياروق بن ملكشاه ، ولم يعترف بسلطنته ، وترتب على ذلك وقوع الحرب بينهما وانتصار بركياروق

١ — عمر كمال توفيق : تاريخ الامبراطورية البيزنطية ص ١٢٩ — ١٣٠

٢ — الاصفهاني ، عماد الدين محمد : تاريخ آل سلجوق ص ١١ — ١٢ ، ٥٥

على عمه تتش سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م ، بالقرب من الري حيث لقي تتش مصرعه (١) ، ثم مالبث أن تفكك ملك تتش بالشام بسبب ما وقع من نزاع بين ولديه رضوان ودقاق، إذ أراد كل منهما أن يستأثر بملك أبيه بمفرده . فقد كان رضوان يحكم حلب ، على حين سيطر دقاق على دمشق وديار بكر والجزيرة ، وانحاز إلى رضوان قبيلة كلاب العربية وسكمان بن أرتق التركماني صاحب سروج ، على حين إنضم الى دقاق ياغي سيان صاحب أنطاكية والغازى الأرتقي ، ثم تحول ياغي سيان إلى جانب رضوان ، واشتعلت الفتنة وجرت الاستعدادات العسكرية لمهاجمة دمشق . وعلى أية حال لم تنته الفتنة بين المسلمين حتى جاءت الانباء بقدوم الصليبيين ، وبدأ كل فريق يستعد لحماية ممتلكاته من الخطر الجديد ، بدلا من التكتل ضد المعتدى الدخيل مما سهل على الصليبيين غزو بلاد الشام (٢) .

والقوة الاسلامية الأخرى هي الخلافة الفاطمية في مصر . ولقد كان لها أكبر الأثر فيما وقع من حوادث بالشرق الأدنى الإسلامي قبيل الحروب الصليبية ، بسبب النزاع على زعامة العالم الاسلامي من الناحية الدينية . ولقد نجح الفاطميون في الإستيلاء على بلاد الشام لتكون مركز إنطلاق لدعوتهم الشيعية ونجحوا في مد نفوذهم على الشام كله بين ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م وسنة

---

١ — ابن القلانسي: المصدر السابق ص ١٣٠ — ١٣٢ .

٢ — سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق جـ ١ ص ١١٣ .

٤٥٠ هـ / ١٠٥٨م ، عـدا أنطاكية التي كانت تحت سيطرة الامبراطورية البيزنطية (١) ولكن المد الفاطمي لم يستمر طويلا وبدأ ينحصر رويدا رويدا بسبب سوء الأحوال الأقتصادية والحربية والسياسية في مصر وحاول الفاطميون إستعادة مركزهم في الشام مرة أخرى عن طريق الحملات العسكرية ، إلا أنهم لم يتمكنوا إلا من إستعادة المدن الساحلية حتى مدينة جبيل ، وهي المدن التي ظلت بأيديهم حتى قدوم الصليبين .

أما القوة المسيحية ومركزها الامبراطورية البيزنطية فكانت قد تعرضت قبل الحروب الصليبية لتغيرات بالغة الأهمية أثرت في تطور مجرى الحوادث في الشرق الأدنى الإسلامي . ذلك أن إنتصار السلطان ألب أرسلان السلجوقي (٤٥٥ – ٤٦٥ هـ / ١٠٦٣ – ١٠٧٢ م) على الامبراطور البيزنطي رومانوس الرابع ديوجينس Romanus IV Diogenes (١٠٦٨ – ١٠٧١ م) في موقعة مانزكرت (٢) سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م، كان كارثة عظمى على الامبراطورية البيزنطية ، إذ فقدت خيرة رجالها في هذه الموقعة ونتج عن هذه الهزيمة أن إستولى السلاجقة بقيادة سليمان بن قلمش على معظم أراضي آسيا الصغرى

---

١ ـ تمكن الامبراطور نقفور دوكاس من الاستيلاء على انطاكية عام ٩٦٧ م ، وضمت الى الحكم البيزنطي لتبقى خاضعة له حتى ١٠٨٤ / ٤٧٧ هـ ، حين استولى عليها سليمان بن قتلمش السلجوقي . راجع عمر كمال توفيق : المرجع السابق ص ١١٣ – ١١٤

٢ ـ عن تفاصيل هذه الموقعة أنظر : صدر الدين ابى الحسن : أخبار الدولة السلجوقية ص ٤٦ وما بعدها ، ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٩٩ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ١٣٥ ، =

وأخذ الخطر السلجوقى يحـــدق بالعاصمة البيزنطية . والمهم أنـه لم يبق للامـبراطورية البيزنطية عنـدما تولى عرشها الـكسيوس كومنين Alexius Comnen (١٠٨١ – ١١١٨ م) من الاراضى فى آسيـــا الصغرى سوى سواحل البحر الاسود وبعض المدن الداخليـــة المتناثرة التى إنقطعت صلتهـا إلى حد ما بالحكومة المركزية فى القسطنطينية . ويلاحظ أنه فى الوقت نفسه لم تكن القوة السلجوقية فى آسيا الصغري قوة موجدة بل خضعت بعض المدن لأمراء إعترف بعضهم بسلطان سلاجقة الروم سليمان بن قتلمش ، على حين أعلنت أغلبيـة الأمراء الولاء للسلطان السلجوقى ملكشاه فى بغداد .

بقى إلى جانب السلاجقة والأمبراطورية البزنطيـة فى آسيا الصغرى الامارات العديدة التى أسسها الأرمن ، أهمها إمارة روبان Roupen فى قيليقيه الوسطى ، وإمارة أوشين Oshin فى قيليقيه الغربية ، وإمارة فيلاريتوس Philaretus التى إمتدت من جبال طوروس إلى ماوراء نهر الفرات (١) .

وللأرمن فى تاريخ الشرق الأدنى الإسلامى أهمية كبرى ، إذا إنتشروا فى

Psellos, Histoire d'un Siecl de Byzance, 11, p. 168 ff, William of = Tyre; A History of Deeds Done Beyond the Sea, 1, p. 78.

وحول نتائج هذه المعركة راجع ، عمر كمال توفيق ، مملكة بيت المقدس الصليبية ص ٢٣ حاشية (١) .

١ – Runciman, A History of the Crusades, 1, pp. 73 - 4.

الشام كما إنتقل عدد كبير منهم الى مصر ودخلوا في صفوف جيش الخلافة الفاطمية وكان لهم أثر كبير في أحوال الدولة الفاطمية ، وفي وسط هذا الصراع بين المسلمين بعضهم البعض وبين السلاجقة والإمبراطورية البيزنطية، قدمت جحافل الصليبين من أوربا إلى الشام لتجد أمامها ممتلكات فتتها العداوة ، وحكاما يصارعون بعضهم البعض مما مكنهم من إقامة أربع إمارات صليبية في الشام هي الرها وأنطاكية وطرابلس وبيت المقدس(١).

والواقع أن مصر لم تقف مكتوفة الأيدى أمام الغزو الصليبى ، بل قامت بدور ملحوظ في مقاومته ، فلقد زحفت الجيوش الفاطمية على الشام وانتزعت مدينة بيت المقدس من أيدي حاميتها السلجوقية فى رمضان ٤٩٢ هـ/أغسطس ١٠٩٨ م، ولم تلبث أن إستولت على فلسطين كلها (٢) إلا أن القوات الصليبية تمكنت من هزيمتها حتى إستولت فى آخر الأمر على بيت المقدس كما سبق أن أوضحنا .

وتجدر الاشارة هنا أنه إزاء مقاومة الجيوش الفاطمية المصرية للقوات الصليبية قبل استيلائها على بيت المقدس ، أن الصليبين فكروا فى غزو مصر قبل الزحف على بيت المقدس ، والدليل على ذلك أنهم أثناء تواجدهم في الرملة في أوائل يونيه من عام ١٠٩٩ م (رجب ٤٩٢ هـ) عقدوا مجلسا

---

١ - عمر كمال توفيق : مملكة بيت المقدس الصليبية ، ص ٥٠ وما بعدها .

٢ - محمد مصطفى زيادة : حملة لويس التاسع على مصر ، ص ٣

للحرب انتهوا فيه إلى أن مفاتيح مدينة القدس موجودة بالقاهرة وأن الصليبيين إذا أرادوا أن ينعموا بحياة آمنة مستقرة فى الاراضى المقدسة فعليهم أولا الاستيلاء على دلتا النيل . (١) وهذا يعطى لنا صورة واضحة عن مدى عمق الاستراتيجية العسكرية التوسعية تجاه المنطقة . ومع ذلك لم يوضع تفكير الصليبيين فى غزو مصر والسيطرة عليها موضع التنفيذ فى حينه ، وربما يكون ذلك بسبب عدم توفر الامكانات الصليبية للقيام بهذا العمل وقتذاك ، إلا أن هدف غزو مصر ظل باقيا أمام الحكام الصليبيين بعد قيام الإمارات الصليبية وحاول بعضهم تنفيذه المرة تلو الاخرى كلما لاحت لهم فرصة مواتية لذلك .

والمهم أنه بعد تأسيس الامارات الصليبية بالشام تم إختيار جود فرى أوف بوايون Godfrey of Bouillon (١٠٩٩ — ١١٠٠م) أول حاكم لمملكة بيت المقدس (٢)، وخلال حكمه قامت مصر الفاطمية بارسال جيشا كبيرا بغرض إستعادة مدينة بيت المقدس والقضاء على الصليبيين (٣) ، وكان فى هذا

---

١ — سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ، ج ١ ص ٢٤ .

٢ — لم يعين جودفرى ملكا على بيت المقدس ولم يلبس تاجا ، بل أعطي لقب حامى الضريح Advocatus Sancti Sepulchi وأثناء حكمه كان يخاطب بالدوق نسبة الى مركزه في الغرب كدوق اقليم اللورين السفلى . أنظر ، عمر كمال توفيق ، المرجع السابق ص ٦٢ . ولمزيد من التفاصيل أنظر .

Fulcher of Chartres Chronicle, pp. 71 - 2.

٣ — ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ١٢٧ .

خطر كبير عليهم لدرجة أن القيادة الصليبية فى الشام إستدعت كافة قواتها لمواجهة هذا التهديد ، ولم يتخلف عن الاشتراك فى صد هذا الخطر المصرى سوى العجزة والشيوخ الذين بقوا تحت رعاية بطرس الناسك Peter the Hermit ليقوموا بالابتهالات للرب لنصرة الصليبيين (١) . وبذلك تأكد لجودفرى فاعلية القوة المصرية فى مقاومتها للوجود الصليبى ، لذلك فكر جودفرى فى الاستيلاء على مصر واعلن استعداده للتنازل عن مركزه فى الدولة الصليبية فى بيت المقدس بعد تنفيذ فكرته (٢)، ولكن مدة حكمه القصير لم تمكنه من تنفيذ ذلك . ومن ذلك يتبين لنا الجهاد المصرى ضد الغزو الصليبى منذ بدايته والاطماع الصليبية فى الاستيلاء على مصر لتأمين الامارات الصليبية فى الشام التى تم إنشاؤها منذ وقت قصير .

وبعد موت جودفرى ورث بلدوين أوف بلونى Baldwin of Boulogne أميرالرها أخاه،وأعلن نفسه ملكا على مملكة بيت المقدس (١١٠٠–١١١٨م).(٣) وأدرك بلدوين أيضا أن الدولة الفاطمية فى مصر هى منبع الخطر على المملكة الصليبية ، لذا نجده يقوم ببعض الهجمات على المراكز الفاطمية

---

١ — أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حسن حبشى ، ص ١٢١ — ١٢٢ .

٢ — محمد مصطفى زيادة ، المرجع السابق ، ص ٤ .

٣ — تولى بلدوين حكم مملكة بيت المقدس فى عام ١١٠٤ م أنظر ، عمر كمال توفيق المرجع السابق ص ٧٧ . ولمزيد من التفاصيل أنظر ،

Wiilliam of Tyre, op; cit, 1, p. 427 .

المتبقية فى الشام ، ونجحت هذه الهجمات إلى حد ما بسبب سوء خطط القاده الفاطميين في الشام وعدم تنسيق الاعمال العسكرية فى البر والبحر . وبعد أن نجح بلدوين فى تأمين ممتلكاته فى الشام ، رغب فى تأمين حدود المملكة الصليبية في المنطقة الجنوبية فى وادى عربه ، وقد تمكن من السيطرة على المنطقة التى تمتد من جنوب البحر الميت الى ميناء إيلات على خليج العقبة وأكد سيطرته على هذا المكان ببناء قلعة حصينة هى قلعة الشوبك (١) Meunr Rayal أو Montreal . وقد قام بلدوين بهذا العمل بغية عزل مصر عن بقية العالم الاسلامى (٢) ، فيسهل عليه مهاجمتها وغزوها فى الوقت المناسب .

ولم يكتف بلدوين بذلك بل رغب فى اكتشاف مزيد من الأراضى المجاورة لمملكته ومصر وهى منطقة صحراء سيناء فاتجه فى عام ١١١٦ م (٥٠٩ — ٥١٠ هـ) ومعه بعض الخبراء والمرشدين وخاشية تكفى لهذا الغرض وعبر الصحراء حتى وصل إلى ميناء إيلات. وعندما وصل اليها وجدها خالية من السكان الذين هربوا فى القوارب الى البحر (٣). ومن ميناء إيلات اتجه إلى دير سانت كاترين (٤) ، وأرسل فصيلة من رجاله عدتها أربعون

---

١ — James of Vitry : The History of Jerusalem, pp. 6 - 7.

٢ — Runciman. op. cit, II, p. 97,

٣ — William of Tyre. op. cit I. p. [illegible].

٤ — يقع هذا الدير أعلى جبل الطور في صحراء سيناء وسمى باسم القديسة كاترين وهى البتول العظيمة التى حكم عليها الرومان بالموت عام ٣٠٧ م ويقال أن الملائكة نقلوا جسدها الى هذا المكان وبنى هذا الدير للروم الارثوذكس عام ٥٤٥ م. أنظر الشابشتى ، الديارات ص ٢٦٨ — ٢٦٩ ، المقريزى ، الخطط ج ٤ ص ٤٢١ — ٤٢٣ .

فارسا على ماقيل لمفاوضة رهبان الدير لامداده بالمعلومات التى تمكنه من الزحف على أطراف الدلتا ولكن الرهبان رفضوا ذلك. وأثناء عودة الفرسان إعترضهم بعض العربان وأبادوهم عن آخرهم ولذلك يعرف هذا المكان باسم الأربعين نسبه إلى عددهم ولازال معروفا حتى وقتنا هذا (١).

وفى عام ١١١٨ م (٥١١ هـ) رأي بلدوين إعادة الكره مرة أخرى على الارض المصرية لكشف الطريق الشمالى إلى مصر من ناحيـة رفح والعريش ، فأعد حملة خفيفة تكونت من مائتى وستين من الفرسان وتسعمائة من المشاه(٢) ويرى وليـم الصـورى والرحـاله فلكس فابـرى أن بلـدوين تقدم بقوة عظيمة للانتقام من المصرين (٣) ، ولكن سـير الحوادث التالية توضح لنا أن القوة لم تكن كبيرة . ويرى بعض المؤرخين المحـدثين أن الغرض من هذه الحملة هو مناوشة الناطمين فى مصر حتى تقوم الحاميات الفاطمية فى صور وعسقلان بعمل عسكرى ضد الصليبيين فى الشام فيكون ذلك ذريعة يتخذها الصليبيون للاستيلاء على هذه المعاقل المصرية إذا تيسر لهم ذلك (٤).

---

١ ــ محمد مصطفى زيادة : المرجع السابق ص ٩ .

٢ ــ James of Vitry : op, cit. p. 96, .

٣ ــ William of Tyre, op. cit., I, p. 515 ; Fabri, The Book of Wandering, Vol II, p. I: p. 314,

٤ ــ Archer, The Crusades , p 140

وعلى أية حال تقدم بلدوين إلى رفح وأغار عليها بغتة فى الظلام واستولى عليها ، ثم إتجه بعد ذلك إلى الفرما (بلزيوم) شرقى بور فؤاد الحاليةفوصلها فى الحادى والعشرين مـــن مارس فى نفس السنة (٢٥ ذو الحجة ٥١١ هـ) فانزعجت حاميتها ولازت بالفرار (١). فقام بلدوين بالهجوم على المدينة وقتل جميع من فيها وأحرق مساجدها (٢) ، ثم سار إلى مدينة تنيس وأحرقها (٣) . ثم تقدم حتى وصل الى فم النيل (٤) ؛ وسبح فيه (٥) ولم يمكنه التقدم بعد ذلك لصغر قواتـه (٦) . وقضى يومى الثالث والعشرين والرابع والعشرين من مارس فى الراحة (٧) .

واراء هذا العدوان والاعمال التخريبيـة التى قام بها الصليبيون ، لم تقف مصر مكتوفة الايدى ، فقد أرسل الوزير الفاطمى الأفضل بن أمير الجيوش العساكر إلى والى الشرقية يطلب منه أن يتقدم بنفسه والعربان على رأس هذه القوات لمقاومة الصليبيين (٨) ، ولما علم بلدوين بقدوم القـــوات المصرية وتحقق أن « الإقامة لاتمكنه » ، أمر جنـــوده بالنهب والتخريب وإحراق المساجد وعزم على الرحيل (٩) . ولو كان لدى بلدوين قـوات كبيرة

---

(١) محمد مصطفى ، المرجع السابق ص ٦ .

(٢) النويرى الكندى ، نهاية الارب فى فنون الادب ج ٢٦ لوحة ٨٢ ، مخطوط ، .

(٣) الحافظ الذهبى ، دول الاسلام ، ج ٢ ص ٢٦ .

(٤) William of Tyre, op cit., I, p. 515.

(٥) ابن الاثير ، المرجع السابق ج ١٠ ص ٢٨١ .

(٦) سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ج ١ ص ٣٢٩ .

(٧) Rohricht, Geschichte des Konigreichs Jerusalem; P. 119 .

(٨) تدل هذه العبارة على تكاتف الجيش والشعب لصد العدوان الصليبى .

(٩) المقريزى ، الخطط ج ١ ص ٣٤٢ .

كما ذكر وليم الصورى والرحالة فلكس فابرى لما عزم على الرحيل بل لتصدى للقوات المصرية ، هذا بالاضافة الى أن المدة التى قضاها بلدوين منذ وصوله الى مدينة الفرما فى الحادى والعشرين من مارس وقيامه بالاغارة عليها فى اليوم التالى ثم خلوده للراحة فى الثالث والعشرين والرابع والعشرين لم تكن كافية لتحريك جيش كبير فى تلك الأزمنة .

وكان بلدوين أثناء هذة الفترة تناول وجبة أفطار من السمك شعر بعدها بألم شديد ، وكان الألم مرجعه الى جرح قديم ، وذلك فى الوقت الذى أمر جنوده بالعودة ، ولكنه عجز عن إمتطاء فرسه لشدة المرض فأحضر رفقاؤه محفة ووضعوه فيها بعد معاناه ، وإتجه الصليبيون حاملين ملكهم المريض إلى العريش فى طريقهم الى بيت المقدس ، ولكنه مات بين الفرما والعريش(١)، فى المكان الذى يسمى جورا (٢) فى الثانى من ابريل بين يدى روجر Roger اسقف الرملة (٣) . وكتم رفقاؤه خبر موته وقاموا بشق بطنه ودفنوا أحشاءه بالعريش وقد صار الناس كلما مروا بهذا المكان - المعروف بسبخة البردويل - رجموه . (٤) ثم حمل الصليبيون جثمان بلدوين إلى بيت المقدس فوصلوه بعد خمسة أيام فى السابع من أبريل ودفن فى كنيسة القيامة فى موضع الجلجثة بجوار

(١) Annalee de Terre Sainte, p. 4:f .

(٢) النويرى الكندى : المصدر السابق ج ٢٦ لوحة ٨٢ .

(٣) Rohricht, Geschich te der Kreuzzug. p. 69 .

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٦٣ .

أخيه جودفرى (١) . وهكذا فشلت محاولات بلدوين للنيل من مصر بفضل إمتناع رهبان دير سانت كاثرين عن تزويده بالمعلومات التى تمكنه من ذلك ، وبفضل تكاتف الجيش والشعب فى التصدى لقواته وإجباره على الرحيل من البلاد .

وإذا كان مشروع غزو مصر فكرة فى رأس جودفرى ،وحاول بلدوين الأول تنفيذها المرة تلو المرة ، فانه من الملاحظ أنه فى عهد بلدوين الثانى (١١١٨ – ١١٣١ م) وعهدفولك الأنجوى Fulk of Anjou (١١٣١–١١٤٤م) لم تمدنا المصادر الأوربية أو العربية المعاصرة للحوادث أو المتأخرة زمنياً بأية محاولة أو فكرة لغزو مصر ، وربما يرجع ذلك إلى مشاكل الصليبيين الداخلية والحروب التى دارت فى الشام بينهم وبين المسلمين . وقد طالت هذه الفترة واستمرت إلى ما بعد رحيل الحملة الصليبية الثانية (٢) ـ التى إنتهت بالفشل

---

(١) William of Tyre , op, cit,, 1, p. 516 .

(٢) قامت الحملة الصليبية الثانية بسبب سقوط الرها فى يد عماد الدين زنكى عام ١١٤٤ م ، وتولى قيادتها لويس السابع ملك فرنسا وكونراد الثالث ملك المانيا . عن الحملة الثانية أنظر :

odo of Deuil• De profeotione Ludovici Vll in Orientem , William of Tyre op. cit., 11, pp. 172 ff .

ومن المصادر البيزنطية أنظر :

Nicetns Chonitas, Historia, pp. 82 ff. , Cinnamus, John, Epitome Historiarum . pp. 76 ff,

ومغادرتها الاراضى المقدسة ١١٤٩ م ـ بثلاث سنوات حيث جدد الصليبيون غاراتهم مرة أخرى فى عهد بلدوين الثالث (١١٤٤ — ١١٦٢ م) وذلك في شهر رجب ٥٤٥ هـ (أكتوبر ـ نوفمبر ١١٥٢ م) . ذلك أنهم أغاروا على الفرما ونهبوها وأحرقوها وعادوا إلى بلادهم (١) . ومن الواضح أنها كانت من الغارات التى تهدف الى السلب والنهب لا إلى غزو مصر ، وربما قام بها الصليبيون للحفاظ على الأوضاع الصليبية فى الشام بعد النجاح الذى حققه نور الدين زنكى . والمهم أن الوزير الفاطمي العادل بن السلار لم يغفر للصليبيين فعلتهم ، فجهز فى العام التالى فى شهر ربيع الأول ٥٤٦ هـ (يونية ـ يوليو ١١٥٤ م) المراكب الحربية وشحنها بالرجال وإتجهوا إلى يافا وأحرقوا وأسروا وقتلوا ما وقع تحت أيديهم كما استولوا أيضا على بعض السفن الصليبيــة ، ثم اتجهوا إلى عكا وفعلوا بها مثلما فعلوا بمدينة يافا وأرسلوا ما استولوا عليــه من سفن وأسرى إلى مصر ثم قصدوا صيدا وبيروت وطرابلس وكان ما فعلوه بتلك المدن لايقل عما فعلوه بمدينتى يافا وعكا (٢) ، ولا بد أن مثل هــــذه الضربات المصرية قد أكدت للصليبيين مرة أخرى أن مصر هى معقل القوى الاسلامية وأن القضاء عليها تأمين للممتلكات الصليبية بالشام .

---

(١) ابن ميسر ، أخبار مصر ج ٢ ص ٩١ ، المقــريزى : المصدر السابق ج ١ ص ٣٤٣ .

(٢) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٣١٥ ، النويرى : المصدر السابق ج ٢٦ ، ص ٩٣ .

ولم يكن الصليبيون بالشام هم وحدهم الطامعون فى أرض مصر ، بل أن إخوانهم أهل صقلية قد داخلهم الطمع أيضاً فى مصر وذلك بسبب ضعف القائمين على أمرها فى هذه الفترة ، ويذكر إبن الأثير أنه فى عام ٥٤٨ هـ (مارس ١١٥٣ — مارس ١١٥٤ م) نهبت مراكب صقلية مدينه تنيس بالديار المصريه (١) .

ويذكر إبن القلانسى فيما هو شبيه بمثل هذه الغارة أنه وقع فى أيام من جمادى الأولى ٥٤٩ هـ (يوليو — أغسطس ١١٥٤ م) وأن عدة وافرة من مراكب صقلية هاجمت مدينه تنيس على حين غفلة من أهلها وأنزلت فيهم القتل والأسر والسبي طيلة ثلاث أيام وهرب أهلها إلى البحر (٢) ، ويضيف إبن الفارقى أن عدد المراكب التى قامت بهذة الغارة كانت أربعون مركباً وأن الغنائم التى استولوا عليها بيعت فى أنحاء الشام أما الأسرى قد ذهبوا بهم إلى صقلية (٣) .

كما أن المقريزي قد روى مثل هذه الوقائع وذكر أنها وقعت في عهد الخليفة الفاطمى الفائز (٥٤٩ هـ / ١١٥٤ — ١١٦٠ م) ووزيره الصالح طلائع

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق جـ ١١ ص ١٠٥ ، ابن الوردي : تتمة المختصر فى فى أخبار البشر جـ ٢ ص ٥٤ ، ميشيل أمارى : المكتبة الصقلية جـ٢ ص٤١٧ .

(٢) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٣٣١ .

(٣) ابن الفارقى : تاريخ ابن الفارقى على هامش ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسى ص ٣٢٨ .

إبن رزيك (٥٤٩ - ٥٥٦ ﻫ) ، وذلك أنه فى شهر جمادى الاخر عام ٥٥٠ ﻫ (٢ - ٣٠ أغسطس ١١٥٥م) أغارت نحو ستون مركباً بعث بها صاحب صقليه فعاثوا وقتلوا ونزلوا مدينة تنيس ورشيد والاسكندرية (١) .

ولما كانت هذه الرويات الثلاث تكاد تكون متشابهه تقريباً ، وأن ماقام بالهجوم هو أسطول صقليه ، وأن مدينة تنيس هى القاسم المشترك الأعظم مع كل المؤرخين ، فمن الأرجح أنها رواية واحدة , حدثت أيضاً مرة واحدة فى جمادى الأولى عام ٥٤٩ ﻫ (يوليو - أغسطس ١١٥٤ م) وذلك إعتماداً على أقوال المؤرخين المعاصرين للحوادث فعلا . والمهم أن هذه الغارة لم تلق مقاومة سواء من الأهالى أو من القوات المصرية مما يشير إلى أفول نجم الدولة الفاطمية فى أخريات أيامها .

ولما كان الصليبيون لمصر بالمرصاد ، فان ضعف الخلافة الفاطمية وماتعانيه من مظاهر التفكك والإنحلال ، لم يكن خافيا على الصليبيين ، لذلك قاموا على مايبدو بحملة إستطلاعية على الحدود المصرية عند العريش فى عام ١١٥٨ م / ٥٥٣ ﻫ ، ولكن العساكر المصرية تمكنت من التصدى لهم وأنزلت فيهم القتل والأسر والسلب (٢) ، ومن ذلك يتضح يقظة مصر رغم ضعفها وتصديها لأى معتد دخيل .

(١) المقريزى : المصدر السابق ج ١ ص ٢٤٦ .

(٢) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٣٥٣ ، ابن ميسر ، المصدر السابق ج ٢ ص ٩٧ .

وفي أخريات عهد بلدوين الثالث كانت الصراعات الداخلية فى مصر على أشدها ، وكلما زادت أحوال مصر سوءاً زاد طمع الصليبيين فى الاستيلاء عليها والنيل منها ضمانا لسلامة ممتلكاتهم فى الشام ، ولقـــد كان الصليبيون على علم بالأحوال الداخلية فى مصر كعـــادتهم فى تقصى أخبارها لاختيار الوقت المناسب لمهاجمتها ، لذلك نجد بلدوين يهدد في عام ١١٦٠ م (٥٥٥ هـ) بغزو مصر . ولم يرجع عن تهديده إلا بعد أن وعده الوزير طـلائع بن رزيك باسم الخليفة الطفل العاضد (٥٥٥ - ٥٦٧ هـ / ١١٦٠ - ١١٧٢ م) بجزية سنوية قدرها مائة وستون الف دينار . ومات بلدوين سنة ١١٦٢ م وتولى بعـــده أخوه عمورى الاول Amalric I حكم مملكة بيت المقـــدس دون أن تقوم القاهرة بدفع شيء من هذه الجزية (١) . وهذا يدل على عدم جدية بلدوين في تهديده بغزو مصر أو عدم توافر الامكانات العسكرية لقيامه بهذا العمل أو سوء الحالة الاقتصادية في مصر وعدم قدرتها على دفع الجزية ، أو ربما وجدت مصر نفسها فى وضع من القوة العسكرية يمكنها من دفع الصليبيين إذا قاموا بالهجوم على مصر .

مات بلدوين الثالث دون وريث من أولاده فقد ماتوا جميعـا فى حياته ، وتمكن أخوة عمورى الأول من إعتلاء عرش مملكته بيت المقدس (١١٦٢ -

(١) William of Tyre. op. cit., I, p. 303 .

١١٧٣ م[١]) وفي هذا الوقت إزدادت أحوال الخلافة الفاطمية سوءا بمقتل الوزير إبن رزيك وإبنـــه وحلول شاور حاكم الصعيد فى الوزارة ، ولكن ضرغام تمكن من عزله وتولى أمر الوزارة وكان فى ذلك الصراع الداخـلى فرصةً للملك عمورى للتدخل في شئون مصر بحجة عدم دفع الجزية التي وعد بها إبن رزيك (٢) . لذلك قام عمورى في أوائل سبتمبر سنة ١١٦٣ م (أوائل شوال ٥٥٨هـ) على رأس جيش كبير من الفرسان والمشاة وإتجـه إلى مصر وحاصر الفرما ، ولكن ضرغام تصدى له وقطع بعض جسور النيـل فغمرت الأرض المياه ، وحالت بين الجيش المصرى وبين الجيش الصليـــبي ، فاضطر عمورى الى الانسحاب لبلاده[٣] . وإن دل ذلك على شيء فانما يـدل على على ظهور قوة عسكرية بمصر دافعت عن أرضهـــا ببساله وتمكنت من رد المعتدين على أعقابهم مدحورين .

ومن الملاحظ أن كافة الغارات التى شنها الصليبيون ـ منذ تأسيس ملكهم فى الشام ـ على مصر لم تتعد أطراف البلاد أو موانيها . وربما كان الصليبيون يقتنعون هذه الغارات بمثل طالما بقيت بمصر حكومة ضعيفة وهى الدولة الفاطمية الشيعية التى لا يمكنها الاتحاد مع الممالك الإسلامية السنيـة فى الشام العـراق[٤]

(١) James of Vitry ; op. cit. ; p, 77.

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق جـ ٢ ص ٦٨١ — ٦٨٢ .

(٣) William of Tyre, op.cit. ; II , p. 302.

(٤) المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ٢٨٧ — ٢٩١ ، راجـــع أيضا جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ص ٢٦٠

ولكن الفترة من ٥٥٩ – ٥٦٤هـ (١١٦٤ – ١١٦٩م) شهدت صراعا خطيرا على إمتلاك مصر بين نور الدين محمود بن زنكى أتابك الشام وبين الملك الصليبي عمورى . وقد مهد لهذا الصراع عدة عوامل بعضها يرجع إلى الجانب الإسلامى والبعض الآخر للجانب الصليبى فقد تمكن نور الدين فى الفترة السابقة لعام ١١٦٤ م من فرض نفوذه على معظم البلاد الاسلامية بالشام وبلاد الجزيرة ، وكانت الموصل ترسل قواتها لتخدم تحت إمرته بالشام ، كما كان عمورى شابا طموحا يسعى لتقوية مركزه فى المملكة الصليبية بالاستيلاء على مصر (١) .

وبداية هذا الصراع أن شاور كان في صراع مع ضرغام على تولى الوزارة فى مصر ، وقد تمكن ضرغام من الأنتصار على خصمه شاور وولده طى ، ففر شاور إلي الشام وإتجه إلى نور الدين لمساندته على ضرغام وإعادته الى الوزارة (٢) ، وعرض عليه أن يكون نائبة بمصر ويتصرف طبقا لما يراه (٣) ، ويقدم جزية سنوية تعادل ثلث إيراد مصر علاوة علي نفقات إقامة العساكر النورية بمصر (٤) .

---

(١) عمر كمال توفيق : المرجع السابق ص ١٧١ ، راجع ايضا : جوزيف نسيم : العدوان الصليبى على مصر ص ٢٥ وحواشيها .

(٢) ابن شداد : النوادر السطانية ص ٣٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ١٣٦ — ١٣٨ .

(٣) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ١٣٠ .

(٤) ابن الشحنه : روضة المناظر بهامش مروج الذهب للمسعودى ج٢ هامش ص ١٢٠

وقد وافق نور الدين بعد تردد على هذا العرض المغرى وأرسل مع شاور أقرب المقربين اليه وأعظمهم ثقةعنده وهو أسد الدين شيركوه على رأس حملة كبيرة إلى مصر وذهب مع هذه الحملة إبن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب . وخرجت هذه القوة من الشام فى جمادى الآخرة عام ٥٥٩ﻫ (ابريل — مايو ١١٦٤ م[١]) ، ورافق نور الدين هذة القوات بعساكره حتى أطراف الشام لحمايتها من تعرض الصليبيين لهاثم واصل أسد الدين شيركوه سيرة تجاه القاهرة ، وعندما علم ضرغام بما تم عليه الاتفاق بين شاور ونورالدين أحس أنه هالك لا محالة،فارسل يطلب النجدة من الملك الصليبي عمورى الذى وجد فى ذلك فرصة لا تعوض لدخول مصر — وهو الأمل الذى كان يسعى اليه الصليبيون منذ أكثر من نصف قرن — فأعد حملة على الفور وتولى قيادتها بنفسه واتخذ طريقه الى مصر (٢) .

إتجه أسد الدين شيركوه صوب القاهرة وخرج ضرغام لملاقاته والتقى الإثنان على مشارف القاهرة ، وهزم ضرغام وقتل قبل أن تصل القوات الصليبية لنجدته وتولى شاور أمر الوزارة بمصر ، إلا أنه لم يف بالوعود التى

---

(١) أبو شامة : المصدر السابق ج ١ ص ١٣٠ ، ويروي أبن الاثير أن هذه القوات خرجت من الشام في جمادى الاول ووصلت مصر جمادى الآخرة من نفس العام ، أنظر : ابن الاثير : المصدر السابق ج ١١ ص ١٩٧ ، ويتفق ابن شداد مع أبي شامه في الشهر ويذكر أن ذلك حدث فى عام ٥٥٨ ﻫ ، أنظر : ابن شداد : المصدر السابق ص ٣٦ .

(٢) William of Tyre, op. cit. , II , p. 306

وأنظر أيضا ، سعيد عاشور ، : المرجع السابق ج٢ص ٦٨٣.

قطعها على نفسه ، كما ظهرت منه أيضا إمارات الغدر لمناصـــرة أسد الدين شيركوه ، فأشار عليه صـــلاح الدين بالتقهقر إلى بلبيس (١) . وليس ذلك فحسب ، بل أن شارو إتبع ما إتبعه ضرغام من الاستنجاد بالصليبيين عـــلى شيركوة (٢) ، وبذل لهم وعـودا عظيمة إذا ناصروه ، ومن هذه الوعود نفقات الحملة الصليبية كلها ، وبذلك لم تضع الفرصة على عمورى لدخول مصر وإن إختلف الحليف ـ وهو ما لا يهم الصليبيون ، فكل ما يعنيهم هـو السيطرة على مصر بشكل أو بآخر . وجد عمورى فى السير ، ووصل الى المكان المعروف بمدينة فاقوس الحالية فى أغسطس عام ١١٦٤م (رمضـــان شوال ٥٥٩هـ) وإنضمت إليه قوات شارو ، وحاصروا أسد الدين شيركوه فى بلبيس طـوال ثلاثة أشهر . ولكى يخفف نور الدين الضغط على شيركوه قام بمهاجمة الصليبيين فى الشام وإستولى على حصن حارم ثم إتجه إلى بانياس ، وعندما بلغ عمـورى ما قام به نور الدين راسل شيركوه يطلب منه الصلح وعودة كل منهما إلى بلاده وتم الإتفاق على ذلك وعاد عمورى إلى بيت المقدس وإتخذ شيركوه طريقه إلى الشام ، وفى أثناء عودته كمن له الصليبيون بإعتباره العقبه الكـأداء التى حالت دون إستيلائهم على مصر ، ولكن شيركوه علم بذلك وترك الطريق الذى عليه الكمين وسلك طريقا آخر ووصل سالما إلى دمشق (٣) ، فوصلهـا فى الثامن

---

١ ـ أبو المحاسن : النجوم الزهراء جـ ٥ ص ٣٤٧ .

٢ ـ أبو شامة : المصدر السابق جـ ١ ١٣١ ، الحافظ الذهبى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٢ .

٣ ـ ابن الاثير : المصدر السابق جـ ١١ ص ١٩٨ .

عشر من ذى الحجة عام ٥٩٠هـ (٢٦ أكتوبر ١١٦٤م(١)) . وبذلك أنقذ شيركوه مصر من أيدى الصليبيين وأنقذ حياته أيضا بجنيه الكمين ليقف مرة أخرى حجرة عثرة فى وجه الصليبيين ويحول دون إستلائهم على مصر .

ولم ينته الصراع على مصر عند هذا الحد ، لأن كل من نورالدين وعمورى كان يمنى نفسه بإمتلاكها ، وكان كلاهما يعلم تمام العلم أن فوزه بمصر يعنى إنتصاره الحاسم على خصمه ، وتجددت الحوادث مرة أخرى فى السادس من ربيع ثان عام ٥٦٢هـ (٣٠ يناير ١١٦٧م) عندما تحرك الجيش الصليبي للمرة الثالثة تجاة مصر بقيادة الملك عمورى(٢) . وسبب ذلك أنه منذ عودة شيركوه من مصر عام ١١٦٤م وهو يعمل على إقناع نور الدين بالعودة إلى مصر حتى لا يستولى عليها الصليبيون . وفى الوقت الذى إقتنع فيه نور الدين بوجهة نظر شيركوه وبدأ الجيش الاسلامى يستعد للقدوم الى مصر ، علم شارو بهذه الترتيبات فاستنجد بالصليبيين « وقرر معهم أنهم يجيئون الى البلاد ويمكنونه تمكينا كليا » ، وعلم نور الدين بذلك ، لذلك فاننا نجد أن قوات نور الدين بقيادة شيركوه ومعه صلاح الدين وكذلك القوات الصليبية يسارعون بالحضور الى مصر (٣) ، وكل منها يخشى أن يسيطر الطرف الآخر على مصر فيهدد من يملكها ممتلكات الطرف الثانى فى الشام .

---

(١) انظر : Schlun.berger, G , Campagnes pe Roi Amaury I, : pp, 36-18 .

(٢) William of Tyre , op. cit. , II. 314-5.

(٣) ابن شداد : المصدر السابق ص ٣٧ .

إستطاع شيركوه وقواته أن يصلوا إلى مصر قبل أن يصلها الصليبيون وقصد مدينة أطفيح ومنها عبر النيل إلى الجانب الغربي ونزل بالجيزة مقابل مصر وتصرف فى النواحى التى سيطر عليها وظل منتظراً قدوم الصليبيين وأقام بالمنطقة أربعة وخمسين يوما (١) . أما الجيش الصليبى بقيادة عمورى فقد وصل إلى بلبيس عن طريق العريش، وقد تشكك شاور فى نواياهم رغم إستنجادة بهم ، وخشي أن تتحول القوات الصليبية للعمل ضده، فأرسل بعض الكشافين للحصول على بعض المعلومات عن الجيش الصليبي (٢) . وبعد أن حصل شاور على هذه المعلومات خرج واستقبل عمورى خارج القاهرة وأنزله فى موقع ممتاز على النيل في منتصف الطريق بين القاهرة والفسطاط . وفى هذا المكان عقد شاور مع عمورى إتفاقا خلاصته أن تدفع مصر لمملكة بيت المقدس مائتى ألف دينار معجلة ، ومثلها فيما بعد بشرط ألا يرحل عمورى عن مصر إلا بعد إجلاء شيركوه عنها ، وصادق الخليفة الفاطمي على هذه المعاهدة (٣). وطبيعيا أن يرحب الصليبيون بهذه الإتفاقية التى تجعل منهم حماة مصر والخلافة الفاطمية (٤) .

وبعد إبرام الاتفاقية إستعد شاور وقواته وعمورى والجيش الصليبى لمهاجمة شيركوه فعبروا النيل إلى الضفة الغربية ، فاتجه شيركوه جنوبا حتى وصل جنوب المنيا فى المكان الذى يعرف بالبابين، ونظرا لكثرة قوات شاور وعمورى

---

(١) أبو شامة : المصدر السابق ج ١ ص ١٤٢ .

(٢) William of Tyre, op. cit., II, p. 315

(٣) محمد مصطفى زياده : المرجع السابق ص ١٦ .

(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور . المرجع السابق ج ١ ص ٦٩٠ .

فقد أشار بعض قواد شيركوه عليه بعبور النيل إلى الضفة الشرقية والعودة إلى بلاد الشام ، ولكن شيركوه أصر على القتال وأيده فى ذلك صلاح الدين ، والتقا الجيشان وإنتصر شيركوة فى هذه الموقعة المعروفة باسم البابين بفضل الخطة التى وضعها شيركوة . وبعد هذه الموقعة إتجه شيركوة إلى الفيوم ومنها إلى مدينة الاسكندرية التى فتحت له أبوابهـــا عن طيب خاطر لكرهها لشاور (١) .

إستطاع شاور وعمورى إعادة تنظيم صفوفها بعد الهزيمة التى لحقت بها ثم إتجها إلى الاسكندرية فى أثر قوات شيركوة وحاصروا المدينه براً وبحراً وكان شيركوة قد ترك صلاح الدين فى الاسكندرية وإتجـه الى الصعيد لجمع المال والرجال لمساندته على أعدائه ، واشتد الحصار على صلاح الدين فاستنجد بعمه الذى عاد اليه ، وفى هذا الوقت بدأ شاور وعمورى فى مراسلة شيركوة لطلب الصلح نظير خمسين الف دينار سنويا وعدم بقاء الصليبيين بمصر «وألا يتملكوا منها قرية واحدة (٢) » . ويروي وليم الصورى أن شيركـوه هو الذى بدأ فى طلب الصلح ـ وهو الرأى الأرجح ـ وأنه أرسل لهذا الغرض أرنولف Arnulf صاحب تل باشر (٣) ، الذى كان أسيراً لدى شـيركوة فى معركة البابين ، واقترح « أن ينصرفـوا كلهم عن مصـــر » وذلك بسبب

---

(١) ابن شداد : المرجع السابق ص ٣٧ ، ابن واصـــل . المصدر السابق جـ ١ ص ١٥٠ ـ ١٥١ ، William of Tyre. op.cit, II, p.332

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق جـ ١١ ص ٢١٥ .

(٣) William of Tyre, op. cit., II, pp. 339 - 340 .

الشدائد والأهوال التى عانها شيركوه أثناء إقامته بمصر (١). وقد وافق عمورى على الصلح نظرا لما قام به نور الدين من الهجوم على معاقل الصليبيين فى الشام وفتح حصن المنيطرة وبعض القلاع الأخرى (٢). وعاد شيركوه إلى بلاده فى الثامن عشر من ذي القعدة ٦٦٢ هـ (٣) (١١٦٦ – ١١٦٧ م) وبعد جلاء شيركوه عن مصر إتفق الصليبيون مع شاور أن تكون لهم حامية بالقاهرة وتكون أبوابها بيد فرسانهم للحيلولة دون دخول عساكر نور الدين اليها، هذا بالاضافة إلى مائة الف دينار من دخل مصر سنويا (٤). وبذلك تأكدت الحماية الصليبية علي مصر (٥)، وترتب على هذا سباق نورى صليبي أخر على مصر (٦).

منذ عودة شيركوه وعمورى من مصر وفكرة العودة اليها لاتغيب عن بال أي منها. ورأى عمورى الاستعانة بالامبراطورية البيزنطية لتنفيذ هذا المشروع الذي لايمكنه القيام به بمفرده نظراً لموقف القوات النورية من حملاته السابقة

---

(١) ابن شداد : المصدر السابق ص ٣٨ .

(٢) Setton , A Hictory of the Crusades, I, p. .

(٣) ابن واصل : المصدر السابق ج ١ ص ١٥٢ .

(٤) أبو شامة : المصدر السابق ج ١ ص ١٤٣ ، الحافظ الذهبى : المصدر السابق ج ٢ ص ٥٤ ، ابن الوردي : المصدر السابق ج ٢ ص ٧٢ ، ابن الشحنة المصدر السابق ص ١٢٧ ، أبو المحاسن : المصدر السابق ج ٥ ص ٣٤٩ .

(٥) سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ج ٢ ص ٦٦٢ .

(٦) محمد مصطفى زيادة ، المرجع السابق ص ١٨ .

على مصر . فأرسن سفارة الى القسطنطينية على رأسها المؤرخ وليم الصورى للاتفاق مع الإمبراطور البيزنطى مانويل الأول Manuel I (١١٤٣–١١٨٠م / ٥٤٧ – ٥٧٦ هـ) على قيام حملة صليبية بيزنطية للاستيلاء على مصر وإقتسامها فيما بينها (١) . وقد تم الإتفاق على ذلك ، ولكن مجرى الحوادث حال دون تنفيذ هذه الاتفاقية – فى تلك السنة – وتقدم عمورى بجيشه إلى مصر قبل أن يعود وليم الصورى إلى بيت المقدس (٢) .

وبداية حوادث هذه الحملة أن الحامية الصليبية الموجودة بالقاهرة كتبت إلى عمورى تستدعيه لإمتلاك مصر « وأعلموه خلوها من موانع وهونوا أمرها عليه (٣) » . ولكن عمورى خشى الإقدام على ذلك خشية مقاومة الشعب المصرى ، ولعل مما يشرف مصر وتاريخها أن يعمل الصليبيون حسابا لشعب مصر فى الوقت الذى يدركون فيه ضعف الحكام وإنحلالهم (٤) . ولما كان الصليبيون يطمعون فى إمتلاك مصر فقد الح الفرسان على ملكهم عمورى بأعداد حملة لغزو مصر وهونوا عليه الأمر بأنه كشف عوراتها من قبل (٥) ، فأعد جيشا كبيراً لهذا الغرض ناكثا الوعود التى إستقرت من قبل بسبب طعمه فى مصر (٦) . وتظاهر الجيش الصليبى بأنه قاصداً مدينة حمص ولكنه جد

---

(١) William of Tyre op. cit, II, p. 349 .

(٢) محمد مصطفى زيادة : المرجع السابق ص ١٨ .

(٣) ابن الأثير ، المصدر السابق ج ١ ص ٢٢٠ – ٢٢١ ، أبوشامة ، المصدر السابق ج ١ ص ١٥٤ .

(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ج ٢ ص ٦٩٦ .

(٥) أبو المحاسن ، المصدر السابق ج ٥ ص ٣٥٠ ،

(٦) ابن شداد ، المصدر السابق ص ٨ .

فى السير فى الطريق إلى مصر . ويقال أن عمورى عند ما وصل إلى الدوام قرب غزة ، كتب إلى شاور يقول له « إننى قصدت إلى الخدمة ، على ما قررته إنما جعلته لك منى متى إحتجت إلى نجدتك ، إذا قدم على عدو ، فأما مع خلو بالى من الأعداء فلا حاجة لى اليك (١) » . ولكن عمورى كان طامعا فى مصر ولم يكن ما كتبة – إن صح ذلك – إلا حجة واهية لدخولها ، فواصل سيره حتى وصل الى بلبيس فى صفر ٥٦٤ هـ (نوفمبر ١١٦٨ م) ، وحاصر الصليبيون المدينة واستولوا عليها عنوة وعاثوا فيها فسادا وأقاموا بها خمسة أيام (٢) . وعزم عمورى على السير إلى القاهرة بتشجيع من بعض أعيانها، فقام شاور باحراق مدينة الفسطاط فى التاسع من صفر (١٢ نوفمبر) حتى لا يملكها الصليبيون وظلت النيران مشتعلة بها أربعة وخمسين يوما (٣) .

وفى هذه الاثناء كتب الخليفة الفاطمى العاضد إلى نور الدين يستنجد به على الصليبيين وبذل له ثلث البلاد المصرية وأرسل فى الكتب شعور نساء القصر، ويروى إبن شداد أن شاور هو الذى كتب الى أسد الدين يستصرخه ويستنجده (٤) » ، بينما يذكر أبو المحاسن أن شاور « لم يجد بدا من مكاتبة نور الدين بأمر الخليفة العاضد (٥) » كما أرسل شاور فى نفس الوقت إلى

---

(١) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات مجلد ٤ جـ ١ ص ٢١ .

(٢) أبو شامة : المصدر السابق جـ ١ ص ١٥٤ .

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٢١ ، المقريزى : الخطط جـ١ ص٣٤٦

(٤) ابن شداد : المصدر السابق ص ٣٩ ، الحافظ الذهبى : جـ ٢ ص ٥٥ .

(٥) أبو المحاسن : المصدر السابق جـ ٥ ص ٣٥٠ .

عمورى يعرض عليه الصلح وحقن الدماء والجلاء عن مصر مقابل « أربعمائة ألف دينار وقيل ألفى ألف دينار يعجل منها مائة ألف دينار » ووافق عمورى على ذلك وحمل إليه شاور مائة ألف دينار على دفعات وأخذ يماطله فى الباقى إنتظارا لقدوم عساكر نور الدين (١) . فجهز أسد الدين شيركوه الذى إصطحب معه صلاح الدين على كره منه ، ولم يتمكن نور الدين من السير بنفسه إلى مصر خوفا على بلاده من الصليبيين وحتى يهاجمهم فى الوقت المناسب كعادته إذا ماواجه جيش شيركوه ضغطا صليبيا بمصر كما أنه كان منشغلا بأمر الموصل (٢) .

وكان عمورى بعد عقد الهدنة مع شاور إنسحب خارج القاهرة إنتظارا للحصول على باقى المبلغ المتفق عليه ولكن شيركوه فاجأهم بالهجوم فانسحب الصليبيون إلى بلبيس (٣) . ولما وجد الصليبيون إتحاد القوات المصرية مع القوات الاسلامية الآتية من الشام بقيادة شيركوه شعروا أن بقاءهم بمصر أصبح مستحيلا فاضطروا للانسحاب إلى بلادهم وعادوا بخفى حنين خائبين (٤)، وهكذا برهنت الحوادث أن إتحاد مصر والشام ضرورى لإبعاد الخطر الصليبى .

زاد إنزعاج الصليبيين لحكم شيركوه لمصر وضياعها من أيديهم (٥)،

---

(١) أبوشامة : المصدر السابق ص جـ ١ ص ١٧١
(٢) أبن شداد : المصدر السابق ص ٣٨ - ٣٩
(٣) أبوشامة : المصدر السابق جـ ١ ص ١٧١
(٤) ابن الاثير : المصدر السابق جـ ١١ ص ٢٢٣
(٥) ابن الاثير : المصدر السابق جـ ١١ ص ٣٢١

وإتحاد القوات الاسلامية في مصر والشام ، وأيقنوا أن ممتلكاتهم بالشام أصبحت « على شفا جرف هار (١) » . لذلك، فاننا نجد عمورى يعمل على حشد القوى الصليبية ليقوم بعمل عسكرى كبير ضد مصر ليقضى على القوة الجديدة الناشئة في مصر. وبدأ تنظيم قواته بالشام وأغرى فرسان الاسبتارية (٢) للمشاركة مشاركة فعالة في مشروعة الجديد ، وذلك بمنحهم بعض الامتيازات الاقطاعية والمالية في مصر (٣). وإتصل بالامبراطور البيزنطى مانويل ليجدد معه إتفاقية عام ١١٦٨م ، التى أبرمها المؤرخ وليم الصورى من أجل غزو مصر (٤). وفى الوقت نفسه إستنجد بفرنسا وصقلية وبقية الغرب الاوربى (٥)،

---

(١) ابن وأصل : المصدر السابق ج ١ ص ١٧٩

(٢) الاسبتاريه : Hospitallers ويعرفون أيضا بفرسان القديس يوحنا . أنظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على بلاد الشام ص ٢٣٥ حاشية (١)، وهم من الفرسان الصليبين ، وقد تأسست جماعتهم سنة ١٠٩٩م بعد استيلاء الصليبين على بيت المقدس . وكان هدفها الأول علاج المرضى وايواء الحجاج ومساعدتهم . ولكنها تطورت فاصبح أعضاؤها رجالا يلبسون مسوح الرهبان ويقاتلون من فوق ظهور الخيل في نفس الوقت . راجع : العماد الاصفهاني : المصدر السابق ص ٦٢ حاشية (٧) . وقد لعبت هذه الجماعة دورا كبيرا في تاريخ الحركة الصليبية عندما تحولت الي القتال . وللمزيد من التفاصيل عن تأسيس هذه الجماعة والدور الذى قامت به ، أنظر : حسن حبشى : الحرب الصليبيه الأولى ص٩٦-٩٧ ، King, The knights Hospitallers, pp. 1 - 51

(٣) King, op-cit., pp 110-1

(٤) William of Tyre, op cit., II, p. 349

(٥) عن رسائل عمورى الي الغرب الأوربى أنظر :
Bouquet, Recueil des Historiens des Gaules et la France, xvi, pp. 187-8.

وأخبرهم أن الصليبيين أصبحوا « خائفون على بيت المقدس(١) » . ولم يكتف بذلك بل لجأ إلى طعن شيركوه من الخلف وكاتب بعض أعيان المصريين لمساعدته على تنفيذ فكرته (٢) ، ويضمن القضاء على شيركوه قضاءا نهائيا ، وبذلك هيأ الملك عمورى الظروف داخليا وخارجيا للقيام بغزوته على مصر .

وبعد أن قام عمورى باعداد الترتيبات اللازمة داخل مملكته الصليبية لهذه الغزوة قام الامبراطور البيزنطى بارسال حوالى خمسين ومائة سفينة محملة بالجنود بالاضافة الى ستون سفينة لنقل المعدات (٣)،وحوالى عشر أو اثنى عشر سفينه أخرى ، ووصلت هذه السفن إلى صور ثم اتجهت منها الى عكا (٤). ومن الملاحظ أن أوربا لم تشترك ولم تستجب لنداء عمورى ، وربما يرجع ذلك إلى مشاكلها الداخلية فى هذه الفترة ، ورغم ذلك فان عمورى صمم على غزو مصر مكتفيا بالتحالف البيزنطى الصليبى . وكانت الخطة الصليبية البيزنطية هو القيام بغزو مدينة دمياط برا وبحرا « ويتخذونها ركابا للاستيلاء على مصر (٥) » . وتنفيذا لذلك يقوم الإسطول البيزنطى بحصار دمياط بحرا ويقوم عمورى وقواته بحصارها برا فيسهل عليهم بذلك الاستيلاء عليها . وإتجه الإسطول من عكا إلى دمياط وسار عمورى بجيشه من عسقلان (٦) ،

(١) ابن الأثير : الموجع السابق ج ١١ ص ٢٣١ .

(٢) المقريزى الأثير : الخطط ج ١ ص ٢٣١ .

(٣) Fabri, op·cit·, vol 2, p.I, p. 329.

(٤) Schlumberge, op.cit., p. 260.

(٥) ميشيل أماري : المكتبة الصقلية ج ٤ الملحق ص ٨

(٦) سقطت مدينة عسقلان فى يد الصليبيين عام ٥٤٨ هـ (١٠٥٣م) أنظر : ابن القلانسى المصدر السابق ص٣١٩ ـ ٣٢٠ ، ابن الاثير ; المصدر السابق ج ١١ ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .

فى أول ذى الحجـة عام ٥٦٥ هـ (١٦ أغسطس ١١٦٩م) متخـذا الطريق الساحلى ولكنه إضطر للاتجاه إلى الفرما لصعوبة السير على الساحل فوصلها فى التاسع من محرم عام ٥٦٦ هـ (٢٥ أغسطس ١١٦٩م) ومنها إتجه إلى دمياط فوصلها بعد يومين وحاصرها ، أما السفن الصليبية فقد تمكنت من دخول فم النيل ولكنها لم تستطع التقـدم اكثر من ذلك ـ وظلت فى موقع بين البحر والمدينة ـ لوجود برج دمياط ذو السلاسل الحديدية (١) .

وكان صلاح الدين قد علم بأخبار هذه الحملة من قبل وصولها إلى دمياط، لذلك قام بتحصين بلبيس والاسكندرية والقاهرة ظنا منـه أن الحملة ستسلك إحدى الطرق التى سلكتها فى الحملات السابقة (٢) .وبقى صلاح الدين بالقاهرة خشية قيام مؤامرة شيعية ضده (٣) . ولمـا علم بحصار القوات المتحالفة لدمياط أرسل اليها السلاح والرجال بقيادة إبن أخيه تقي الدين عمر وخاله شهاب الدين (٤)، كما أرسل عددا كبيرا من السفن التى اتخذت طريقها إلى الشمال فى فرع دمياط لنجدة المدينة (٥). وفى الوقت نفسه أرسل إلى نـــور الدين فى دمشق يخبره بمـا حدث ، فقام نور الدين بارسال الإمدادات لمصر كما قام بالاغارة على ممتلكات الصليبيين فى الشام كعادته عندما تتعرض مصر للتهديد الصليبي(٦) .

---

(١) William of Tyre, op. cit, II p. 363.

وعن برج دمياط والسلاسل الحديدية أنظر الفصل الخامس من الـكتاب .

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور . المرجع السابق ج٢ ص ٧١٢

(٣) النويرى الكندى . المصدر السابق ج ٢٦ لوحة ١١٦ ، ابن خلدون . العبر جه ص ٢٠٨ ــ ٢٠٩

(٤) أبوشامة . المصدر السابق ج١ ص ١٨١

(٥) Willim of Tyre, op. cit, II, p. 364.

(٦) ابن الاثير . المصدر السابق ج ١١ ص ٢٢١، ابن واصل . المصدر السابق ج١ ص ١٨١ .

ظل حصار القوات الصليبية والبزنطية بحرا لدمياط مدة خمسون يوما إستمرت خلالها الاشتباكات العسكرية من الجانبين، ولم يتمكنوا من الاستيلاء عليها بسبب الإمدادات التى وصلت اليها وقلة المواد التموينية لدى المهاجمين (١)، هذا بالاضافة إلى ماإشيع داخل المعسكر الصليبي بأن البيزنطيين ينوون الإحتفاظ بالمدينة لأنفسهم بعد سقوطها (٢). ويذكر وليم الصورى أن سبب فشل الاستيلاء عليها هو عدم الهجوم عليها برا وبحرا في الوقت المناسب (٣).

وعندما أيقن الصليبيون فشل الإستيلاء على دمياط أحرقوا كل آلات الحصار فى الحادي والعشرين من ربيع الاول عام ٥٦٥هـ/١٦ديسمبر١١٦٩م، حتى لايستولى عليها المسلمون، وجلت القوات الصليبية البزنطية عن دمياط(٤) وبهذه الحملة تنتهى الحلقة الأخيرة من حلقات الصراع على مصر بين عمورى ونور الدين، فقد مات كل منهما بعد قليل وظهر على مسرح الحوادث صلاح الأيوبى مؤسس الدولة الايوبية (٥).

---

(١) Jacque de Vitry, op. cit., p. 25.

(٢) Runcimau, op.cit. II, p. 387.

(٣) William of Tyre, op. oit., II, p 3t 5.

(٤) ولمزيد من التفاصيل أنظر المؤرخ البيزنطى Nicetas op cit,pp. 208-210. وابن شداد : المصدر السابق ص ٤٣.

(٥) ابن واصل : المصدر السابق جـ١ ص ١٦٨ وما بعدها، جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الاسلامية جـ١ ص٢٦١ ـ ٢٦٦، جـ٢ ص ١٢ ـ ٢٠، راجع أيضا : عمر كمال توفيق مملكة بيت المقدس ص١٨٢، جوزيف نسيم : العدوان الصليبي على مصر ص ٢٧.

وإن كان هذا الصراع إنتهى بقيام الدولة الايوبية فى مصر فانه في الحقيقة أكد لنا مدى أهمية مصر للشام سواء إلى الجانب الاسلامي أو إلى الجانب الصليبي ، فقد حاول كل من الجانبين إمتلاك مصر ليقوى بها على الاخر ، وبعد أن تمكن صلاح الدين من توحيد الجبهة الاسلامية بمصر والشام من أنزل أعنف الضربات بالصليبيين وألحق بهم أشد الهزائم ، وهو ما كان يدركه الصليبيون وعملوا على إمتلاك مصر ليضمنوا أمنهم في إماراتهم الصليبية بالشام.

بعد أن تمكن صلاح الدين من مصر طلب منه نور الدين قطع الخطبة للخليفة الفاطمى العاضد وإقامتها باسم الخليفة العباسى في بغداد ، وقد وافق صلاح الدين بعد تردد على القيام بهذا العمل ، وتم ذلك فى خطبة يوم الجمعة السابع من محرم عام ٥٦٧هـ (١٠ سبتمبر ١١٧٤م) دون علم الخليفة الفاطمى لمرضه ولم يلبث أن توفى بعد ثلاثة أيام (١) . وبذلك إنتهى حكم الخلافة الفاطمية لمصر نهائيا . والمهم أنه لم يرض بما حدث بعض كبار رجال الشيعة فى مصر لأن الحكومة الجديدة قطعت أرزاقهم وأخذت أموالهم (٢) ، وهم الذين كانوا يتصرفون فى الخلافة الزائلة . لذلك أخذ هؤلاء الشيعة يتآمرون للقضاء على النظام الجديد وإعادة الخلافة الفاطمية وكان على رأس هؤلاء المتآمرين الشاعر عماره اليمنى ، وعبد الصمد الكاتب ، والقاضى الأعز سلامة العوريس ، والقاضى المفضل ضياء الدين ، والشريف الجليس ، ونجاح الحماس ، وداعى الدعاة عبد الجبار بن إسماعيل ، والواعظ زين الدين بن نجا. (٣) ومهد

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق جـ١١ ص٢٤١ ــ ٢٤٢ .

(٢) أبو شامة : المصدر السابق جـ١ ص ٢٢ ؛

(٣) المقريزى : السلوك جـ١ ص ٥٣ ؛

المتآمرون لذلك باضعاف قوات صلاح الدين عنـدما زين الشاعر عمارة اليمنى لشمس الدولة توران شاه أخ صلاح الدين فتـح بلاد اليمن ليسير القـوات الصلاحية إليها. وقد وافق صلاح الدين على هذا الفتح لتكون اليمن ملاذا له إذا مافكر نور الدين في دخول مصر . وبعـــد أن اطمأن المتآمرون إلى خروج توران شاه بالجيش ، بدأوا يضعون خطة عملهم موضع التنفيذ وذلك باستدعاء القوات الصليبية من ساحل الشام ومـــن صقلية للقدوم إلى مصر ، وإتفقوا معهم « على شيء بذلوه لهم مـن المـال والبلاد . (١) وكانت فرصة للصليبيين لتحقق أطماعهم وغزو مصر لاسيا أنهم « علموا تغيرات الأحـوال بالديار المصريه (٢)» ، بعد مازاد يقينهم مرة بعد أخرى أن مصر هى مصدر الخطر الرئيسى على ممتلكاتهم بالشام (٣) .

ولكي يتصل الصليبيون بالمتآمرين فى القاهـرة أرسلوا رسولا منهم إلى صلاح الدين « بهديه ورسالة وهو فى الظاهر اليه والباطن الى أولئك الجماعة. (٤) وعن طريق هذا الرسول تم الاتفاق على تنفيذ المؤامرة في « ليلة عينوها ... وقرروا معهم الوصول اليهم في ذلك الزمان (٥) » . ويبدو أن الاتفاق تم على وصول القوات الصليبية من الشرق في الوقت الذى يهاجم فيه الأسطول الصقلى مدينة الاسكندرية ، فيتحرج موقف صلاح الدين ، فان خرج لملاقاة أى من

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق جـ١١ ص٢٦٠ — ٢٦١ ، ابن واصل : المصدر السابق جـ١ ص ١٨٠ .

(٢) ابن شداد : المصدر السابق ص ٤٨ .

(٣) Setton' op.cit. I. p. 566.

(٤) ابن الاثير : المصدر السابق جـ١١ ص ٢٦٣

(٥) أبوشامة : المصدر السابق جـ١ ص ٢٢٠

الطرفين سهل على الطرف الاخر غزو البلاد بمساعدة المتآمرين ، وإن لم يخرج القتال وأناب عنه بعض قواده، أصبح بدون جيش ويسهل على المتآمرين القبض عليه ، ولكن إبن نجا أخبر صلاح الدين بالمؤامرة (١) ، فطلب منه مسايرة المتآمرين وأن يكون على صلة دائمة به ليطلعه على مايدبره المتآمرون في حينه(٢) وفي الوقت نفسه كلف صـــلاح الدين أحد الأقباط لثقته به في مراقبة الرسول الصليبي (٣) ، وفي ذلك دلالة ذات معنى قوى في تاريخ الوحدة الوطنية في مصر . وبعد أن تأكد صلاح الدين مـــن حقيقة المؤامرة قبض على المتآمرين الذين اعترفوا بما يدبروه فأمر بصلبهم (٤) .

وبالقضاء على التآمر في مصر أنهار أحد أركان المؤامرة الثلاثة ، وبقي الجانبان الصليبي والصقلي . أما من جهة الصليبيين بالشام فان الزمن لم يمهـــل عموري لتحقيق أمله وحلمه الكبير وهو غزو مصـــر ، فلم يلبث أن مات في الحادى عشر من يوليو عام ١١٧٤م (٥) . وبذلك إنهار الجانب الثاني في المؤامرة ولم يبق سوى الجانب الصقلي . ورغم علم وليم الثاني William II ملك صقلية (١١٦٦ – ١١٨٩م) بفشل المؤامرة والقبض على المتآمرين فقد أعـد عدته للاغارة على الاسكندرية تدفعه الرغبة في الحصول على المجد والثروة (٦) .

(١) المقريزي : المصدر السابق جـ١ ص ٥٣ ،

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق جـ١١ ص٢٦٣ .

(٣) ابن واصل : المصدر السابق جـ١ ص ٢٤٥ .

(٤) أبوشامة : المصدر السابق جـ١ ص٢٢٠ .

٥ — William of Tyre, op cit. , II, p. 39 /.

٦ — أومبرتو ريتزتيانو : صفحة من تاريخ العلاقات بين وليام الثاني النورماني وصلاح الدين الأيوبي : انظر ؛ مجلة كلية الاداب — جامعـــة الإسكندرية — ١٩٤٩ م ص ٤٧ — ٥٨ .

وربما يكون ذلك مرجعه الى الصراع الذى كان دائرا بين صقلية والامبراطورية البيزنطية فى هذه الفترة(١) وما رآه وليم الثانى من تحالف بيزنطه والصليبيين لغزو مصر عام ١١٦٩م ، وكان ذلك يقوى مركز الامبراطورية فى الشرق وبالتالى على صقلية فرأى وليم الثانى الاستحواذ على مصر حتى لا تقع فى يد أعدائه البيزانطيين ولكى يقوى بها عليهم . لذلك أرسل وليم الثانى أسطولا عظيما مكونا من مائتى سفينة(٢)، تحت قيادة تانكرد Tancred, Count of Lecce الى الاسكندرية(٣) . ويذكر إبن شداد أن الإسطول كان مكونا من ستمائة قطعة مابين شينى (٤) وطراده (٥) وبسطه (٦) ، وغير ذلك ، وأن جملة

١ — Vasilisv, A. , A. , History of the Byzantine Empire, II, pp. 76 ff.

٢ — William of Tyre, Ibid.

٣ — Runciman , op. cit. , II, p. 408.

(٤) الشينى : أقدم أنواع السفن الرومانية وزادت أهميتها فى العصور الوسطى، وكانت من أكبر السفن وأكثرها استعمالا لحمل المقاتلة ، وعليها أبراجا وقلاعا للدفاع والهجوم وكان متوسط مايحمل عليها من الرجال مائة وخمسون رجلا ، ولها حوالى مائة مجداف . أنظر ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٣٤٠ .

(٥) الطراده . أو الطريدة ، وهى سفن كانت مخصصة لحمل الخيل وتتسع الطريدة الواحدة لحمل أربعين فرسا ، وكانت تفتح عادة من الخلف حتى تصعد اليها الخيل ، كذلك تستخدم لحمله المقاتلة والمؤن والسلاح ، كما كانت تستخدم لانتقال الناس . أنظر : السيد عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية ص ١٢٥ ، ابن مماتى ، المصدر السابق ص ٣٣٩ .

(٦) البطسة : نوع من المراكب عظيم الحجم كثير القلوع يصل عددها الى حوالي أربعين شراعا ، وهى أشهر أنواع السفن الصليبية ، وكانت تزود بالمنجانيقات والمقاتلة والأسلحة والذخيرة وسائر الات الحرب فضلا من المؤن اللازمة . وكانت ذات سطح عالية وطبقات متعددة كل منها خاص بفئه من الجند الذين يصلون الى ستمائة وخمسين جندى أو أكثر . أنظر والسيد عبد العزيز سالم ، أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ص١٢٦ ، سعاد ماهر : البحرية في مصر الاسلامية ص٣٢١ — ٣٢٢ .

العساكر بلغت ثلاثين الفا (١) ، بينما يذكر أبوشامه أن الحملة تكونت من مائتى شينى لحمل الرجال وسته وثلاثين طريده لحمل الخيل وست مراكب كبار لحمل الآلات الحربية وأربعين مركبا لحمل المواد التموينية وأن جملة العساكر كانت خمسون ألفا (٢) ويضيف إبن الأثير إلى ماذكره أبوشامة ألف وخمسمائة تركبلي (٣) . وعلى أية حال فان ذلك يصور لنا مدي ضخامة الحملة التى هاجمت الاسكندرية ، كمايدل على أن الحملة لم تكن تنوى الاغارة بغية السلب والنهب وإنما كانت تبغى الإقامة بمصر إذا تمكنت من ذلك .

هاجم الاسطول الصقلي مدينة الاسكندرية فى السادس والعشرين من ذى الحجة عام ٥٦٩ هـ (يوليو ١١٧٤م) (٤) ، على حين غفلة من أهلها ، فسارع أهل المدينة لمقاومة المعتدين ولكن والى المدينة منعهم من ذلك وأمر بملازمة سور المدينة فمكن بذلك الأعداء من إغراق بعض السفن الاسلامية الراسية فى الميناء ، كما تمكنوا أيضا من إنزال جنودهم ممايلي المنارة (٥) ، وأقاموا مايقرب

(١) ابن شداد : المصدر السابق ص٤٨ — ٤٩
(٢) ابن شامة : المصدر السابق ص جـ١ ص٢٣٤
(٣) ابن الاثير : المصدر السابق جـ١١ ص٢٧٢
(٤) William of Tyre, op. cit , II, 399 n6
(٥) المنارة الاسكندرية ، وكانت قائمة على الزاوية الشرقية من جزيرة فاروس عند مدخل الميناء وقد شيدها المعماري اليوناني Tostratas Cnidos سنة ٢٩٠ ق .م . وفرغ منها عام ٢٨٠ ق .م في عهد بطليموس الثانى ٢٨٥ — ٢٤٧ ق .م وكان ارتفاعها ٤٠٠ قدما وقاعدتها مربعة ووسطها مستدير وقمتها مستديرة وكانت النار توقد في أعلاها لهداية السفن وكانت ترى على أكثر من ٧٠ ميلا . أنظر : بنيامين التطيلي : رحلة بنيامين التطيلي ص ١٧٧ وحاشية رقم (٢) ، راجع أيضا رحلة ابن جبير ص ١٤٩ . ومقام مكانها حاليا قلعة قايتباي التى شيدت عام ١٤٨٠م . أنظر : محمد جـواد حسين وآخرين : تاريخ الأسكندرية وحضارتها ص ٢٠٨ .

من ثلاثمائة خيمة ونصب ثلاث دبابات بكباشها وثلاث منجانيقات كبار لضرب المدينة تضرب بحجارة سوداء إستصحبوها من صقلية، وتعجب المسلمون من شدة ضربها وعظم حجمها(١). ورغم كل هذا لم تستسلم المدينة وأبلى أهلها بلاء حسنا فى الدفاع عنها وأظهروا رباطه جأش وشجاعه نادره المثال قبل أن تصل لهم الإمدادات من القاهرة (٢). وكان صلاح الدين بمدينة فاقوس عندما كتب إليه أهل الاسكندرية يبلغوه أنباء هذا الهجوم فبلغه الخبر في اليوم الثالث لهجوم الاسطول (٣)، فأمر بارسال القوات إلى مدينة دمياط خشية مهاجمة الصليبيين لها أيضا، كما أرسل في الوقت نفسه القوات إلى الإسكندرية للدفاع عنها، فتشجع أهل الاسكندرية بالقوات التى وصلت اليهم وزاد حماسهم في الدفاع عن مدينتهم عندما سمعوا بقرب وصول صلاح الدين اليهم وهاجموا المعتدين وإنقضوا على خيامهم، وغنموا مابها، وحاول بعض الجنود الصقليين تقريب سفنهم من الساحل لحمل أمتعتهم وزملائهم إستعدادا للفرار، ولكن المسلمون لم يمكنوهم من ذلك، إذ غاص بعضهم فى الماء وأخرق بعض الشوانى فغرقت، فدب الرعب فى قلوب الأعداء وأقلعوا بسفنهم وماعليها من الجنود الذين تمكنوا من اللحاق بها، وبقى حوالى ثلاثمائة من الفرسان تعذر عليهم اللحاق باخوانهم فاحتموا بأحد التلال ولكن المسلمون قاتلوهم ومن نجا من القتل وقع فى الاسر (٤). هكذا فشل الجانب الثالث والأخير من المؤامرة.

---

(١) ابن واصل: المصدر السابق ج٢ ص١٤

(٢) أومبرتو ريتزتيانو: المرجع السابق ص٥٥

(٣) المقريزي: السلوك: ج١ ق١ ص٥٧

(٤) ابن الاثير: المصدر السابق ج١١ ص ٢٧٣، راجع ايضا عمر كمال توفيق: مملكة بيت المقدس الصليبية ص ٧٧، جوزيف نسيم يوسف. العدوان الصليبى على مصر ص ٢٦،

Crousset, Histoire des Croisades, II, pp. 564-567.

ويبدو أن الهزيمة التي لحقت بالصقليين جعلتهم يقومون بالاغارة على مصر مرة بعد أخرى ، ومرجع ذلك شدة طمعهم في مصر ، ففي عام ٥٧١ هـ (١١٧٥ — ١١٧٦ م) وصل إلى تنيس نحو أربعين مركبا وحاصروا المدينة مدة يومين ، ولكنهم لم ينالوا منها شيئا فأقلعوا ، وعاودوا الكرة مرة أخرى على نفس المدينة عام ٥٧٣ هـ (١١٧٧ — ١١٧٨ م) ، وربما يكون مرجع هذه الغارة الاخيرة هو الترتيبات التى أعدتها الامبراطورية البيزنطية مع بلدوين الرابع (١١٧٤ — ١١٨٥ م) ملك مملكة بيت المقدس من قيام حملة مشتركة يتولى قيادتها فيليب كونت فلاندرز Philip Count of Flanders للهجوم على مصر (١) ، فيقوى نفوذ بيزنطه في الغرب خاصة فى جنوب إيطاليا . والمهم أن الصقليين هاجموا مدينة تنيس بحرا وقاتلوا أهلها حتى استولوا عليها ، ولم يتمكن محمد بن إسحق قائد الأسطول المصرى من نجدة المدينة فى أول الأمر ولكنه تمكن من الوصول إلى المدينة ليلا ومعه بعض العساكر وهجم على المعتدين وهم في غفلة وأسر منهم مائة وعشرين وقطع رقابهم ، ودار قتال بين الفريقين قتل فيه من المسلمون حوالي سبعين رجلا وهرب الباقي إلي دمياط وقد تمكن الصقليون من إضرام النار فى مدينة تنيس فأحرقوها وعادوا إلى بلادهم وقد إمتلأت أيديهم بالغنائم والأسرى بعد أن أقاموا بالمدينة أربعة أيام (٢) . وهذا يوضح لنا مدى الأطماع الأوربية فى مصر لا من مراكزهم الصليبية في الشام بل من المراكز الرئيسية فى أوربا .

سبق أن أشرنا إلى تحالف بلدوين الرابع مع الامبراطورية البيزنطيه

---

(١) William of Tyre , op. cit. , II, p. 420

(٢) المقريزى : الخطط جـ١ ص ٢٩١ ـ ٢٩٢ .

لغزو مصر ، ومرجع هذا التحالف هو أن بلدوين الرابع تبنى فكرة غزو مصر كسلفه عمورى الأول . وقد لاحت له الفرصة عندما وصل فيليب كونت فلاندرز ومعه عدد كبير من الاتباع إلى الاراضى المقدسة وإستبشر بلدوين والصليبيين بقدومه خيرا لما عرف عن والده من تحمسه للحركة الصليبية (١). ويبدو أن الصليبيين إعتقدوا أنه لا يقل حماسا عن والده وجدد في نفس بلدوين الأمل في غزو مصر . ومما شجع بلدوين أيضا على غزو مصر أن سفراء الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول (١١٤٣ – ١١٨٠م) كانو لديه يعرضون عليه القيام بعمل مشترك لغزو مصر ، وقد جاءت هذه السفارة عقب هزيمة مانويل أمام السلاجقة في موقعة ميريوكيفالوم Myriocephalum سنة ١١٧٦م ، وربما لجأ مانويل إلى تجديد فكرة غزو مصر بعد هذه الهزيمة أمام السلاجقة فى آسيا الصغرى (٢). وإستعد مانويل للمشروع الجديد وأرسل إلى عكا أسطولا مكونا من سبعين سفينة عليها قوة كبيرة من المحاربين لهذا الغرض (٣).

ولما كان بلدوين لازال فى دور النقاهة من مرض الملاريا ، فقد طلب من فيليب تولى قيادة الحملة (٤)، يعاونه في ذلك رينو أف شاتيون Reynold of Chatillon (أرناط) صاحب حصن الكرك (٥) ، ولكي يغريه للقيام بهذا

---

(١) Runciman , op.cit., pp. 411-3.

(٢) عن هذه الموقعة أنظر . Nicetas , op.cit., pp 236 ff; Cinnamus . op. cit., , p. 279 : Roger of Hovenden . Chronicle II. p. 101.

(٣) William of Tyre, op.cit . II. p. 422.

(٤) Rohricht , op cit., p. 310.

(٥) Schlumberger, Renau de Chatillon, p. 143.

العمل وعده بالوصاية على مملكة بيت المقدس ، ولكن فيليب خشى القيام بهذا العمل رغم ماعرض عليه من وصاية ومال ومساعـدة بيزنطية وتعلل بأنه أتى إلي فلسطين لتزويج إبنتى عمه الاميرتين سبيلا Sibylla وإزا بيلا Isabella من ولدى أحد أتباعه المخلصين وهو روبرت أف بيتون Robert of Bethune. وأثار رفض فيليب غضب فرسان بيت المقـدس الطامعين فى الديار المصرية ، ولكنه لم يعبأ بذلك (١) . وبذلك فشـل المشروع البيزنطي الصليبي فى غزو مصر (٢) .

وبعد فشل المشروع الصليبي البيزنطى قام الصليبيون بالعمل مـن جانبهم وأغاروا على مدينة تنيس والعريش مرتين فى عامين متتاليين ، وكانت الاولى عام ٥٧٦هـ (١١٨٠ – ١١٨١م)حيث نزل إفرنج عسقلان بالسفن على مدينة تنيس وتمكنوا من أسر جماعة من أهـل المدينه ، وكان على مصر فى ذلك الوقت العادل من قبل أخيه صلاح الدين الأيوبى الذى كان بالشام فى هـذه الفترة . وبعد أن نهب المعتدون ماوقع تحت أيد يهم تمكن أهل المدينة من القبض على قائدهم فقطعوا يديه ورجليه وصلبوه (٣) ، وذلك جزاء لمـا اقترفت يداه .

أما المرة الثانية فكانت في شهر ربيع الأول سنة ٥٧٧هـ (يوليو-أغسطس ١١٨١م) عندما إستولى الصليبيون على إحـــدى المراكب المصرية التجارية

---

(١) William of Tyre, op.cit. , II , pp. 421. - 2

(٢) Setton , op.cit., I, p, 595.

(٣) المقريزى : الخطط جا ص ٢٩٢

وقاموا بأعمال السلب والنهب فى جمادى الآخره (اكتوبر — نوفمبر) من نفس العام ، عندما هاجمو مدينة العريش وقطعوا عدد كبيرا مـن النخل وحملوه الى بلادهم (١) ومن الواضح أن هذه الاعمال كانت بغرض السلب والنهب ومن الغارات عديمة الجدوى .

والحقيقة الماثلة أمامنا الآن أن فكرة غزو مصر لم تغب عـن بال الحكام الصليبيين فى مملكة بيت المقدس يشاركهم فى ذلك الامبراطورية البيزنطية ومملكة صقلية . وجدير بالذكر أن هذه الفكرة راودت أفكار ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا عندما أتى إلى الشام عام ١١٩١ م (٥٨٧ هـ) مع فيليب أغسطس ملك فرنسا على رأس الحملة الصليبية الثالثة . فقد آمن ريتشارد بضرورة غزو مصر ، وكان يرى أنه لا سبيل لاستعادة بيت المقدس إلا بالاستيلاء على مصر (٢). ولذلك خطـط مـع الجنويين لهجوم مباشر على مصر بعـد الاستيلاء على عكا (٣) ، ولكنه لم يتمكن من تنفيذ ذلك المشروع ، وربما يكون ذلك بسبب الظروف التى أحاطت بريتشارد نفسه ، وعندما عزم على الرحيل إلى بلاده فى أكتوبر ١١٩٢ م ، لم يكن يدور برأسه سوى أن الاستيـــلاء على مصر هو السبيل الوحيد لاستعادة مملكة بيت المقدس كما آمن بهذه الفكرة أيضا بعض رجاله قبل رحيلهم إلى بلادهم (٤) .

(١) المقريزى : السلوك جـ١ ق١ ص ٧٢ ، ٧٤ .
(٢) محمد مصطفى زيادة ، : المرجع السابق ص ٣٥
(٣) Heyd, Histoire du Commerce, p. 400.
(٤) محمد مصطفى زيادة ، المرجع السابق نفس الصفحة .

مما تقدم يتضح لنا بجلاء أن فكرة غزو مصر كانت هــدفا رئيسيا من أهداف الحركة الصليبية الماثلة فى مملكة بيت المقدس ، فضـلا عن المتعصبين للحركة الصليبية فى أوربا والامبراطورية البيزنطية طـوال القرن الثانى عشر الميلادى السادس الهجرى،وتبين لنا أيضا الغارات والحمــلات والمشروعات والافكار التى دارت فى رأس القادة الصليبية بقصد السيطرة على مصر أو النيل منها كلما أمكن لهم ذلك ، ولكنها باءت جميعها بالفشل لصــلابة الجبهة المصرية وأصالة الشعب المصرى بكل طوائفه ـ عدا قلة من ذوى الأغراض الشخصية ـ من جهة أخرى ، هذا بالاضافة الى تكاتف الجبهة الاسلامية فى الشام ومصر، خاصة بعد زوال الخلافة الفاطمية وتوحيد القيادة الاسلامية فى مصر والشام.

ومع بداية القرن الثالث عشر الميلادى (السابع الهجرى) ظلت مصر هدفا رئيسيا للصليبيين ، وأيقنوا بعد تجارب مائة عام أن مصر هى قلعة الإسلام وحصنه المنيع وأن القضاء عليها يسهــل السيــطرة على العالم الاســـلامى . لذلك قاموا باعداد حملة صليبية كبرى وهى المعروفة بالحمله الرابعــة فى عام ١٢٠٤ م (٦٠٠ هـ) للاستيلاء على مصر ، ولكن هــذه الحملــة إنحرفت عن هدفهــا لتستولى على القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية وتؤسس بهــا إمارة لاتينية حتى عام ١٢٦١ (١) . ومع ذلك قام صليبو الشام بالإغارة على مصر فى نفس العام (١٢٠٤ م) ، كما أغاروا عليها أيضا عام ١٢١١ م (٦٠٨ هـ) . وربما كانت هاتان الغارتان بغرض السلب والنهب أو للحفاظ على هيبة الاوضاع الصليبية فى الشام، أو ربما كانتا أيضا بغرض الاستكشاف إستعـدادا لحملة

(١) لمزيد من التفاصيل انظر : عمر كمال توفيق : تاريخ الامبراطورية البيزنطية ص ١٥٩ وما بعدها .

صليبية أخرى ، إلا أنهما تصوران أن مصر لم تغب عن أعين الصليبيين وأعدوا العدة لضربها فى الوقت المناسب ليتمكنوا من سحق باقى القوى الاسلامية فى منطقة الشرق الأدنى الإسلامى ، وهذا ما تجلى فى الحملة الصليبية المعروفة بالخامسة أو حملة جان دى برين .

ويجدر بنا قبل التعرض لأحداث الحملة أن نلقى الضوء على أحوال الشرق والغرب حتى يكون لدى القارىء خلفية مناسبة تساعده على تفهم أحداثها والظروف التي قامت فيها .

الفصل الثانى

أوربا والشرق قبيل الحملة الصليبية الخامسة

- مصر والشام قبيل الحملة .
- إشتباكات ومناوشات غير حاسمة بين المسلمين والصليبيين .
- أحوال الشرق اللاتينى : مملكة بيت المقدس - أنطاكية - طرابلس - أرمينية - قبرص .
- الغرب الأوروبى : إيطاليا والبابوية - المانيا - فرنسا - إنجلترا - أسبانيا .
- الدولة البيزنطية : الحملة الصليبية الرابعة وآثارها - موقف البابوية من إمبراطورية اللاتين فى القسطنطينية .
- حملتا الصبيان .

وعندما وصلت طلائع تلك الحملة إلى مصر كان يحكمها سيف الدين العادل إبن أيوب (٥٩٦ – ٦١٥ هـ / ١٢٠٠ – ١٢١٨ م) أخو ورفيق نضال صلاح الدين الأيوبي مؤسس الأسرة الأيوبية بمصر التي قام على أكتافها عبء الدفاع عن مصر والعالم الإسلامي ضد الغزو الصليبي .

وإن نظره مدققة إلى أحوال مصر والشرق الأدنى الإسلامي قبيل الحملة تبين لنا أن الفترة منذ وفاه صلاح الدين حتى إستيلاء العادل على مصر كانت فترة معقدة مليئة بالتواريخ والأسماء والوقائع والأحداث التي أشارت اليها المصادر العربية بالتفصيل . وقد تخللها المناورات والصراعات والضغائن والأهواء . ونعرف أنه بعد وفاة صلاح الدين في السابع والعشرين من صفر سنة ٥٨٩ هـ (٤ مارس ١١٩٣ م) قسمت مملكته بين أولاده وأخوته فكان من نصيب إبنه الأكبر الأفضل دمشق والساحل وبيت المقدس وصرخدوبانياس وهونين وتبنين وجميع الأعمال الى الداروم (١) ، بالاضافة إلى بصرى التي كانت بيد إبنه الملك الظافر خضر وهو في خدمة أخيه الافضل (٢) . أما الملك المجاهد أسد الدين شيركوه (٣) فتولي حمص والرحبة كما حكم الملك الامجد (٤) بعلبك وكلاهما في خدمة الملك الافضل أيضا (٥). وتولي حكم مصر العزيز صلاح

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق جـ ١٢ ص ٦٣ . أنظر هذه المواقع على الخريطة رقم (١) .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٣ ص ٤ .

(٣) المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه بن صلاح الدين . أنظر . العماد الأصفهاني . الفتح القسي في الفتح القدسي ص ٦٣٤ .

(٤) الأمجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب . أنظر . أبو المحاسن . النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٢٧٥ – ٢٧٦ .

(٥) العماد الأصفهاني : المصدر السابق ص ٦٣٣ .

الدين حيث كان بها عند وفاه أبيه فاستولى عليها ، وفـيما يختص بابنه الملك الظاهر غازى فقد أخذ حلب وجميع أعمالها مثـل حـارم وتـل باشر وأعزاز وبرزويه ودربساك ومنبج وغير ذلك، وأقام محمود بن تقى الدين على حماه وهو فى خدمة عمه الظاهر (١) . وإذا كان ذلك ماآل لأولاده صلاح الدين من بعده فقد إختص أخوه الملك العزيز سيف الإسلام باليمن (٢)، ولم يظفر العادل من هذه التركة إلا بالكرك والشوبك والرها وسميسـاط والرقة وقلعة جعـبر ديار بكر وميافارقين . (٣) وتوزعت باقى البلاد والحصون على جماعة من أمراء الدوله الايوبية (٤) .

ويهمنا فى هذا الموضع من البحث الملك العادل الذى تمكن من بسط نفوذه على معظم أملاك أخية وتولى حكم المملكة الايوبيه . فقد كان العادل يرى أن الاقطاعات التى يحكمها لاتتناسب مع أهميته ونضاله باعتبـاره رفيق صلاح الدين فى الكفاح ضد الصليبيين ، كما أن العـادل لم يكن بالذى يتقوقع فى مكانه تاركا الحوادث تسير على هواهـا (٥) . ولاحت لة الفرصـة عندما بدأ

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ٦٣ .

(٢) ابن واصل : المصدر السابق ج ٣ ص ٣ .

(٣) أبوالمحاسن : المصدر السابق ج ٦ ص ١٢١ .

(٤) ابن واصل : المصدر السابق ج ٣ ص ٤ ، أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٢ ض ٩٢ .

(٥) يروي عن العادل أنه قال ان « الملك ليس بالأرث ، وانما لمن غلب . وأنه يجب أن أكون بعد أخى الملك الناصر صلاح الدين » أنظـر : المقريزى : المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ١٩٢ .

الخلاف يدب بين أولاد أخيه الأفضل والعزيز ، إذ إستهل الأفضل حكمه بإبعاد أكابر أمراء أبيه وأصحابه وأقبل على اللهو والشراب تاركا الامور لوزيره ضياء الدين بن الأثير (١) . فاساء التصرف فى أمور الرعية (٢) ، كما زين للأفضل التنازل عن بيت المقدس لأخيه العزيز لأنها « تحتاج إلى أموال ورجال وكلفة عظيمة » فسر بذلك العزيز وشكر الأفضل . ولكن ولاة القدس خافوا من محاسبه العزيز لهم فاتفقوا مع الافضل على بقاء القدس بأيديهم دون الحاجة إلى أموال الافضل ، فوافق وكتب إلى أخيه بذلك « فتغير لذلك الملك العزيز وتكدر باطنه » (٣) . وبدأت العلاقات تسوء بين الاخوين . وزين الامراء الصلاحية (٤) للعزيز الاستيلاء على دمشق خاصة بعد ما سلم متولى مدينة جبيل المدينة للصليبيين نظير ما بذلوه له من المال ، وتعذر على الافضل إسترداد المدينة مرة أخرى (٥) . وعندما تحقق للأفضل قصد أخيه كاتبه يسترضيه ويعرض عليه أن تكون الخطبة والسكة باسمه ولكن

---

(١) ولد عام ٥٥٨ هـ (١١٦٢ م) بجزيرة ابن عمر من أسرة شيبانية عريقة وهو شقيق المؤرخ عز الدين بن الأثير وكان من نوابغ الفكر العربى وتوفى عام ٦٣٧ هـ (١٢٤٠م) . عن ذلك ولمزيد من التفاصيل ، أنظر . محمد زغلول سلام: ضياء الدين بن الأثير ، ص ٣٢ وما بعدها .

(٢) أبو المحاسن : المصدر السابق ج ٦ ص ١٢٠ .

(٣) ابن واصل: المصدر السابق ج ٢ ص ١٤ — ١٥ .

(٤) الصلاحية ، هم مماليك صلاح الدين الأيوبى ومقدمهم فى هذا الوقت فخر الدين جهاركس ، أنظر ابن واصل: المصدر السابق ج ٢ ص ١١ ، حاشيه (١) .

(٥) المقريزي: المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ١١٦ .

وزيره ضياء الدين حرضه عليه وشجعه على قتالة فخرج الافضل لملاقاته واستنجد بآل البيت الايوبى وبعمه العادل لثقته به ، ولكن العزيز لم يمهله وفاجأه وهو نازل على الفوار (١) . وكاد ينتصر عليه ، فأسرع الافضل وعاد إلى دمشق فدخلها فى الخامس من جمادى الآخر سنة ٥٩٠هـ (٢٨ مايو ١١٩٤م) (٢) وتحين العادل هذه الفرصة بالتوسط فى الصلح بين الاخوين وتقابل مع العزيز فى صحراء المزه غربى دمشق وعقد الصلح بينهما على أن يحتفظ الافضل بدمشق وطبرية وأعمال الغور ويأخذ العزيز مدينه بيت المقدس وما جاورها من أعمال فلسطين ويأخذ الظاهر جبله واللاذقية وذلك علاوة على ما بأيديها فعلا (٣) . وكانت هذه التسوية بأن طيب العادل نفس العزيز وزوجه إحدى بناته (٤) ، وبذلك أثبت العادل أنه الرجل العاقل الذى يحافظ على مصالح البيت الايوبى والمسلمين (٥) .

ولم ينته الصراع بهذه التسوية لأن بعض الأمراء وعلى رأسهم فخر الدين جهاركس ، مقدم الفرقة الصلاحية ، وهو الحاكم فى الدولة (٦) ، كانوا لا

---

(١) الفوار ، يعرف هذا المكان بوادى الفوار من أعمال طرابلس قريبا من حصن الاكراد وقد سمى بهذا لأن به بئرا يفور يوما واحداً كل أسبوع . أنظر القلقشندى : صبح الاعشى ج ٤ ص ٧٤ . ابن الشحنة : الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ص ٢٦٦ .

(٢) ابن واصل : المصدر السابق ج ٣ ص ٢٩ — ٣٠ .

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ١٧ .

(٤) المقريزى : المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ١٢٧ .

(٥) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ح ٢ ص ٩١٥ .

(٦) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات المجلد الرابع ج ٢ ص ١٤٨ .

يزالون يوغرون صدر العزيز على أخيه الافضل ويزينوا له الاستيلاء على دمشق ، لذلك خرج العزيز فى العام التالى ٥٩١ هـ (١١٩٥ م) قاصدا الشام. ولم يكن أمام الافضل إلا الإستنجاد بعمه العادل وأخيه الظاهر ،وتم الاتفاق بين الثلاثه على أن يملك الافضل مصر ويملك العادل دمشق ، ولما علم العزيز بذلك الاتفاق عاد مسرعا إلى مصر مما سهل على الافضل والعادل الاستيلاءعلى بيت المقدس ثم إتخذا طريقها إلى مصر ليتسلمها الافضل . ورغم هذا فقد كان العادل يشك فى نوايا الافضل ويخشى إستيلائه على مصر ولا يسلمه دمشق ، لذلك بادر بمراسلة العزيز سرا وهما فى طريقها إلى مصر يتعهد له بعدم انتزاعها منه (١) ، وما أن وصل الى مدينة بلبيس حتى بدأ العادل ينفذ ما وعد به العزيز فمنع الافضل من القتال أو التقدم إلى مصر حرصا على وحدة البيت الأيوبى وحقنا للدماء . وفى الوقت نفسه أرسل إلى العزيز سراً مرة أخرى يطلب منه إرسال القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى (٢) للتوسط فى الصلح ، ونفذ العادل ما أراد وتم الصلح وبمقتضاه يكون للأفضل القدس وجميع البلاد بفلسطين وطبريه والأردن ، وأن يقيم العادل

(١) أبو المحاسن : المصدر السابق جـ ٦ ص ١٢٤ .

(٢) ولد فى عسقلان عام ٥٢٩ هـ (١١٣٥م) وتولى أبوه قضاء مدينة بيسان ولهذا نسب اليها وخدم فى ثغر الاسكندرية وكان وزير صلاح الدين وتمكن منه غاية التمكن وبرز فى صناعة الانشاء . وبعد وفاة صلاح الدين استمر على ماكان عليه من المنزلةوالرفعه حتى ملك العادل الديار المصرية وتوفى عام ٥٩٦ هـ (١٢٠٠م) . ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ١ ص ٤٠٢ - ٤٠٥ ، أبو المحاسن : المصدر السابق جـ ٦ ص ١٥٦ .

بمصر(١) . وقد أختار العادل البقاء بمصر لكراهية الفرقه الأسدية (٢) للعزيز وإنحيازهم إلى جانبه وبذلك يضمن مساعدتهم له فى تنفيذ خطته وحكم الديار الأيوبية مستغلا الخلافات بين أولاد صلاح الدين والهدنة المعقودة مع الصليبيين بمقتضى صلح الرملة ومدتها ثلاث سنوات وثلاثة أشهر تنتهى فى شهر محرم عام ٥٩٢ هـ (ديسمبر ١١٩٥ م) (٣) .

وأثناء إقامة العادل بمصر أشار العزيز عليه بضروره الإستيلاء على دمشق وتسليمها له (٤) ، خاصة وأن الأفضل تمادى فى إهمال شئون الرعية ، فضلا عن إستبداد ضياء الدين بالحكم الذى كان له اسوأ الأثر فى نفوس أهل الشام حتى ضجوا بالاثنين معا (٥) . ولم يكن العادل بالذى يتراخى فى تنفيذ ما أشار به العزيز فخرجا إلى دمشق وإستوليا عليها فى السادس والعشرين من شهر رجب ٥٩٢ هـ (٢٥ يونية ١١٩٦ م) (٦) ، وأخذ العزيز لنفسه لقب السلطنة وأناب عنه العادل فى حكم دمشق ، وأمر بنقل الأفضل إلى صرخد (٧) . ولكن

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ٧٨ .

(٢) الأسديه ، هم مماليك أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين الأيوبى ومقدمهم فى هذا الوقت سيف الدين أزكش . أنظر : أبو المحاسن : المصدر السابق ج ٦ ص ١٤٥ .

(٣) Crousset, op. cit., III 144.

(٤) أبو الفدا : المصدر السابق ج ٢ ص ٩٧ .

(٥) المقريزى : المصدر السابق ج ١ ص ١٢٩ .

(٦) ابن واصل : المصدر السابق ج ٣ ص ٦٢ .

(٧) أبو شامة : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٣١ .

الحوادث أسفرت بعد قليل عن إستيلاء العادل على دمشق وعوده العزيز إلى مصر . (١)

وكانت الإمارات الصليبية بالشام وقتها على علم بهذه المنازعات ، كما أنها أعطت الفرصة الى هنرى كونت شامبانى Henry count of Champagne حاكم المملكة الصليبية فى عكا (١١٩٢ - ١١٩٧م) أن يعيد إلى مملكته قدرا من الأمن والطمأنينه . ثم أن هذا الصراع لم يكن أيضا خافيا عن الغرب الأوربى مما أغرى هنرى السادس إمبراطور المانيا (١١٩٠ - ١١٩٧م) وهو من أشد المتحمسين للحرب الصليبية إلى العمل على إستعاده بيت المقدس وتحقيق أطماعة الواسعه باخضاع الشرق اللاتينى والامبراطورية البيزنطية للامبراطورية العالمية المقدسة فى الغرب (٢) ، فأعد حملة صليبية لهذا الغرض بقيادة كونراد Conrad رئيس أساقفة مينز Mainz وأذولف Adolf كونت هولشين Holestein. وقد وصلت طلائع هذه الحمله إلى عكا فى أغسطس ١١٩٧م (شوال ٥٩٤ هـ)(٣)، وبذلك تعكر الهدوء النسبي الذى كان سائداً بين المسلمين والصليبيين(٤). وكان وصول هذة الحملة فى الوقت الذى كان يرى فيه هنرى كونت شامبانى إتباع

(١) لمزيد من التفاصيل أنظر : ابن الأثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ٨٠ .

(٢) Tout, T., The Empire and The Papacy, p. 304.

(٣) Eracles, op cit. , II, p. 211.

(٤) ذكر ابن الأثير أن الملك العزيز جدد الهدنه مع هنرى كونت شامبانى ملك مملكة بيت المقدس الاسميه (١١٩٢-١١٩٧ م) وزاد من مدة الهدنة راجع ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ٨٢ .

سياسة التفرقة بين آل البيت الأيوبى بدلا من سياسة الحرب . وعلى آية حال تقدمت الحملة بدون إذن من هنرى من عكا إلى الجليل للاغارة عليها(١) . ولكن العادل تمكن من الد القوات المغيرة ثانية إلى عكا كما تمكن من الاستيلاء على يافا في شوال ٥٩٣ هـ (أغسطس ـ سبتمبر ١١٩٧ م) وإمتلات ايدى المسلمين بالسبي والغنائم (٢) .

وبينما هذه الحوادث تسير في مجراها مات هنرى كونت شامبانى فى عكا فى العاشر من سبتمبر ١١٩٧ م (٣) فوقعت المملكة الصليبية فى ذعر شديد بحيث تعذر عليها إستعادة مدينة يافا التى كان المسلمون قد استولوا عليها (٤) . وأنقذ الموقف بزواج ايزابيلا Isabella أرملة هنرى من عمورى الثانى Amaury II ملك قبرص (١١٩٧ ــ ١٢٠٥ م) (٥) وبذلك تم توحيد المملكتين (٦) .

وفيما يتعلق بنشاط الحملة الألمانية بعد ذلك فقد كان محدودا ، إذ إقتصر على بعض الاشتباكات بين الطرفين وعلى هجوم المسلمين على مدينتى صور

---

(١) Runsiman, op. cit., III, p. 91.

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق جـ ١٢ ص ٨٢ ـ ٨٣ ، ابن واصل : المصدر السابق جـ ٣ ص ٧٥ .

(٣) Eracles, op. cit., p. 2_0.

(٤) Previté-Orton, C.W., A History of Europe, p. 120.

(٥) Vitry, History of Jerusalem, p. 106, Eracles, op. cit. P. 223.

(٦) Mas Latrie; Histoire de l'ile de Chypre I, p. 1'6.

وصيدا وسقوط بيروت فى يد الصليبيين (١) ثم توقف نشاط الحملة بعد ذلك بسبب وفاة الامبراطور هنرى السادس ، وقرر زعماؤها العودة إلى أوروبا فى نفس الوقت الذى تدفقت فيه العساكر الإسلامية من مصر على الشام فساد الذعر صفوف القوات الألمانية فأسرعت بالرحيل . وعقب مغادرة الصليبيين سواحل الشام شرع عمورى فى إجراء مفاوضات مع العادل أنتهت بعقد الهدنة بين المسلمين والصليبيين فى الرابع والعشرين من شعبان سنة ٥٩٤ هـ (أول يوليو ١١٩٨ م) وبمقتضاها تكون يافا للمسلمين وجبيل وبيروت للصليبيين وإقتسام صيدا بين الطرفين . (٢)

وبعد توقيع الهدنة بخمسة أشهر مرت الدولة الأيوبية ببعض الحوادث المتلاحقة أدت إلى توحيد الدولة الأيوبية مرة أخرى تحت قيادة العادل ، فقد توفى العزيز فى العشرين من شهر محرم سنة ٥٩٥ هـ (٢٢ نوفمبر ١١٩٨ م) ، وكان إبنه الأكبر المنصور ناصر الدين لايزال فى العاشرة من عمرة ، كما كان

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ٨٤ .

(٢) Runsiman, op. cit. III, pp. 97- .

ومن الملاحظ أن بعض المصادر العربية أشارت بان مدة الهدنة ثلاث سنوات .أنظر : ابن واصل : المصدر السابق ج ٣ ص ٧٨ ، ابن الفرات : المصدر السابق المجلد الرابع ج ٢ ص ١٣٩ ، ولم تشر بعضها الي مدتها بل اكتفت بذكر « حتي استقرت الهدنة » راجع . أبو شامة . المصدر السابق ج ٢ ص ٢٣٤ . كما ذكر بعضها أن الهدنة وقعت فى شعبان سنه ٥٩٤ هـ (يونيه ١١٩٨م) وأوردوا عبارة « انتظم الصلح » . أنظر . ابن الأثير . المصدر السابق ج ١٢ ص ٨٤ . بينما ذكرت المصادر الأجنبية أن مدة الهدنة كانت خمس سنوات وثلاثة أشهر . انظر . Eracles, op. cit, p. 226 ومن سير الحوادث يتضح أن مدة الهدنة كانت أكثر من خمس سنوات بدليل أن الحديث عن تجديد الهدنة لم يرد ذكره قبل عام (٦٠٠ هـ / ١٢٠٤م) كما يتضح من الصفحات التالية .

الأمر يتطلب وصياً على الملك الصغير فاتفقت الاسدية على تولية الافضل كما إتفقت الصلاحية على تولية العادل . وأرسل أزكش للأفضل يخبره بما تم الاتفاق عليه وفى الوقت نفسه أرسل جهاركس للعادل يطلب منه الحضور إلى مصر . وعلم الأفضل بذلك قبل العادل كما التقى برسول الصلاحية قبل أن يصل للعادل (١) وكانت فرصة لاتعوض بالنسبة للأفضل فأسرع إلى مصر ووصل بلبيس فى السابع من شهر ربيع الاول من نفس العام مما جعل فخر الدين جهاركس يخاف على نفسه ويتحل الاعذار ليغادر البلاد . وبالفعل إتجه إلى بيت المقدس وتقابل مع جماعة من أعوانه وأرسلوا للعادل الذى كان يحاصر ماردين (٢) وأبلغوه بما إنتهت اليه الحوادث (٣) .

وفى الوقت الذى كان يدبر فيه فخر الدين جهاركس وأعوانه أمر استدعاء العادل لحكم مصر زين الامراء الاسدية للأفضل ـ الذى مالوا اليه فى ذاك الوقت ـ الخروج إلى دمشق ، فخرج اليها فى الثالث من شهر رجب من نفس العام أيضاً ، ولما علم العادل بذلك ترك إبنه الكامل على حصار ماردين وعاد مسرعا إلى دمشق فدخلها فى الحادى عشر من شعبان (٨ يونية) وتمكن

---

(١) أبوالمحاسن : المصدر السابق ج ٢ ص ١٤٧ .

(٢) ماردين ، قلعة مشهوره على جبل الجزيره المشرفه على دنيسر ودارا ونصيبين وأمامها ربض عظيم به أسواق وخانات ومدارس ومنازل ذات طوابق . أنظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ٤ ص ٣٩٠ . وكان سبب حصار العادل لها هو ماظهر من مؤامرات فى الشمال الشرق من الدولة الأيوبية بقصد اعادتها الى حكم الزنكيين بعد موت صلاح الدين : راجع . ابن الأثير . المصدر السابق ج ١٢ ص ٩٤ وما بعدها .

(٣) ابن واصل : المصدر السابق ج ٣ ص ٩١ .

الافضل من دخولها أيضاً بعد يومين ، وأخــذ كل منها يعزز قواته عساه أن يحقق النصر على الطرف الآخر . وفي النهاية تمكن العادل من هزيمة الافضل مما إضطره للخروج من دمشق ، وإنتهت هذه الجولة بعودة الافضل الى مصر (١) . ولكنها لم تنه أطماع العادل في حكم أملاك أخيه ، لذلك أخــذ يستعد للاستيلاء على مصر ليكون وصيا على الملك القاصر ويصير الأمر كلـه بيده ، وعندما علم الافضل بذلك بدأ يستعد هو الآخر لمحاربة عمه ودفعه عن مصر . ولكن العادل أتى مسرعا إلى مصر وهزم الافضل فى السـابع من ربيع الآخر عام ٥٩٦ هـ (أواخر يناير ١٢٠٠ م) ، وعلى ذلك لم يجد الافضل طريقا أمامه غير الصلح بعد ما رأى تخــاذل أعوانه ، وانتهى الامر بالاتفـاق بين الطرفين على أن يكـون للافضل ميافارقين وحانى (٢) وجبل جور (٣) بالاضافة الى صرخد . وغادر الافضل مصر الى الشام ولكن الأوحد نجم الدين بن الملك العادل لم يسلمه ميافارقين وسلم اليه ما عداها (٤) .

---

١ ــ أبو شامة : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٣٦ ــ ٢٣٧ . أنظر أيضا : أبوالفدا المصدر السابق ج ٢ ص ١٠١ ، أبو المحاسن : المصدر السابق ج ٦ ص ١٥٠ .

٢ ــ حانى ، مدينة معروفة بديار بكر وتمتاز بوجود معدن الحديد بها : أنظر : ياقوت الحموى . المصدر السابق ج ٢ ص ١٨٨ .

٣ ــ جبل جور ، كورة كبيرة متصلة بديار بكر من نواحى أرمينية ، أهلها نصارى أرمن ، وفيها قلاع وقرى . أنظر : ياقوت الحموى : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٠ .

٤ ــ ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ١٥٢ ــ ١٥٣ . راجع أيضا : أبو شامة المصدر السابق ج ٢ ص ١٢٧ .

هكذا أصبح العادل مسيطراً تقريباً على معظم الممالیك الايوبية . ولكنه لم يقتنع بهذا الوضع ، لذلك أحضر جماعة من الامراء وقال لهم «انه قبيح بي أن أكون أتابك صبي صغير ، مع التقدم والشيخوخة » وكان العادل يقصد من وراء ذلك خلع الملك المنصور وتولي حكم مصر . وفعلا تم الاتفاق على خلعه وتمت الخطبة للعادل في الحادى عشر من شوال ٥٩٦ هـ (١٥ يوليو ١١٩٩م) . وأعقب ذلك قيام العادل باخراج الملك المعزول ومعه والدته وأخوته إلى الشام(١) ، فأقام بحلب عند عمه الظاهر . (٢)

ومع بداية حكم العادل لمصر واجهته بعض المتاعب الاقتصادية بسبب قلة الفيضان وندره الأقوات ، وتزايد الاسعار وعظم الغلاء اذ بلغ ثمن أردب القمح خمسة دنانير (٣) وقد أدى ذلك الى هجرة عدد كبير من مصر الى

---

١ ـ المقريزى : المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ١٥٢ ـ ١٥٣ . أنظر أيضا . ابن واص . المصدر الصابق ج ٣ ص ١١١ .

٢ ـ ابن واصل . للمصدر السابق ج ٣ ص ١٤١ ، أبو الفدا . المصدر السابق ج٣ ص ١٠٨ .

٣ ـ الدينار ، كان من الذهب وبعضه حقيقة وبعضه مسمى كالدينار الجيشى . وكانت قيمة لا تلبث على حال والعبرة في وزنة بالمثقال . وضابطه أن كل سبعة مثاقيل تساوى ٢٤ قيراطا وكل قيراط يزن ٧٢ حبة شعير وسط باتفاق العلماء خلافا لابن حزم فانه قدره بأربع وثمانين حبة وهذا يعني أن الدينار يساوى وزن الف وسبعمائة ثمانية وعشرون حبة من الشعير المتوسط أو الفين وستة عشر حبة تقديرا لابن حزم . أنظر القلقشندى . صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٤٠ ـ ٤٤٣ . وقد تدرت قيمتة بحوالى ستون قرشا في عام ١٩٣٤ م. أنظر . جوزيف نسيم يوسف ، العدوان الصليبى على مصر ص ٢٣٠ حاشية (٧) .

الشام وظل الحال على هذا طوال ثلاث سنوات ، فكان الناس يموتون جوعا فى الشوارع ، وبلغ من كفنهم العادل مائة وعشرين ألف نسمة(١) . وزاد سوء الحال بمصر ، أن تفشت الأمراض والاوبئة حتى أن الفلاحين كانوا يموتون وهم قابضين على محاريثهم (٢) .

وبينما كان العادل يواجه هذه المصاعب الاقتصادية فى مصر إتفق الأفضل والظاهر على حصار دمشق . ولكن العادل أسرع اليهما وظلت المناوشات والاشتباكات بين الأطراف المتصارعة حتى نهاية عام ٥٩٧ﻫ (سبتمبر ١٢٠١م) إتبع خلالها العادل سياسة الايقاع بين الاخوين حتى سيطر على الموقف ، وأسفرت الحوادث عن حكم الانضل لسميساط وسروج (٣) ورأس

١ ــ قد يكون فى هذا نوع من المبالغة ولكنه يدل على كثرة عدد من ذهبوا ضحية هذه المجاعة .

٢ ــ المقريزى ، المصدر السابق جـ ١ ق ١ ١٥٦ ــ ١٥٨ . ولمزيد من التفاصيل من هذه الفترة العصيبة أنظر أيضا . النويرى الكندى . نهاية الارب فى فنون الأدب (مخطوط) جـ ٢٧ لوحة ١ ، مرعى المقدسى ، نزهة مناظرين (مخطوط) ورقة ٣٢ أ ، ابن الأثير . المصدر السابق جـ ١٢ ص ١١٢ ، ابن الفرات . المصدر السابق المجلد الرابع جـ ٢ ص ٢٠٧ ــ ٢٠٩ ، أبو المحاسن ، المصدر السابق جـ ٦ ص ١٧٣ــ ١٧٤ ، المقريزى ، اغاثة الامة بكشف الغمة ص ٢٩ ــ ٣٣ .

٣ ــ سروج ، بلد قريبة من حران . أنظر ، ياقوت الحموى ، المصدر السابق جـ ٣ ص ٨٥ .

العين(١) وغيرها ورحل الاخوان من دمشق فى أول المحرم سنة ٥٩٨ هـ (أول أكتوبر ١٢٠١ م) (٢) . وبذلك أصبح العادل حاكما لمصر ودمشق وبيت المقدس بالاضافة الى أملاكه فى الشرق . (٣)

وما أن إستتب الامر للملك العادل سنة ٥٩٨ هـ (١٢٠١ — ١٢٠٢ م) حتى بدأ فى إعادة تنظيم المملكة بعد التفكك الذى انتابها أثر وفاة صلاح الدين ، فولى إبنه الأكبر الكامل محمد حكم مصر نيابة عنه ، كما أناب عنه المعظم عيسى ثانى أبنائه فى حكم دمشق ، بينما تولى إبنه الثالث الاشرف موسى حران والرها وإبنه الرابع الأوحد نجم الدين ميافارقين ، وإستقر بقلعة جعبر أبنه الحادى عشر الحافظ نور الدين ، فى حين بقى الظاهر فى حلب والافضل فى سميساط وأعمالها وهما تابعين له . أما المنصور ابن العزيز — ملك مصر السابق — فقد أقطعه العادل حماة وأعمالها . (٤)

وبصرف النظر عن هذه الصراعات التى قامت بين أفراد البيت الايوبى والآثار التى ترتبت عليها ، فقد تميز عهد العادل بسياسة الدفاع عن مملكته ضد

---

١ ـ رأس العين ، وتسمى أيضا رأس عين ، وهى مدينة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيسر وبها عيون كثيرة . ياقوت الحموى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٧٣١ ـ ٧٣٢ .

٢ ـ ابن الاثير : المصدر السابق جـ ١٢ ص ١٠٧ .

٣ ـ النويرى السكندرى : المصدر السابق جـ ٢٧ لوحة ٥٠ .

٤ ـ المقريزى : السلوك جـ ١ ق ١ ص ١٥٩ . ويلاحظ أن عدد أولاد العادل كانوا تسعة عشر ولدا عدا البنات ولمزيد من التفاصيل أنظر ، النجوم الزاهرة ، المصدر السابق جـ ٦ ص ١٧٢ وحواشيها وص ١٧٣ .

الصليبيين ، ولم يأخذ بسياسة الهجوم لأنه كان يرى أن الهجوم على ممتلكات الصليبيين في الشام ربما يؤدى إلى قيام حمله صليبيه جديدة (١) ، قد تكون عواقبها غير مضمونه فى الوقت الذى إنشغل فيه بإموره الداخليه . لذلك نجده لايمانع في عقد هدنه جديده مع الصليبيين كلما إنقضت مدة الهدنة السابقه . ومما هو جدير بالذكر أن العادل لم يكن أقل من غيره من أمراء البيت الأيوبى حرصا على الجهاد ضد الصليبيين على الرغم من سياسة المهادنه التي إنتهجها حيال الصليبيين فى بداية حكمه والتى كان لها مبرراتها وقتها . ولذلك فان الاشتباكات بين المسلمين والصليبيين كانت لا تكاد تنقطع طوال الفترة السابقة للحملة الصليبية الخامسة على مصر سنة ٦١٥ – ٦١٨ هـ) (١٢١٨ – ١٢٢١ م) .

ومن هذه الاشتباكات ماحدث عام ٦٠٠ هـ (١٢٠٤ م) عندما أتى إلى الشام كثير من الصليبيين حيث نزلوا بعكا متشجعين بامتلاك أخوانهم الصليبيين لمدينة القسطنطينيه فى نفس العام (٢) . وكانوا عازمين على الاستيلاء على مدينة بيت المقدس وأخذها من المسلمين ، فقاموا بأعمال النهب والسبي بنواحي الأردن (٣) . وكان العادل حين ذاك بدمشق فخرج منها وإتجه إلى جبل الطور (٤) الذى يقع

---

(١) Duggan, A., The story of The Crusades, pp. 211-2.

(٢) أبن واصل : المصدر السابق جـ٣ ص ١٥٩ .

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق جـ١٢ ص ١٢٧ – ١٢٨ .

(٤) جبل الطور ، جبل مطل على طبرية والاردن ، بينهما أربعة فراسخ ، بنى عليه الملك المعظم عيسى بن العادل قلعة حصينه ثم هدمها عام ٦١٥ هـ (١٢١٨م) أثناء حصار الصليبيين لدمياط . ياقوت الحموى . المصدر السابق جـ ٣ ص ٦٥٥ .

في الجنوب الشرقي من عكا ليمنع الصليبيين من التقدم الى الممتلكات الاسلاميه . وأرسل في الوقت نفسه يطلب النجده من مصر ومن كافة البلاد الاسلامية فوصلت إليه من كل ناحيه في الوقت الذي أغار فيه الصليبيون على كفر كنا[1] ، وأسروا من كان هناك ، وسبوا ونهبوا (٢) . ولم يطق الأمراء الذين كانوا مع العادل صبرا ازاء هذه الأعمال فأخذوا يحثونه على الهجوم على الممتلكات الصليبيه . ولكن العادل المسالم لم يوافق الأمراء على رأيهم . وظل الحال على هذا المنوال « والعادل قبالتهم مرابط لهم ، والرسل مترددة بينهم وبينه في الصلح » (٣) وأخيرا تم الصلح وتقررت الهدنه بين الطرفين . وفي هذه المرة ايضا لم تشر المصادر العربية الى مدة الهدنه ، بينما ذكرت المصادر الأجنبيه ان مدتها كانت ست سنوات . (٤) وبمقتضى هذا الصلح أصبحت يافا للصليبيين وتنازل العادل عن النصف الخاص بالمسلمين في اللد والرمله (٥) . ويضيف إبن

---

(١) كفر كنا ، بلد بين طبريه والناصره • أنظر - ياقوت الحموي - المصدر السابق ج ٤ ص ٢٩٠ .

(٢) المقريزي : المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ١٦٣ ، ابن الفرات - المصدر السابق المجلد الخامس ج ١ ص ١٣ .

(٣) ابن واصل المصدر السابق ج ٣ ص ١٦٢ .

(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور - المرجع السابق ج ٢ ص ٩٤٦ حاشية ٢ ، ٣ ، ٤ والواقع أن مده الهدنه كانت ست سنوات لأن الحديث عن تجديد الهدنه بين العادل والصليبيين لم يذكر قبل عام ٦٠٦ هـ (١٢١٠م) .

(٥) ابن واصل : المصدر السابق ج ٣ ص ١٦٢ .

الاثير أن العادل أعطى لهم الناصرة (١) وغيرها (٢) .

وربما يكون الملك عمورى هو الذى سعى إلى هـذا الصلح بعـدما ذهب بعض الفرسان الصليبيين إلى القسطنطنيه طمعا فى إمتلاك أراضيها في الوقت الذى كان فيه العادل حريصا على إنهاء القتال بسبب تفوق البحريه الصليبيه التى اعاقت حركة التجارة بين مصر والممتلكات الاسلامية فى الشام (٣) .وعلى أية حال ، فقد عاد العادل بعد توقيع الهدنة إلى مصر (٤)

وكان ماتوقعه العادل من تفوق البحريه الصليبيه قد تجلي فى الهجوم علي مصر ،ففى شهر شوال ٦٠٠هـ (يونيه ١٢٠٤م) عندما دخلت عشرون سفينه صليبيه فرع رشيد وتوغلت حتى وصلت الى مدينـــة فوه (٥) ، وأقاموا بها « يسبون وينهبون » (٦) . ولم ينج من بطشهم إلا من استطاع الهرب (٧) ،

---

(١) الناصرة ، قرية بينها وبين طبريه ثلاثة عشر ميلا ، ومنها اشتق اسم النصارى لأن المسيح عليه السلام سكنها فنسب اليها . أنظر ياقوت الحموي المصدر السابق جـ٤ ص ٧٢٩ .

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق جـ١٢ ص ١٢٨ .

(٣) Runciman , op.cit., III, p. 103

(٤) ابن الفرات : المصدر السابق جـ٤ ،٢ ص ٢١ .

(٥) فوه ، بليده على شاطىء النيل ، من نواحى مصر ، قرب رشيد بينها وبين البحر خمسه أو ستة فراسخ . أنظر : ياقوت الحموى : المصدر السابق جـ ٣ ص ٩٢٤ .

(٦) ابن الأثير : المصدر السابق جـ ١٢ ص ١٣٠ ، أبو الفدا . المصدر السابق جـ٣ ص ١١١ .

(٧) جوزيف نسيم يوسف : المرجع السابق ص ١١٨ ، ايريس حبيب المصري : قصة الكنيسه القبطية جـ٣ ص ١٩٤ .

وأسرعت العساكر المصريه وعسكرت في الضفه المقابله لهم على النيل ، ولكنها لم تستطع الاشتباك مع الصليبيين « لعدم وجود الأسطول العادلي » (١). وعاد الأسطول الصليبي بعد خمسة أيام من « حيث دخل غانما سالما » (٢) . وربما ترجع أسباب هذه الغاره إلى أن الملك عمورى حاول أن يحافظ على مكانته بين الصليبيين بعد فشل الحملة الصليبيه الرابعه وإنحرافها إلى القسطنطينيه وكان المفروض أن تقوم بالهجوم على مصر تحقيقا للأطماع الصليبية في منطقة الشرق الأدنى الاسلامى (٣) . ويحتمل أيضا أن تكون للانتقام من المسلمين بسبب الاعتداء الذي قام به والي صيدا المسلم على سفن الصليبيين من قبل (٤). وربما كانت غاره إستكشافيه تمهيدا لفتح الديار المصريه . (٥)

كذلك لم تنقطع المناوشات في أعالي الشام بين المسلمين والصليبيين ، وكان يتزعم هذة الغارات فرسان الاسبتاريه في كل من حصن الاكراد (١) وحصن

---

(١) المقريزى : المصدر السابق ج ١ ق١ ص ١٦٣ .

(٢) أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ٥٠ .

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ج ٢ ص ٩٤٤ .

(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرس والحروب الصليبية ص ٣٧ .

(٥) أبوشامة : المصدر السابق نفس الصفحة .

(١) حصن الاكراد ، حصن منيع على جبل الجليل المتصل بجبل لبنان ويقع بين بعلبك وحمص من جهة الغرب . ياقوت الحموي : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧٦ . وكانت قلعة هذا الحصن تابعه لفرسان الاسبتاريه وتمتاز بمناعتها وتحميها الأبراج وتحوطها الخنادق ، ولها سوران يحدقان بها وقد استولى عليها الاسبتارية سنة ١١١٠ م واستعادها الظاهر بيبرس سنة ٦٥٨ هـ (١٢٧١م) . راجع أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٥٩ ؛ راجع أيضا : جوزيف نسيم يوسف . المرجع السابق ؛ نفس الموضع .

المرقب (١) ضد الملك المنصور صاحب حماه ليجبروه على تسليم حصن بعرين (٢)؛ ولكنهم هزموا مرتين في عام ٥٩٩ هـ (١٢٠٣ م) مما إضطرهم إلى توقيع الهدنه . ثم عادوا مره أخرى فى العام التالى للانتقام وأغاروا على حماه خاصه وأن هدنتهم مع الملك المنصور كانت قد انقضت (٣) . وفى هذه المرة إنضم إلى الاسبتاريه عدد كبير من الصليبيين وقاموا بأعمال النهب والقتل والسلب وعادوا الى بلادهم بعد أن ملأوا أيديهم بالسبايا (٤) . وفى الوقت نفسه أغار الصليبيون فى طرابلس على جبله واللاذقية حمص وفعلوا بتلك البلاد مثلما فعلوا بحماه . وازاء هذه الغارات قامت قوات الملك الظاهر صاحب حمص بهجوم كبير على حصن المرقب وكادوا يستولون عليه بعد ما هدموا برجه ثم عادوا محملين بالغنائم (٥) .

---

(١) حصن المرقب ، قلعه على قة جبل يشرف على بانياس وعلى سواحل بحر الشام ، وهى الأخرى من قلاع الاسبتارية الحصينه تحرسها الأبراج ، وفي أسفلها صخور ضخمه ، وكانت هندستها خليطا من هندسة الحصون الواقعه جنوبى فرنسا والهندسه البيزنطية ، وقد استولى عليها الصليبيون حوالي عام ١١١٧ ــ ١١١٨م وسلمت للسلطان قلاوون سنة ٦٧٨ هـ (١٢٨٥ م) أنظر : أبو الفدا : المصدر السابق ص ٢٥٥ ، أنظر أيضا : جوزيف نسيم يوسف : المرجع السابق نفس الموضع .

(٢) بعرين ، بليدة بين حمص والساحل ، وهكذا تتلفظه العامه .وهو خطأ والصواب هو بارين . ياقوت الحموى ، المصدر السابق جـ ١ ص ٦٧٢ .

(٣) ابن الجوزى ، مرآة الزمان جـ ٨ ق ٢ ص ٥٢٣ ــ ، أبو شامة ، المصدر السابق ص ٥١ ، ابن الفرات ، المصدر السابق المجلد الخامس جـ ١ ص ٢٠ .

(٤) ابن واصل ، المصدر السابق جـ ٣ ص ١٤٣ ، ١٤٩ ، ١٦٢ ــ ١٦٣ .

(٥) المقريزي ، المصدر السابق جـ ١ ق ١ ص ١٦٤ .

كذلك شارك الأرمن الصليبيين فى الهجوم على الممتلكات الاسلاميه وهو إمتداد لنفس الدور الذى قامت به منذ بدايه الحركة الصليبيه فى أخريات القرن الخامس الهجرى (أواخر القرن الحادى عشر الميلادى) عندما بادروا بمساعدة الصليبيين فى الحملة الصليبية الأولى ضد المسلمين (١) وفي هذه المره قام ملكها ليو الثانى LeoII (١١٧٧ – ١٢١٩م) بالهجوم على حلب « فنهب وحرق وأسروسبي » ، وجمع الظاهر عساكره كما أرسل فى طلب النجده فتوافدت عليه القوات وتقدم لملاقاة ليو ، وجعل على رأس جيشه ميمون القصرى (٢) . وعسكر ليو في موقع حصين يتعذر الوصول إليه الا عن طريق جبال وعره . وأمر الظاهر قائده ميمون بارسال المؤمن والسلاح إلى حصن دربساك (٣) القريب من معسكرهم ليتمكن من الصمود أمام قوات ليو ، نفذ ميمون ماطلب منه وأرسل مع هذه المؤن والاسلحة أكثرعساكره، وبقى معه العدد القليل . وعلم ليو بهذه الخطه فلم يهاجم القوات الرئيسية بل هجم على ميمون وعلى من تبقى معه من العسكر واشتد القتال بين الفريقين. وسقط عدد كبير من القتلى من كلا الجانبين ، وإنتهت المعركة بهزيمة ميمون وعوده ليو وقواته محملين بالغنائم . وأثناء عودتهم التقوا بالقوات التى كانت

(١) جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين ص ٢٣٥ .

(٢) ميمون القصرى ، من كبار الأمراء الصلاحية . وكان فى خدمة الأفضل ، وبعد فساد احواله اتصل بالعزيز فى مصر فولاه حكم نابلس بعد زوال ملك الأفضل وتوفى عام ٦١٠ (١٢١٤م) عن ذلك انظر ، ابن واصل المصدرالسابق ج٣ص١١،٧٤، ١٢٠ .

(٣) دربساك ، قلعة مرتفعه حصينه لها أعين وبساتين ولها فى شرقها مروج كثيره العشب وهى فى شمال بغراس بميله الي الشرق وبينهما عشرة أميال راجع العماد الأصفهانى: المصدر السابق ص ٢٥٤ حاشية (٢) ؛ أبو الفدا ، تقويم البلدان ص ٢٦١ .

فى طريقها إلى حصن دربساك فهزموها أيضا وقتلوا عائدين إلى بلادهم(١).

ويروى إبن الجوزي أن الملك الظاهر خرج من حلب ونزل إلى مرج دابق (٢) واتجه إلى حارم (٣) وهزم الملك ليو وقام بتخريب قلعه دربساك(٤). أما ابن واصل فيؤكد هزيمة المسلمين ويروى أن الملك الظاهر جاول التحالف مع بوهمند الرابع Bohemonb IV أمير أنطاكيه وطرابلس(١١٨٧-١٢٣٣م) على أن يمده بعشرة آلاف رجل ويقصدون معا ممتلكات ليوفى أرمينيه بهدف « إستئصال شأفته » . ولكن ليوعلم بهذه الاتصالات فبادر بارسال الأسرى الذين عنده إلى الظاهر وتم الصلح بينهما .(٥)

وتجددت الاشتباكات مره أخرى فى أوائل عام ٦٠٣ هـ (أواخر١٢٠٦ م) عندما زحف الصليبيون تجاه حمص وأغاروا عليها . فارسل الظاهـــر لنجدتها المبارز يوسف بن خطلخ (٦) .ووصل الخـــبر إلى العادل بمصر كما بلغه أمر

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق جـ ١٢ ص ١٥٨ ـ ١٥٩ ، ابن الفرات ، المجلد الخامس جـ ١ ـ ض ٤١ .

(٢) مرج دابق ، قرية قرب حلب من أعمال أعزاز أو عزاز تبعد عن حلب أربعة فراسخ . أنظر ياقوت الحموى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٥١٤ .

(٣) حارم ، حصن وكوره جليلة تجاه أنطاكيه ، وهى من أعمال حلب فى هذه الفتره وفيها أشجار كثيره . أنظر ، ياقوت الحموى ، المصدر السابق جـ ٢ ص ١٨٤ .

(٤) ابن الجوزى : المصدر السابق جـ ٣ ق ٢ ص ٥٦٣ .

(٥) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٣ ص ١٧٠ ـ ١٧١ .

(٦) من كبار الأمراء الصلاحية ، وكان فى خدمة الملك الظاهر بحلب . وبعد وفاة الملك الظاهر عام ٦١٣ هـ (١٢١٦ م) تولى حكم حلب من بعده الأشرف موسى ابن الملك العادل ، وظل فى خدمة الأشرف أيضا وهو من الأمراء الذين حضروا لنجدة الملك الكامل أثناء مهاجمة الصليبيين دمياط عام ٦١٥هـ (١١١٨م) . أنظر : أبو المحاسن المصدر السابق جـ ٦ ص ١٩٢ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ .

مغادرة الصليبيين في حصن الأكراد وطرابلس وأغارتهم على حمص فأسرع إلى الشام (١). ويروى إبن الأثير أن خروج العادل من مصر قاصدا الشام كان بسبب إستيلاء القبارصة على بعض قطع الأسطول المصرى وأسر من فيها . وتقاعس يوحنا أف إبلين John of Iblin سيد بيروت والوصى على مملكة بيت المقدس (١١٠٥ — ١٢١٠م) (٢) عن رد الأسرى بحجة عدم خضوع مملكة قبرص له (٣). وعلى أى حال ، فقد خرج العادل من مصر وإتجه إلى عكا فصالحه أهلها وأطلقوا سراح ماعندهم من أسرى المسلمين ، وتوجه بعد ذلك إلى دمشق وأعد العدة للجهاد . ومنها ذهب الى بحيرة قدس (٤) حيث صام رمضان ٦٠٢ ﻫ (ابريل ١٢٠٧م) ، ثم أغار على حصن الأكراد وفتح برج أعناز (٥) وأسر منه خمسمائة شخص بالاضافه إلى الاموال والسلاح (٦) . ثم هاجم بعض القلاع القريبة من طرابلس وأخذها صلحا ثم خربها بعد أن

---

(١) أبو شامة : المرجع السابق ص ٥٧ ، ابن الجوزى : المصدر السابق ج ٢ ق ٢ ص ٢٥٩ .

(٢) مات عمورى سنة ١٢٠٥م وعين يوحنا أف ابلين وصيا على وريثه العرش ايزابيلا وظل يشغل هذا المنصب حتى عام ١٢١٠م .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ١٨١ .

(٤) بحيرة قدس ، قرب حمص طولها اثناعشر ميلا وعرضها أربعة أميال تقع بين حمص وجبال لبنان ويخرج منها شمالا نهر العاصى . راجع ياقوت الحموى : المصدر السابق ج ١ ص ٥١٦ .

(٥) حصن أعناز ، يقع بين حمص والساحل . أنظر ياقوت الحموى : المصدر السابق ج ١ ص ٦١٣ .

(٦) ابن واصل : المصدر السابق ج ٣ ص ١٧٢ .

حصل على مافيها من الدواب والسلاح وأغار بعد ذلك على طرابلس «فنهب وأحرق وسبي وغنم (١) ، وعاد بعد هذه العمليات الناجحة إلى بحيرة قدس مره أخرى فى أوائل ذى الحجة من نفس السنة (أواخر يونيه ١٢٠٧م(٢).

وقد أدت هذه الغارات إلى إنزعاج بوهمند الرابع فأرسل الى العادل «يلتمس الصلح ، وسير مالا وثلاثمائة أسير وعده هدايا » . ووافق العادل على عقد الصلح بعد أن ملت عسا كره من طول القتال . (٣)

وكيفما كان الأمر ، فبعد أن تقرر الصلح بين العادل وبوهمند عاد العادل إلى جبل الطور المطل على الناصره ، وطلب من إبنه المعظم إقامة قلعه على هذا الجبل لتكون بمثابة خط دفاع أمامى ضد الجبهة الصليبيه . فشرع فى بنائها وجلب اليها الصناع من كل البلاد وباشر عملية البناء في وجود أبيه. وساهمت العساكر فى عملية البناء ونقل الحجاره ، وكان يعمل بها خمسمائه من البنائين بخلاف الفعله والنحاتين ، وأنفق عليها الكثير من الأموال . وظل العمل فى بناء القلعه الى قبيل وفاة العادل سنة ٦١٥هـ (١٢١٨م) ، وأصبحت قلعة منيعه مزوده بالرجال والسلاح (٤) .

---

(١) ابن الأثير: المصدر السابق، نفس الجزء ونفس الصفحه .

(٢) ابن الفرات : المصدر السابق المجلد الخامس جـ ١ ص ٥١ .

(٣) المقريزى : المصدر السابق جـ ١ ق ١ ص ١٦٦ .

(٤) ابن الجوزي : المصدر السابق جـ٢ ق٢ ص ٥٤٥ ، ابو شامة : المصدر السابق ص ٧٧ .

وجدير بالذكر أن الهدنه بين المسلمين والصليبيين كانت قد انتهت فى شهر المحرم من سنة ٦٠٧هـ (يوليو ١٢١٠م) أثناء بناء قلعة الطور وقبل وصول جان دى برين – الملك الاسمى الجديد لمملكه بيت المقدس – بشهرين . وأرسل العادل الى عكا يطلب تجديد الهدنه . ولم تتفق جماعة الفرسان الاسبتارية والداوية (١) على رأى في هذا الموضوع بسبب مشكلة الوراثة فى انطاكية ، إذ رأت جماعة الداويه عدم تجديد الهدنة حتى لا يرتبط الملك المنتظر بسياسة معينة . وترتب على ذلك أن قامت المناوشات الحربية بين الطرفين ، وفزع الصليبيون عندما رأوا العادل يقوم بعمارة حصن الطور واضطروا للموافقه على عقد الهدنة لمدة خمس سنوات وكان ذلك بعد وصول جان دى برين إلى عكا (٢) . وأرسل الملك الجديد فى هذا الوقت وساله الى بابا دوما إنوسنت الثالث

---

(١) الداوية ، جماعة من الافرنج أسسها هيودى باينز Hugh de Payens وجودفرى أف سانت أومر Godfrey of St. Omer فى سنة (١١١٨ – تروى Troyes فى فرنسا سنة ١١٢٨م وكان لها دور كبير فى الحروب الصليبيه . ويطلق عليها أيضا أسم فرسان المعبد Templers . أنظر : العماد الاصفهانى : المصدر السابق ص٦٢ حاشية ٦ ، أبو المحاسن : المصدر السابق جـ٦ ص٣٣ حاشية (٣)، جوزيف نسيم يوسف: المرجع السابق ص ١٤٥ حاشية (٤) . وللمزيد من التفاصيل أنظر :

Bongses, Gesta Dei per Francos, pp. 819 ff., Thatcher, O., A., Source Book for Medieval History, pp. 492-4.

(٢) حدد رانسيمان مدة الهدنة بخمس سنوات تبدأ من أول يوليو ١٢١٢ م (٢٩ محرم ٦٠٩ هـ) أنظر : Runciman op. cit., III, p. 133.

يطلب منه العمل على إعداد حملة صليبية تكون مستعده للوصول الى فلسطين عند انقضاء أجل الهدنة . (١)

وجدير بالذكر أن جزيرة قبرص التى كانت فى قبضة اللاتين وقتذاك قـد ساهمت هى الأخرى فى الإغارة على ممتلكات المسلمين . إذا حـدث فى أوائل عام ٦٠٨هـ (يونيه ١٢١١م) أن أغار ولتر أف مونتبليارد Walter of Montbeliard على دميـــاط (٢) . وولتر هـذا هـــو الوصى السابق على عرش قبرص وتذكر المصادر العربية باسم البال القبرصى ، ونزل بألف ومائة من الفرسان والجنود (٣) ، ووصل حتى قرية بورة(٤) وهاجمها فجرا وسبى أهلها وإستولى على ذخائرها . وعندما بلغ الخبر أهل دمياط توجهوا إليه ولكنه عاد مسرعا الى سفينته « وامتنع عن طالبه » ووصـل بالاسرى والغنائم إلى عكا (٥) . وكانت هذه الغاره شأنها شأن غيرها من الغارات السابقـة قليلة الجدوى وغير فعالة . ومما تجدر الاشارة إليه أنها تمت بموافقة جان دى برين (٦).

(١) Vitry, The History of Jerusalem, p. 119.

(٢) Eracles, op. cit., p. 316

(٣) King, op. cit., p. 183.

(٤) بورة ، بلد مندرسه على الضفة الغربية أنه للنيل جنوب غرب دمياط ينسب اليها السمك البورى ومكانها اليوم كفر البطيخ . والظاهر أنه لكثرة زراعة صنف البطيخ بأراضيها اشتهرت به وتغلب عليها واختفى اسم بوره . محمد رمزى : القاموس الجغرافى فى البلاد المصرية جـ١ ص ١٧٦ ، ١٧٩ . وكانت مساحتها مائة وتسعة وستون فدانا . أنظر : ابن الجيعان : التحفة السنية ص ٦٣ . وقد احتلها الصليبيون عام ٦١٥ هـ (١٢١٨ م) أثناء تواجد الحملة الصليبية الخامسة بمصر وسيرد ذكرها فى الفصل الرابع . أنظر أيضا الخريطة رقم (٤) .

(٥) أبو شامة : المصدر السابق ص ٧٧ . أنظر أيضا Grousset, op. cit., III p. 194

(٦) Runciman. Ibid

ورغم الهدنة المعقوده بين المسلمين والصليبيين فان الصليبيين من قبرص وعكا وطرابلس وأنطاكيه إجتمعوا بالاضافه إلى من إنضم اليهم من قوات أرمينيه لقصد بلاد المسلمين بسبب قتل الاسماعيلية (١) ريمـــوند بن بوهمند الرابع صاحب انطاكيه وطرابلس (٢) . فحاصروا حصن الخوابى (٣) عام ١٢١٤م (٦١١هـ) حصارا شديدا ، فخرج الظاهر للدفاع عـن الحصن وفك الحصار . وبدأ فى ارسال النجدات إلى الحصن كما أرسل الى الصليبيين يعلمهم انه لن يمكنهم من الاسماعيليه ، فرحلوا الى انطاكية بعدما أخذوا منهم حوالى ثلاثمائة أسير (٤) . وأخـيرا تم عقـــد الصلح بين الاسماعيليه والصليبيين بعد تدخل ووساطة الملك الظاهر . (٥)

---

(١) الاسماعلية ، تنسب هذه الطائفة الى اسماعيل بن جعفر الصادق (ت ١٤٥ هـ) الذى نجح اتباعه فى اقامة الدولة الفاطمية . وحدث أن انشق اسماعيلية الشام بعـد موت الخليفة المستنصر الفاطمى (٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) على الدعوة القديمة ونادوا بامامة ابنه نزار . وعرف فرع الشام باسم الاسماعيلية النزارية وباسم الحشيشية أيضـا . عن ذلك أنظر : ابن الشحنة : المصدر السابق ص ٢٦٤ ــ ٢٦٥ ، جوزيف نسيم يوسف: العدوان الصليبى على بلاد الشام ص ٢٢٥ وما بعدها ، كما سموا أيضا بالباطنية . ابن واصل : المصدر السابق جـ ٣ ص ٢١٩ ، محمد كرد على : خطط الشام جـ٦ ص٢٦٠ ، وللمزيد من التفاصيل راجع دائرة المعارف الاسلاميه مادة (تناسخ) .

(٢) OLiver of padenborn, op. cit p. 51

(٣) الخوابى ، أحد قلاع طائفة الاسماعيلية ويقع فى جهه الشمال من طرابلس . أنظر : القلقشندى : المصدر السابق جـ ٤ ص ١٤٦ ــ ١٤٧ ، جـوزيف نسيم يوسف : المرجع السابق ص ٢٣٣ حاشيه (٣) وعن قلاع الاسماعيليه فى بلاد الشام أنظر الخريطه رقم (٥) من نفس المرجع .

(٤) أبو شامه : المصدر السابق ص ٨٩ .

(٥) ابن واصل : المصدر السابق جـ ٣ ص ٢٢٢ . أنظر أيضا : المقريزى : المصدر السابق جـ ١ ق ١ ص ١٨٠ .

لعلنا نلمس مما سبق أن الفترة منذ وفاة صلاح الدين كانت فـــتره معقدة مضطربة فهى عباره عن مناورات وصراع بين خلفاء مؤسس الأسره الأيوبيه من أبنائه وأخوته . واستمر الصراع والخلاف بين العادل وأفراد أسرته عدة سنوات عمل فيها جاهدا على إعادة تشييد مملكة أخيه الأمر الذى شغلة بعض الوقت عن مواجهة الصليبيين . ولكن بعد أن إستقر له الأمر بدأت فتره من المناورات والمصادمات بين المسلمين والصليبين فى مصر والشام .امتدت بضــع سنوات ، ولم تكن بينهما هجمات حاسمه بالمعني المفهوم فى الوقت الذى كانت فيه سياسة العادل ترمى إلى الدفاع دون الهجوم تجنبا لأى حرب كبيره قد تكون عواقبها فى غير صــالح المسلمين ، وحتى تتهيأ له فتره مـــن الأمــن والهدوء والاستقرار تمكنه من تحصين دولته والعمل على حمايتها من مفاجآت الفرنج وشر هجومهم عليها . وقد صح ما توقعه العادل فقد كان الغرب اللاتينى والصليبيون في الشام يستعدون لحمله صليبية كانت مصر وجهتها هذه المرة .

وإذا كانت أحوال مصر والشام قبيل حمله جان دى برين تمكنها من مواجهه الصليبين بعد أن أستتب الأمر للعادل ، فماذا كانت أحوال الامارات الصليبيه بالشام ؟ هل كانت ظروفها الداخليه والخارجية تساعدها على القيــام أو المساهمة فى حرب صليبية جديدة تضاف الى زميلاتها من الحملات التى تعرضت لها بلاد الشام أو مصر منذ أخريات القرن الحادي عشر الميلادى (أواخر القرن الخامس الهجرى) بهدف الإستيلاء على مزيد من الممتلكات الاسلامية أو الاستحواذ على مدينة بيت المقدس بعد أن إستردها المسلمون ؟

كان يحكم مملكة بيت المقدس الاسميه فى أخريات القرن الثانى عشر الميلادى هنرى كونت شامبانى . وبعد أن لقي مصرعة تزوجت أرملته ايزابيلا من

عمورى الثانى ملك قبرص ، وبذلك تم توحيـــد عرشى قبرص ومملكة بيت المقدس (١) ولكن هذا التوحيـد لم يشمل سوى العرش والسياسه الخارجية فقـط . وفيما يتعلق بالناحيتين الادارية والاقتصادية فقـد أعلن عمورى فى بداية الأمر أن المملكتين ستكونان تحت إدارتين منفصلتين ، وأن أموال قبرص لاتنفق من أجل الدفاع عن مملكة بيت المقدس (٢) . ومن الملاحظ أنه فى نفس العام الذى تولى فيه عمورى عرش مملكة بيت المقدس تجددت الهدنة بين المسلمين والصليبيين (٣) . وإحترم عمورى الهدنة ، ولم يقم بأى عمل من شأنه استفزاز المسلمين حتى تصل الحملة المرتقبة التى دعا إليها البابا انوسنت الثالث سنة ١١٩٨م (٥٩٤ – ٥٩٥ هـ) وهو نفس العـام الذى أعتلى فيـه الكرسي البابوى . ولكل هذا لم يوافق عمورى الفرنسان الفلمنكيين الثلاثمائة الذين أتوا الى عكا فى عام ١٢٠٢م (٥٩٨ – ٥٩٩ هـ) والجمـوع الفرنسية القليلة التى لحقت بهم فى مطلع العام التالي ، لم يوافقهم على مهاجمة المسلمين لقـله عـددهم وحتى يدخر قواته لعمل عسكرى شامل كان يعد العدة له . (٤) فاتجه فريق منهم إلى انطاكيه حيث دخلوا فيخدمة أميرها بوهمند (٥)، وكانت أنطاكية آنذاك فى حالة حرب مع ليـو الثـانى ملك أرمينية بسبب مشكله الوراثة على عرش انطاكية .

---

(١) Vitry, op. cit., p. 116.

(٢) Runciman, op. cit., III, p. 95.

(٣) انظر ما سبق ص ٩٤ – ٩٥ .

(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور : المصدر السابق ج ٢ ص ٩٤١ .

(٥) Vitry, op. cit., pp. 118 - 9.

وبعد عقد الهدنه بين المسلمين والصليبيين مرة أخرى عام ٦٠٠ هـ (١٢٠٤م) ، لمدة ست سنوات لم يعش عمورى طويلا ، إذ مات فى أول أبريل عام ١٢٠٥م (٩ شعبان ٦٠١هـ) (١) ، كما ماتت أرملته ايزابيلا وإبنه الطفل عمورى الثالث في نفس العام أيضا ، وأصبحت ماريا Maria الابنـــه الكبرى لايزابيلا من كونراد أف مونتفرات Conrad of Montferrat (٢) وريثة للعرش، وتقرر تعيين يوحنا أف أبلين سيد بيروت وصيا عليها وعندما بلغت الملكة ماريا السابعة عشـر من عمرها فى عام ١٢٠٨م (٦٠٤ — ٦٠٥ هـ) أصبح الأمر يتطلب البحث لها عن زوج مناسب يتولى حكم مملكة بيت المقدس . فأرسل الوصى عليها إلى فيليب أغسطس Philippe Auguste ملك فرنسا (١١٨٠ — ١٢٢٣م) سفارة مكونة من إيمار أف لايرون Aymar of Layron سيد قيسارية وولتر الفلورنسى walter of Florence أسقف عـــكا لترشيح من يراه مناسبا زوجا لها ، ووقع إختيار الملك الفرنسى على جان دى برين (٣) .

وفي الواقع لم يحز إختيار جان دي برين القبول لدى البارونات الصليبيين، إذ كان مفلساً ، لذلك زوده البابا أنوسنت الثالث والملك فيليب بمبلغ كبير من

(١) Mas Latrie, op. cit., I, p. 166.

(٢) أختير كونراد فى أبريل ١١٩٢م لعرش مملكة بيت المقدس ولكنه مات فى الثامن والعشرين من نفس الشهر . وللمزيد من التفاصيل راجع : سيد عبد الفتاح عاشور . المرجع السابق جـ٢ ص ٨٨٥ وحاشية (٤) .

(٣) Eracles, op. cit., p. 306.

المال . ثم إنه كان فى الستين من عمره . ورغم هذا فقد كان ذكيا وصليبيا متحمسا للفكرة الصليبية مع أنه قضي حياته فى خمول نسبى كواحد من قواد فرنسا القدامى . ويقال أن المقصود بهذا الإختيار هو إبعاده عن فرنسا بسبب ما أشيع عن علاقة غرامية بينه و بين أخدى الكونتيسات . وعلى أية حال ، فقد وصل جان دى برين إلى عكا فى الثالث عشر من سبتمبر عام ١٢١٠م (٢٩ ربيع ثانى ٦٠٧ هـ) ومعه حوالى ثلاثمائة فارس صليبى (١) . وفى اليوم التالى زوجة البرت Albert بطريق بيت المقدس الأسمى ماريا وتوج الملكان فى كاتدرائية صور فى الثالث من أكتوبر من نفس العام (٢) ووعد جان دى برين بأن يعيد الأراضى المقدسة إلى حدودها السابقة (٣) . وكتب إلى البابا يطلب منه إعداد حملة صليبية تصل إلى الأراضي المقدسة عند إنتهاء وقت الهدنة التى كان قد عقدها مع الملك العادل (٤) .

ولم يكد جان دى برين يستقر فى مملكته حتى تزعزع مركزه بوفاة زوجته ماريا عام ١٢١٢ م (٨ ٦٠ - ٦٠٩ هـ) بعد أن أنجبت منه طفلة تدعى إيزابيلا Isabelle كما كان يطلق عليها اسم يولاند Yolande (٥) . وبذلك لم

---

(١) Grousset, op. cit., iii. pp. 192 - 3. Mas Latrie, op. cit, i p. 173. Cambridge Medieaval History, Vol, 5.p. 314

(٢) Annales de Terre Saint, cf, A.O.L., 11, p. 436.

(٣) King, op. cit.i p. 182.

(٤) Oilvar of padenborn, op. cit., P. 12.

(٥) هى الأميرة التى تزوجها الامبراطور فريدريك الثانى عام ١٢٢٥ م . عن ذلك أنظر : Eracles, op. cit., p. 320

تعد له صفة شرعية في الحكم ولكن الأمور إستقامت لجان دى برين مرة أخرى عندما تم الاتفاق على أن يظل وصياً على الطفلة . وحتى يدعم مركزه فى المملكة تزوج من إستيفانى Stephanie إبنة ليو الثانى ملك أرمينية ، واستطاع أن يحكم مملكة بيت المقدس دون معارضة من أحد (١) . ويلاحظ أنه لم يقم بعمل عسكرى ضد المسلمين طوال مدة الهدنة إنتظارا لقدوم الحملة التى طلبها من البابا أنوسنت الثالث ، وحتى يواجه مسلمى مصر والشام بقوة عسكرية كبيرة تحقق أطماعه .

أما بقية الامارات الصليبية فى الشام فلم تكن وقتها باحسن حالا ،اذكانت تعج بالانقسامات الداخلية والخلافات الحـــادة حول الوصاية والوراثة . فاذا نظرنا إلى إمارة طرابلس نجـد أنه كان يحكمها بوهمند الرابع فى الفترة من ١١٨٧ إلى ١٢٣٣ م ، كما حكم أنطاكية بالاضافة إلى طرابلس منذ عام ١٢٠١ م بعد وفاه والدة بوهمند الثالث (٢) متحديا بذلك حقوق إبن أخيه ريموند روبان Raymond Roupon فى وراثة إمارة انطاكية . وقد وقف إلى جانب ريموند خاله الملك ليو الثانى ملك أرمينية ، وبذلك انشقت الجبهه الشمالية الصليبية إلى قسمين ، وزاد من هذا الشقاق رفض ليو إعادة قلعة بغراس (٣) إلى فرسان

---

(١) Grousset, op. cit., III, p. 195

(٢) حكم بوهمند الثالث انطاكية في الفترة من ١١٦٣ الى ١٢٠١ م .

(٣) بغراس ، تقع فى لحف جبل الكام . بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ على يمين القاصد الى انطاكية من حلب . أنظر : ياقوت الحموى :المصدر السابق ج١ ص٦٩٣.
Marino Sanuto, Secrets for True Crusaders, p. 4.

الداوية التى أخذها من المسلمين بعد الحملة الصليبية الثالثة فى عام ١١٩١ م (٥٨٧ هـ) (١) . فانحازوا إلى جانب بوهمند في الوقت الذى إنضم فيه الاسبتارية إلى ليو الأرمينى . (٢) .

وأدرك الفرنج الدخلاء أنه من الضرورى تسويه هذه المشاكل الداخليه وتوحيد الجبهة الصليبية من أجل نجاح الحركه الصليبية نفسها . كما أحس البابا انوسنت الثالث أن من واجبه التدخل لفض هذا النزاع ، فأرسل مندوبا عنه للقيام بهذه المهمه يدعى سوفريد أف سانت براكسيدس Sofred of Saint Praxedis، ثم أوفد مندوبا ثانيا الى أرمينية وانطاكية هو بطرس أف سانت مارتل Peter of Saint Martel وسعى كل منهما على حده ، ثم كلاهما متجمعين للتوصل الى حل لمشكلة الوراثة فى انطاكية وكذلك مشكلة قلعة بغراس . وقد أظهر ليو التجاوب مع المندوبين ولكنه رفض إعادة القلعة الى الداويه ، كما أن بوهمند أنكر حق البابوية في التدخل فى مشكلة تعتبر إقطاعية بحته ، ولذا فشل المندوبان فى مهمتها . (٣) .

وبالاضافة إلي مشاكل بوهمند مع ليو وحلفائه فقد كان يعانى من الاضطرابات الداخلية . ذلك أن سلطانه لم يكن كاملا على كل من إماره أنطاكيه وطرابلس وخاصة فى الريف رغم تأييد حكومة انطاكيه له . ويتضح ذلك من حركه التمرد التى قام بها أحد أفصاله ويدعى رينوارت Ren art

---

(١) Groussat, op. cit., III, p. 194,

(٢) Runciman, op. cit., III, p. 136.

(٣) Cahen, C., La Syria du Nord, p. 615,

صاحب نفين أو أنفــه (١) ، عندما تزوج بدون إذن منه وريثـه حصن عـكار (٢) فى نهاية عام ١٢٠٤ م (٦٠١ هـ) . وقد تصاعد هذا التمرد عندما إنحاز إلى جانب رينوارت كثير من السادة الصليبيين من بينهم رالف Ralph الطبرى الذى كان أخوه أوتو Otto قد لحق ببـلاط ليو الأرمنى عـدو بوهمند (٣) . وزاد من تعقيد المشكلة أن هذا التمـرد قد لقى التأييد من الملك عمورى ملك قبرص والملك الاسمى لمملكة بيت المقدس آنذاك . وبذلك تحرج مركز بوهمند فى الداخل مع السادة الصليبيين وفى الخارج مع كل من البابا وليو وعمورى والاسبتاريه ، ولم يقف معه سوى الداويه .

وإستغل ليو هذه الحوادث وخاصر أنطـاكية فى الرابع من ديسمبر سنة ١٢٠٤ م (٢٧ ربيع أول ٦٠٠ هـ) فى الوقت الذى كان فيه بوهمنـد يسعى للقضاء على تمرد رينورات ومؤيديه . فاستنجد بوهمند بالملك الظاهر صاحب حلب . وخرج الظاهر من حلب متجها إلى حارم ، وسرعان ما إنسحب ليو

---

(١) أنفة ، Nephin وتسمى أيضا رأس الشقه وتقع على الساحل جنوب طرابلس ومعظمها داخل في البحر وكانت تخص أمير انطاكية . انظر :

Burchard, A Description of The Holy Land, p. 16.

(٢) حصن عكار ، يقع فى جنوب نهر البقاع فى منتصف الطريق بين طرابلس وحصن الأكـراد تقريبا . وهو حصن منيع على ارتفاع سبعمائه متر فوق سلسلة جبال لبنان وقد استـولى عليه الفرنج عام ١١٠٩م (٥٠٢ ـ ٥٠٣ هـ) واختص به الفرسان الاسبتاريه واستعاده المسلمون عام ٦٥٨ هـ (١٢٧١ م) عن ذلك ولمزيد من التفاصيل انظر :

Dussaud, R, , & Others, La Syrie Antique et Medival Illustrée, planche 146, 7.

(٣) Runciman, op. cit., III., p. 136.

عندما علم بقدوم الملك الظاهر وعاد مسرعا إلى بلاده ، كما عاد الظاهر أيضا إلى حلب . ولكن ليو أعاد الكرة مرة أخرى على أنطاكية عندما راسله أهلها ، وضمنوا له تمليكها « فهاجمها فجأة فى السابع عشر من ربيع الثانى من نفس العام [٢٤ ديسمبر] . وتحصن بوهمند فى قلعه المدينة ونادى بشعار الملك الظاهر ، فخرج بعساكره وقصد انطاكية » (١) ، فعاد ليو إلى بلاده دون أن يشتبك مع قوات بوهمند أو الظاهر لما وجده من تجمعات عسكرية كبيرة ضده (٢) ، وكان من الطبيعى أن يبادر الظاهر إلى تلبية نداء بوهمند عساه أن يحقق من وراء ذلك نظرا إسلاميا على حساب الفريقين الصليبيين المتخاصمين .

وارتاح بوهمند من مساندة عمورى للمتمردين عند مماته عام ١٢٠٥ م (٦٠١ هـ) وإمتناع يوحنا أف أبلين الوصى على عرش المملكة عن مساندة الثوار . وإنتهز بوهمند هذه الفرصة وأنزل الهزيمة بالمتمردين وفرض سيطرته الكاملة على أنطاكية وطرابلس ، ولم يبق أمامه سوى ليو وحلفاؤه من الاسبتارية . وفى هذا الوقت كان بوهمند يبحث عن مساندة خارجية ضد ليو . ولذلك سارع لاستقبال مارى Marie كونتيسة شامبانى وزوجه بلدوين Baldwin الامبراطور اللاتينى بالقسطنطينية (١٢٠٤ — ١٢٠٥ م) فى عكا — وهى فى طريقها إلى زوجها — وقدم لها يمين الولاء تأكيدا لما أعلنه من قبل بتبعيه أنطاكية إلى إمبراطور القسطنطينية (٣) . وقد زادت سياسة بوهمند

---

(١) ابن واصل ، المصدر السابق ج ٢ ص ١٥٤ — ١٥٥ ، ابن الفرات : المصدر السابق المجلد الخامس ج ١ ص ٢ — ٣ .

(٢) King, op, cit , p. 182.

(٣) Runciman, op cit., 111, p. 136

هذه من غضب البابوية التى كانت غير راضية عن حكام القسطنطينية اللاتين الذين إنحرفوا بالحملة الصليبية الرابعة .

وتشجع بوهمند بعد إعلان ولائه للامبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية وعزل بطرس Peter بطريق أنطاكية بسبب إنحيازه للملك ليو وعين بدلا منه البطريق اليونانى سيمون Simon . وساندت روما البطريق المعزول فأنزل قرار الحرمان الكنسي على بوهمند وحكومته . ولم يكتف بذلك بل لجأ إلى تدبير المؤمرات ضده وإستطاع بطرس فى نهاية عام ١٢٠٧ م (٦٠٤ هـ) أن يدخل إلى انطاكية بعض الفرسان الموالين له الذين حاولوا الاستيلاء على جنرب المدينة . ولكن بوهمند تمكن من رد المعتدين إلى خارج أنطاكية وقبض على بطرس والقي به في السجن دون طعام أو شراب وعندما استبد ببطرس اليأس شرب زيت مصباحه ومات بعد عذاب أليم . (١)

وتجددت الحرب بين ليو وبوهمند مره أخرى في عام ١٢٠٨ م (٦٠٤ - ٦٠٥هـ) إذ قام ليو بتخريب ضواحى أنطاكية كما قام الاسبتارية بالإغاره على طرابلس (٢) . ولم يلجأ بوهمند إلى الإستنجاد بالملك الظاهر كما سبق ، وربما يكون ذلك بسبب حرصة على عدم إغضاب العادل - الذى وقع الصلح فى أواخر عام ٦٠٣ هـ (يوليو ١٢٠٧م) - لاختلافه مع الظاهر في ذاك الوقت(٣) . لذلك لجأ بوهمند إلى السلاجقة لمساندته ضد ليو . وإنزعج البابا الرومانى من ذلك ، فاستنجد بالظاهر صاحب حلب لإنقاذ انطاكية من تدخل السلاجقة .

---

١ — Cahen, op cit. , pp. 612-3 ,

٢ — Runciman, op. cit. , III, p. 137 .

٣ — ابن الفرات : المصدر السابق المجلد الخامس جـ ١ ص ٥١ .

ومما تجدر الاشارة إليه أن أمر استنجاد البابا بالملك الظاهر لم يرد في المصادر العربية على الإطلاق. كما أن لجوء البابا للظاهر وهو الحاكم المسلم أثار دهشة الكتاب الغربيين (١) ويبدو أن البابا فضل أن يستنجد بالظاهر لحماية أنطاكية على دخول السلاجقة فيها حتى تبقى المملكة الصليبية على حالها أملا فى الوصول الى حل بين ليو و بوهمند تمهيداً لحملة صليبية أخرى وهو ما أكدته الأحداث فيما بعد .

وقد زادت الخلافات بين ليو وبوهمند من قلق البابا بوبه فعاود البابا التدخل لفض هذا النزاع وطلب من البرت بطريق بيت المقدس الإسمي فى مارس ١٢٠٩م (رمضان ٦٠٥هـ) التوسط لحل هذه المشكلة ، في نفس الوقت الذى سعي فيه بوهمند للتقرب من البابوية وقبل تعيين بطريق لاتينى على الإماره من قبل البابا . وقد أدى التقارب بين البابا و بوهمند إلى غضب ليو ، وتفاخر بأنه عقد تحالف مع إمبراطورية نيقية nicaea البيزنطية فى المنفى ، كما تقرب إلى هيو Hugh ملك قبرص (١٢٠٥ — ١٢١٨ م) ، وتم زواج ريموند المطالب بعرش أنطاكية من هلفيس Helvis أخت هيو . (٢) ولعل ليو قصد بذلك ضمان مساندة قبرص له ولابن أخته ريموند في المطالبة بعرش

---

١ — Cahen, op. cit. , p. 6I7 .

٢ — Rnncimac , op cit. , III , pp. 137 8 ,

أنطاكية ، كما منح ليو طائفة التيوتون (١) بعض القلاع فى قيليقية (٢) ، وتعقد الموقف أكثر من ذى قبل .

ولكن هذه الخلافات ما لبثت أن تبددت عندما قتل الاسماعلية ريموند أكبر أبناء بوهمند فى كاتدرائية أنطرطوس (٢) ، فتجمعت القوات الصليبية من قبرص وعكا وطرابلس وأنطاكية وأرمينيه لقصد بلاد المسلمين ، ولم يتراجعوا الا بعد خروج الظاهر لملاقاتهم . وزاد التقارب بين كل من مملكة بيت المقدس وأرمينيه وقبرص عندما تزوج جان دى برين من إستينانى إبنة ليو الذى ظل يتحين الفرص لتنصيب إبن اخته ريموند أميرا على أنطاكية وتمكن الملك ليو فى عام ١٢١٦ م (٦١٣ — ٦١٤ ﻫ) من إحتلال أنطاكية بالتآمر مع بطريق المدينة أثناء غياب بوهمند فى طرابلس ونصب ريموند فى الرابع عشر من فبراير ١٢١٦م وأعاد قلعة بغراس إلى الداوية وتصالح مع البابا (٣) « وأطلق جماعة من أسرى المسلمين » وتصالح مع الملك الظاهر (٤) فى الوقت الذى كانت فيه الاستعدادات قائمة على قدم وساق فى أوروبا لإرسال الحملة الصليبية الخامسة الى مصر .

---

١ — يرجع أساس طائفه التيوتون Teutonipc فى الأراضى المقدسة الى زمن الحلة الصليبية الثالثة ١١٩١ م (٥٨٧ ﻫ) وقد زاد نموها بقدوم حملة الألمان عام ١١٩٧م (٥٩٣ — ٥٩٤ ﻫ) ، لأن بعض الفرسان الألمان رفضوا العودة الى بلادهم . وفى سنة ١١٩٨م (٥٩٤ — ٥٩٥ ﻫ) اعترف بهم البابا أنوسنت الثالث كهيئة عسكرية وهى مثل جماعة الاسبتارية والداوية . انظر . Runciman. op. cit. , pp. 98-9 .

٢ — Cahen , op. cit. , p. 618 .

٣ — ابن واصل : المصدر السابق ج ٣ ص ٢١٩ . أنظر أيضا سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ج ٢ ص ٩٤٣ .

٤ — Cahen, op. cit. , p. 621.

اما فيما يتعلق بقبرص فقد تولى أمرها عمورى الأول فى الفترة : من سنة ١١٩٧ الى سنة ١٢٠٥م كما حكم أيضا مملكة بيت المقدس الإسمية من سنة ١١٩٨ إلى سنة ١٢٠٥م نتيجة زواجه من ايزابيلا . وعند موته إنفصلت المملكتان عن بعضها وحكم قبرص إبنه هيو وكان صبيا دون العاشرة من عمره . فتولى أمر الوصاية عليه ولتر أف مونتبليار (١) الذى تزوج من برجنديا Burgundia أخت هيو الكبرى . وفى عام ١٢١٠م تسلم هيو مقاليد الحكم وتزوج بعد ذلك من أليس Alice أميره بيت المقدس وهى إبنة زوجة أبيه . واشتهر هيو بحدة المزاج ، ولذا ظلت علاقاته عاصفة مع جيرانه وأتباعه وكنيسته والباباوية . الا أنه تمكن من تثبيت دعائم الحكم فى مملكته (٢) وقد شارك هيو فى الحمله المنغارية على الشام عام ١٢١٧ م(٦١٤ هـ) ، ومات فى فبراير ١٢١٨ م (ذى القعدة ٦١٤ هـ) قبل أن يعود الى بلاده (٣) ،ودفن فى قعلة طرابلس . (٤)

هكذا ظل الصراع حادا بين الحكام الصليبيين في المنـاطق والإمارات التى كانت لاتزال فى قبضتهم ، وكان ذلك بسبب المنافسة على السلطة والأرض . ولاشك أن هذا الصراع كان من العوامل التى أنهكت الوجود الصليبي فى الأراضى المقدسة وساعدت فيما بعد على تقاصه وزواله . ولايعنى هذا أن الحروب بين المسلمين والصليبيين قد توقفت خلال تلك الفترة من الزمن التى سبقت وصول

---

١ — Eracles, op. cit. , p 305 .

٢ — Runciman, op. cit, III, pp. 134-5 .

٣ — Annales de Terre Saint, p. 437 .

٤ — Histoire des Archeveques Latins de L; ils de Chypre C. A. O L. p. , II, 126.

طلائع الحملة الصليبية الخامسة إلى الشام ، إذ كانت المصادمات بين الفريقين تكاد لا تنقطع منذ مطلع القرن السادس الهجرى (بدايات القرن الثالث عشر الميلادى) كما كانت أيضا من قبل . فالصليبيون فى نظر المسلمين أعداء إحتلوا أرضهم واستولوا على ديارهم . ومن الطبيعى ألا يهنأ للمسلمين بالا إلا إذا إستردوا أرضهم المغتصبة وأجلوا الغزاة عنها . وما كانت الهدن التى تعقد بين الطرفين إلا وقتا لإلتقاط الأنفاس حتى يستعد المسلمون لطرد العدو الغاصب من بلادهم .

هكذا فتتت الصراعات الشرق اللاتينى وإن كان قد ساده هدوء نسبى قبيل قيام الحملة ، بينما كان الجانب الإسلامى فى حالة تمكنه من مهاجمة الغزاة ودفعهم . وإذا إنتقلنا إلى الجانب الأوربى وهو الجانب الذي قام بإمداد الحملات الصليبية بالرجال والمال والسلاح ، فاننا نجد أن البابوية لعبت دورا رئيسيا فى الحوادث التى سادت أوربا في الفترة السابقة لقيام الحملة الخامسة . فقد إعتلى كرسى البابوية البابا أنوسنت الثالث Innocent III (١١٩٨ – ١٢١٦م) ، وكان على درجة واسعة من العلم والمعرفة ، إذ درس اللاهوت في باريس كما درس القانون في بولونيا (١) . ولم يكن لملوك أوربا وأباطرتها المعاصرين له قوته وبصيرته ، فقد برهن على أنه سياسى ماهر سريع البديهة متطور لمقتضيات الظروف والاحوال (٢) . وكانت آمال إنوسنت الثالث تنحصر فى العمل على تسوية كافة مشاكل الممالك ليسودها السلام كي يتمكن من تسخير كافة القوى الأوربيــة في غزو مدينة بيت المقدس التى إستردها صلاح الدين فى السابع والعشرين من رجب سنة ٥٨٣ هـ (٢ أكتوبر ١١٧٨م) خاصة بعد أن نجح أخوه

---

(١) Miller , W . , Mediaeval Rome, P . 55 .

(٢) hensen, C. , Mediaeval History, p. 338.

العادل من جمع شمل البيت الأيوبى وأن يتبوأ مكان الصداره على عرش مصر (١) التى كانت مصدر قوه المسلمين ومعقلهم المنيع ومركز تموينهم بالمال والمؤن والسلاح (٢) . وغير خاف أن البابا إنوسنت الثالث كان يرمى من وراء ذلك إلى رفع شأن البابوية وأن يكون له السلطة العليا على السلطة الدنيويه . وكان فى الدعوه إلى الحملة الجديدة فرصة طيبة لتحقيق تلك الآمال ، فضلا عن الهدف البعيـــد المدى الذى ينحصر فى فرض سيطرة الغرب الأوروبى على العالم الإسلامى .

لذلك بدأ البابا إنوسنت عهده بالكتابه الى البنادقة يطلب منهم الا يبيعوا أو يتبادلوا مع المسلمين المواد الاستراتيجية كالسفن والسلاح والحديد وغير ذلك من المواد ذات التأثير الفعال فى الحرب وإلا تعرضوا لغضب الكنيسه وتوقيع أشد العقاب عليهم (٣) : كذلك سارع بالـكتابة فى عام ١١٩٩م الى بطريق بيت المقدس الإسمى أيمـار موناكو Aymar Monaco. يطلب منـــه تقريرا مفصلا عن الحاله فى بلاد الشام مع تدعيم هذا التقرير بكافة البيانات التى تتعلق بالحكام المسلمين وطبيعة العلاقات بين بعضهم البعض ، كما طلب نفس الشيء فى عام ١٢١٣م من الداوية والاسبتارية (٤) ، ويبدو أن هذه التقارير

---

(١) Grousset, op. cit., III, pp. 164-6

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا العصور الوسطى جـ ١ ص ٤٦٨ ...

(٣) Innocent III, Letter to The People of Vencie, cf. Thatcher op. cit., pp. 535 - 7.

(٤) Luchaire. La Question d' Orient, p. 15.

كانت ترسل اليه من آن لآخر . فقد أرسل اليه بطريق بيت المقدس ..
أيضا تقريرا فى عام ١٢١٤م ، وقد إشتمل هذا التقرير على معلومات على جانب كبير من الأهمية تضمنت بعض النواحى السياسية والإجتماعية والعسكرية الخاصة بالمسلمين . فمن الناحية السياسية تضمن الحديث عن البلاد التي يحكمها كل من العادل وأولاده الكامل والمعظم، وإشتمل الجانب الإقتصادى الحديث عن النيل وموعد فيضانه وبعض المنتجات الزراعية فى مصر ، وعن الناحيه الإجتماعية تناول الحديث أحوال المسيحيين واليهود وعلاقتهم الطيبه بالمسلمين . والجانب الخطير فى هذا التقرير هو الجانب العسكرى ، فتحدث عن بعض البلدان المصرية والمسافة بين بعضها البعض. وكان ما تناوله بالتفصيل من المدن هى مدينة دمياط وعدد أبراجها وأسوارها وبرج السلسله وكيفية دخول السفن من دمياط التى كانت مفتاح مصر آنذاك (١) . والواضح من هذا أن البابا انوسنت الثالث كان يضع مسألة الشرق للاتينى وغزو بيت المقدس نصيب عينيه لتحقيق الآمال الكبار التى رسمها لنفسه وللكنيسه .

وإذا كان البابا قد إستهل عهده بالعمل على دعم الحركة الصليبية التى بدأ يشوبها الفتور، فان الحوادث التى جرت فى أوربا أثناء توليه كرسى البابوية ، مكنته من أن يبسط نفوذه على معظم ربوع أوربا تقريبا . وإستطاع أن يعلى شأن البابوية لما قام به من جهد طوال فترة بابويته حتى أصبح السيد الأوحد الذى لا منازع له مما هيأ الجو للدعوه إلى الحمله الصليبيه الخامسه بعد أن إنحرفت الحملة الصليبية الرابعه عن وجهتها وفشلت فى تحقيق أغراضها(٢) .

---

(١) Patriarche de Jerusalem, Rapoit au Pape Innocent III, G.F.Y, kamal, Mon. Cart. t. III, face. IV. p 932.

(٢) Mahmud, F., A Short History of Islam, p. 225.

هذا عن البابويه ومشروع الحملة الصليبية أيام انوسنت الثالث ، أما أوربا فقد كانت فى ذلك الحين نهبا للانقسامات والاضطرابات والمشاكل التى صرفتها عن الإشتراك بصورة فعاله في الحملة التى كانت البابوية تستعد للدعوة لها . ففي المانيا تمكن هنرى السادس إمبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة (١١٩٠ – ١١٩٧م) من الحصول على موافقة الأمراء الألمان بأن يخلفة على العرش إبنه فريدريك الثانى . ومات هنرى وهو يستعد للحاق بالحملة الصليبية التى وصلت طلائعها إلى الشام فى أغسطس ١١٩٧م (شوال ٥٩٤هـ) ورفض الأمراء الألمان إعتبار فريدريك الذى كان لايزال في الثالثة من عمره مرشحا للعرش . ولم تبذل أيه محاولات لحصول فريدريك الصغير على تاج المانيا وصقلية ، وأثرت والدته كونستانس Conatance – الوصية عليه – أن تحتفظ بعرش نابلي وصقليه وأن تدفع جزية سنوية للبابا وأن تبتعد عن ألمانيا ومشاكلها وأعلنت تبعيتها للبابا . (١)

ومن الطبيعى أن يرتاح البابا لهذا الوضع الذى ضمن به ولاء صقلية للنفوذ البابوى فى وقت كان فيه إنوسنت الثالث يسعى سعيا حثيثا لفرض نفوذه الدينى والدنيوى على الغرب المسيحى كله. وظل فريدريك تحت وصاية والدته، ولكن الوصاية إنتقلت إلى البابا نفسه بعد وفاتها عام ١١٩٨ م . وكان ذلك بناء على رغبتها . (٢) وقد أعطى ابتعاد كونستاس عن المانيا الفرصة إلى فيليب Philip دوق سوابيا – عم فريدريك الثانى – الذى تسانده فرنسا ، فتوجه

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ج١ ص٢٩٩ .

(١) Tout; The Empire and The Papacy, p. 317.

مسرعا إلى المانيا عساه أن يتمكن من الحصول على عرش الامبراطورية لنفسه وأيده في ذلك حزب الجلبين (١) الإمبراطورى وإنتخبوه إمبراطورا للامبراطورية الرومانية في نفس العام . ولكن حزب الحلف البابوى المعزز بالنفوذ الإنجليزى إنتخب أوتو أف برونزويك Otto of Brunsuwick وهو الإبن الثانى لهنرى الثانى Hennry II ملك إنجلترا ١١٥٤ - ١١٨٩ م . وفى الوقت نفسه كونت مدن شمال إيطاليا إدارة لنفسها ، وعلى ذلك سادت الحرب الأهلية كلا من لمبارديا وتسكانيا وألمانيا . (٢)

وتدخل البابا إنوسنت الثالث مؤيدا أوتو نظرا لوعده بالخضوع للبابوية، ولكن فيليب دوق سوابيا لم يذعن للأمر وظل يتحين الفرصة للقضاء على أوتو . وتمكن في عام ١٢٠٧ م من هزيمته فاضطر إلى الفرار وإتخذ من حليفته إنجلترا مأوى له . ولم تستقر الأمور على هذا الحال فقد قتل فيليب فى العام التالى ، وأنعش ذلك الأمل فى نفس أوتو للعودة للمطالبة بالعرش وأيده أمراء الهوهنشتاوفن الألمان فى طلبه بشرط زواجه من إبنة غريمه فيلب.

---

(١) الجبليون ، هم دوقات أسرة هوهنشتاوفن نسبة الى قلعة في اقليم سوابيا تعرف بهذا الاسم ، والجلفيون هم آمراء سكسونيا . عن ذلك أنظر : سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق جـ ١ ص ٣٧٦ . وكان لهذين الحزبين أثر كبير في سير الحوادث وألمانيا فى هذه الفترة بالذات حتى أن الامبراطور فريدريك الثانى أنشأ فى عام ١٢٢٤ م جامعة نابلى في صقلية لتكون تابعة لحزب الجبليين بدلا من ذهاب طلاب صقلية الى التعليم فى مراكز حزب الحلف البابوي ، وبذلك يضمن ولاءهم للامبراطورية . راجع : جوزيف نسيم يوسف : نشأة الجامعات فى العصور الوسطى ص ٢٥٤ .

(٢) La-Monte, The World of Middle Ages, p. 417 .

ووافق أوتو على ذلك وذهب إلى روما وأعلن ولاءه للبابا وتوج في أكتوبر ١٢٠٩ م (١)، إرتاح البابا لهذه النتيجة لأن كل ماكان يعنية هو خضوع السلطة الزمنية للسلطة البابوية في وقت إشتد فيه الصراع بين البابوية والامبراطورية حول المسائل الدنيوية .

ولكن العلاقات تأزمت بين البابا وأوتو عندما قام الأخير بغزو جنوب صقليه في عامي ١٢١٠ ، ١٢١١ م (٢) ، وهو مالم تكن ترضى عنه البابوية لما يترتب عليه من توحيد المانيا وصقلية ، فأصدر البابا قرار الحرمان ضد أوتو . ويبدو أن الأمراء الألمان قد ضايقهم حكم أوتو ، فاستغلوا قرار الحرمان وإعتبروه قرارا بعزلة وإختاروا فريدريك الثاني ملك صقلية ملكا عليهم (٣) ، وكان لايزال تحت وصاية البابوية . فعاد أوتو مسرعا من إيطاليا إلى المانيا وسانده حنا ملك أنجلترا (١١٩٩ – ١٢١٦ م) وأمير فلاندرز، وفي الوقت نفسه ساند فريدريك الثاني فيليب أوغسطس ملك فرنسا بحكم عدائه القديم لملك إنجلترا وحتى لايكون على الأراضي الأوربيه قوة يخشى بأسها على فرنسا فيما بعد ، كما أيدته البابوية ، وبدت أوربا وقد إنقسمت الى معسكرين . ويلاحظ أن النبلاء الانجليز لم يساندوا مليكهم حنا ، فاعتمد على بعض الجنود المرتزقة في ذلك الصراع (٤) . وإنتهى الأمر بوقوع الحرب بين القوتين المتحالفتين ، وهزم أوتو وحلفاؤه في موقعه بوفاين Bovines

---

Stubbs, W., Germany in The Early Middle Ages, p. 219 (١)

La-Monte, op. cit., p. 418 (٢)

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٤٠٠ – ٤٠١ .

Matthew of Westminster, The Flowers of History, II, p. 11 (٤)

في سهول بلاد الفلاندرز فى السابع والعشرين من يوليو عام ١٢١٤م. وتعتبر هذه الموقعه نقطه تحـول كـبير فى تاريـخ أوربا الوسيط ، أبرزت كلا من فرنسا وألمانيا المؤيدين من البابوية كأعظم قـوة فى أوربا وقتـذاك (١) .

وليس معنى ذلك أن فيليب أوغسطس ملك فرنسا كان على وفاق دائم مع البـابويه فقـد تعرض لقرار الحرمان عام ١٢٠٠ م بسبب تنكـره لزوجته الأولى إنجبرج Ingeberg وزواجه مرة أخرى من إبنه دوق شرق بافاريا المسماه أجنس أف ميران Agnes of Meran (٢) وقاوم فيليب في أول الأمر ولكنه إستسلم فى العام التالى وأعاد زوجته الأولى (٣). وكان ذلك إنتصارا لكلمة البابوية تمشيا مع سياسة البابا أنوسنت الثالث التى كان يرمى اليها (٤) . وبعد أن ضمن البابا ولاء الملك فيليب له استغله فى التهـديد لغزو إنجلترا عندما تأزمت مشكلة تعيين رئيس أساقفه كانتربرى فى عام ١٢٠٥ م ، كما إستغـله أيضا فى ضرب أوتو أف برونزويك عندما تمرد على البابوية وقام بغزو صقلية ولجأ اليه أيضا في القضاء على الهراطقة في جنوب فرنسا .

وكان ظهور حركات الهرطقة من الأمور التى شغلت بال البابويـة خاصة بعد أن إستفحل أمرها . وحاول أنوسنت فى أول الأمر إقناع الهراطقة بالعودة إلى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية فى روما وإتباع تعاليمهـا ولكن مبعوثية فشلوا فى هذه المهمه . وتعاطف ريموند Raymond كونت تولوز مع

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن موقعة بوفاين أنظر :
Matthew of Westminster, op. cit., II, p. 120; Roger of Wendover, op.cit. , II ,pp. 298- 302

(٢) Ency. Inter., Vol. 9, p 302.

(٣) La - Monte, op, cit., p. 419.

(٤) Matthew of Westminster, op, cit., II. p. 131.

المراطقة وتقبل آراءهم ورفض إمداد البابوية بالقوة الكافية للقضاء عليهم . وأخيرا إتجه البابا إلى فيليب ملك فرنسا في عام ١٢٠٤ م ، الا أن فيليب كان مشغولا بصراعه ضد حنا ملك انجلترا . وكرر البابا نــــداءه للملك فرنسا عام ١٢٠٥م وأيضا في عام ١٢٠٧م(١) دون جدوى .

وتطورت الحوادث وأصدر البابا قرار الحرمان ضد ريمونـد التولوزى لرفضه إعادة الكنائس التى إستولى عليها ، فضلا عن قيام أحد فرسانه بأغتيال مندوب البابا . ولم يطق البابا صبرا على هذا التمرد الذى من شأنه القضاء على النفوذ البابوى فى الممالك الأوربية ، فدعا الى حملة صليبية ضد هؤلاء المراطقة وهى المعروفة بالحمله الالبيجنسية (٢) ، وكان على رأس الداعين لها جاك دى فترى الذى عين فيما بعد أسقفا لعكاوجاء مع الحملة الصليبية الخامسة إلى دمياط عام ١٢١٨ م (٦١٥ هـ) وأرخ لها أيضا (٣) . ولبى بعض الأمراء دعوة البابا وعلى رأسهم سيمون أف مونتفرات Simon of Mo..tfort وتوليا قيادة الحملة (٤) ، وإستطاع هزيمة ريموند فى عام ١٢١٣ م ، لذلك كافأه البابا بأن ولاه بعض الإمارات الاقطاعيه المجاوره له وهذا يدل على مدى النفوذ البابوى وسيطرته

١ــ سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٢٦٥ .

٢ ــ هى نوع من الحروب التى لا صلة لها بالحركة الصليبية بمفهومها الدقيق لعدم توفر الصفات الهامة التى تعتبر من مستلزماتها ومع ذلك اطلق عليها تجاوزا اسم الحرب الصليبية . أنظر : جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين ص ٥٠ وحاشيــة (٢) وعن هذه الحملة انظر : Roger of Wendover, op. cit. II, pp. 278 ff.

(٣) Vitry, op. cit., Preface. IV. cf. also : Setton, K M., The History of The Crusades, II, p. 281 .

(٤) Tout, op. cit., p. 400

على السلطة الزمنيه . ولم يستطع فيليب أن يقف مكتوف الأيدي ويصم آذانه عما يحدث حتى لا تضيع هيبته أمام البابوية وأوربا فأرسل ابنه لويس Louis للمشاركه فى هذه الحمله عام ١٢١٣م ، وقد إعترف سيمون بالتبعية لفيليب ، الا أن سلوك سيمون بعد ذلك تجاهه جعل فيليب يساند ريموند كونت تولوز في استرداد أملاكه ، ثم قتل سيمون فى عام ١٢١٨م (١) وهى السنة التى وطأت فيها أقدام الصليبيين مدينة دمياط ، ومشكلة الهراطقة قائمة في جنوب فرنسا .

أما فيما يتعلق بالوضع فى انجلترا فقد تولى الملك حنا (١١٩٩ – ١٢١٦ م) حكم البلاد (٢) ، وهو ألذى إختاره المجلس الكبير دون معارضه داخل انجلترا نفسها ، رغم أن المقاطعات الانجليزيه فى فرنسا كانت تؤيد آرثر Arther دوق بريتانى ضد عمه الملك حنا ليكون ملكا على إنجلترا . وكان فى ذلك فرصة إستغلها فيليب ملك فرنسا للاستيلاء على أملاك انجلترا في شمال فرنسا،لذلك قام بتشجيع آرثر على مهاجمة مقاطعة أكويتين الانجليزيه الواقعة الى الجنوب من مقاطعة بزتانى. وفي الوقت نفسه قام فيليب بنفسة بغزو مقاطعه نورمانديا . وقد أيد البابا الملك الفرنسى فى موقفه حتى يكسبة — وهو الاقوى — إلى جانبه . ونجح حنا في السيطرة على أكويتين وقبض على أرثر فى عام ١٢٠٢ م الذى لم يلبث أن أغتيل بعد ذلك . أما نورمانديا فقد سقطت قلاعها الواحده تلو الأخرى في يد فيليب ،

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ج١ ص ٢٢٦ .

(٢) جيمس دورثي : العهد الأعظم الأعظم ترجمة مصطفى حبيب طه ص٦ وما بعدها .

وحتى عام ١٠٢٤ م كانت إنجلترا قد فقدت كل أملاكها في شمال فرنسا وآلت هذه المناطق الى فرنسا نفسها (١) .

والحدث الثاني الذي وقع في إنجلترا في هذه الفترة وكان فرصة مواتية للبابوية لترمي فيه بكل ثقلها ، هو موضوع تعيين رئيس أساقفة كانتربري . ففي التاسع والعشرين من شهر يونيه عام ١٢٠٥ م مات هوبرت والتر Hubert Walter رئيس أساقفة كانتربري ، وانتهز رجال الدين في إنجلترا هذه الفرصة واختاروا سرا مرشحا لهذا المنصب وهو ريجنالد Reginald وأرسلوه الى البابا في روما ، وعندما علم الملك حنا بذلك رشح من جانبه حنا أف جراي John of Grey أسقف نوروتش Norwich ولكن البابا أعرض عن المرشحين وتم انتخاب ستيفن لانجتون Stephen Langton لشغل هذا المنصب (٢) . وغضب الملك حنا لرفض مرشحه وأدى ذلك إلى سؤ التفاهم بين البابا والملك الإنجليزي وإنتهى الأمر بأن أصدر البابا ضده قرار الحرمان في عام ١٢٠٨ م (٣) . ولما كانت الغالبية من رجال الدين تدين بالولاء للبابوية فقد قام الملك باضطهادهم ومصادرة أملاكهم كما قام أيضا بنهب الكنائس

(١) Roger of Wendover, o. cit ' II' pp 205, 213, cf, also, Muir, R., Britsh History, p. 59

(٢) Matthew of Wes minster, op. cit., II, pp. 102-3, 106 .

(٣) Roger of Wendover, op.cit , II, pp. 250-1, Matthew of Westminster, Ibid.

الإنجليزية (١) ، الأمر الذى أثار البابا ضد الملك ، وحرض فيليب أوغسطس العدو القديم للملك حنا على غزو إنجلترا نفسهـا .

ورحب فيليب بهذه الفكرة لاسيما أن ابنه لويس كان يطالب بعرش إنجلترا عن طريق زوجته بلانش Blanche صاحبة قشتالة إبنة هنرى أخى الملك حنا . وبدأ لويس يستعد لهذا الغزو ، ولكننا نجـد الملك الإنجليزى يستلم فى إذلال للبابوية فى عام ١٢١٤ م ويقبل تعيين ستيفن لانجتون ـ مرشح البابا ـ رئيسا لأساقفة كانتربرى(٢) . كما قام الملك باعادة جميـــع رجال الدين إلى مناصبهم وقبـل الخضوع للنفوذ البابوى مع دفع جزيه سنوية ضخمة للبابا عن كل من إنجلترا وايرلندا .(٣) ويتضح أن هذا التصرف من قبل الملك حنا قد زاد من هيبة البابوية وأضاع على فرنسا فرصة القيـام بعمل عسكرى ضد إنجلترا لتحقيق أطماعها فيها .

وكان لهذه النكبات أثر بالغ الأهمية على سلطة الملك فى إنجلترا . فقد بدأ سخط النبلاء على الملك يزداد يوما بعد يوم خاصة عنـدما بدأ الملك فى المطالبة بفرض ضرائب جديدة تساعده على إستئناف القتال مع حليفه أوتو أف برونزويك ضد فرنسا وألمانيا . ولكن النبلاء تكتلوا ضد الملك وأجبروه فى النهـاية على توقيع الوثيقة المعروفه باسم العهد الأعظم Magna Carta فى عام ١٢١٥ م التى سلبت الملك الكثير من الامتيازات التى كان يتمتع بها ، ويبدو أن الصراع

---

(١) La-Monte, op. cit.. p. 421.

(٢) Roger of Wendover, op cit, II, pp. 265 ff,

(٣) Matthew of Westminster, op cit., II, pp. 118-9.

بين الملك حنا والنبلاء لم ينته عند هذا الحد لعدم إحترام العهد الأعظم من كلا الجانبين (١) . وتطور الأمر وإتخذ شكلا مسلحا وإحتل النبلاء لنـــدن دون مقاومة في السابع عشر من مايو ١٢١٥ م وإنتخبوا لويس بن فيليب أوغسطس ملكا على إنجلترا وأرسلوا اليه يطلبون منه الحضور (٢) . ولكن البابا الذى كان يحرض فيليب بالأمس على غزو إنجلترا لم يرض عن التدخل من جانب فرنسا بعد أن أعلن الملك حنا ولاءه للبابوية وهو كل ما كان يأمله البابا . لذلك أخذ يتعاطف مع الملك الإنجليزى ويسانده وكتب إلى النبلاء فى إنجلترا يعنفهم على مقاومتهم للملك ويأمرهم بالإنصياع لأوامره وتأدية الخدمات له طبقا لما كان متبعا من قبل (٣) . ولم يكتف بذلك بل أرسل أيضا الكاردينال جوالو Gualo مندوبا عنه لحماية الملك حنا . وقد بام هذا المندوب وهو فى طريقه إلى إنجلترا ، بزيارة فرنسا وطلب من الملك فيليب عـــدم إرسال إبنـــه لغزو إنجلـترا ولكن فيليب لم ينصت لقول المندوب وأرسل إبنه لويس لغزو إنجلترا متحديا بذلك رغبات البابا . ونزل لويس فى خليج ساندويتش Sandwich وإستولى على المنطقة بما فيها مدينة دوفر (٤) وتقدم تجاه لندن (٥) . وكان لهـذا الغزو العسكرى ضد إنجلترا أسوأ الأثر فى نفس البابا مما دفعه إلى إصـدار قرار الحرمان ضد لويس . (٦)

(١) Roger of Wendover, op.cit, II, pp. 308 ff, Matthew of Westminster, op.cit., II. pp. 121-2.

(٢) Roger of Wendover, op cit., pp. 337-8.

(٣) Innocent III, Letter to The English Barons, cf., Thatcher, op . cit . , p p . 219 - 220

(٤) Roger of wendover , op . cit . , p p . 374 - 5 .

(٥) Mathew of westmenister , op cit . , p p . 126 - 8.

(٦) La - Monte , op . cit . , p . 419 .

وعندما تقدم لويس إلى لندن كان الملك حنا يهاجم أمراء الشمال المتمردين، وفى هذا الوقت العصيب من تاريخ إنجلترا مات الملك حنا فى قلعه نيوارك Newerk عام ١٢١٦ م . وبعد موته تقابل المندوب البابوي مع كثير من النبلاء الانجليز وتم الاتفاق على إعلان هنرى الثامن أكبر أبناء حنا ملكا على البلاد . وبادر لويس بالعودة إلى فرنسا للحصول على المزيد من المعونة من والده بعدما تخلى عنه النبلاء الانجليز . ولم يلبث أن عاد مرة أخرى الى انجلترا ، ولكنه هزم فى موقعه بحريه بالقرب من دوفر وأرغم على عقد معاهدة سلام مع انجلترا . (١)

وعن الموقف فى أسبانيا قبيل الحملة فان البابا إنوسنت الثالث لم تسنح له فرصه إلا وإنتهزها لدعوة الممالك المسيحية فى أسبانيا لطرح عداواتها جانبا وأن تجمع نفسها لتتمكن من إخراج المسلمين من شبه الجزيرة الأيبيرية. ولم يكتف بذلك بل دعا الى حملة صليبية فى عام ١٢١١ م لطرد المسلمين من أسبانيا . (٢) ونجحت جهود البابا إذ إتحدت أراجون ونافار قشتاله وتمكنت من هزيمة المسلمين فى موقعه العقاب فى السادس عشر من يوليو عام ١٢١٢ م (١٤ محرم ٦٠٩ هـ) وهو الإنتصار الذى رجح الكفة المسيحية على المسلمين، وأعقبه عديد من الانتصارات التى إنتهت بخروج المسلمين نهائيا من اسبانيا (٣). ولكن

---

١ _ Matthew of Westmenister, op. cit., II. pp. - 129 132

٢ _ Runciman, op. cit., I II, p. 139

٣ _ سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق جـ ١ ص ٥٦٨ ، فيشر : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى جـ ١ القسم الثانى ترجمة زيادة ، العرينى ص ٢٩٤ ، أنظر أيضا : يوسف أشباخ : تاريخ الاندلس جـ ٢ ص ١٣٦ وما بعدها .

هذه الحروب شغلت الممالك المسيحية فى الشمال الاسبانى عن المساهمة الفعالة في الحملة الصليبية التى كان البابا يستعد لإرسالها لاستعادة مملكة بيت المقدس.

وهكذا كان الغرب الأوربى فى أواخر القرن الثانى عشر وبدايات القرن الثالث عشر للميلاد مسرحا للقلاقل والاضطرابات والمشاكل الداخليه والحروب المستمرة التى حالت بينه وبين القيام بحملة صليبية فعالة ضد المسلمين . وكان على رأس البابوية فى ذلك الحين شخص من أقوى شخصيات العصور الوسطى هو البابا انوسنت الثالث الذي كان يعتبر نفسه خليفة الله على الارض وأن الحكام والملوك إتباعه وعماله، وليس أدل على ذلك من مواقفه من ملوك الغرب وحكامه . وقد بلغت البابوية أوج عظمتها وقوتها في عهده بعد أن أصبحت أوربا تحت رحمته وبعد أن دانت له كافه دول الغرب بالولاء. وأتاحت له هذه الظروف الفرصة للتفكير فى الدعوة إلى حملة صليبية جديدة ضد العالم الإسلامى تحقق إغراض البابوية ومطامعها وتعيد مدينة بيت المقدس إلى حظيرة اللاتين التى فشلت الحملة الصليبية الثالثة في إستعادتها .

وإذا عرجنا على شرق أوروبا نجد أنه عندما اعتلى البابا انوسنت الثالث كرسى البابوية كان يجلس على عرش الامبراطورية البيزنطية الكسيوس الثالث Alexis 111 (١١٩٥ — ١٢٠٣ م) وكان هذا الامبراطور قد استولى على العرش إثر ثورة قام بها ضد أخيه وسمل عينيه وزج به وبابنه في السجن . وقام الامبراطور الجديد باغداق الأموال على من عاونوه فى الاستيلاء على العرش فارهق خزينة الدولة (١) ، في الوقت الذى كانت فيه هيبة الامبراطورية

١ — روبيرت كلاري : فتح القسطنطينيه ترجمة حسن حبشي ص ١٢

قد ضاعت من قبل في الخارج بسبب ثورة بلغاريا (١) ، بالاضافة إلى ضياع قبرص واستيلاء ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا (١١٨٩ - ١١٩٩ م) عليها في مايو ١١٩١ م وهو طريقه إلى عكا مع الحملة الثالثة . (٢) ويعتبر ضياع قبرص أول إشارة إلى ضياع هيبة الاباطرة البيزنطيين في القسطنطينية . (٣)

وعلى أية حال ، لم يقم الامبراطور البيزنطي الجديد بأي عمل ناجح من شأنه إعادة أملاك دولته الضائعة في قبرص و إعلاء شأن الامبراطورية البيزنطية مرة أخرى ، فقد واصل الحرب البلغارية بنفس الفشل الذي صاحب سلفه ، كما تنازع مع الامبراطور الألماني هنري السادس بسبب إعادة هنري لعرش بيزنطة عن طريق والد زوجته روبرت الصقلي Robert of Sicily (٤) . واستعد هنري فعلا لغزو بيزنطة إلا أن المرض داهمه وأصيب بالحمى التي قضت عليه عام ١١٩٨ م . (٥)

وإن كانت الامبراطورية البيزنطية قد أمنت شر هنري بمماته ، فإنها تعرضت بعد قليل إلى ما هو أشد فتكا عندما اجتاحتها جحافل جنود الحملة الصليبية الرابعة واستولت على معظم أرضيها في الفترة من سنة ١٢٠٤ إلى سنة

١ — أومان : الامبراطورية البيزنطية تعريب مصطفى طه بدر ص ٢١٦ .

٢ — Richard of Devizes & Geoffrey de Vinsauf, Crusade of Richard Coeur de Lion, cf. Crusades. Bohn's ed. pp. 165 196

هذا وقد خلع ريتشارد جزيرة قبرص الى جاي لوزجنان في عام ١١٩٢ م عوضا عن مملكة بيت المقدس الأسمية وقام بها حكم أسرة لوزجنان . وللمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع أنظر : سعيد عبدالفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٦٧ - ٨٦٨

٣ — Conder, The Latin Kingdoom of Jerusalem, p. 298

٤ — Mahmud, op. cit., II, p. 234.

٥ — أومان : المرجع السابق ص ٢١٦ .

١٢٦١م . وقد بدأت فكره هـذه الحمـله في عام ١١٩٩م ، عندما ظهرت فى أوربا مجموعة من المتحمسين للحركة الصليبيه على رأسهم فولك Fulk أسقف نيللى Neuilly يدعو لحملة صليبيه ضد المسلمين . وقام بنفس الدور الذي قام به بطرس الناسك من قبل (١) ومن الطبيعى أن يوافق البابا أنوسنت الثالث على مثل هذه الحمله طالما ترمى إلى تحقيق الامال التى تصبو اليهـا نفسه . (٢) وقد إنضم اليها عدد كبير من الأمراء الفرنسيين على رأسهم ثيبوت الرابع Thibaut IV كونت شامبانى الذى أخذ على عاتقه تمويل الحمله وبلدوين التاسع Baldwin Ix كونت فلاندرز وفلهاردوين Villehardouin مؤرخ الحملة الصليبيه الرابعة وغيرهم . واستمرت الإستعدادات لهذه الحمله مدة عامين (١١٩٩ — ١٢٠٠م) ، وتم اختيار ثيبوت ممول الحمله قائدا لهـا . (٣) كما تم الاتفاق على نقل قوات الحملة بحرا وأن تكون وجهتها مصر باعتبارها زعيمه العالم الاسلامى ومعقل القوى الاسلامية ، ولأن غزوها يجعل الصليبيين يستولون بسهولة على على فلسطين (٤) وأرسل القادة ضمن خطة عملهم سفارة إلى البندقية على رأسها فلهاردوين لاجراء الترتيبات اللازمة لنقل الحمله بحرا . وإتصلوا بهنرى داندلو Henry Dandolo دوج البندقية وعقدوا معه الاتفاقية المعروفة باتفاقيه مارس ١٢٠١م . وبموجب هذه الاتفاقية تعهد البنادقة باعداد السفن اللازمة لنقل

---

(١) بطرس الناسك من الذين كرسوا نشاطهم لنشر الفكره الصليبية ومن الذين قادوا الحملة الشعبيه التى سبقت الحملة الصليبية الأولى . أنظر : عمر كمال توفيق : مملكة بيت المقدس الصليبية ص ٢١ ، ٣٦ .

(٢) Les Patriarches Latins d. Antioche, of, R.O.L., t. II, p. 193.

(٣) روبرت كلارى : المصدر السابق ص ١٢ .

(٤) جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الاسلامية ج ٢ ص ١٠٢ . أنظر ايضا : Vasiliev, Histoire de L' Empire Byzantin, II, p. 161.

الحمله المكونة من أربعة آلاف وخمسمائه فارسا وتسعه آلاف مقاتلاوعشرين ألفا من الجنود المشاة مع تموينهم لمدة تسعه أشهر فقط ، وذلك مقابل خمسه وثمانين ألف مارك [1] ، وبشرط أن تكون نصف الغنائم للبنادقة . ووافق البابا أنوسنت الثالث على هذه الاتفاقية بعد تردد وذلك بسبب إشتراك آل مونتفرات فى هذه الحمله باعتبارهم أصدقاء لأسره الهوهنشتافن الألمان أعداء البابوية [2] ، كما تم الاتفاق أيضا على أن يكون أسطول البنادقة معدا لنقل الحمله فى موعد غايته السادس والعشرين من يوليو عام ١٢٠٢م . [3]

ولكن الأمور لم تسر طبقا للخطه الموضوعة بسبب موت ثيبوت قائد الحمله ومموِّلها فى مايو سنة ١٢٠١م ، لذلك عقد اجتماع فى مدينة سواسون فى يونيه من نفس العام تم فيه إختيار بونيفاس Boniface ماركيز مونتفرات قائدا للحمله [4] . وعجز القادة الجدد عن دفع كل المبلغ المتفق عليه عندما أعد البنادقة السفن اللازمة لنقل الحمله ولم يتمكن إلا من دفع تسعه وأربعين ألف مارك

---

(١) المارك ، كان هناك نوعان من المارك ، المارك الذهبى والمارك الفضى وكل مارك ذهبى تتراوح قيمته من ٨ الى ١٠ ماركات فضية وكل مارك فضى يساوى حوالى ٢ر٣ جرام . أى أن المارك الذهبى على أقل تقدير يساوى ٤ر١٨ جرام وعلى أقصى تقدير ٢٣ جراما من الفضه . أنظر : الجمية التاريخية : بحوث فى التاريخ الاقتصادى — ترجمة توفيق اسكندر — ص ٢١ وحاشية (٣) وص ٢٠ وحاشية (٢) . وعن المارك راجع أيضا حسين عبد الرحمن : النقود ص ٢٠ — ، سليم أمين حداد : الرياضيات التجارية والماليه مجلد ١ ج ١ ص ١٨٤ .

(٢) Runciman op. cit., III, pp 11 , 113.

(٣) روبرت كلاى : المصدر السابق ص ١٣

(٤) Grousset, op cit., III, p. 1.0

فقط ، ووجد دانذلو فرصة في تعجز البنادقة عن دفع باقي المبلغ المتفق عليه فعرض عليهم إعفاءهم من باقي المبلغ إذا ساعدوه في إخضاع مدينة زارا Zara الواقعة على ساحل دالماشيا التي تمردت عليه وأعلنت خضوعها لملك هنغاريا. (١)
ويرى بعض المؤرخين أن دانذلو قصد توجيه الحملة وجهة أخرى غير مصر حتى لا يمس العلاقات التجارية معها وهي أمر له أهميته بالنسبة للبنادقة ، ويؤيد هذا الفريق من المؤرخين ذلك بقوله أنه في اللحظة التي كان يتم فيها التفاوض بين البنادقة والصليبيين على نقل الحملة كان سفراء البنادقة يوقعون معاهده تجارية مع مصر ، وقد تم توقيعها بالفعل في ربيع عام ١٢٠٢م منتصف عام ٩٦٦ هـ) (٢) .

وعلى أية حال وافق الصليبيون على عرض دانذلو الخاص بمدينة زارا ، ولكن البابا هدد بقرار الحرمان عندما علم بذلك . ولم يعبأ الصليبيون بهذا التهديد واتجهوا إلى مدينة زارا وحاصروها وسقطت في أيديهم في الرابع والعشرين من نوفمبر عام ١٢٠٢م (٣). ويعتبر سقوط هذه المدينة فاتحة عهد جديد في تاريخ الحروب الصليبية اتجهت فيه إلى قتال المسيحيين بدلا من

---

١ — Les Patriarches Latins d'Antioche, op. cit., p. 195

٢ — Runciman, op. cit., III, p. 113

٣ — زوبرت كلاوي : المصدر السابق ص ١٥ ، ٤٦ وعن سقوط مدينة زارا أنظر أيضا .
Eracles, op. cit., p. 238. Balazani, U., Early Chronicles of Europe, p. 297, Ostrogorsky G., History of The Byzantine State, p. 388 .

المسلمين .(١) وثار البابا على ما حدث وأصدر قرار الحرمان على الحملة بأكملها. وعند ما تيقن أن الصليبيين كانوا ضحايا قادتهم سامحهم وأبقى قرار الحرمان على البنادقة فقط الذين تعارضت سياستهم مع سياسية البابا في الشرق الاسلامي(٢). وربما قصد البابا برفع قرار الحرمان عن الحملة نفسها هو أو يكسبها إلى جانبه وتقوم بالاتجاه الى مصر .

وكان المفروض أن تتجه الحمله بعد سقوط مدينة زارا إلى مصر طبقا للخطة الموضوعه ولكنها انحرفت مره أخرى وإتجهت إلى القسطنطينيه . ويرجع ذلك الى أن الكسيوس إبن الامبراطور البيزنطى السابق إسحق - إستطاع الفرار من سجنه ولجأ إلى زوج أخته فيليب أف سوابيا الامبراطور الألمانى فى ذاك الوقت . وقد وجد فيليب فى مسانده الكسيوس وإعادته إلى عرشه فرصه لتحقيق أمنيته الموروثه عن هنرى السادس وهى إحتواء عرش بيزنطه . ولكى يتم ذلك دبر أمر الاتصال بين الكسيوس والصليبيين أثناء تواجدهم فى مدينة زارا ، وعرض الكسيوس على الصليبيين مائتى ألف مارك نظير مساعدته فى استرداد عرش بيزنطه ، كما تعهد بتبعيه الكنيسه الشرقية للكنيسه الغربيه اللاتينية وأن يقدم عشرة آلاف جندى للمساهمة فى إسترداد الاراضى المقدسه . ولقد لقيت مهاجمة بيزنطه التأييد من معظم كبار المسئولين الأوربيين بالاضافة إلى موافقة البابا نفسه على هذا المشروع طالما أنه يحقق

١ - سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا العصور الوسطى ج١ ص ٤٦٨ .

٢ - Brchier, L., L' Ehlise et L' Orient an Moyen Age : Les Croisades, p. 190, Ency, inter., Vol. 5, p. 340 .

فكرة البابوية العالمية فى توحيد الكنيستين الشرقية والغربيه تحت سيادة روما بعد قطيعة سنة ١٠٥٤ م(١) ، ووافق فيليب أف سوابيا على ذلك لأنه يحقق سيطرته على عرش بيزنطه الى حد ما، كما وافق البنادقه على ذلك لا بعاد الضربه عن مصر بعد أن منحهم الملك العادل إمتيازات تجاريه قيمه فى ميناء الاسكندرية جعلت جميع التجاره مع ممالك الهند فى ايديهم.(٢) ومن جهة أخرى اقتنع البنادقه بأنه طالما بقيت هذه الامبراطوريه فى القسطنطينيه فانهم لا يأمنون بقاء مراكزهم التجارية الإحتكاريه فى حوض البحر المتوسط ، وان الحل الوحيد لتأمين تجارتهم هو تسخير هذه الحمله القضاء على الامبراطوريه البيزنطيه.(٣) كذلك رحب قادة الحمله الصليبيه بهذه الفكره لارضاء البابويه بعد تمردهم عليها عندما هاجموا مدينة زارا . وتم الاتفاق فى يناير عام ١٢٠٣م على مهاجمة الامبراطورية البيزنطيه ،(٤). ومما تجدر الاشاره اليه هو أن أغلبية الحملة وافقت على أن تكون مصر هى وجهتهم بعد ذلك (٥). أما بعض المتحمسين للحركة الصليبيه وهم الأقليه فقد رفضوا الاشتراك فى هذا العمل الغير مقدس من وجهة نظرهم ، وأصروا على تنفيذ هدف الحملة الأصلي وهو مهاجمة مصر مباشره ،

---

١ — سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبيه ج ٢ ص ٩٢٤ .

٢ — أومان : المرجع السابق ص ٢١٧ ، راجع أيضا :

Heyd, Histiore du Commerce du Lavant, I, pp. 401-2 ;

٣ — Ostrogorsky, op. cit., pp. 365-9

٤ — وربرت كلارى : المصدر السابق ص ١٦ .

٥ — Vasilizv, op. cit., II, p. 503 .

ولكنهم كانوا قله بحيث لم يستطيعوا أن يؤثروا في مجرى الحوادث . وهكذا انحرفت الحملة رسمياً عن هدفها الأصلي وإتجهت صوب القسطنطينية واستولت عليها في الثالث عشر من أبريل عام ١٢٠٤م (١) وهرب الامبراطور البيزنطى الكسيوس الثالث وجلس على العرش إسحق الثانى وإلى جانبه إبنه الكسيوس الرابع الذى مالبث أن إنفرد بالعرش ، ولكنه عجز عن الوفاء بوعوده الماليه لقادة الحملة فانتهى الأمر بعزله وإزالة الإمبراطورية اللاتينيه التى جلس على عرشها بلدوين التاسع كونت فلاندرز . وقسمت الامبراطوريه الزائلة إلى حين على القاده الصليبيين والبنادقة كما طرد البطريق البيزنطى ونصب بدلا منه أسقفا من البنادقة وأرسلت الأخبار الي البابا تنبئه بتوحيد الكنيستين (٢) ، وهو أمل طالما كان يتمناه ويسعى اليه بعد قطيعة سنة ١٠٥٤م .

وعندما نصب بلدوين وعد بتحرير الأرض المقدسه ، ولكنه لم يفعل وربما يرجع ذلك إلى حروبه مع البلغار التى إنتهت بوقوعه أسيرا فى يد قيصر البلغار الذى قتله بعد أشهر من أسره . وتولي بعده أخوه هنرى (٥ ١٢ ــ ١٢١٦م) الذى واجهته متاعب كبيره رغم إنتصاره على الامبراطورية البيزنطيه المتقلصه فى بروسه ، لأن البلغار لم يتركوه يهنأ بهذا النصر ، وظل الصراع مع البلغار حتى عام ١٢٠٧م عندما مات قيصر البلغار جوهانتزا Johannitza وعقد

---

١ ــ عن سقوط القسطنطينية انظر : ابن الأثير : المصدر السابق ج ١٠ ص ١٢٤ وما بعدها ، ابن واصل : المصدر السابق ج ٣ ص ١٦٠ ، راجع أيضا : روبرت كلارى : المصدر السابق ص ١٦ وما بعدها ، Eracles, op. cit. pp. 251-2
Les Patrieches Latins d'Antioche, p. 195 .

٢ ــ أومان : المرجع السابق ص ٢٢٦ ــ ٢٢٧ .

هنرى معاهدة مع بلغاريا (١)،وقد أعطت هـذه المعاهدة للامبراطور اللاتيني الفرصة للسيطرة على أملاكه الى حد ما . ولكن موت هنرى عام ١٢١٦ م أضاع كل أمل فى استقرار دولة اللاتين فى القسطنطينية (٢) الأمر الذى لم يسمح لها بالمساهمة الفعلية فى الحملة الخامسة .

أما عن موقف البابا من الامبراطورية فى القسطنطينية فانه حتى عام ١٢٠٦م كان لديه الأمل بأن تستعد الحملة وتتجه إلى مصر ، ومما شجع على هـذا الإعتقاد أن الامبراطور هنرى عبر فى خطاباته للبابا عن حماسه للحملة وأنه على إستعداد للمساهمة بجيشه لتحرير بيت المقدس . ولكن شيئا مثل هذا لم يحدث ويرجع ذلك لعدة أسباب ، منها فتور الحماس الصليبي عن ذى قبـل بعد أن أصبح الناس يتشككون في جدوى حرب صليبية ضد المسلمين والصراع بين هنرى وأتباعه من جانب وبين هنرى وبلغـاريا من جانب آخر ، بالإضافة إلى الصراع بين هنرى وتيوذور لاسكاريس Theodore Lascaris الذي كان يحاول إستعادة عرش بيزنطه من منفاه فى (روسه) . كما أن صليبي الحملة الرابعة أنفسهم لم يفضلوا ترك مواقعهم الجديدة بعد ما رأوا هجرة إخوانهم الصليبيين من الشام إليهم . يضاف إلى ذلك الأوضاع السياسية التى سادت أوربا في ذلك الوقت والتى جعلت الحكام يشغلون بتأمين ممتلكاتهم عن أى عمـل آخر .(٣)

وبينما تجرى الحوادث على هذا النحو فى الشرق والغرب وفى الأمبراطورية

---

(١) عمر كمال توفيق : المرجع السابق ص ١٦٢ .

(٢) Foord, E., The Byzantine Empire, p 381 .

(٣) للمزيد من التفاصيل راجع : عمر كمال توفيق : المرجع السابق ص ١٦٣ ـ ١٦٤ ، راجع أيضا : Brehier , op. cit , p p . 176 - 7, .

Stevenson , W.. B . The Crusaders in The East , p . 301.

اللاتينية في القسطنطينية ظهر في مايو سنة ١٢١٢ م عنــد كنيسة سانت دنيس بفرنسا صبي من رعاة الغنم ــ من مدينة كلويس Cloyes ــ في الثانية عشرة من عمره يدعى ستيفن Stephen وقدم إلى فيليب أوغسطس ملك فرنسا ــ حيث كان يعقد مجلسا مع رجال بلاطه ــ قدم خطابا ذكر فيه أن السيد المسيح أتاه وأمره بالدعوة لحملة صليبية جديدة (١). ولم يهتم الملك بالصبي وطلب منــه العودة إلى منزله. ولكن ستيفن لم ينصاع للأمر وأعلن أنه سينجح في إنقاذ المسيحية وفي إسترداد الأراضي المقدسة، (٢) وأن البحر سينشق أمام مؤيديه ويتمكنوا من عبورة من أوربا إلى بيت المقــدس كما عبر موسى عليــه السلام البحر الأحمر (٣). وبدأ في الدعوة لحملته وبالفعل تجمع حوله عــدد كبير من الصبيان من بينهم كثير من أبناء وبنــات الأمراء وبلغوا في مجموعهم حوالي خمسين ألف صبيا، وإنضم إليهم بعض القساوسة والشبان والحجاج وتجمعوا في وسط باريس إستعداداً للرحيل (٤).

ورحل الجميع عن طريق تولوز وليون إلى مرسيليا سيرا على الأقدام، وهلك عدد كبير منهم بسبب مشقة الطريق وطول المسافــة. وما أن وصلوا إلى مرسيليا حتى رحب بهم أهلها وشجعوهم على المضي لتنفيذ فكرتهم ووفروا لهم ما أمكن من المأكل والإيواء. وعندما تجمع الصبيــان أمام البحر لم تحدث المعجزة ولم ينشق البحر أمامهم كما كانوا يظنون، فثار البعض على ستيفن،

(١) Runciman, op. cit., III. p. 139

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق جـ ٢، ص ٩٠٤ ـ ٩٥٥.

(٣) Brentano, Les Croisades, p. 114

(٤) King, op. cit., p. 186.

وعاد من تمكن منهم العودة إلى وطنه ، بينما ظل البعض الآخر مع ستيفن ، إنتظارا لحدوث المعجزة التي لم تحدث لهم . وفى هذا الوقت عرض تاجران هما هيو أف أيرن Hugh of Iron ووليم الخنزير william the pig أن يضعا السفن تحت تصرف الصبيان وينقلونهم بدون أجر إلى فلسطين ، (١) وقد تم ذلك وركب الصبيان وظل مصيرهم مجهولا لفترة من الوقت .

ومما تجدر الإشارة إليه أن أحد الرحالة الغربيين الذين عاشوا في القرن الخامس عشر الميلادى ذكر أن مقدم الاسماعيلية (٢) فى الشام إستغل إثنين من الأساقفة المنشقين على الكنيسة اللاتينية في أن يهيئوا لستيفن ولصبى آخر في ألمانيا يدعى نيقولا Nicolas ، هذة الرؤية للباطله (٣) التى أدت إلى هلاكهم أو بيعهم كعبيد فى مصر أو تونس (٤) . ومن وصل منهم سالما إلى عكا آثار دهشة أهلها الذين إعتقدوا بعدم وجود حكومات أو قوانين في أوربا تمنع هذا الجنون الذى أعتبر عارا على أوروبا بأسرها .(٥)

---

(١) Runciman , op . cit ., 1,1 , p . 111 .

(٢) هو كبير اسماعيلية الشام ويعرف لدى مؤرخى الحروب الصليبية باسم شيخ الجبل أو عجوز الجبل The Old Man of The M.nn-ain وربما ترجع تسميته بهذا الاسم هو أن قلاع الاسماعيلية كانت مشيده فوق الجبال . عن ذلك انظر جوزيف نسيم العدوان الصليبى على بلاد الشام ص ٢٢٩ حاشيه (١) وربما سمى بهذا الاسم لحكمته وليس لكبر سنه . أنظر Burchard , op , p . 105 , Sanuto , op . cit , .5 .

(٣) Fadri, F , The Book of Tl e wanderings, Vol 2 prat I,pp 351-2

(٤) Tompson J W , History of The Middle Ages p , 206 .

(٥) Michaud, op. cit., I, p. 203.

أما عن نيقولا الذى ظهر فى كلونى بألمانيا فى نفس الوقت الذى ظهر فيه ستيفن فى فرنسا ، فانه أدعى أيضا أنه سيخلص بيت المقدس عن طريق نشر المسيحية بين المسلمين . ونجح فى أن يجمع حولة بضعة آلاف من الصبيان الذين إنضم اليهم أيضا كثير من العاهرات والرجال الذين لاخلاق لهم.(١) وإدعى أيضا أن البحر سينشق أمامهم مثلما إدعى ستيفن . وتولى نيقولا بنفسه قيادة ما يقرب من عشرين ألفا وأتخذوا طريقهم إلى ايطاليا عبر جبال الألب وقابلوا البابا فى روما ، لكنه فشل فى إعادتهم إلى أوطانهم . وكان لابد أن يهلك الكثير منهم فى الطريق ، فلم يصل إلى جنوه الا الثلث فقط . ولم تحدث لهم المعجزة التى كانوا ينتظرونها . وإنتهى بهم الأمر بأن أبحر بعضهم من بيزا وبرنديزى إلى الشرق وتبنى الايطاليون من تبقى منهم . ولم يختلف مصير هؤلاء الصبيان عن مصير الصبيان الذين صاحبوا ستيفن . وعندما علم آباؤهم بهذه الكارثة ثاروا على والد نيقولا لتشجيع إبنه وشنقوه .(٢)

هذه هى أحوال مصر والشام الاسلامية والشرق اللاتينى بأقسامه الخمسه، مملكة بيت المقدس الاسميه وإماره كل من انطاكية وطرابلس ومملكة أرمينيه بالاضافة إلى مملكة قبرص ، فى بدايات القرن السابع الهجرى (أوائل القرن الثالث عشر الميلادى)،فضلا عما كان يسود الغرب الأوروبى والدولة البيزنطية

---

(١) Brentano, op. cit., p. 1.4.

(٢) Runciman, op. cit., III, pp. 142-3.

فى نفس هذه الفترة التى سبقت قيـــام الحملة الصليبية الخامسة . ومن الملاحظ أيضا أنه بسبب إنحراف الحمـــله الصليبيه الرابعة ولأسباب أخرى عديده سنتناولها فى الفصل التالى بدأ الاستعداد والدعوة لحملة صليبية أخرى هى الحملة الصليبيه الخامسة لتحقيق الهـدف الأصلى للحمله المنحرفة وهو غزو مصر توطئة للاستيلاء على الأراضى المقـدسة بعد ما فشلت كافة المشروعات السابقة للقيام بهذا الغرض .

الفصل الثالث

أسباب الحملة الصليبية الخامسة والاعداد لها

— أسباب الحملة .

— مجلس اللاتيران الكنسي .

— الدعوة للحملة والتبشير بها .

— موقف البابوية والغرب الأوربي من الحملة .

— الحملة المنغارية .

تنقسم الأسباب المباشـــرة إلى أقسام ثلاثة : الأول منها يتعلق بالجانب الإسلامى ، والثانى يختص بالجانب الصليبي فى الشام والثالث يرجع إلى الجانب الأوربى . وعن الجانب الاسلامى فان صلاح الدين الأيوبى تمكن من ضرب الصليبين وإنزال الهزيمة تلو الأخرى بهم وذلك بعد توليه حكم مصـــر والشام . أما بعد وفاة صلاح الدين فان الدولة الأيوبيـة كانت تعانى من التمزق والاضطراب بسبب الفرقة والخلاف بين أفراد البيت الأيوبى . وربما إرتاح الصليبيون والغرب الأوربى إلى ما وصلت اليــه حالة الممالك الاسلامية من التفكك والانقسام ، ولكن بعد أن تمكن العادل من جمع شمل البيت الأيوبى تحت لوائه ومن أن يحتل إلى حـد ما مكانة أخيـه صلاح الدين من الناحية السياسيه على الأقل ، فان ذلك أزعج أهل الغرب الأوربى والصليبيين فى الأرض المقدسة وجعلهم يعجلون بضربة أرادوها أن تكون قاصمة للعـالم الاسلامى قبل أن يتمكن العادل من تطريق الإمارات الصليبية فى الشـام والقضاء على البقية الباقية من الوجود الصليبي في المنطقة فى الوقت الذى لم تكن فيه الإمارات الصليبية المتقلصه تتحمل ضربة أخرى مماثلة لضربة صلاح الدين بسبب ما كان يعتريها من ضعف وتفكك وانقسام نتيجة الخلافات التى قامت بينها ، فضلا عن عوامل الإنهيار الأخرى الكامنه فيها .

وفيما يتعلق بالجانب الصليبي نجد أن بعضها يتعلق بشخصية العادل وسلوكه تجاه الصليبيين . فالمعروف أن العادل كان يبـادر أو يوافق على عقـد هدنة جديدة كلما إنقضت مدة الهدنة السابقة . كما أنه لم يقم بالهجـــوم على الممتلكات الصليبية ، وإنمـــا التزم واجب الدفاع عن ممتلكاته إذا ما أغار الصليبيون عليها . وربما لجأ العـــادل إلى هذه السياسة فى أول الأمر بسبب

المشاكل الداخلية التى إعترت الدولة الأيوبيـة ـ بعد وفاه مؤسسها ـ من نزاع على الحكم أو بسبب المجاعات التى وقعت فى مصر (١) . أما عن التزام العـادل بهذه السياسة بعـد أن استقر له الأمر ، فان ذلك مرجعـــة إلى طبيعة العادل المسالمة . وربمـا تكون هذه السياسة تجاه الصليبيين التى كانت لها مبرراتها فى نظر العادل قد أطمعت الصليبيين والغرب الأوربى فى ضرب العالم الاسلامى ممثلا فى مصر وعلى رأسها مثل هذه الشخصية قبل أن يتـولى أمرها شخصية أخرى تكون أشد صلابة وأكثر عنادا تجاه الصليبيين . ولذلك فانه عندما قام العادل ببناء حصن الطور بالقرب من عـكا ، أعتبرت الامارات الصليبيه فى ذلك اعتداء عليها وتهديدا للوجود الصليبى فى الشام(٢). وأحس الفرنج أن العادل بدأ يتحول من سياسة الدفاع إلى سياسة الهجوم . فانزعجوا وأضطروا لعقد الهدنه . وفى الوقت نفسه أرسل الملك جان دى برين إلى البابا إنوسنت الثالث يطلب منه إعداد حملة صليبية تكون مستعده للقدوم إلى الشرق مـــع موعد انتهاء هذه الهدنه أى فى عام ١٢١٧م (٦١٤هـ) (٣) .

أما عن الجـانب الاوربى فان الحمـلة الصليبية الخامسة ليست هى التفكير الاول لضرب مصر فى بدايات القرن الثالث عشر الميلادى (أوائل القرن السابع الهجرى) . فقد سبقتها الحملة الصليبية الرابعة عام ١٢٠٤م فى مستهل حكم العادل . وقد يكون ذلك مرجعــه أن الغرب الاوربى حاول التعجيل

---

(١) المقريزى : اغاثة الأمة بكشف الغمة ص ٢٩ وما بعدها.

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور . المرجع السابق جـ٢ ص ٩٥٦ .

(٣) Grousset, op. cit., III, p. 196.

بضرب مصر قبل أن يستتب الأمر للعادل . ولـكن هذه الحملة إنحرفت عن هدفها الاصـــلى وهاجمت مدينه زارا ثم مدينـة القسطنطينيه وأسقطت الامبراطورية البيزنطية إلى حين (١) . واذا كان البابا قد أيد إنحراف الحملة طالما أن ذلك يؤدى إلى توحيد الـكنيستين الغربية والشرقية ، الا أنه كان يأمل أن تستكمل الحملة مسارها الى مصر . ولكن ذلك لم يحدث رغم ما بذله البابا إنوسنت الثالث من جهـــود فى هذا الشأن ، وذلك بسبب اقتناع قادة الحملة بما أحرزوه من نصر وما حققوه من مكاسب باقامة الامبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية على أنقاض الأمبراطورية البيزنطية . ومما لاشك فيه أن إنحراف الحملة عن هدفها الأصلى وفشل البابا فى السيطره عليهـا وتوجيهها إلى مصر قد أضاع الـكثير من هيبة البابويه فى الوقت الذى كان يسعى فيه البابا جاهدا لإعلاء شأنها باحتوائه الحركة الصليبية والسيطرة عـلى الغرب الأوربى دينيا ودنيويا . وإذا كانت هذه الحمله قد أضاعت بعضا من النفـوذ البابوى ، فان حملتى الصبيان اللتين قامتا فى عام ١٢١٢م وما آلتا اليه من نتـائج قد قضيتا أيضا على جزء كبير من هيبـــة البابوية ، لدرجة أن بعض المؤرخين الغربيين إعتـــبروها عارا عـلى أوربا بأســـرها . واذا أمعنا النظر فى الحملة الرابعة وحملتى الصبيان نجـد أن البابوية قد فشلت فشلا زريعا فى القيـام بأى عمل عسكرى تجـاه الشرق ، وكان على البابا إنوسنت الثالث أن يقوم بعمل صليبى ضخم عساه يجنى من ورائه نصرا يعوض به فشل الحملة الرابعة ويمحو الآثار التى ترتبت على حملتى الصبيـــان وأخيرا ليستكمل به إنتصاراته على مـلوك أوربا وأباطرتهـا .

---

١ ـ سعيد عبد الفتـاح عاشور : المرجع السابق ج ٢ ص ١٢٥ ، أوروبا العصور الوسطى ج ١ ص ٤٦٨ .

ويتضح من ذلك أن العوامل المباشرة للحملة تنحصر فى توحيد العادل للقوى الاسلامية فى مصر والشام وبناء حصن الطور ، وإقتناع الغرب الأوربى والقادة الصليبيين بضرورة ضرب مصر لتأمين ممتلكاتهم فى الشام وإستعادة السيطره على البيت المقدس . وبالاضافة الى العوامل المباشره التى أسلفنا اليها ، هناك بعض العوامل الأخرى التى مهدت السبيل لقيام الغزو الصليبي ، ويرجع بعض هذه العوامل إلى النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى سادت أوربا قبيل قيام طلائع الحملة الصليبية الخامسة فى عام ٢١٧ م.

فالعامل السياسى الذى ساعد على قيام الحملة هو أن البابا إنوسنت الثالث سعى جاهدا طوال فترة بابويته إلى فرض سلطانه على الممالك المسيحيه فى أوربا . وقد نجح فى ذلك إلى حد كبير لدرجة أنه أصبح سيدا على كل ربوع أوربا تقريبا خاصة بعد ما تمكن من فرض سلطانه على الملك حنا ملك انجلترا وعلى فيليب أغسطس ملك فرنسا الذى يعتبر القوه المنفذه لأدارة البابا ، وتأييده للامبراطور فريدريك الثانى فى إعتلائه عرش ألمانيا . وتجلت السيادة البابوية فى موقعه بوفان عام ١٢١٤م (١) . كما يبدو أيضا أن البابا قد تشجع للدعوة الى الحملة الخامسة بعد إنتصار المسيحيين على المسلمين فى أسبانيا فى موقعة العقاب عام ١٢١٢م (٦٠٨ — ٦٠٩ هـ) (٢) ، فأراد أن يكلل هذا النصر فى الغرب بنصر آخر فى الشرق بغزو مصر .

والجانب الاقتصادى الذى ساعد على قيام الحملة هو ترحيب أهل المدن

---

١ — Roger of Wendover od. cit., II, pp. 298-302.

٢ — Cambridge Medieaval History, Vol. VI, p. 410.

الايطالية كالمعتاد بالحملات الصليبية لما يعود عليهم من منافع اقتصادية (١). حقيقة أن العادل قد منحهم بعض الامتيازات في بعض الموانى الاسلاميه وبصفه خاصة مدينة الاسكندرية ، الا أنهم كانوا يطمعون في الاستيلاء على الموانى نفسها، وتتضح أطماع الايطاليين فى ميناء دمياط فى معارضتهم الجلاء عنها عندما تقدم الكامل بعرض السلام إلى قادة الحملة الصليبية الخامسة قبل وبعد استيلاء الصليبيين على المدينة (٢).

أما عن العامل الإجتماعى فرغم معارضة الرأى العام الغربى المعاصر للحركة الصليبية (٣) ، إلا أن العامة كان ينخرطون فى صفوفها لما يعود عليهم من فوائد . فقد كانت الحملات الصليبية هى الوسيلة الوحيدة التى يهربون عن طريقها من وطأة النظم الاجتماعي ومن دفع الديون وفوائدها فضلا عن البحث عن مناخ أفضل للحياة بالاضافة الى التكفير عن خطاياهم بالاشتراك فى هذا العمل المقدس من وجهة نظرهم (٤) . وقد ساعد على ذلك الجهد الكبيرة الذى قام به بعض الدعاة والمبشرين خاصة في فرنسا ، فضلا عما أعلنه البابا انوسنت الثالث بأنه سيسير بنفسه على رأس الحملة المنتظرة ، فكان ذلك عاملا مشجعا . وهكذا تهيأ الجو للبابا في أوربا وفي الشرق للقيام بالحملة المنتظرة ، وبدأ يعد

---

١ — السيد الباز العرينى : مصر فى عهد الايوبيين ص ٩ .

٢ — Roger of wendover, op. cit., II, p. 420 . وسنتناول ذلك بالتفصيل فى الفصلين الخامس والسادس .

٣ — جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى والرأى العام الغربى ، أنظر سلسلة المحاضرات العامة بجامعة الاسكندرية للعام الجامعى ٦٧ / ١٩٦٨ ص ٣٤ — ٣٥ .

٤ — عمر كمال توفيق : مملكة بيت المقدس الصليبيـة ص ٣١ — ٣٣ . جوزيف نسيم يوسف : الدافع الشخصى فى قيام الحركة الصليبية ص ١٨٣ وما بعدها .

العدة لعقد مجلس اللاتيران الكنسى فى عام ١٢١٥ م (١) .

والواقع أن البابا بدأ دعوته لهذا المجلس منــــذ عام ١٢١٣ م . فأرسل الكاردينال روبرت أف كورسون Robert of Courcon مندوبا عنه إلى فرنسا للدعوة للمؤتمر وللحملة، وطلب البابا من العائلة الملكية مساعدته بكل إمكانياتها، وإتجه روبرت إلى فرنسا وبدأ عمله بحل المشاكل الداخليه وعلى رأسها مشكلة الربا ومشكلة إعتداء مندوبى البابا على سلطات رجــال الدين فى أسقفياتهم . ويبدو أن روبرت قام بهذا الإجراء لمحاولة تهيئة الظروف للدعــــوة للحملة وكسب رجال الدين إلى جانبه لمساعدته فى تحقيق الهدف الذى أوفـــــد من أجله إلى فرنسا . وإنتشرت الأنباء فى فرنسا عن الحملة المرتقبة التى إنضم اليها عدد كبير من العامة ، كذلك سمح روبرت للمسنين من الرجال والنساء ولذوى العاهات والأطفال بالانخراط فى صفوف الحملة . ولكن هــذا الترخيص الذى أصدره روبرت ضايق كثيراً من النبلاء الفرنسيين واشتكوا إلى البابا واستجاب البابا لشكواهم وطالب روبرت بمراعاة اللياقة البدنية والصحية للمتطوعين(٢). وبالإضافة إلى الدعاية المبدئية للحمله فى فرنسا فان البابا أعلن أن المسلمـين يستعدون للقضاء على ما تبقى من مملكة بيت المقدس اللاتينيــة وأنه لا سبيل لصمود هذه المملكة وإعادتها إلى ما كانت عليه إلا بالمال والرجال (٣) . وطالب كافة المسيحيين بحمل السلاح للقضاء على المسلمــين (٤) . كما كتب

---

١ - Roger fo Wendover. op, cit, II, p. 343

٢ - Setton, op. cit., II' p. 380 .

٣ - Luchaire, op. cit., p 284 .

٤ - Rohricht, Geschichte der Kreuzznge im Umriss, p. 193

البابا إلى الملك العادل فى عام ١٢١٥م (٦١٢هـ) قبل إنعقاد مؤتمر اللاتيران يطالبه بتسليم بيت المقدس (١) . ويبدو أن العادل لم يعبأ بمثل هذا الخطاب ولم يتوقع وصول حملة صليبية فى القريب العاجل بدليل أنه لم يستعد عسكريا لملاقاة الحملة المرتقبة ، وأنه كان بمصر عندما وصلت طلائع الحملة إلى الشام فى صيف عام ١٢١٧م (٦١٤هـ) (٢) .

وبعد أن قام البابا بالدعاية المبدئية للحملة والدعوة لمجلس اللاتيران الكنسى (٣) ، إنعقد المجلس فى الحادى عشر من نوفمبر عام ١٢١٥م (٢٠ رجب ٦١٢ هـ) . ويعتبر هذا الإجتماع من أعظم الإجتماعات المسيحية لم ينعقد مثله منذ سبعة قرون قبل ذلك التاريخ كما أنه لم يكن مثل مؤتمر نيقية أو القسطنطينية أو خلقدونية (٤) ، لأنه لم ينظر فى خلافات وإنشقاقات مذهبية وإنما نظر فى بعض الشئون المتعلقة بالكنيسة وكذلك مسألة توحيد الكنيستين الشرقية والغربية فضلا عن الإعداد للحملة الصليبية الخامسة (٥) وهو الهدف الرئيسى الذى من أجله عقد المؤتمر ، وحضر المجلس كبار رجال الدين من الشرق والغرب وعلى رأسهم جاك دى فترى وأوليفر أف بادربورن كما حضره أيضا إيوستورج Eustorge رئيس

---

١ — Iorga , Histoire des Croisades p . 152.

٢ — ابن الأثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ٢٠٩ .

٣ — عقدت خلال القرن الثانى عشر الميلادى ثلاثة مجالس دينية فى كنيسة لاتيران : الأول عام ١١٢٣م فى عهد البابا كالكستس الثانى والثانى فى عام ١١٣٩م فى عهد البابا انوسنت الثانى والثالث فى عام ١١٧٩م فى عهد البابا الكسندر الثالث عن ذلك أنظر : Tout, op. cit., pp . 149 , 269.
Cambhidge Medieaval History , V , pp, 108 , 338 , 451.

٤ — عن هذه المؤتمرات : أنظر سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا العصور الوسطى ج ١ ص ١٣٦ — ١٣٧ ، ٣٩ ، ٤٨ .

٥ — Runciman , op . cit . , III , p . 144.

أساقفة نيقوسيا بقبرص(١)، ورادلف أف ميرنكورت بطريق Rodulph of Merencourt بيت المقدس (٢) ، أما جرماس Jeremias بطريق أنطاكية فلم يتمكن من حضور هذا المؤتمر لمرضه (٣) ، ولذلك أناب عنه فى الحضور بلدوين أسقف أنطرطوس (٤) وعلاوه على بطارقة وأساقفة الشام وقبرص فقد حضر فولك أسقف تولوز بفرنسا والقديس دومنيك(٥) Dominic وبطريق القسطنطينية(٦).

ولم يقتصر الأمر على حضور رجال الدين لهذا المؤتمر ، فقد أعلن البابا فى جميع أنحاء العالم المسيحى عن رغبته فى عقد هذا المجلس وأنه بوسع الحكام الدنيويين حضور هذا الاجتماع وأن الذين لا تسمح لهم الظروف بالحضور

---

١ — Histoire des Archevedues Latine de L ! ils de Chypre , p .216.

٢ — Roger of Wendover , op . cit.,II, p, 543.

حين رادلف أو رالف أوراؤل بطريقا لبيت المقدس فى ١٤ سبتمبر ١٢١٤ م خلفا للبطريق البرت أف فرسى Albert of Verceil أنظر :

Les Patriahes Latine de Jerusalem , p . 21 .

٣ — Roger of Wendover , Ibid .

٤ — Rohricht , op cit . , . 1 4 .

٥ — عاش القديس دومنيك فى الفترة من ١١٧٠ الى ١٢٢١ م وهو من أصل أسبانى أسس جامعة الوعاظ أو الاخوان السود أو جماعة الدومنيكان Dominican Order فى عام ١٢١٥ م بقصد القضاء على الهرطقة التى كانت سائدة فى عصره ، أنظر :

Ency . Brit . Vol . 7 , p . 5"8 .

أنظر أيضا : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على بلاد الشام ص ١٩٤ حاشية (٥)

٦ — Roger of Wendover, Ibib, Fabri . op . cit , . Vol.2, , part I , pp . 350 - 1 .

فيمكنهم إرسال مندوبين عنهم. وبالفعل حضر يوحنا التورى John of Tours مندوبا عن الملك جان دى برين (١) ، بالاضافة إلى مندوب عن كل من الإمبراطورية الرومانية فى الغرب وفرنسا وإنجلترا وأسبانيا ، فضلا عن مندوب الإمبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية ومندوب هنغاريا (٢).

وإلى جانب رجال الدين البارزين والمندوبين الممثلين عن الأباطرة والملوك، فقد حضر المؤتمر أيضا جمع كبير من المهتمين بالشئون الدينية والسياسية . وإختلف المؤرخون فى تحديد عدد الذين حضروا المؤتمر فيذكر روجر أوف وندوفر أن عدد الحاضرين كان يزيد عن ألف ومائتين تسعة وثمانين وأشار أن من بينهم كان إثنان من البطارقة وسبعة وسبعون من المطارنة وأكثر من ثمانمائة من رؤساء الأديرة (٣). ويشير المؤرخ متى أف وستمنستر أن عدد الحاضرين كان يزيد عن ألف ومائتين ثلاثة وستين منهم واحد وستون من رؤساء الأساقفة وأربعمائة وإثنان من الأساقفة بالاضافة إلى ثمانمائة من رؤساء الأديرة (٤) . بينما يروى الرحالة فلكس فابرى أن جملة من حضروا بلغ ألف وثلاثمائة (٥) . ويسجل رهرشت أن الذين تجمعوا فى هذا المؤتمر يزيد على ألف ومائتين ثلاثة وثمانين ، منهم سبعون من المطارنة وأربعمائة واثنى عشر أسقفا وأكثر من ثمانمائة من رؤساء الأديرة (٦) .

---

١ — Eracles, op. cit., pp. 318 - 9.
٢ — Roger of Wendover, op. cit., II pp. 143 - 4, Fabri, Ibid, Michaud, op. cit., II p. 210.
٣ — Reger of Wendover, Ibid.
٤ — Matthew of Westminster, op cit, II, pp. 121-'.
٥ — Fabri, op cit, Vol 2, part I, p 350.
٦ — Rohricht, op cit,., p 194

ويشير آرشر وكنجزفورد Archer & Kingsford أن عـدد الأساقفة بلـغ أربعمائة واثنى عشر ولم يذكر باقى الطوائف الأخرى (١) . كما ذكر جون لامونت J La - Monte ان عدد من حضروا هذا المؤتمر بلغ ألف وثلاثمائة ويتفق فى ذلك مع ما ذكره الرحالة فلكس فابرى - بينما بلغ مجموع الفئات التى ذكرها لامونت ألف ومائتين ثلاثة وثمانين وهى تتفق فى تفاصيلها مـع ماذكره رهرشت (٢). وكتب كارل ستيفن أن جملة الحاضرين بلغت ألفا ومائتين وخمسين من الأساقفة ورؤساء الأديرة والوعاظ ورجال القانون الذين حضروا لصياغة قرارات المؤتمر (٣) . ومن ذلك يتضح أن مجموع من حضر المؤتمر يتراوح بين ألف ومائتين وخمسون وألف وثلاثمائة .

ومن الواضح أن عقد مثل هذا المؤتمر بهذه الصورة قد رفـــع من شأن البابوية إلى حد كبير ، لأن الأباطره والملوك الذين أرسلوا نوابا عنهم لحضـور المؤتمر قد إعترفوا ضمنا بالساده البابويه على سلطانهم ، علاوه على ما ساد جـو هذا المؤتمر من الاعتقاد بان الكنيسه هى الطريق الوحيـد للخلاص وأن رضاء الكنيسة من رضاء الله (٤) .

---

١ - Archer & Kingsford, op cit, p 374.

٢ - La - Mon'e, op cit, p 402

٣ - Stephenson, Medieval History, p 337

٤ - La-Moute, op., p, 405.

وفى وسط هـذه العظمة التى أحاطت بالبابوية إفتتح البابا إنوسنت الثالث أعمال المجلس فى الحادى عشر من نوفمبر عام ١٢١٥م (١) . وألقى على المجتمعين خطابا عبر فيه عما تقاسيه مدينة القدس تحت حكم المسلمين ، وأن المسلمين ينتهكون حرمات كنيسة القيامه ويتهكون على صليب السيد المسيح (٢) . كما أشار البابا الى أن الوقت قد حان للقضاء على المسلمين ، وطالب الحاضرين بمساعدته فى القيام بهذا العمل المقدس (٣)، من وجهة نظره ونظر المجتمعين . ومن الواضح أن البابا المعروف بفصاحته حاول جذب أذهان الحاضرين عندما بدأ خطابه بهذا الجانب الدينى الذى يؤثر تأثيرا مباشرا فى قلوب وعقول الناس لاسيما فى هذه الفترة من الزمن التى ساد فيها التزمت الدينى المجتمع الغربى الوسيط (٤) . ومما لاشك فيه أن ماذكره البابا عن سلوك المسلمين فى بيت المقدس يبعد كل البعد عن الحقيقة . والدليل على ذلك هو حسن معاملة صلاح الدين للأسرى الصليبيين بعد إسترداد مدينة القدس والمدن الأخرى وقد شهد المؤرخون الصليبيون أنفسهم بذلك (٥) . وعلى أية حال ، فقد

---

١ — Les Patriaches Latine de Jerusalem, Ibid Cf. also, Eracles, op. cit., p. 318.

٢ — يلاحظ أن هذه نفس النغمة التى كان الغربيون يلجأون اليها عندما يفكرون فى حملة صليبية جديدة ضد المسلمين بقصد اثارة الغرب الأوربى ضد العالم الاسلامى .

٣ — Michaud, op. cit., II, pp. 202 3, 211, 215

٤ — جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على مصر ص ٥٣ ، العرب والروم واللاتين : ص ٦٤ .

٥ — Eracles, op. cit., pp. 98-99.

أنظر أيضا : عمر كال توفيق : المرجع السابق ص ١٩٧ .

إستطاع البابا أن يهيىء الجـو المناسب فى المؤتمر حتى يضمن تحقيق أهدافه لدرجة أنه أعتذر شخصيا لرجال الدين الذين إشتكوا من تصرف روبرت أف كورسن بسبب تحديه لحقوقهم أثناء قيامه بعملية الدعاية للحملة في فرنسا قبيل إنعقاد المؤتمر (١) .

ودارت عدة مناقشات فى المؤتمر يهمنا منها ما يتعلق بالحملهالصليبيةالخامسة. فقد تحدث يوحنا التورى مندوب جان دى برين ملك مملكة بيت المقدس الاسمية فتكلم عن الحالة السيئه التى وصلت اليها المملكه وأشار بأن الهدنة مع المسلمين سوف تنتهي فى صيف عام ١٢١٧م (٢). وناقش المؤتمر عدة مشروعات لاستعادة بيت المقدس ، وكان من بينها مشروع مهاجمـة مصر ، وانتهى الأمر بأن قرر المجلس غزو مصر (٣) . وتسهيلا لأعمال المؤتمر فوض الحاضرون البابا إنوسنت الثالث في وضع الخطة اللازمة لوضع هذا القرار موضع التنفيذ (٤).

وبعد أن تحددت مصر لتكون هدف الحملة الصليبيه المقبلة بـــدأ رجال القانون الذين حضروا المؤتمر في صياغة القرارات التى تضمنت موعـد تجمع الحملة ، وواجبات رجال الدين والحـكام ، ومصادر تمـــويل الحملة والامتيازات التى تعود على المشتركين فيها ، مع تحريم الاتجار مـــع المسلمين والتهديد لمن يخالف هذه القرارات (٥).

---

١ — Setton, op. cit., p. 380.

٢ — Eracles, op. cit., p. 319.

٣ — Oliver, of Padenborn op. cit., p. 22

٤ — Setton, op. cit., II, p. 382.

٥ — عن البنود الواردة فى قرار مجلس اللاتيران الـكنسى البالغ عددها سبعة عشر بندا أنظر : Thatcher, op. cit., pp. 538-544. Cf. Roger of Wendover, op. cit., II, pp. 344-6.

وفيما يتعلق بتاريخ تجمع الحملة فقد تحدد أول يونيه من عام ١٢١٧م موعدا لذلك على أن يكون الالتقاء في ميناء برنديزى أو مسينا فى صقليه أو أى مكان آخر على خليج مسينا للابحار منــه إلى الشرق . أما الذين سيذهبــون بالطريق البرى فعليهم أيضا أن يــكونوا مستعدين فى الوقت نفسه . وأتفق على أن يتولى المسئولون إبلاغهم بخطة العمل وعلى أن يرافقهم المندوب البابوى (١).

وعن واجبات رجال الدين فقد طلب منهم البابا أن يتخلوا عــن منازعاتهم وأحقادهم وأن يكونوا قدوة للصليبيين قولا وعملا ، وأن يحثوا الذين يتعهدون بالذهاب مع الحمله على الوفاء بوعدهم (٢) . وأما الفرسان والادواق والأمراء والكونتات ومن فى مستواهم فعليهم الكف عن المنازعات والحروب لمدة ثلاث سنوات حتى يسود السلام كافة انحاء أوربا وتتمكن الحمله مــن القيام فى الموعد المحدد (٣) .

وإذا انتقلنا إلى مصادر تمويل الحملة ، فان البابا بدأ بنفسه وقدم ثلاثين الف جنيه ، علاوه على ثلاثة آلاف مارك فضى . كما فرض على نفسه وعلى كافة الكراد له فى الكنيسه الغربيــه أن يقدموا عشر دخلهم ، أما باقى الطوائف الدينية فيتحملوا ١/٢٠ من دخلهم . كما طلب البابا من الذين سوف لايذهبون مع الحمله بكافة طبقاتهم أن يمــدوا إخــوانهم الصليبيين المتوجهين مــع الحمله بالمصاريف الضرورية لمدة ثلاثة سنوات . وعهد إلبابا إلى بطريق بيت المقدس

١ — Roger of Wendover, op. cit., II, p. 345 .

٢ — Thatcger, op. cit., pp. 538-9 .

٣ — Thatcher. op. cit., pp' 539-40. 543 .

وإلى رئيس جماعتى الفرسان الداوية والاسبتاريه أمر الصرف من هذه الأموال لصالح الحملة (١) .

وأوضحت القرارات التى صدرت عن المؤتمر بعض الامتيازات الروحية للذين يساهمون فى الحملة سواء بطريق مباشر أو غير مباشر . فقد وعد البابا الذين يقدمون سفنهم لحمل الجنود أو الذين يعملون فى بناء هذه السفن أو يساهمون فى نفقات الحملة بغفران خطاياهم، فضلا عن الإعفاءات المادية للذين سيذهبون مع الحملة على نفقتهم الخاصة . فقد قرر البابا إعفاءهم من دفع الضرائب بمجرد حمل الصليب ، بالاضافة إلى وضع أملاكهم تحت حماية الكنيسه لحين عودتهم وإرجاء دفع ماعليهم من ديون لليهود . وكلف البابا رجال الدين بتنفيذ ذلك (٢) .

كذلك تقرر منع الاتجار مع المسلمين مع تهديد من يخالف ذلك بمصادرة تجارته . وفوق هذا وذاك فقد أعطت القرارات الحق لمن يقبض على أى اجر لا تينى يتعامل مع المسلمين أن يعامله معاملة الأسرى (٣) .

---

١ — Thatcher. op cit., pp. 540-2, *Roger of Wendoʌer* op. cit , II, p. 344

٢ — Thatcher, op. cit., pp. 515-4; Roger of Wendevr, op. cit., II, p. 355.

٢ — لجأ بعض البابارات والأباطرة الي اصدار مثل هذا التحريم من وقت لآخر والخاص بمنع التعامل مع المسلمين ومن ذلك ما لجأ اليه البابا أنوسنت الثالث عام ١١٩٨ م. أنظر ما سبق ص ١١٨ . كما أصدر الامبراطور يوحنا تزيمكس نفس هذا التحريم فى ليو ٩٧١ م من ذلك أنظر عمر كمال توفق : مقدمات العدوان الصليبى ص ١٧٨ وما بعدها . ومن الملاحظ أن هذا التحريم لم يكن يحترم فى كثير من الأحوال ، وفقد فاعليته بعد كثرة استخدام البابوية فى الغرب له ضد معارضيها فى ميدان السياسة تحقيقا لأغراضها أو مصالحها الدينية .

ومن الطبيعي أن يهدد البابا بقرار الحرمان كل من يخالف أى بند من البنود السبعة عشر التى صدرت عن مجلس اللاتيران فى التاسع عشر من يناير عام ١٢١٦ م ، كما وعد كل من يعمل على تنفيذ هذه التعليمات بنصيب من الغفران كل بقدر إسهامه فى تخليص الأرض المقدسه . كذلك أمر البابا باعلان هذه القرارات فى أيام الآحاد والأعياد الرسمية فى كافة أنحاء البلاد الخاضعه للكنيسه اللاتينية فى روما (١) .

ولكي يضمن البابا تنفيذ هذة القرارات وقيام الحملة فى الموعد المحدد ، قام بارسال الدعاة والمبشرين للدعوة لها فى كافة أرجاء الغرب حتى يعملوا على تهيئة أذهان المسيحيين للانخراط فى سلكها . وإنتشر الوعاظ فى معظم ربوع أوربا لتهيئة الرأى العام الغربى عن طريق الخطب والاجتماعات لحشد الصليبيين . ولجأ الوعاظ إلى دفع النبلاء على حمل الصليب ليكونوا قدوة للعامة ، كما لجأ بعضهم إلى الاشارة بأن القوة الالهية قد وعدتهم بالنصر على المسلمين (٢) .

والمنابع الغربية مليئة بالامثلة الدالة على إستغلال النعرة الدينية لدى أهل الغرب للاشتراك فى الحملة ، من ذلك ما ذكره أوليفر وروجر أوف وندوفر فى أحداث سنة ١٢١٧ م ، من أنه فى شهر مايو من السنة المذكورة (محرم — صفر ٦١٤ هـ) ، ظهر فى السماء السيد المسيح مصلوبا على خشبه الصليب ثلاث مرات فى ثلاث مناطق متفرقه بمقاطعة كولونى بألمانيا ، الامر الذى جعل الشعب الأوربى يهب عن بكره للانخراط فى صفوف الحملة وتخليص بيت المقدس .

---

١ — Thatcher, op. cit., II, p. 2ı1 .

٢ — Michaud, op. cit,, II, p. 21t

ويزودنا الكاتب بتفاصيل هذه الظاهرة قائلا أنه لاح فى السماح شيئا أشبه ما يكون بالصليب في ثلاثة أماكن ، الأول تجاه الشرق وكان الصليب أبيض اللون والثانى تجاه الجنوب وبنفس اللون والشكل ، أما الثالث فكان يتوسطها ولكن لونه كان أسود . والصليب الاوسط الأسود هو الذى يمثل السيد المسيح مصلوبا والآخرين للصين كما هو معروف عند المسيحيين . ويستطرد موضحا أن المسيح كان مثبتا علية وقد دقت المسامير في يديه وقدميه بينما رأسه متدليه إلى أسفل . ويقول أن هذه الظاهرة تكررت أكثر من مرة فى سماء المقاطعة وفى إحدى المرات ظهر بالقرب من الشمس صليب أزرق اللون وأن العديد قد شاهدوه وفي مرة أخرى ظهر صليب أبيض كبير الحجم شاهدة كثير من الناس ويضيف بأن هذا الصليب كان يتحرك ببطء من الشمال الى الجنوب (١).

ومن الواضح أن مثل هذه الظواهر هى أقرب إلي الاساطير والخرافات التى كان المسئولون فى الغرب يستغلونها لتحريك الشعور الدينى لدى مواطنيهم ضد المسلمين في وقت كان عامة الشعب فى الغرب الأوربى يغط فى الجهل كما كانت الكنيسة الكاثوليكية متسلطة على مصائر الأفراد تحركهم كيفما تشاء(٢).

---

١ — Oliver, of Pedenboin of cit., p. 21

وانظر أيضا Roger of Wendover, op. cit,. II, pp; 188-9

٢ — ومن الوسائل التى كانت البابوية تلجأ اليها لاثارة النعرة الدينية لدى الغربيين وحثهم على الاشتراك فى الحملات الصليبية ضد المسلمن ، الاسطورة التى تقول أنه ظهر لكثير من الغربيين خلال الحملة الصليبيه الأولي قتال عنيف بين المسيحيين والمسلمين انتهى =

كما لعب الشعر دورا فى الدعاية للحملة فضلا عن أن بعض الوعاظ أعلن أن البابا إنوسنت الثالث سيتوجه بنفسه على رأس هذه الحملة لزيادة حماس الصليبيين، وازداد التبشير والدعاية للحملة خاصة فى فرنسا وألمانيا وإنجلترا وإيرلندا وأسكتلندا والمدن الايطالية فضلا على الإمارات الصليبية فى الشام.

وفيما يتعلق بالدعوة للحملة والتبشير بها فى فرنسا. نجد أن ذلك بدأ قبل إنعقاد مجلس اللاتيران عندما أوفد البابا روبرت أف كروسون اليها ولكن نظرا لاستياء رجال الدين من تصرفات روبرت، فقد أرسل البابا إلى فرنسا بعد انتهاء المؤتمر جاك دى فترى الذى يعتبر أشهر من قام بالتبشير للحملة(١). فقد سبق له الدعاية للحملة الالبيجنسية فى جنوب فرنسا، وقد أعطته هذه التجربة السابقة خبرة واسعة فى مثل هذه الأمور. لذلك نجح نجاحا كبيرا فى المهمة التى كلف بها واكتسب صفة شعبية واسعة أثناء جولاته فى فرنسا. والمعروف أنه بذل جهداً كبيراً لحث أهل فرنسا على حمل السلاح والتوجه إلى الشرق مشجعا إياهم على الوفاء بوعدهم للاشتراك فى الحملة (٢). ورغم هذا،

= فية الأولون، وما تراءى للويس التاسع قبل قيامه بحملته على مصر بأن مسيحيا ومسلما يتقاتلان وأن المسلم انتصر على المسيحى. وقد فسرت الرؤيا عن حاجة بقايا الامارات اللاتينية فى الشرق الى الغوث. عن ذلك أنظر:

Bray. A. E., The Good Saint Louis and ills Times, p. 54.

راجع أيضا: جوزيف نسيم يوسف: العرب والروم واللاتين ص ٦٤، العدوان الصليبى على مصر ٥٢.

١ — Eracles, op., cit., p, 319

٢ — Vitry, ep, cit., pp, 111-V

فقد صادف جاك دى فترى بعض الصعوبات أثناء قيامه بواجبه . ذلك أن الفرنسيين كانوا لا يرغبون فى العمل إلى جانب الألمان فى الحملة المرتقبة أو حتى التجمع معهم في مدينة برنديزى أو مسينا للتوجه إلى الأرض المقدسة . وعلى أية حال ، فقد استمر جاك دى فترى يعظ في فرنسا حتى عين أسقفاً لمدينة عكا التى وصل اليها فى الرابع من نوفمبر عام ١٢١٦ م (١)، وخلفه فى فرنسا سيمون Simon أسقف مدينة صور التى كانت في أيدى الصليبيين وقتها ، وقد بدأ عمله فى فرنسا فى الشهر التالى من نفس العام (٢) .

ويبدو أن سيمون لم يكن بليغاً كسلفه جاك دى فترى . فلم تكن إجاباته على تساؤلات المواطنين الفرنسيين مقنعة خصوصا فيما يتعلق بقرارات المؤتمر . وكثيرا ما كان يكتفى بذكر أن البابا لم يغير شيئا من خطته . والمهم أن عملية الوعظ والتبشير فى فرنسا قد أتت أكلها ، وتجمع عدد كبير من الصليبيين . ومما تجدر الاشارة اليه أن بعض رجال الدين فى فرنسا سمحوا لبعض للنبلاء الذين سجلوا أسماءهم في سجل الحملة بتأجيل الوفاء بوعدهم ورحيلهم إلى الشرق فى الموعد المحدد ، في الوقت الذى كانوا يهددون فيه العامه بقرار الحرمان إذا ما طلبوا نفس الشيء ،وقد سبب هذا التصرف من قبل رجال الدين قلقا كبيرا للبابا شخصيا ، علاوه على الغضب الذى ساد صفوف العامة (٣) . وربما لجأ رجال الدين إلى هذا الإجراء للحصول على المال من

---

١ — Vitry, Lettres de Jacques de Vitrys, p. 1 .

٢ — Rohricht, Geschichte der Kreuzzuge im Umriss. p. 195 .

٣ — Setton, op.cit., II, p. 385.

النبلاء . وهذا يفسر فتور الروح الصليبية بين أهل الغرب من ناحية وعلى أن رجال الدين أتخذوا من الفكرة الصليبيه ذريعة لاكتناز المال من ناحيه أخرى .

هذا وقد قام بالتبشير بالحمله في فرنسا أيضا الكاردينال جريفاس Grivas الذي حث أودو Odo دوق برجنديا وتيبوت Thibaut دوق اللورين على حمل الصليب والذهاب مع الحملة حتى يستفيدا من كافة الإمتيازات التى يتمتع بها كل من إنخرط فى سلك الحمله (١) .

وإنضم إلى طائفة الوعاظ في فرنسا القديس دومنيك الذى أطلق لحيته منذ إنعقاد مجلس اللاتيران كدليل منه على الذهاب مع الحملة ، وقام بالتبشير لها فى فرنسا إلى جانب زملائه ، كما إستغل وجوده فى فرنسا وقام بالدعوة للحمله الالبيجنسية في جنوب فرنسا فى الوقت نفسه (٢) .

وبالاضافة الى هؤلاء الوعاظ فقد توجه إلى فرنسا ـ عقب الانتهاء من أعمال المؤتمر ـ يوحنا التورى مندوب الملك جان دى برين ليبلغ الملك فيليب أوغسطس وابنه لويس والبارونات الفرنسيين بقرارات المجلس ، وليحثهم على التشاور فيما بينهم من أجل إستعادة بيت المقدس (٣) . ويبدو أن الملك الفرنسي وباروناته لم يكونوا على إستعداد للذهاب مع الحملة ، فاكتفوا بتقديم المساعدات المالية . فقدم فيليب ١/٢ من دخله لدعم الحركة الصليبية ومساهمة

---

١ — Runciman, op. cit., III, p. 145.

٢ — Fadri, op. cit., Vol. 2, part I, p. 351.

٣ — Eracles, op. cit., p. 319

منه في نفقـات الحمله (١) ، وقد حذا حذوه كثير من النبلاء في تقديم المساعدات المالية للحمله (٢).

وصفوة القول أنه رغم إهتمام البـابا بالدعوة للحملة فى فرنسا وإرسال مشاهير رجال الدين وأكثرهم فصاحه اليهـا ، فقد وجدت في فرنسا بعض المشاكل منها فتور الروح الصليبيه عند النبـلاء بعكس العامة رغم شعورهم بعدم وجـود النبلاء إلي جانبهم . وثانيا عدم رغبة الفرنسيين فى العمل الى جانب الألمان ، وثالثا جشع رجال الدين في ابتزاز أموال النبلاء للترخيص لهم بتأجيل الوفاء بوعدهم كما أسلفنا .

وأسند البابا مهمة الدعوة إلي الحملة فى المانيـا إلى بعض الأساقفة ورؤساء الاديرة وبعض رجال الدين الآخرين . ولكن أعظمهم نجاحا كان أوليفر أف بادنبورن الذى كان يتولي أسقفيـه بادنبورن فى ألمانيا . وقام أوليفر بالتبشير للحمـلة فى أقاليم فريزيا وفلاندرز وبارابانت وأترخت وبعض المناطق الأخرى ونجـح فى مهمته نجاحا كبيرا واستطاع أن يجمع ما يقرب من خمسين ألفا من الصليبيين وأن كان هذا العدد مبالغ فيه إلى حـد ما (٣) . ويبدو أن أعمال أوليفر قد حازت رضـا البابـا لذلك عينه كاتبا للمندوب البابوى فى الحملة (٤).

---

١ — Conder, op. cit, p 307.

٢ — Michaud, op , cit., II, p, 20'.

٣ — Setton, op. cit, II, p, 381.

٤ — Runciman. op, cit., III, pp. 483 - 4.

وقام ستيفن لانجتون رئيس أساقفة كانتربرى فى إنجلترا بتعبئة الشعب الإنجليزى للمشاركة فى الحملة (١) ، رغم ما كان يسود إنجلترا فى ذاك الوقت من الإضطرابات . ووعد الملك يوحنا بحمل الصليب والذهاب مع الحملة ، ولكنه قصد من وراء ذلك أن يضع تاجه تحت حماية الكنيسة والحصول على مزيد من رضا البابوية (٢) ، لمساندته ضد باروناته الثائرين عليه . وكان النبلاء الإنجليز أوفى عهدا من ملكهم، فقد رحل مع الحملة النبلاء الذين وعدوا بحمل الصليب وبروا بوعدهم (٣).

كما طاف المبشرون بايرلندا وأسكتلندا للدعاية للحملة وتشجيع أهل هذه البلاد للانضمام إلى صفوفها أما المدن الايطاليه فان التنافس التجارى بينها وبخاصة بين كل من بيزة وجنوه لم يجعلها قادرتين على العمل جنبا إلى جنب فى صفوف الحملة . وقد أخذ البابا على عاتقه تسويةهذاالنزاع،ولكنهمات وهو فى طريقه الى الجنيوية والبيازنة للعمل على فض هذا النزاع (٤) .

وكان لابد أن تحظى الدعاية للحملة والتبشير بها بعناية خاصة فى الإمارات الصليبية بالشام باعتبارها محصله الحركة الصليبية ومنطقة المواجهة مع المسلمين ، فضلا على أنه يوجد بالشام الأماكن المقدسة التى قامت من أجلها الدعوة للحركة الصليبية منذ أكثر من مائة عام قبل ذلك التاريخ . لذلك رأى البابا

---

١ — Michrud, op. cit., 11, p. 208 .

٢ — Conder, op. cit., p. 307 .

٣ — Mattew of Westminester, op. cit., II, p' 134

٤ — Roger of Wendover, op. cit., II, p. 393

هونوريوس الثالث الذى خلف البابا إنوسنت الثالث أن يرسل إلى تلك الامارات الكاردينال جاك دى فترى نظراً لفصاحته وبلاغته وتحمسه الزائد لمشروع الحملة . فعينه البابا هونوريس أسقفاً لمدينة عكا وليتولى مهمة الوعظ والتبشير والدعوة للحملة المقبلة. ووصل جاك دى فترى إلى عكا في الرابع من نوفمبر عام ١٢١٦م ليتولى مهام منصبه الجديد . وإستاء جاك دى فترى مما وجده فى المجتمع الصليبى فى بلاد الشام ، فقد وجد مجتمعا صليبياً غير مترابط يحوى في طياته كثيراً من التناقضات . كما شاهد التنافس الشديد بين أهالى المدن الإيطالية الذين إنضموا إلى المجتمع الصليبى فى الشام لا بدافع الولاء للفكرة الصليبية ولكن سعيا وراء الأرباح التى تعود عليهم من وراء التجارة . وقد أدت هذه المنافسة إلى المشاجرات الدامية بينهم مما كان له أسوأ الأثر فى الإمارات الصليبية خاصة في كل من صور وعكا (١) . ولذلك أطلق عليهم جاك ذى فترى إسم المرتزقة ، كذلك عانى الكثير من الأفريج المتمشرقين الذين كان يطلق عليهم إسم بولان (٢) والذين تأثروا بالعادات الشرقية خاصة فى ملبسهم وإستخدمهم

---

١ — Vitry, op. cit , p. 86. Cf. also Vitry, History of Jerusalem, pp. 65-7 .

٢ — يطلق اسم البولانيين Poulains على سلالة الصليبيين الذين ولدوا وتربوا في الأراضى المقدسة بعد سقوط مدينة القدس فى ايدى اللاتين كما يطلق أيضا على الطفل المولود من أم فرنسيه وأب شرقى وذلك على سبيل السخرية والتحقير . أنظر :

Joinville, Jeau de, Saint Louis, King of France, p. 322 n.3.

راجع أيضا : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على بلاد الشام ص ١٠٦ حاشية (٣) .

اللغة العربية فى حياتهم اليومية ، هذا بالاضافة إلى افتقارهم للروح الصليبية واعتيادهم على حياة الكسل والترف والفساد . ولذلك اعتبرهم جاك دى فترى جماعة من الخونة الغشاشين الأفاقين لتفشى الفجور والدعارة بينهم فضلا عن كونهم جواسيس للمسلمين (١) . أما المسيحيون الشرقيون فى الشام فقد كانوا يكرهون حكم الصليبيين ويفضلون عليه حكم المسلمين (٢) . وربما يرجع ذلك إلى إختلافهم مع الصليبيين مذهبيا ، فقد كانوا من السريان واليعاقبه والنساطره والموارنة والأرمن (٣) .

هذا علاوة على الخلافات السياسية بين الامارات الصليبية نفسها . لذلك كانت المهمة الملقاه على كاهل جاك دى فترى صعبة ومعقدة ، ولكنه رغم ذلك كله فقد إستطاع أن يجدد الحماس الصليبي بعض الشىء فى الامارات الصليبية (٤) .

ولم يقتصر الأمر على أصوات الوعاظ ومندوبى البابا ورجال الدين في التبشير بالحملة ، فقد لعب الشعر دوراً كبيرا فى حث الأوربيين على حمل الصليب . واختار الشعراء فكرة الحملات المقدسة لتكون موضوعا لأشعارهم (٥).

---

١ — Vitry, op. cit., pp. 57-8.

٢ — Runciman, op. cit., III, p. 146

٣ — Rohricht, op. cit., p. 195.

٤ — Setton, op cit,, II, p. 282.

٥ — Michaud, op. cit., ,II. p. 213.

وقد عبر الشاعر بونز أف كابدال Pons of Capdalh فى شعره عن رغبته فى عقد الصلح بين ملكى إنجلترا وفرنسا ليسود بينها السلام ، وأن يتصافى كل من فريدريك الثانى وأوتو الرابع فى المانيا من أجـــل إستعادة بيت المقدس . كما أعجب الشاعر أمرى Aimery بتحمس البابا للحملة ، وأرسـل أشعاره إلى الماركيز وليم أف مونتفرات William of Montferrat يحثه عـلى التوجه إلى الأرض المقدسة ، فضلا عن الأشعار التى رفعت غفلا من الامضاء إلى فيليب أوغسطس ملك فرنسا ، وأوتو منافس الامبراطور فريدريك الثانى فى المانيا ، ويوحنا ملك انجلترا تحثهم على إنهاء الحروب الدائرة بينهم والتوجه الى الأرض المقدسة (١) .

وإذا كان الوعظ للحملة والدعوة لها قـد تطلب جهدا كبيرا من البابا ورجاله ، فان عملية جمع الأموال طبقا لقرار مجلس اللاتيران قد واجهت بعض المتاعب أيضا . ففى أسبانيا كانت الحرب دائرة بين المسلمين والمسيحيين وهى الحرب التى دعا اليها البابا أنوسنت الثالث فى عام ١٢١١م (٢) ، وقد تطلب ذلك جمع الأموال اللازمة لتغطية نفقاتها . ولذلك فان جمع أيه مبالغ أخرى للحملة الصليبيه الخامسة قد قوبل باحتجاج شديد. كما أن تحصيل الأموال فى اسكتلندا لم ينفذ بكل دقة . أضف إلى هذا أن بعض الناس فى أنحاء أوربا كانوا يتساءلون عن فائدة الأموال المردوعة فى خزانة البابا والأموال التى يدفعها رجال الدين .

(١) Setton. Ibid.

(٢) Runciman, op cit., III, p. 13?

ورغم هذا كله فقد تم جمع مبلغ كبير من المال للانفــــاق على الحملة المرتقبة . وتجمعت هذه الأموال لدى أمين مال الفرسان الداويه فى باريس، ثم أرسلت إلى أمين مــال الداويه وإلى رئيس هيئة الاسبتاريه فى الأرض المقدسه وإلى القادة الصليبيين ليوزعوها بمعرفتهم بالعدل على جنودهم (١). ومن الملاحظ أن الأموال لم تسلم من الاختلاسات ، فقــد أتهم روبرت أف كورسون باختلاس بعض هذه الأموال ولعل هذا هو السبب الرئيسى فى أبعاده عن مهمة الوعظ فى فرنسا . كما أن البابا قد استاء أيضا من هذا التصرف وأمر باجراء التحقيق معه فى هذه الواقعة (٢). وإن دل ذلك على شىء فانه ليدل على ضعف الروح الصليبية حتى لدى كبـــار رجال الدين وإتخــــاذهم من الحركة الصليبيه وسيــله لابتزاز الأمــــوال .

هكذا نجح البــابا إنوسنت الثالث فى عقــد مجلس اللاتيران الكنسى وفى إرسال الوعاظ إلى كافة انحاء أوربا للدعوة للحملة والتبشير بها ، يساعدهم فى ذلك رجال الدين ، بل أنه كان على إتصال دائم بهم للوقوف على مدى إستجابة أهل الغرب الأوربى للحملة ، وتلقى وجهات نظرهم (٣) . فضلا عن أنه تبنى موضوع تسويه الخلافات التى كانت قائمة بين المدن الايطالية ، ولكنه مات فى بروجيا Perugia فى شمال ايطاليا وهو فى طريقة لتسوية هذه الخلافات عــام

(١) Setton, op cit., II, p. 386.

(٢) Michaud, op. cit., II, p. 308.

(٣) Runciman, op. cit., III p. 145.

١٢١٦م عن ست وخمسين عاما بعد أن تولى كرسى البابوية لمدة ثمانية عشر عاما (١) ، قضاها فى عمل دائم ومستمر من أجل سيادة البابوية ونجاح الحركة الصليبية دون أن يتطرق إلى نفسه اليأس أو الملل . وتولى بعده الكاردينال سنسيوس Censius تحت إسم البابا هونوريوس الثالث . وسار هونوريوس على هدى المبادىء التى اتخذها مجلس اللاتيران فيما يتعلق بالحملة . وربما يرجع ذلك إلى أن البابا الجديد كان هادىء الطبع ولم يرغب فى الدخول فى صراعات مع الحكام الزمنيين . ولذلك فضل توجيه جهده وجهد العالم الأوربى نحو الحرب الصليبيه (٢) ، خاصة بعد أن هيأ له سلفه الجو المناسب لقيامها ووضع كافة الخطوط الرئيسيه الخاصه بها .

ولما كان على البابا هونوريس الثالث أن يطلع العالم الصليبى على موقفه من الحملة فقد كتب إلى الملك جان دى برين يشجعه ويؤكد له عزمه على إرسال الحملة وأنه سيتم العمل الذى بدأه سلفه إنوسنت الثالث بنفس الحماس والإخلاص ، كما كتب أيضا إلى جميع الأساقفة ورجال الدين يحثهم على الإستمرار فى الدعــوة للحملة والتبشير بهــا والعمل على زياده حماس البارونات والفرسان إستعدادا للذهاب إلى الأرض المقدسه (٣) . هذا ، فضــلا عن إيفاده جاك دى فترى إلى الأراضى المقدسة ليتولى منصب رئيس أساقفه عــكا بالاضافة إلى الدعوة للحملة المقبلة فى الإمارات الصليبية بالشام . ومن الملاحظ أن موت

---

(١) Matthew of Westminster, op cit., II, p. 132.

(٢) Lamb, op. cit., p. 240.

(٣) Michaud, op. cit., II, pp. 215-6.

البابا إنوسنت الثالث لم يؤثر تأثيرا كبيرا على قيام الحملة (١) . فقد عمل البابا هونوريوس الثالث بكل جهده لقيام الحملة في موعدها للسيطرة على بيت المقدس (٢)، ورغم هذا فقد صادف البابا الجديد كثيرا من الصعاب ، أهمها الصراع الحاد الذى تجدد فى إنجلترا بين الملك هنرى الثالث والبارونات عقب موت الملك يوحنا عام ١٢١٦ م ، ومطالبة أوتو الرابع بعرش ألمانيا مرة أخرى وعدم وفاء الامبراطور فريدريك الثانى بوعده فى قيادة الحملة (٣) .

وإذا كان موقف البابا هونوريوس من الحملة هو نفس موقف البابا إنوسنت الثالث فما هو موقف الملوك والأباطرة في أوربا من الحملة ؟ من الملاحظ أنه حتى قبيل إجتماع مجلس اللاتيران الكنسى فى عام ١٢١٥ م كان الصراع والتطاحن بين الملوك والأباطرة يسود القارة الأوربية من أقصاها الى أقصاها تقريبا . هذا بالاضافة إلى الحملة الالبيجنسية القائمة فى جنوب فرنسا والحرب بين المسلمين والمسيحيين فى شبه جزيرة إيبريا مما شغل الأوربيين إلى حد ما .

وفيما يتعلق بموقف الملك يوحنا ملك انجلترا فنجد أنه قد وعد بحمل الصليب ، وبهذا لاح الأمل للبابوية فى الملك الانجليزي لقيادة الحملة (٤) . ولكن الملك يوحنا كان يعلم جيدا أنه لو ترك انجلترا فان البارونات الانجليز

---

(١) Stephenson, op. cit, p. 301.

(٢) Duggan op cit. p. 213.

(٣) Setton, op. cit., p. 384.

(٤) Michaud. op: cit. II, p. 216.

سيلجعون فى الحصول على مزيد من الامتيازات على حساب الملكية . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان الملك الانجليزى لم يكن على وفاق مع البابا ، وإن ما حدث من تقارب بين الرجلين هو تقارب ظاهرى قصد البابا والملك من ورائه مصلحتهما فقط . وعلى أية حال فقد مات إنوسنت ويوحنا قبيل قيام الحملة وخلف إنوسنت الثالث هونوريوس الثالث وخلف يوحنا الملك هنرى الثالث [١]. وقد وعد الملك الجديد بحمل الصليب لارغبة منه فى الذهاب مع الحملة بل رغبة فى الحفاظ على رضاء البابوية فقط [٢].

وبالنسبة لموقف فيليب أوغسطس ملك فرنسا فقد كان أمل البابا فيه أكثر من أمله في الملك الانجليزى يوحنا وذلك لارتباط فيليب إرتباطا كبيراً بمملكة بيت المقدس الصليبية الاسمية فقد كان مستشاراً للصليبين ، وهو الذى رشح جان دى برين لعرش مملكة بيت المقدس الاسمية بالزواج من ماريا وريثة عرش بيت المقدس . كما أن يوحنا التورى مندوب الملك جان دى برين توجه إلى فيليب أوغسطس بعد انتهاء أعمال مجلس اللاتيران ليحثه على إنقاذ مملكة بيت المقدس . علاوة على هذا ، فقد وجه البابا إلى فرنسا إهتماما زائداً للدعوة للحملة والتبشير بها قبل وبعد انعقاد مجلس اللاتيران الكنسى فى عام ١٢١٥ م .

وبالاضافة إلى هذا كله فان العلاقة بين البابا وفيليب كانت طيبة إلى حد

---

(١) Roger of Wendover, op. cit., II, p, 379.

(٢) Michaud, Ibid,

بعيد فى معظم الأوقات . ورغم هذا فقد إعتذر فيليب أوغسطس عن حمل الصليب وقيادة الحملة . وكان عذره فى ذلك هو إنتشار الهرطقة فى جنوب فرنسا وأن إبنه لويس يحارب مع عساكره فى الحملة الالبيجنسية للقضاء على هولاء الهراطقة (١) .

أما فى النرويج فقد نجحت الدعوة للحملة ووعد الملك إنجى الثانى Ingi II بحمل الصليب والتوجه الى الأرض المقدسة ولكنه مات فى ربيع عام ١٢١٧ م (٢).

ورغم أن البابا كان يأمل فى ذهاب الملك يوحنا والملك فيليب أوغسطس مع قواتهما إلى الأراضى المقدسة ضمن الحملة المزمع قيامها فان أمله الكبير كان معقودا على الامبراطور فريدريك الثانى . ذلك لأن فريدريك يعتبر صنيعه البابوية ، فقد كان البابا إنوسنت الثالث وصيا عليه بعد وفاة والدته أيام كان صبيا يحكم صقليه ، كما أن البابا سانده بكل ثقله فى صراعه ضد أوتو عندما قام الأخير بغزو صقليه عامى ١٢١٠ و ١٢١١م مما ترتب عليه عزل أوتو وإختيار فريدريك الثانى ملكا على المانيا وعندما توج فريدريك الثانى فى عام ١٢١٢م فى مدينة إكس لاشابل رد هذا الجميل للبابا إنوسنت الثالث ووعد بحمل الصليب (٣) ومما لاشك فيه أن هذا الاعلان من قبل فريدريك الثانى قد زاد الأمل فى نفس البابوية ، فضلا عن ذلك فان الامبراطور فريدريك الثانى كان إبنا بارا للبابوية — قبل قيام الحملة — وكان يعمل دائما

---

١ — Tilly, A, *Mediaeval France*, p. 57

٢ — Runciman, op. cit., III p. 146.

٣ — Eracles, op. cit., p. 299.

للحصول على رضا البابوية . ففي عام ١٢١٢م أعلن ولاءه للكنيسة وجعل البابا المرجع الأخير في كافة الأمور التي تتعلق بالكنيسة في مملكته (١) ، ولذلك ساندته البابوية مرة أخرى ضد أوتو وحلفائه (٢) . ومما أكد أمل البابا في فريدريك لقيادة الحملة هو ما أعلنه الاخير — بعد ما توجه سيفريد Sifride رئيس أسقافه مينز إمبراطورا للامبراطوريه الغربيه (٣) — عن اشتراكه في الحمله التي قررها مجلس اللاتيران الكنسي (٤) . وأضاف أنه ليس لديه عمل أفضل من محاربة المسلمين (٥) . وكان لموقف فريدريك الثاني من البابويه ومن قرارات مجلس اللاتيران الكنسي ووعده بالذهاب الى الأرض المقدسه أثرا كبيرا في نفوس الأمراء الألمان ، فقد حذوا حذو إمبراطورهم وعقدوا اجتماعات متعددة لهذا الغرض كما إنضم إليهم كبار رجال الدين وبدأوا يعملون جميعا جنبا إلى جنب، وزاد من اطمئنان البابويه أن فريدريك كان يجلس بنفسه في الكنيسه يطالب المواطنين الالمان بالانضمام إلى صفوف الحمله(٦). وكلل هذا النشاط الكبير الذى تزعمه الامبراطور فريدريك بانضمام عدد كبير إلي الحملة من البافاريين والفريزيين والسكسون وأهل مورافيا وبرابانت

١ — Fredrick. II, Promis to The Pope Innocent III. cf. Thatcher, op. cit , pp. 230-2.

٢ — Eracles, op. cit., p 400.

٣ — Mainbourg, P., Histoire Universelle des Croisades, p. 275.

٤ — Iorga, op cit. p 152.

٥ — Cambpell, op cit., p. 581.

٦ — Rohricht, Beitrage Zur Geschichte der Kreuzzuge, pp. 3-4.

وستراسبورج وآخرين (١) .

ورغم الآمال المعقوده على فريدريك ونشاطه الملحوظ فى الدعوة للحملة فلم تظهر عليه بوادر الوفاء بوعده للقيام مع الحملة فى أول يونيه من عام ١٢١٧ (٢)، ثم إعتذر عن الذهاب على رأس القوات الصليبية ووعد باللحاق بها وعلل ذلك بأن أوتو الرابع ظهر مره أخرى ليطالب بعرش ألمانيا وأنه مضطر للبقاء فى أوربا لحماية ممتلكاته (٣) . وكان هذا الموقف من جانب الامبراطور الألمانى بمثابة صدمة كبيره للبابا هونوريوس الثالث ، ولكنه لم يفعل شيئا من شأنه أن يسيء إلى العلاقات بين الامبراطور والبابويه وأكتفى بعتاب فريدريك وأمرائه على أمل أن يلحقوا بالحملة (٤) .

وهكذا ضاع الأمل أيضا فى قيادة الامبراطور الألمانى للحمله الصليبية الخامسه ولم يبق فى أوربا ممن وعدوا بحمل الصليب سوى أندرو الثانى Andrew II ملك هنغاريا (١٢٠٥ — ١٢٣٥ م) . فقد تعهد بحمل الصليب وفاء لعهد قطعه أبوه على نفسه لم يتمكن من الوفاء به (٥) . فاتصل البابا بالملك الهنغارى ولكن الملك إعتذر فى أول الأمر بسبب الحرب الأهلية الدائره فى بلاده (٦) . وهكذا ضاع الأمل فى كافة الحكام الأوربيين فى تولى قيادة

---

١ — Michaud, op. cit., II. p. 217.

٢ — Wiegler, The Infidel Emperor. p. 89.

٣ — Brehier. op. cit. 197.

٤ — Wieglar, Ibid

٥ — Vambery, Hungry. p. 126.

٦ — Runciman, op. cit., II. p. 146.

الحملة ولاشك أن ذلك كان له أسوأ الأثر فى نفس البابا وعلى نتائج الحملة كلها . ولكن البابا لم ييأس وعاود الإتصال مره أخرى بالملك أندرو الثانى فوافق آخر الأمر على قيادة الحمله (١). وهى المعروفه فى التاريخ باسم الحمله الهنغاريه والتى تعتبر من وجهة التخطيط العام طليعة الحملة الصليبية الخامسة أو مقدمة لها . ويلاحظ أن الحمله التى قادها أندرو تختلف عن الحمله التى قادها جان دى برين للهجوم على مصر .

هكذا استقر الأمر أخيرا على قيام الملك أندرو الثانى على رأس الحملة التى تحدد لها أول يونيه من عام ١٢١٧م موعدا لقيامها ، حسب ماتقرر فى مجلس اللاتيران الكنسى وهو نفس موعد انتهاء الهدنة مع المسلمين (٢) . وكان على أندرو إعداد السفن اللازمه لنقل الجنود من مراكز تجمعها إلى الأراضى المقدسه ، فبدأ بارسال سفاره من جانبه على رأسها الكسندر سيبنبرجن Alexandre Sibenburgen وفوضه بسلطات واسعه فى عقد إتفاقية مع بطرس زيانى Peter Ziani دوج البندقية لنقل جنود الحمله إلى سواحل الشام . وتم الاتفاق وبموجبه تنازل أندرو نهائيا عن مدينة زارا واطلاق حرية التجاره بين هنغاريا والبندقية . مقابل أن تمدهم البندقية بعشر سفن كبيرة الحجم نظير خمسمائه وخمسين ماركا فضيا عن كل سفينه ، بالاضافة إلى بعض سفن أخرى أقل حجما من السفن العشرة على أن يدفع لكل سفينة مبلغا من المال يعادل نسبة حجمها . وقد تم

---

١ — Lamb, op. cit,. p. 240.

٢ — Eraçles, op cit., pp. 321-2.

الاتفاق على دفع مجموع المبالغ على ثلاث دفعات . تدفع الدفعة الأولى منها فى عيد العنصرة (١) (٥ مايو ١٢١٧) ، ويتم دفع الثانية قبل نهاية مايو ، أما الأخيرة فيتم دفعها عند قيام الحملة . وقد تم إعداد السفن اللازمة لنقل الجنود وأصبحت مستعدة للابحار إلى عكا فى الخامس والعشرين من يوليو من نفس العام وبذلك تأخر موعد قيام الحملة حوالي شهرين تقريبا . ولهذا السبب فان الملك الهنغارى بدأ السير من بلاده في بداية شهر يوليو فى طريقه إلى مدينة سبلاتو Spalato ـ التى اختيرت أخيرا كنطقة لتجمع الحمله ـ يرافقه ليوبولد Leopold دوق أستريا وعديد من الأساقفة والكونتات بالاضافة إلى جموع الصليبيين ، واتخذ الجميع طريقهم إلى سبلاتو عن طريق موانى ساحل دلماشيا (٢).

وخيرا وبعد هذه الأحداث وصل أندرو ورجاله إلى سبلاتو حيث إستقبله أهل المدينة إستقبالا رائعا وأكرموا ضيافته ومن معه من

---

١ ـ عيد العنصره ، Whitsunday هو العيد الذي يحتفل به المسيحيون عامة بعد عيد القيامة بخمسين يوما بمناسبة حلول روح القدس في تلاميذ السيد المسيح وليس له تاريخ محدد فهو متغير تبعا لتغير عيد القيامة . ويختلف تحديد عيد القيامة عند المسيحيين الشرقيين والغربيين ، فبالنسبة للغرب يحدد عيد القيامة بيوم الأحد الذى يلى اكتمال القمر ـ حتى يصبح بدرا ـ الذي يلى الاعتدال الربيعى (٢١ مارس) سواء أكان قبل أو بعد أو مع عيد فصح اليهود . عن ذلك أنظر :

Ency , Brit , Vol , 7 p 865 , Vol 23 , pp 293 - 4

وعلى ذلك حدد الباحث عيد العنصرة فى عام ١٢١٧ م بيوم (٥ مايو) . أما المسيحيون الشرقيون فيحتفلون بعيد القيامة فى يوم الأحد الذى يلى عيد فصح اليهود ولمعرفة مواعيد عيد عيد القيامة عند الشرقيين أنظر: القديس أنبا ديمتربوس الكرام : شرح حساب الكنيسة القبطية ص ٤٣ وما بعدها والجدول رقم (١٩) .

٢ ـ Setton , op cit, pp. 387 - 8,

الجنود(١) .وقد تأثر أندرو بهذه الحفاوة فأهدى إلى المدينة قلعة سلسيا Clissa المجاورة لهم ، كما أهدى إليهم أيضا الجزيرة المقابلة لهذه القلعة . ولما كان عدد الفرسان الصليبيين يزيد على عشرة آلاف فارس بالإضافة إلى عدد كبير من المشاة فكان على الملك هنغارى الانتظار لعدة أسابيع حتى يتم توفير السفن الكافيــة لنقل كل هؤلاء الجنــوذ ، لذلك فضل بعض الفرسان العودة إلى بلادهم على ان يلحقوا بالحملة فى الربيع القادم (٢) . أما عن الفرنسيين الذين انضموا الى قوات أندرو فكانوا قليلى العــدد ، ذلك لأن القوات الفرنسية جاءت إلى الشرق على فترات امتدت حوالى سنتين قبل وبعد ذلك التاريخ فضلا عن انهم كانوا الا يفضلون العمل إلى جانب الهنغاريين والألمان(٣). وفيما يتعلق بالقوات الألمانية فلم تنضم الى قوات الملك الهنغارى ولم تعمل فى صفوف الحملة الهنغاريه فى الشام لأنها اتخذت الطريق البحرى فى الشمال حتى وصلت الى أسبانيا وهناك انضمت الى قوات المــلك الفونسو الثــانى Alfonso II (١٢١٢ - ١٢٢٣م) وحاربت المسلمين ، ثم اتجه بعضها بعد ذلك الى ايطاليا ومنها الى عكا فوصلتها فى ربيع عام ١٢١٨ م (٤) ، أى بعد انتهاء أعمال الحملة الهنغارية وعودة أندرو الى بلاده . والمهم أن الملك الهنغارى وجنوده ظلوا ينتظرونهم على ساحل دلماشيا حتى نفذت أموالهم (٥) ، فاضطر أندرو الى فرض بعض الضرائب والاستيلاء على بعض

---

١ — Michaud , op. cit., II , p 224.
٢ — Setton , op. cit., II , P 388.
٣ — Eracles , op. cit., , p 322
٤ — Oliver of Podenborn , op. cit,, pp 20 - 21,
٥ — Michaud , op. cit, , II, p. 218 .

الأوعية المقدسة من الكنائس فضلا عما تم بيعه ورهنه من العقارات لمواجهة نفقات الحملة المتزايدة (١) . وبعد أن مل أندرو ورجاله إنتظار إخوانهم الألمان تحركت دفعة منهم تحت قيادة ليوبولد دوق أستريا ووصلت إلى عكا في بداية سبتمبر من عام ١٢١٧ م (٢) ، يدفعهم الأمل في نجدة الاراضي المقدسة والسيطرة على بيت المقدس (٣) .

وما أن وصل ليوبولد إلى عكا حتى أرسل سفاره إلى بوهمند الرابع أمير طرابلس يدعوه للانضمام للحملة . وقد لبي بوهمند الدعوة وأحضر معه بعض الأمراء الصليبيين منهم جي الثاني صاحب جبيـل Guy II of Jebail وشخص يدعى برتران Bertran وآخر يدعي وليم William وهما من جبيـــل أيضا بالاضافة الى مارشال طرابلس . وبعـد أن التقى هؤلاء الزعماء اتفقوا على إرسال سفارة الى قبرص لدعوة الملك هيو للانضمام للحمـلة . وتكونت السفارة من فيرى دى بيتو Feri de Beto وهو من أعيان المانيا وجارنييه Gaurnier وهو من أعيان الصليبيين . كما إنضم الى الحمله أيضا جوتييه الثالث Gautier III صاحب قيسارية (١٢١٧ – ١٢٢٩ م) ويوحنا أف إبلين صاحب بـيروت (١٢٠٥ – ١٢٣٦م) – الوصى السابق على عرش مملكة بيت المقـدس الإسمية وإبنه فيليب (٤) ، فضلا عن رادلف بطريق بيت المقدس وعدد آخر من كبار

١ – Setton, op. cit., II, p. 387.

٢ – Rohricht, Geschichte per Kreuzzuge im Umriss, p. 196.

٣ – Fabri, op. cit., Vol. 2, part I, p. 352,

٤ – Eracles, op. cit., p. 322,

رجال الدين على رأسهم جاك دى فترى وسيمون أسقف صور وغيرهم،بالاضافة الى رؤساء جماعات الفرسان الداوية والاسبتارية والتيوتون وآخرين غيرهم(١).

وفي تلك الأثناء واجه الزعماء المجتمعون في عكا إنتظارا لوصول الملك أندرو والملك هيو ، واجهوا مشكلة نقص المواد الغذائية لتموين الحملة . وتفاقمت الأزمة حتى بيع الرغيف الصغير بحوالى اثنى عشر دينارا مما دفع الجند الى السلب والنهب ، فسلبوا ونهبوا كل ما وقع تحت أيديهم ولم يتورعوا عن سلب المنازل والأديرة (٢) . وكانت هذه الأزمة سببا فى هلاك عدد كبير من الصليبيين وضعف الروح المعنوية بينهم فأشار بعض الأساقفة والقادة على الصليبيين بالعودة إلى أوطانهم . وفعلا رحل عدد كبير منهم الى ديارهم(٣) .

ونتيجة لما حدث سادت الفوضى المعسكر الصليبي ، ورأى القادة الصليبيون ضرورة القيام ببعض الأعمال العسكريه ضد المسلمين لشغل الصليبيين عن الحالة التى وصلوا اليها (٤) . وفى هذا الوقت وصل هيو ملك قبرص ومعه قائد الجيش القبرصي وعدد كبير من التركوبول (٥) والفرسان ، هذا بالاضافة الى

١ — Oliver op Padenborn, op. cit,, pp. I2 ff .

٢ — Michaud, op. cit., II, p. 225.

٣ — Setton, op. cit , II, p. 389.

٤ — Eracles, op. cit., pp. 322-3

٥ — التركوبول ، Turcopoles من العناصر التركية التى كانت تعمل كجند مرتزقة فى خدمة أى حاكم أو أمير يدفع لهم المبلغ الاكبر ، ومن هذه العناصر أيضا البتشنج Pechenegs والكومان Kumans . انظر من ذلك :
Setton, op. cit ; I, pp. 215, 261,354 ff.

إيوستورج رئيس أساقفة نيقوسيا (١) ، كما وصل أيضا في الوقت نفسه الملك اندرو الذى بدأ رحلته من ميناء سبلاتو في أوائل سبتمبر سنة ١٢١٧ م تاركا ورائه الجزء الأكبر من جيشه (٢) . وربما يكون ذلك بسبب قلة امكانياته الماليه .

على أية حال ، فانه عقب وصول الملك أندرو عقد القادة مجلسا للحرب حضره الملوك الثلاثة أندرو وجان دى برين وهيو ، كما حضره بوهمند الرابع أمير طرابلس وانضم اليهم جمع كبير من الاساقفة على رأسهم جاك دى فترى أسقف عكا وسيمون رئيس أساقفة صور وروبرت Robert رئيس أساقفة الناصرة ورادلف أف ميرنكورت بطريق بيت المقدس الإسمي هذا بالاضافة الى ايوستورج رئيس اساقفة نيقوسيا وعدد آخر من رجال الدين والفرسان ، وعرض على هذا المجلس الخطه التى سبق أن تدارسها - قبل وصول الحمله المنغاريه - جان دى برين مع رؤساء الداوية والاسبتاريه والتيوتون(٣).

وتتلخص هذه الخطة في قيام بعض القوات الصليبية بمهاجمه مدينة نابلس للتمويه على هدف الحملة الرئيسى وهو غزو مصر . وفى الوقت نفسه تقوم القوات الرئيسية للحملة بمهاجمة مدينة دمياط تمهيداً للاستيلاء على مصر كلها باعتبارها الطريق الوحيد لهزيمة المسلمين فى الشام وإستعادة الأرض المقدسة ،

---

١ - Histoire des Archevqeues Latins de L'ils de Chypre, p.216
ونيقوسيا Nicosia تعرف فى المصادر العربية باسم الافقوسيه وكانت عاصمة لجزيرة قبرص .

٢ - Runciman, op. cit., III, pp. 147 - 8.

٣ - Eracles, Ibid

ولكن مجلس الحرب المنعقد أرجأ تنفيذ هذه الخطة لوقت لاحق وذلك بسبب قله القوات وعدم توافر السفن اللازمه لنقل جنود الحمله إلى مدينـــة دمياط استعداداً للقيام بهذا الغزو الكبير (١) . وبعـد أن طرحت هذه الخطة جانبـاً تدارس المجلس خطة أخرى تهدف إلى مهاجمة مدينة بيت المقـــدس . ولكن المجلس إرتأى عدم إمكان تنفيذها لعدم توفر الماء الكافي لقواتهم عند المدينـة المقدسة (٢). وبعد أن تعذر على القادة المجتمعون تنفيذ خطة مهاجمـــة دمياط أو بيت المقدس قرر المجلس مهاجمـة مدينه دمشق (٣) وبدأ القـادة الصليبيون في إعداد الجيش تمهيداً للقيام بهذا الهجوم . ولما أصبحت القوات الصليبيه على أهبة الإستعداد فى السادس من نوفمبر ١٢١٧ م الرابع من شعبان ٦١٤ هـ لمنازلة المسلمين قدم رادلف ـ بطريق بيت المقدس الأسمي ـ فى خشوع وإحـــترام شظية الصليب إلى الملك أندرو باعتباره قائد القوات المجتمعة عـلامة على بداية الحـــرب (٤) .

وفي هذه الأثناء كان الملك العادل مقيما بالقاهرة،وقد بلغه نزول الصليبيين بالشام وإجتماعهم لمهاجمة المسلمين . فخرج من مصر متجها إلى الشام فوصل إلى الرمله ومنها إلى اللد . وعندماعلم الصليبيون بقدومه غيروا خطتهم، وبدلا من مهاجمة دمشق خرجوا من « عكا ليقصدوه » ، وساروا فى طريقهم إلى مدينه بيسان في نفس الوقت الذي سار فيه العادل إلى بيسان أيضاً « لحماية أطراف البلاد مما يلي عكا » ، ونجح العادل فى الوصـول إلى بيسان قبل أن يصـل اليهـا

١ – Setton, op, cit,, II, pp. 389 - 90.

٢ – Rohricht., Geshichte des konigreichs Jerusalem, pp. 722-3.

٣ – Iorga. op. cit,. p. 153.

٤ – Oliver of Rademporm. op. cit,. p. 14.

الصليبيون (١) . وصعد العادل إلى تل المدينه وأخذ يراقب الصليبيين وهم في طريقهم اليه عن طريق عين جالوت يتقدمهم الملك أندرو ، وقد بلغ عددهم مايقرب من خمسة عشر ألفا (٢) . ورأى العادل أنه من الأفضل عدم الإشتباك مع الصليبيين لكثرتهم العددية وقلة عساكره « لأن العساكر كانت متفرقة فى البلاد » (٣) ، وقرر التراجع عن مدينه بيسان . ولما إستعد للانسحاب من المدينة قال له ابنه الملك المعظم « إلى أين ؟ فشتمه بالعجمية وقال بمن أقاتل أقطعت الشام مماليكك وتركت أولادالناس الذين يرجعون إلى الأصول » (٤) . ويروى أبوشامة أن العادل أضرم النار فى مدينة بيسان قبل أن ينسحب منها (٥) . بينما يذكر أوليفر أنه عندما وطأت أقدام الصليبيين مدينة بيسان وجدوها خالية من السكان فنهبوها وإستولوا على كل ما وقعت عليه أيديهم (٦) . وهذا يوضح أن العادل لم يشعل النار في المدينة لأنه لو اشتعلت المدينة لما وجد الصليبيون فيها ماينهبوه . أما ابن الأثير فيروى أن أهل مدينة بيسان إطمأنوا إلى وجود العادل بينهم فلم يفارقوا المدينة ففاجأهم الصليبيون ولم يستطع النجاة منهم إلا القليل (٧) . وتؤكد هذه الروايه أن العادل لم يحرق المدينة . وتتفق

---

١ ـ ابن الأثير : المصدر السابق جـ ١٢ ص ٢٠٩ .

٢ ـ ابن الجوزى : المصدر السابق جـ ٨ ق ٢ ص ٥٨٣ .

٣ ـ ابن الاثير : المصدر السابق نفس الموضع . وتدل هذه الجلة على أن العادل لم يكن مستعدا للحرب .

٤ ـ المقريزى : السلوك جـ ١ ق ١ ص ١٨٦ .

٥ ـ أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ١٠١ .

٦ ـ Oliver of padendorn, Loc. cit.

٧ ـ ابن الأثير : المصدر السابق نفس الموضع .

رواية كل من إبن واصل (١) والمقريزى (٢) مع ماذكره كل من إبن الأثير وأوليفر . والأرجح أن العادل إنسحب فجأة من بيسان ـ دون أن يشعل النار فيها ـ فى الوقت الذى وطأت فيه أقدام الصليبين المدينة . ويبدو أن إنسحاب العادل بهذه الصورة قد شجع الصليبيون على التمادى فى مهاجمه المنطقة الواقعة بين بيسان وبانياس . وليس ذلك فحسب ، بل انهم توغلوا داخل الأراضى الإسلامية وإنتشرت جنودهم فى القرى حتى وصلت إلى خسفين (٣) فنوى (٤) فأطراف السواد (٥) وقاموا بأعمال النهب والسلب ، بالاضافة إلى أنهم قتلوا خلقا عظيما (٦) ، كما حاصروا مدينة بانياس لمدة ثلاثه أيام ثم عادوا إلى عكا محملين بالغنائم والأسرى (٧) ، سوى « ماقتلوا وأحرقوا وأهلكوا »

---

١ ـ ابن واصل : المصدر السابق جـ ٣ ص ٢٥٠ .

٢ ـ المقريزى : المصدر السابق جـ ١ ق ١ ص ١٨٦ ـ ١٨٧ .

٣ ـ خسفين ، قريه من أعمال حوران ، بعد نوى ، فى طريق مصر ، بين نوى والأردن وبينها وبين دمشق خمسه عشر فرسخا . انظر : ياقوت الحموى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٤٤٢ .

٤ ـ نوى ، ويرسمها ياقوت (نوا) وهى بليدة من أعمال حوران وقيل هى قصبتها بينها وبين دمشق منزلان . أنظر : ياقوت الحموى : المصدر السابق جـ ٤ ص ٨١٥ .

٥ ـ السواد ، وهو رستاق العراق وضياعها التى افتتحها المسلمون وسمى بذلك لسواده بالزرع والنخيل والاشجار . وحد السواد مدينه الموصل طولا الي عبادان ومن العذيب بالقادسيه الى حلوان عرضا . أنظر : ياقوت الحموى : المصدر السابق جـ ٣ ص ١٧٤ . والسواد المقصود هنا هو المنطقة الواقعة شرق بحيرة طبرية .

٦ ـ السلامى : مختصر التواريخ (مخطوط) ورقه ٣٢١ .

٧ ـ Olivor of Padenborn, loc. cit.

وذلك فى الوقت الذى أقام فيه العادل بمرج الصفر بعد إنسحابه من بيسان (١)؛

وبعد أن إستراح الصليبيون بمرج عكا ثلاثة أيام إتجهوا شمالا إلى مدينة صور الصليبية ومنها إتجهوا الي مدينة صيدا الاسلامية فأغاروا عليها ونهبوها، ثم أغاروا على الشقيف (٢) وأنزلوا بها ما أنزلوه بصيدا ثم عادوا إلى عكا مرة أخرى فى الرابع عشر من نوفمبر / الثانى عشر من شعبان (٣) .

ومن الواضح أن أعمال القتل والسلب والنهب التى مارسها الصليبيون فى هذه الغارات قد ازعجت المسلمين وتسببت فى غلاء الأسعار . وخاف الناس على أنفسهم « وعزموا على ترك البلاد » وامتلأت المساجد بالضجيج والدعاء، ولم يطمئن أهل دمشق إلا بعد أن رأوا الملك المجاهد صاحب حمص وقد أتى إلى دمشق على رأس عساكره لنجدة عمه العادل، لذلك خرج لاستقباله وكان يوما مشهودا (٤) .

كما أن العادل نفسه قد إنزعج أيضا لدرجة كبيرة حتى أنه بعث « بأثقاله ونسائه إلى بصرى (٥) . ومهما يكن أمر هذا الإنزعاج، فان الملك العادل بدأ

١ ـ ابن واصل : المصدر السابق ج ٣ ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ .

٢ ـ الشقيف، والمقصود به شقيف تيرون، والشقيف كالكهف أضيف الي تيرون، اسم رجل، وهو حصن وثيق بالقرب من صور . انظر : ياقوت الحموي : المصدر السابق ج ٣ ص ٣٩ .

٣ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ٢٠٩ . أنظر أيضا:
Oliver of Padenborn. pp . 14 - 5.

٤ ـ أبو شامة : المصدر السابق ص ١٠٢ .

٥ ـ ابن الجوزى : المصدر السابق نفس الموضع . ومدينة بصرى من أعمال دمشق وهى قصبة كورة حوران وهى مشهورة عند العرب منذ القدم . أنظر : ياقوت الحموي : المصدر السابق ج ١ ص ٤٦٥ .

يستعد لملاقاة الصليبيين بعد أن وافته الامـدادات . فقام بتجهيز إبنه المعظم عيسى صاحب دمشق بطائفة من الجند وأرسله إلى نابلس لكى يمنع الصليبيين من الوصول الى مدينه بيت المقدس(١) .

ويبدو أن ما أحرزه الصليبيون من نصر في الغارات السابقة قـد أغراهم على مزيد من الهجمات ضد القلاع والحصون الاسلاميه . وكان حصن الطور من القلاع المتقدمة التى تهدد كيان الصليبيين والذى من أجله طلب الملك جان دى برين من البابا إنوسنت الثالث إعداد الحمله الصليبيةالخامسة. وكان جان دى برين غير مقتنع بضياع الجهود الصليبيةفي الغاراتالتيلا تعودإلا بالاسلاب والغنائم فحسب، بل كان يرى القيام بعمل عسكرى ضدحصن الطورالذىيهددأمن مملكته، ويبدو أن هذا العمل لم يحظ بموافقة الجميع ، لذلك نجده يقوم من جانبه باعداد حمـلة لمهاجمة هـذا الحصن وتدميره ، ومن الملاحظ أن الملك أندروو والملك هيو لم ينضما إلىهذهالحملة، كاان جاندى بدين لم ينتظر مساعدةالهيئاتالدينية(٢) . ولم يلحق به سوى بوهمند الرابع (٣).وإتجهت هذه الحملة الجزئية إلى حصن الطور فوصلته يوم الأربعاء ثامن عشر من شعبان عام ٦١٤ه‍ (٢٠ نوفمبر ١٢١٧م).ويبدو أن الظروف لم تساعدهم على شن هجوم سريع على الحصن ، وربما يرجع ذلك إلى مناعة حصن الطور . فانتظروا إلى يوم الأحد الثانى من رمضان (٣ديسمبر) من نفس حيث ساعدهم وجود ضباب كثيف على مهاجمه الحصن . ولم يشعر المسلمون

١ — ابن الأثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ٢١٠ .

٢ — **King, op. cit., p. 188.**

٣ — **Rohricht, op. cit., p. 726.**

الذين بالداخل إلا برماح الصليبيين وقد التصقت بجدار الحصن . ورغم ذلك لم يستسلم المسلمون بل فتحوا باب الحصن وإنقضوا على المهاجمين «بالفارس والراجل» مما جعل الصليبيين يرتدون إلى أسفل الحصن ، وبدأوا في إعادة تنظيم صفوفهم إستعدادا لمهاجمة الحصن مرة أخرى . وفي الرابع من رمضان (٥ ديسمبر) هاجموا الحصن من الناحية الشمالية الشرقية وإستخدموا سلمـــا كبيرا زحفوا به وألصقوه بجدار الحصن ودار بين الفريقين قتـال عنيف (١)، ورجحت كفه الصليبيين لدرجة أنهم كادوا يستولون عليـه (٢) . ولم يستسلم المسلمون اليأس ، وأبدوا شجاعة فائقة في الدفاع . وتمكن أحد الزراقين (٣) من ضرب السلم بالنفط (٤) فأحرقه ، كما قتل أيضا عددا من أعيان الصليبيين فصاحوا وكسروا رماحهم . وفي الوقت نفسه إستشهد بعض المسلمين منهم الأمير بـدر الدين محمد بن أبي القـاسم (٥) . ولما كان المسلمون يقدرون

---

١ ـ ابن الجوزي : المصدر السابق جـ ٨ ق ٢ ص ٢٨٤ ، أبو شـامه : المصدر السابق ص ١٠٢ .

٢ ـ ابن الأثير : المصدر السابق جـ ١٢ ص ٢١٠ ، ابن واصـل : المصدر السابق جـ ٣ ص ٢٥٧ . Oviver of padenborn, op. cit. p. I5

٣ ـ الزراقين . جمع زراق وهو الذي يتولى صناعه تواوير وقود النفط ونحو ذلك : أنظر : العماد الأصفهاني . المصدر السابق ص ٣٧١ .

٤ ـ النفط ، ومنه تصنع قوارير وقـدور النفط التي يرمى بها على الحصون والقلاع للاحراق على أن القوارير في اللغـة أسم للزجاج وانما استعيرت في الات النفط مجاز . كما كانت هذه القدور أو القوارير يرمى بها بالدافع التي كانت تسمى مكاحل البارود أنظر : القلقشندي : المصدر السابق جـ ٢ ص ١٣٨ ، أنظـر أيضا . عبد الفتاح عباده : سفن الاسطول المصري ص ٨ ، ٢٣ .

٥ ـ هو محمد بن أبي القاسم بن محمد أبو عبد الله الهكاري الأمير بدر الدين وكان =

أهميه حصن الطور بالنسبه لهم وللصليبيين فقد قرروا القتال حتى الموت (١) . ومن الواضح أن إنتصار المسلمين قد فت فى عضد الصليبيين فلم يتمكنوا من مهاجمة الحصن مرة أخرى فقرروا الانسحاب . وقاموا باشعال النار حول الحصن لتغطية إنسحابهم ، ورحلوا فى فجر يوم الخميس السادس من رمضان (٧ ديسمبر) ومعهم بعض الأسرى . وكان من بين الأسرى بعض الأطفال فعمدهم رادلف بطريق بيت المقدس وجاك دى فترى أسقف عكا (٢) . وتكشف فكرة التعميد هذه عن التزمت الدينى عند الصليبيين ، وإرتباط الناحية التبشيرية بالفكرة الصليبية نفسها بحيث لا يمكن فصلها عن بعضها وبخاصه منذ بدايه القرن الثالث عشر الميلادى بعد فشل الحملات الصليبية العسكرية خلال القرن الثانى عشر فى تحقيق أهدافها فى رقعه الشرق الأدنى الإسلامى (٣) .

والمهم أن الصليبيين فشلوا فى الاستيلاء على حصن الطور الذى يعتبر أحد الأسباب المباشرة لقيام الحملة الصليبية الخامسه - التى كانت الحمله الهنغارية طليعة لها - وذلك بسبب عدم شجاعه الفرسان الصليبيين، وقلة المياه عند الحصن (٤)، فضلا عن بسالة المسلمين فى الدفاع عنه . أما تاريخ هرقل فيروى أن سبب فشل الصليبيين يرجع إلى عدم وجود آلات الحصار اللازمة ، لذلك

= من المجاهدين وله مواقف مشهوره فى قتال الفرنج . وكان من أكابر أمراء الملك المعظم وكان يستشيره ويصدر عن رأيه ويثق به لصلاحه وتدينه . وكان سمحا جوادا ، وبعد استشهاده نقــل جثمانه الى القدس ودفن بها . أنظر : ابن الجوزى . المصدر السابق جـ ٨ ق ٢ ص ٢٥٩ .

١ - أبو شامة : المصدر السابق ص ١٠٢ - ١٠٣ .

٢ - Oliver of Padenborn, op. cit p. 16.

٣ - جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين ص ٦٩ - ٧٠

٤ - Michaud, op. cit., II, p. 228.

إنسحبوا بعد عشرة أيام من الحصار (١) وعلى أية حال ، فانه بعد إنسحاب الصليبيين حضر الملك المعظم وصعد إلى الحصن « وأطلق المال وطيب قلوب الناس » (٢) ، وشكر لهم ما صنعوه (٣) .

وبعد عودة الصليبيين من غارتهم الفاشله على حصن الطور رأى بعضهم القيام بعمل عسكرى آخر علهم يحققون من ورائه نصرا يستردون به كرامتهم المهدورة (٤) . فاتجهوا إلى مرج عيون (٥) وشقيف أرنون (٦) . وأثناء تواجد الصليبيين فى هذه المنطقه صمم ديونيس Dionise ابن أخت أندرو ملك هنغاريا على مهاجمه جبل صيدا (٧) . وقد نهاه صاحب صيدا الصليبى وقال له هؤلاء رماه وبلد وعر ولكن ديونيس لم يقبل النصيحه وقام

١ — Eracles, op. cit., p. 324.

٢ — العينى : عقد الجمان (مخطوط) مجلد ١٥ جـ ١٧ لوحه ٣٦٨ — ٣٦٩ ، ابن الجوزى : المصدر السابق جـ ٨ ق ٢ ص ٥٨٤ — ٥٨٥ .

٣ — ابن ايبك : كنز الدرر (مخطوط) جـ ٧ ورقه ١٧٦ .

٤ — Michaud, op. cit., II, p. 228.

٥ — مرج عيون ، مرج واسع بين نهر اليرموك وشقيف أرنون . أنظر : العماد الأصفهانى : المرجع السابق ص ٢٨٥ ، ابن شداد : المصدر السابق ص ٩٧ . أنظر أيضا : ياقوت الحموى : المصدر السابق جـ ٤ ص ٤٨٨ .

٦ — شقيف أرنون ، قلعة حصينة جدا فى كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق . أنظر : ياقوت الحموى : المصدر السابق جـ ٣ ص ٣٠٩ . .

٧ — Eracles, op. cit., p. 325.

ومعه خمسمائه من أبطال الصليبيين واتجهـوا إلى الميادنـه (١)، فأخلاها أهلها فنزل بها الصليبيون وترجلوا عن خيـولهم ليستريحوا . ولكن أهل الميادنه لم يتركوهم ينعموا بهذه الراحه فنزلوا عليهم من الجبال وفاجأوهم واستولوا على خيولهم ، واعملوا فيهم الأسر والقتل . وكان ديونيس من بين القتلى ، ولاذ الباقون بالفرار بعد أن تمكنوا من أسر رجل يدعى الجاموس . وقد أشار عليهم هذا الأسير بأنه يعرف طريقا سهلا الى صيدا فوعدوه بالمال ، ولكنه سلك بهم طريقا وعرا ، وتمكن المسلمون مـن أن ينزلوا بالفارين القتل والأسر أيضا . وشعر الباقون أن الجاموس غرر بهم فقتلوه . وتمكن أهل جزيرة الميادنه من إبادة الصليبيين عن آخرهم عدا ثلاثة منهم تمـكنوا من الوصول إلى صيدا . وسيق الأسرى الى دمشق وكان يوما عظيما مشهودا (٢).

ولم يقم الصليبيون بعمل عسكرى ضد المسلمين بعد ذلك حتى قدوم الحمله إلى دمياط . فقد كان الشتاء قارص البروده وتسبب فى هلاك عدد كبير من الفرنج فضلا عن شـدة الرياح التى إقتلعت خيامهم وبعثرت أمتعتهم . وقد أوجدت هذه الحوادث شعورا لدى الصليبين بأن الله قد تخلى عنهم (٣) ، هذا بالاضافه إلى إعـلان الملك أندرو في أوائل يناير ١٢٢٨م (أوائـل شوال ٦١٤هـ) عن إستعداده للعوده الى بلاده . مما دفع رادلف بطريق بيت المقدس إلى تهديده بقرار الحرمان ليثنيه عن عزمه خاصه في هذه الظروف الحرجه التى

---

١ — الميادنه ، جزيره بالقرب من قرية مشغرا ، وتقع مشغرا على سفح جبل لبنان. انظر : ياقوت الحموى : المصدر السابق جـ ٤ ص ٥٤٠ .

٢ — ابن الجوزى . المصدر السابق جـ ٨ ق ٢ ص ٥٨٥ — ٥٨٦ ، أبو شامه . المصدر السابق ص ١٠٣ .

٣ — Oliver of Padenborn, op. cit., p. 16

يمر بها الجيش الصليبي . ولـكن أندرو لم يعبأ بذلك ، فرحل إلى طرابلس ومعه كثير من الصليبيين والمعدات العسكرية وإصطحب معه هيوملك قبرص وبوهمند الرابع أمـير طرابلس وإتجـه الجميع الى طرابلس حيث تم زواج مليسند Melisende أخت الملك هيو من بوهمند . ولم يعش هيو بعـد ذلك طويلا فقد مات في شهرفبراير ١٢١٨م(١)،ودفن في كنيسةالفرسانالاسبتاريه بطرابلس (٢). كما قام أندرو بزيارة حصن الأكراد وحصن المرقب وأسبـغ هداياه على الاسبتاريه كمساعده منه فى الدفاع عن الحصنين (٣) .

وبعد ذلك عاد أندرو إلى عكا بعد أن حصـل على بعض الآثار المسيحية ومنها أحد الأوانى السبع التى أحال فيها السيد المسيـح الماء الى خمر (٤) ورأس كل من القديسة مارجريت والقديس ستيفن بالاضافه إلى اليـد اليمنى للقديس توماس (٥) ومن عكا اتجه الى أرمينيه حيث رتب زواج إبنه من إبنـة ملك أرمينيه (٦) ومنها أبحر الى أكويلا Aquila ثم الى بلاده (٧).

وهكذا انتهت الحـملة المنغارية دون أن تحقق عملا ذا أهميه بالنسبة للموقف في الشام (٨) ، كما أن الملك أنـدرو تسبب فى الحاق الضرر

١ — Histoire des Archeveques Latins de Lils de Chypre, P 216;
Oliver of paderborn, op cit., p. 17.
٢ — Eracles, op. cit., p. 325.
٣ — Setton, op. cit., II, p. 393.
٤ — Michaud, op. cit., II, p. 230
٥ — Runciman, op. cit., III, p. 149 & n. 3.
٦ — Setton, op. cit., II, pp. 393 - 4.
٧ — Eracles; Ibid.
٨ — سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق جـ ٢ ص ٦٨ .

بالصليبيين عندما رحل الي وطنه ومعه عدد كبير من جنوده (١) . فقد كان الموقف يحتم عليهم البقاء بالشام للانضمام إلى القوات الصليبيه القادمة لتهاجم دمياط أو البقاء بالشام للدفاع عن الممتلكات الصليبية أثناء تواجد إخوانهم في مصر. ويسجل أحد المؤرخين الغربيين المحدثين أن رحيل أندرو تسبب فى فشل الحملة الصليبيه الخامسه بأكملها (٢) .

وبعد موت هيوورحيل الملك الهنغارى الى بلاده تشاور الملك جان دى برين وليوبولد دوق استريا وبعض الزعماء الآخرين فيما يجب أن يفعلوه حتى تصل باقي الحمله الصليبيه . واستقر رأيهم على تحصين مدينة قيساريه وبناء قلعة ضخمة فى عتليت جنوبى يافا فوق جبل الكرمل (٣) ، وهي القلعه التى عرفت باسم قلعة الحجاج(٤) . وقدقام بهذا العمل فرسان الداويه والاسبتاريه والتيوتون . ويروى أنه أثناء قيام الصليبيين بعملية الحفر عثروا على كمية

---

١ — Oliver of padenborn, op oit., p.17 .

٢ — Setton, op: cit., II, p. 394.

٣ — الكرمل ، وهو الجبل المشرف على حيفا بسواحل الشام وكان عليه مسجدا فى الاسلام يعرف باسم مسجد سعد الدولة . أنظر : ياقوت الحموى : المصدر السابق ج ٤ ص ٣١٧ . وعن جبل الكرمل أنظر ايضا :

Ludolph von Suchem, Description of The Holy Land, p. 63,

Burohard, op. cit., pp, 46-7,

٤ — Annales de Terre Sainte, p. 437.

كبيرة مـــن العملة الذهبية التى لم يعرفوا زمانها ولا الدولة التى صكتها ، فقام الصليبيون بصهرها واستغلوها فى دفع مرتبات جنودهم (١) . وبعـد أن أتموا أعمال التحصين والبناء عادوا إلى عـكا (٢) ، وظلوا ينتظرون قدوم باقى القوات الصليبية الآتيه من أوربا وهم يتـدبرون الأمر للهجوم على مدينة دمياط تمهيدا لغزو مصر كلها .

١ — Oliver of padenborn, op. cit., p. 17,

٢ — Eracles, op. cit., p. 326.

الفصل الرابع

الجيش الصليبي فى جيزة دمياط

- دمياط : تخطيطها وأسباب توجه الحملة إليها .
- رسو الحملة فى جيزة دمياط .
- الإشتباكات بين المسلمين والصليبيين .
- سقوط برج دمياط .
- وفاة الملك العادل .
- وصول الإمدادات الصليبية .
- إشتباكات فى البر والبحر .
- مؤامرة إبن المشطوب وآثارها .
- عبور الصليبيين إلى الضفة الشرقية للنيل وحصار دمياط .

بينما كان القادة الصليبيون عاكفين فى عكا يخططون لغزو مصر بأمل إسترداد البيت المقدس بدأت القوات الصليبية القادمة من أوربا تتوافد على عكا . فنى السادس العشرين من أبريل عام ١٢١٨م (٢٧ محرم ٦١٥ هـ)وصل النصف الأول من أسطول الفريزيين إلى عكا ، كما وصلت الأنباء مع هذه القوات بأن بقية الحملة فى سبيلها للحاق بهم فور تدبير السفن اللازمة لنقلها من ايطاليا (١)،ولم تلبث هذه الأخبار أن تأكدت بوصول موجه كبيره من الصليبيين عدتهم حوالى ثلاثين ألف من المحاربين فى أوائل مايو من نفس العام (أوائل ربيع أول ٦١٥ هـ) وكانت هذه القوات فى مجموعها تتألف من المنغاريين (٢) والاسكندنافيين والنمساويين وهم من الجنود المشاه المسلحين بالسهام ومدربين على استعمال المنجنيقات (٣) والصمود أمام هجمات المسلمين (٤) ، ثم تلتها دفعة أخرى تحت قيادة هنرى كونت هولندا،وهذه هى

١ — محمد مصطفى زيادة : المرجع السابق ص ٤٤ .

٢ — هى بقية القوات الهنغاريه التى لم تتمكن من الحضور مع الملك أندرو ملك المجر فى حملته التى عرفت باسم الحملة الهنغارية .

٣ — المنجنيقات : جمع منجنيق وهى كلمة فارسيه ، وهى عبارة عن آلة من الخشب لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسة طويل وذنبه خفيف ، وفيه تجمل كفه المنجنيق التى توضع فيها الحجر يجذب حتى ترتفع أسافله على أعاليه ، ثم يرسل فيرتفع ذنبة الذى فيه الكفه فيخرج الحجر منه ، فما أصاب شيئا الا أهلكة . ومما يلتحق بالمنجنيق اللوب والحبال التى يجذب بها المنجنيق حتى ينحط أعلاه ليرمى به الحجر • ومنه الفارسى والتركى والعربى والأخير أفضلها من الصناعة والآتة ان • أنظر : القلقشندى : المصدر السابق جـ ٢ ص ١٢٦ ، الحسن بن عبد الله : آثار الاول ص ١٩٤، ابن الفرات : المصدر السابق المجلد الرابع جـ ٢ ص٥حاشيه(٢٠) .

٤ — Lamb, op. cit., p. 242.

القوات الألمانية التى إتخذت طريقها البحرى إلى أسبانيا حيث ساعدوا اخوانهم فى القتال ضد مسلمى أسبانيا (١) ، وقد غادرت اشبونة فى آخر مارس من نفس العام (محرم عام ٦١٥ ﻫ) (٢) .

وهكذا تجمع بالشام عدد كبير من الصليبيين القادمين من أوربا فضلا عن القوات الصليبية بالامارات اللاتينيه وعلى رأسها فرسان الداويه والاسبتارية والتيوتون وهي جماعات الفرسان المتمرسه على فنون القتال مع المسلمين والتى كانت تشكل قـوه عسكريه فعاله رغم قلة عددها (٣) . وليس ذلك فحسب فقد إنضم إلى هذه الجماعات أيضا بعض القـوات القبرصية تحت قيـــادة إيوستورج رئيس أسافقة نيقوسيا (٤) . وبعد أن إجتمعت القوات الصليبية بهذه الصورة عقد الملك الصليبي جان دى برين مجلسا إنضم إليه ليوبولد دوق أستريا ورؤساء الداوية والاسبتارية والتيوتون (٥) . ومن الواضـح أن هذا المجلس لم ينعقد لتحديد وجهة الحملة ، فان وجهة الحملة وهى مصـر كانت قد تحددت فى مجلس اللاتيران الكنسى عام ١٢١٥ م (٦) . بل إنعقد لعـدة أمور أخرى تتعلق بوضع الخطة اللازمة لتنفيذ الهجوم على مصر ، كوضع خط سير الحملة وتدبير مسأله التموين وإعـداد العدد الكافى من السفن لنقـل الجنود

---

١ — Roger of Wendover, op. cit II, p 404.

٢ — Rohricht, Geschichte der Kreuzzuge in Umriss, pp. 197-8.

٣ — Lamb, op. cit. pp. 242 - 3.

٤ — Histoire des Archeveques latine de L ils de Chypre p. 216.

٥ — Eracles, op. cit., p. 323.

٦ — Roger of Wendover, op. cit., II, p. 405

وتوفير المعدات العسكرية كآلات الحصار وغيرها وتحديد مهام كل مجموعة من الجند وكافة ما يلزم من الترتيبات لمثل هذا الهجوم الكبير الذى كانت أوربا تخطط له منذ زمن بعيد . ومما لا شك فيه أن مثل هذا المجلس لم ينعقد الا بعد أن تأكد للقــادة الصليبيين أن لديهم مــن القوات ما يكفي للقيـــام بمثل هذا العمل (١) .

أما من ناحية خط سير الحملة ، فقد تقرر أن تتجه الحمله عن طريق البحر الى مدينة دمياط باعتبارها أنسب المواقع للهجوم على مصر كلهــا . فقد رأى الصليبيون أنهم لو استطاعوا الاستيلاء عليها لأمكنتهم غزو الدلتا كلها والتقدم الى القاهرة وتخريبها باعتبارها قلعة الاسلام القويه فى الشرق كله (٢) . وليس ذلك فحسب ، فقد روى الكاردينال جاك دى فترى أن ذلك سيمكن الغرب الاوربى من نشر الديانة المسيحية الكاثوليكية فى الشرق الاسلامى عامه (٣) . وهذا يدل على مدى أبعاد أفكار رجال الدين الاوربيين فى هذه الفتره .

وفيما يتعلق بمسألة تموين الحملة فقد زودت بالمؤن التى تكفيها لمـــدة ستة أشهر (٤) . هذا فى الوقت الذى تبعد فيه دميــاط عن مراكزهم بالشام مسيرة يومين بليلتين أو أكثر قليلا (٥) . وهذا يكشف عن عن مدى الاستعـــداد الضخم لغزو مصر ، وهو الحلم الذى راود الصليبيين منذ أكثر من مائة عام قبل

---

١ — Maimbourg, Histoire Universelle des Croisades, p. 282.

٢ — Brehier, op. cit., p. 192, cf Iamb, op. cit., p. 243.

٣ — Vitry, Lettres des Jacques de Vitry, p. 103.

٤ — Eracles, op. cit., p. 3.6.

٥ — Vitry, Ibid.

ذلك التاريخ . وتحملت مملكة قبرص العبء الأكبر من هذه المواد التموينية ، ويرجع الفضل فى ذلك إلى إيوستورج رئيس أساقفة نيقوسيا لأن هنرى الأول ملك قبرص كان طفلا لم يتجاوز عمره تسعة أشهر (١) .

كذلك تقرر إستغلال السفن الفريزيه — الراسية بسواحل الشام — التى بلغ عددها حوالي ثلاثمائة سفينة (٢) . لنقل الجنود الصليبيين ودوابهم وآلاتهم وكل ما يحتاجون اليه إلى سواحل مصر . وحدد القادة الصليبيون قلعة الحجاج مركزا لتجمع القوات الصليبية ، وبما أختيرت هذه المنطقة لقربها من عكا الميناء الرئيسى الصليبى بالشام حيث تجمعت السفن الفريزية (٣) وربما للتمويه أيضا على المسلمين وإختفاء تحركات الحملة .

وبينما تدور هذه الاستعدادات قام البابا هونوريوس الثالث فى الثامن عشر من مايو عام ١٢١٨ م ، بالكتابة إلى جميع رجال الدين وإلى ملك بيت المقدس والأمراء الصليبيين يخبرهم بأنه عين الكاردينال البرتغالى الأصل بلاجيوس Pelagus أسقف البانو مندوبا عنه فى الحملة الصليبية وطلب من الجميع إطاعته (٤) . وهكذا إستعدت القوات الصليبية من كافة الوجوه ولم يبق أمامها إلا أن تأخذ إشارة البدء بالتحرك إلى هدفها وهو دمياط .

وعن دمياط فان الأمر يتطلب الوقوف وقفة فاحصة وعميقة لإلقاء الضوء على هذه المدينة التى ستدور رحى الحرب أمامها وحولها أكثر من ثلاث

---

١ — سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرس والحروب الصليبيه ص ٤٠ .

٢ — Roger of Wendover, op. cit., II. p. 404.

٣ — Oliver of Padenborn, op. cit., p. 22

٤ — Dovovan, op. cit., p. 44.

سنوات . فان دراسة الأسباب التى من أجلها إختـــار الصليبيون مدينة دمياط والبحث فى موقعها ومدى حصانتها : لهو أمر ضرورى قبـــل الدخول فى فى تفاصيل المعارك العسكرية وخطوات سير الحملة .

أما عن إختيار الصليبيين للمدينة فربما يرجـع ذلك لانهم إختبروها من قبل ، إذ سبق لهم مهاجمتها عدة مرات . وقد يكون إختيار الصليبيين لهـا أنهم فضلوا إجتياز الطريق البحرى مباشرة إلى دمياط بدلا من الطريق البرى الذى سلكه من قبل كل من بلدوين الأول وعمورى الأول . ذلك أن القوات الصليبية كانت تعتمد من قبل على مراكز إمداداتها فى جنوب الشام وهى التى سهلت لها دخول مصر .

أما فى هذا الوقت ، وهو وقت قيام الحملة ، فقد حرم الفرنج من هـذه المراكز (١) ، ولهـذا أصبح الطريق أمامهم شاقا وطويلا ، وربما تعرضوا لهجمات المسلمين وهم فى طريقهم إلى مصر . ولذلك فان إختيارهم الطريق البحرى يعطيهم قدراً كبيرا من الأمان يجعلهم يصلون بقواتهم كاملة بدون التعرض لأخطار الطريق البرى . هذا فضلا عن أن القوات الصليبية تصل إلى دمياط وهى فى حالة من الراحة تمكنها من القيام بعملياتها العسكرية وهى محتفظة بحيوتها ونشاطها خاصة أن القوات الرئيسية للحملة أتت من أوربا بحراً فلا يضيرها تلك المسافة القصيرة من عكا إلى دمياط .

وقد فضل الصليبيون الهجوم على دمياط بالذات لأنها أحـد الثلاث مدن الرئيسية فى مصر بالإضافة إلى الاسكندرية والقاهرة ، وإذا سقطت واحدة منها

---

١ ـ King, op. cit., p. 190.

سقطت مصر كلها على حد تعبير جاك دى فترى (١) ، وقفل الديار المصرية كلها حسب ماروا‌ه أوليفر أف بادنبورن (٢) . وليس هنـاك من سبيل للوصـول إلى القاهرة باعتبارها تقـع فى قلب مصر ولا يمكن الوصول اليها بحرا إلا عن طريق دميـاط أو الاسكندرية أو رشيد . واستبعد الصليبيون مدينـــة الاسكندرية فـلم يسبق لهم الاغارة عليها بحـراً ، فضلا عن بعدها عن مراكز إمدادهم فى عكا . كما أن الصليبيين لا يمكنهم الإتصال من الاسكندرية بامارأتهم فى الشام إلا عن طريق البحر . أما من دمياط فيمكن الإتصال بها عن طريق البحر كما يمكن الاتصال بها عن طريق الـبر إذا تيسر لهم ذلك . وربما لنفس الأسباب أى صعوبة الاتصال من الاسكندرية باخوانهم فى الشام إستبعد الصليبيون مدينة رشيد أيضاً (٣) . كما أن هذه المدينة لم تكن فى تعداد المـدن الهامة فى مصر وأن الاستيلاء عليها لا يؤثر كثيراً فى الخطة العسكرية بعكس الحال بالنسبة لدمياط باعتبارها قفـل الديار المصرية (٤) ، ثم أنه بامكان

١ — Vitry, op. cit., p 102.

٢ — Oliver of Padenborn. op. cit., p. 47.

٣ — أرسل نيقولا Nicolas بطريق جماعة الملكانيين بالاسكندرية خطابا الى البابا هونوريوس الثالث فى عام ١٢٢٣م ، أى بعد جلاء القوات الصليبية ، يخـبره . فيه أن أسلم طريق لغزو مصر هو دخول السفن الصليبيه عن طريق فرع رشيد باعتبـاره أوسع وأعمق من فرع دمياط . فضلا عن خلوه من أى عائق . أنظر :
Nicolas I, Lettre au Pape Honoré III, cf., Michaud: Histoire des Croisades, III, pp 697-9.

٤ — Patriarche de Jerusalem, Raport an Pape Innocent III, dated 1214, cf., Y, Kamal, op. cit., t. III, face. IV, p. 932., Roger of Wendover, op. cit., II, p. 422.

النجدات المصرية أن تصل إلى رشيد من دمياط أو الاسكندرية بحراً لقرب المسافة فتسبب للقوات الصليبية المهاجمة الكثير من المتاعب وهذا غير متيسر إلى حد ما بالنسبة لمدينة دمياط . وهكذا يمكن القول بأن إختيار الصليبيين لدمياط مرجعة إلى قربها من عكا ، كما سبق لهم سبر أغوارها فضلا على أنها من المدن الرئيسية الهامة وأن سقوطها فى أيديهم يسهل عليهم الاستيلاء على مصر كلها .

وإذا نظرنا إلى دمياط القديمة نجد أنها كانت تقع إلى الشمال من دمياط الحالية : وموضعها حول جامع أبى المعاطى القديم وقبة فاتح الأسمر وقرافه دمياط (١) . وكانت تبعد حوالى ميلين من البحر (٢) ،على الضفة الشرقية لفرع دمياط .

ويلاحظ أن المدينة كانت تعتبر كشبه جزيرة ، إذ يحدها البحر المتوسط شمالا ونهر النيل غربا وبحيرة تنيس (٣) شرقا . وأن المنفذ البرى الوحيد اليها هو الطريق الجنوبى، كما أكسب النيل منطقة دمياط المراعى الخضراء والحدائق والحقول . وقد أدخلت الحملة فى إعتبارها أن إنتاج هذه الأراضى سوف يكون مصدر تموين لها يوفر عليها الوقت والمال اللازم والجهد للحصول على كل هذه الضروريات من مصادر أخرى . وقد راعت الحملة أيضاً أن النيل

١ — محمد مصطفى زيادة : المرجع السابق ص ٤٥ ، حاشية (١) .

٢ — Setton, op cit., II, p. 397.

٣ — بحيرة تنيس ، وهى بحيرة المنزلة حاليا ، ويلاحظ أنه اذا امتد النيل فى منتصف الصيف عذب ماؤها واذا جزر فى الشتاء أو أوان الجزر غاب عليها ماء البحر فلمح ماؤها وغاص فيها ماء النيل ، وبها مدن كالجزائر ولا طريق اليها الا فى السفن . انظر : ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٥٦ ، الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٥٢ .

نفسه ، فضلا على مساحات المياه الشاسعة المحيطة بالمدينة الغنية بأسماكها الوفيرة (١) ، سوف يكون مصدر غذاء آخر لقواتها .

أما فيما يتعلق بحصانة المدينة فان موقعها (٢) الطبيعي قد أكسبها مناعة طبيعية إلى حد كبير (٣) ، فضلا عن التحصينات العسكرية التي إختصت بها دمياط باعتبارها ذات أهمية كبرى من الناحية الاستراتيجية والاقتصادية . لذلك إهتم حكام مصر بتحصينها خاصة بعدما هاجمها الروم في التاسع من ذى الحجة عام ٢٣٨ هـ (٢٩ أغسطس ٨٥٢ م) حيث أمر الخليفه العباسى المتوكل (٢٣٢ — ٢٤٧ هـ) والى مصر عنبسه بن إسحق ببناء حصن دمياط . ورغم هذا لم تسلم المدينه من هجوم الروم عليها مرة أخرى فى العاشر من رجب عام ٣٥٧ هـ (١٠ يونيه ٩٦٧ م) . كما لم تسلم أيضا من الهجوم الصليبي عليها بعد ذلك عدة مرات . لذلك أهتم صلاح الدين الأيوبى عندما تولى أمر مصر بتحصين مدينة دمياط فرتب فى عام ٥٧٧ هـ (١١٨٢ م) المقاتلة على البرجين وأمر بترميم سورها الذى كان يبلغ محيطه أربعه آلاف وستمائه وستين ذراعا . كما تم حفر خندق حول المدينه وعمل جسر عند سلسلة البرج . (٤)

---

١ — Vitry, op cit, p. 104,

٢ — ومن البحوث الهامة القيمة عن مدينة دمياط القديمة وموقعها بحث ب . جوليان المعنون :

Jullien, P., Note sur L'emplacement de L'ancienne Damiette, Bulletin de L'Institut Egyptien, pp. 72 - 7.

وأشار أنها كانت تقع شمالي دمياط الحالية ولكنه لم يتمكن من تحديد مكانها تحديدا دقيقا .

٣ — Oliver of Padenborn, op. cit., p. 47.

٤ — المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣٤٧ .

ومن ذلك يتضح أن وسائل تحصين المدينة كانت تتمثل فى البرجين والسور والخندق . والمقصود بالبرجين برج السلسله الذى يقع في وسط النيل وبرج آخر من أبراج المدينة مقابل له تمتد بينهما سلسله من الحديد تزن حوالى مائة وثلاثين قنطارا (١) مصريا (٢) . وكان رجال برج المدينة يرخون السلسله إدا أرادوا أن تصعد السفن فى النيل ويشدونها إذا أرادوا منعها من ذلك . ومن الطبيعي أن يحرس البرجين الرجال الاشداء المزودون بالسلاح . ويعرف البرج الذى فى وسط النيل باسم برج السلسله وهو أقرب إلى الضفة الغربية من الضفة الشرقية وهو في غاية المتانة والمنعة (٣) . وكان من الحجارة ويتكون من عدة طوابق ويعتبر الطابق الذى فى الوسط الطابق الرئيسى لهذا البرج . ويعلوا البرج قبة ذات ثلاث أقواس صغيرة . وفى أسفل البرج توجد السلسلة المتصلة ببرج المدينة (٤) ومن الطبيعى إستخدام هذا البرج مرشداً للسفن

١ - كان الحديد يوزن بالقنطار الجروى فى عهد الدولة الأيوبية : أنظر ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٣٦١ والقنطار الجروى يزن مائة رطل كل رطل يساوى ٣١٢ درهما ، أى ٧ر٨٦ كيلو جرام . راجع : فالتر هنتس : المكاييل والأوزان الاسلامية ترجمة كامل العسلى ص ٤١ . وعلى ذلك يكون وزن السلسلة حوالى ١١٥٧١ كيلو جرام تقريبا .

٢ - Hist. Part, Alex', pp. 241-2,

٣ - ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ٢١١ ، راجع ابن واصل : المصدر السابق ج ٣ ص ٢٦٠ ، ومن المصادر الأجنبية راجع أيضا Vitry, op. cit.p 105 Roger of Wendover, op. cit., II,p. 406, Esacles, op . cit. , pp. 326-7 .

٤ - Vitry, Ibid, Oliver of Padenborn, op. cit., p.54.

الآتية إلى دمياط والغادية منها . ونظراً لأهمية هذا البرج فقدأطلق المؤرخون عليه قفل دمياط أو قفل الديار المصرية (١) .ويروى بعض المؤرخين أنه كان يوجد برج آخرعلى الضفة الغربية للنيل يتصـــل بسلسله مع البرج الرئيسى القائم وسط النيـل . وعندما تغلق السلسلتان تمنع المراكب من الدخـــول أو الخروج من النيل (٢) . والأرجح أنه كان يوجد برجان وسلسلة واحـــدة وليس ثلاثة أبراج وسلسلتين وذلك حسب وقائع وأحـداث هذه الحمـله . وشهود العيان لأحدث ذلك الزمان .

والوسيلة الثانية من وسائل التحصين هى السور . ويلاحظ أن السور كان يحيط بالمدينة من كافة الجهات . فمن الناحية البحرية الغربية كان يحيط بالمدينة سوران بينهما خندق (٣) ، كما أنه كان يحيط بالمدينة فى بقية الجهات الأخرى ثلاثة أسوار (٤) . ويلاحظ أن هذه الأسوار لم تكن متساوية فى الإرتفـاع فكان السور الخـارجى أقل إرتفاعا ومهمته حماية الخندق المـائى الذى يسير متوازيا بين السور الخارجى والسور الأوسط . وكان السور الأوســط أكثر إرتفاعا عن الخارجى ومحصن بثمانية وعشرين برجا بكل برج منها برجان أو

---

١ ـ أبو شامة : المصدر السابق ص ١٠٩ : أنظر أيضا Vitry, op.cit.,p.108

٢ ـ أبو شامة : نفس المصدر والصفحة ، راجع أيضا : العيني : المصـدر السابق مجلد ٥١ ـ ١٧ لوحة ٣٧٤ ، ابن كثير البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٧٩ ، الحافظ الذهبى المصدر السابق جـ ٢ ص ٨٨ .

٣ ـ Vitry' op. cit., pp. 125-6. Patriarche de Jerusalem, Rapport au Pape Innocent III, Ibid.

٤ ـ Vitry, Historia Orientalis . cf , Y . Kamal, op. cit.,t. III , face . IV , p . 944 .

ثلاثة أبراج صغيرة ، أما السور الثالث وهو الداخلى فهو أكثرهم إرتفاعا (١)، وكان بالمدينه أربعه أبواب وذلك طبقا للخريطه المعاصرة للحوادث (٢) .

وكانت مدينه دمياط من المدن التجاريه الهامه فضلا عن كونها ميناء كبير يتحكم فى السفن المحملة بالبضائع الآتيه من الهند وهى فى طريقها إلى سواحل الشام أو إلى أوربا وذلك بعد سداد ضريبه المرور (٣) . وقد تراوحت هذه الضريبه بين عشرين وخمسة وثلاثين فى المائه من قيمه البضائع (٤) . ولذلك فهى تدر دخلا عظيما لمصر . كما أنها كانت مدينه غنيه مملوءة بالبضائع فضلا عن أنها كانت مأهولة بالسكان الذين بلغ عددهم وقتذاك حوالى سبعين ألف نسمه (٥) ، ومن ذلك يتضح أهميـــه المدينه سواء بالنسبه للمسلمين أو الصليبيين .

١ — Vitry , Lettaes des Jacques de Vitry , p. 125 ;
Oliver of Padenborn , Ibid .

٢ — أنظر الخريطة رقم (٢) ويلاحظ أن المصادر العربيـــة لاتشفى غليل الباحث فى الحصول على المعلومات الكافية عن مدينة دمياط القديمة . —

٣ — Gesta Grucigerorum Rhenanorum , cf . Y . Kamal , op . cit., t . III, face IV , p . 938 .

٤ — وهى المعروفة بأخماس السفن : أنظر : ابن مماتى : المصدر السابق ص ٣٢٥ — ٣٢٦ ، راجع أيضا القلقشندى المصدر السابق ج ٣ ص ٤٦٣ — ٤٦٤ .

٥ — Jullien , Ibid , Campbell , op . cit., p . 233 .

نعود مرة أخرى إلي القوات الصليبية المتجمعة فى قلعة الحجاج بالقرب من عكا ، فقد صدرت اليها الأوامر للابحار جنوبا إلى عتليت حتى تتم الاستعدادات النهائيه قبل الرحيل . وعندما حان الوقت المتفق عليه لرحيل الحملة بأكملها لم تكن بعض السفن قد جهزت تماما ومع ذلك صدرت الأوامر فى الرابع والعشرين من مايو ١٢١٨ م (٢٦ صفر ٦١٥ هـ) ، للسفن المستعدة للابحار بالتحرك تجاه دمياط ، وبقى الملك جان دي برين ورؤساء الهيئات الدينيه ومعظم رجال الدين بسواحل الشام حتى تستعد باقي السفن الصليبيه (١) . وربما تعجل الصليبيون دفع السفن التى تم تجهيزها بسبب قيام بعض الرياح الشمالية في هذا الوقت ، وقت إستغلها الصليبيون فى تسيير سفنهم عبر البحر إلى دمياط ، وكان على رأس طلائع الحملة إيوستورج رئيس أساقفة نيقوسيا ، والكونت سيمون الثاني أف ساربروكن Simon II of Saarbruken ، فضلا عن جاك دى فتري (٢) . وقد وصلت هذه الطلائع فى السابع والعشرين من مايو ١٢١٨ م (آخر صفر ٦١٥ هـ) قبالة مدينة دماط . ولكن الصليبيين لم يخاطروا بالنزول إلى البر لعدم وجود قائد معين عليهم من قبل الملك جان دى برين ، وعلى ذلك ظلوا فى عرض البحر حتى التاسع والعشرين من مايو (٢ ربيع أول) ، ولعدم ظهور بشائر وصول بقية الأسطول الصليبي إقترح إيوستورج على الصليبيين إختيار الكونت سيمون أوف ساربروكن قائدا عليهم (٣) . ويبدو

---

١ - Donovan ; p . cit ., p . 38 .

٢ - Vitry , op. cit ., p. 103 - 4, Oliver of Padenborn, op. cit , pp - 22 3.

٣ - Oliver of Padenborn , Ibid.

أن هذا الاقتراح لم يقبـــله الجميع على الفور ، فقد وجدت بعض المعارضات البسيطة ولكن لم يلبث أن اقتنع به الجميع قائدا عليهم ، وكان على هـذا القائد العمل على إنزال القوات الصليبية على الضفه الغربية للنيل (١).

وبدأ القائد المؤقت في إعـداد الترتيبات اللازمه لانزال قواته على المنطقة المقابلة لمدينة دمياط وهى المعروفة بجيزة (٢) دمياط ز(٣)، ويذكر تاريخ هرقل أن الملك العادل كان يعلم بأمر رحيل الحمله ولكنه لم يعتقد أن تكون وجهتها مصر ، ولذلك لم يتخذ أى أجراء لمواجهة القوات الصليبية ومنعهم من تحقيق هدفهم (٤) ، لذلك تمكن الصليبيون من النزول إلى البردون عائق يذكر (٥).

---

(١) Oliver of Padenborn, Ibid.

(٢) الجيزة ، وهي الناحية أو جانب الوادى ولعل تلك التسمية راجعة الى وقوع الجهات المسماه بهذا الاسم عند مجاز النهر - أنظر : المقريزى : السلوك جـ١ ق١ ص١٨٨ حاشية (١) . وكانت جيزة دمياط تقع على الشاطىء الغربى للنيل تجاه مدينة دمياط وعرفت بعد ذلك باسم منيه سنان الدولة وتعرف الآن باسم السنانيه. من ذلك أنظر: ابن واصل: مفرج الكروب جـ ٢ ص١٦ حاشية (٢) . راجـــع أيضا : ابن الجيعان : التحفه السنية ص ٦٣ ، المقريزى : الخطط جـ١ ص ٢١٦ ، جمال الدين الشيال : مجمل تاريخ دمياط ص ٢٠ ، محمد رمزي : القاموس الجغرافى جـ ٢ ق ٢ ص ٧٧ م

(٣) Vitry, op. cit., p. 109, Oliver of Padenborn, op. cit., p. 28

(٤) Eracles, op, cit,, p, 326,

(٥) Vitry, op, cit, p, *104*; oliver of Padenborn Ibid.
Roger of Wendover, op, cit, II, p, 406,

ويلاحظ أن ماحدث في هذه الحملة يختلف عما حدث فى حمله لويس التاسع على مصـر فقد استعدت الجيوش الاسلامية لمنـع لويس ورجاله من الرسو على جيزه دمياط ، راجـع : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على مصر ص ٩٦ ومابعدها .

وكان إختيار جيزه دمياط إختيارا موفقا للغاية باعتبارها شبه جزيرة مثلثه ضلعها الشمالى البحر المتوسط وضلعها الشرقى نهر النيل والضلع الثالث هو خليج قديم يعرف باسم الخليج الازرق (١) ، وتعتبر من الوجهة العسكرية منطقة محصنة تحصينا طبيعيا .

على أيه حال بدأ الصليبيون فى إقامة معسكرهم فى هذا المكان ، وقد انتهوا من نصب خيامهم بعد ظهر نفس يوم الرسو (٢). أما فيما يتعلق بالملك جان دى برين وبقية الحملة فقد أبحروا بعد إبحار الطلائع بثلاثة أيام ، أى فى السابع والعشرين من مايو (آخر صفر ٦١٥ هـ) ويلاحظ أنه نفس اليوم الذى وصلت فيه الطلائع أمام دمياط . كما وصلت الى جيزة دمياط فى نفس اليوم الذى رست فيه الطلائع على أرض جيزه دمياط (٣) ، وكان يرافق الملك الصليبي ليوبولد دوق النمسا ووليم أف بواسيه William of Poissé رئيس الفرسان الداوية وهرمان فون سالزا Hermann von Şalza رئيس الفرسان التيوتون وجارين أف موتناجـو Guerin of Montaigu رئيس الفرسان الاسبتارية (٤)، وقد أناب الأخير إسمبارد Isembard عنه فى الشام (٥) . هذا بالاضافة إلى ولـيم كونت هولندا (٦) .

١ — أنظر الخريطة رقم (٤) .

٢ — Vitry, Ibid.

٣ — Vitry, Ibid; Roger of Wendover, op. cit., II. p. 405.

٤ — Vitry, Ibid, Roger of Wendover, op. cit., II, pp-405-6

٥ — Delaville Le Roulx, J. Les Hospitaliers en Terre Sainte et a Chypre, p. 144.

٦ — Oliver of Padenborn, op. cit., p. 20.

أما عن القوات الصليبية التي أتت الي دمياط فقد ذكر المقريزي أن عددها بلغ أربعين ألفا من المشاه ومائه وسبعين ألفا من الفرسان (١). كما ذهب البعض إلى القول بان عددها أكثر من ذلك ، فذكروا أن عدد القوات بلغ مائتى ألف جندى (٢) . ومما لاشك فيه أن مثل هذه الأعداد مبالغ فيها لدرجة كبيرة حيث يتعذر على مثل هذه القوات الاقامة فى جيزة دمياط (٣) كما أنه لم تكن هنالك وسائل كافية لنقلها دفعة واحدة ، وقد رأينا من قبل متاعب الفرنج بالنسبة لمشكلة المواصلات واعداد السفن اللازمة لهم ، خاصه بعد أن زاد عددهم زيادة كبيرة . بينما ذكرت مراجع أخرى أن عدد للقوات كان يتراوح بين عشرين وثلاثين ألفا (٤) . وربما لا يكون مثل هذا العدد متناسبا مع ما قامت به الحمله من أعمال . والأرجح أن هذه القوات بلغت فى جملتها ما يقرب من أربعين ألف جندى (٥) .

وعلى أيه حال فقد وصل الفرنج إلى برجيزه دمياط وبعد أن أطمأنوا برسوهم فى هذا المكان دون مقاومة تجمعوا وامتطى فرسانهم الجياد وسار الجميع مدججين بالسلاح وبجانبهم سفنهم تسير بحذائهم فى النيل ، وساعدهم على ذلك

---

١ — المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٤٨ .

٢ — Gibbon, op. cit., p. 71.

٣ — عبد الرحمن زكى : معارك حاسمة فى تاريخ مصر ص ١٤٠ حاشيه (٢) .

٤ — King, op. cit., p. 191.

٥ — Campbell, op. cit., p. 283

إتساع النيل عند مدخل فرع دميـاط (١) . ولكن وجود برج السلسله حال دون تقدم صنوفهم لتصبح في مواجهـة المدينة لأن البرج يقع موازيا تقريبـا للسور الشمالي لدمياط (٢)، لذلك فان العمل الأساسي الذي واجه الحمله في أول أمرها هو ضرورة الاستيلاء على برج السلسله ليتمكن رجالها من تمرير سفنهم داخل النيل لتكون في مواجهة المدينة فيسهل عليها مهاجمتها من ناحية النيل، كما يكون في وسعهم أيضا اذا ما تخطوا السلسلة ، انزال جنودهم مباشرة على الضفه الشرقية للنيل جنوبي دمياط (٣)، وقد حال برج السلسلة دون حصـار دمياط برا أو بحرا واستحق أن يسمى قفل الديار المصرية .

وإذا كان هـذا هو موقف الجيش الصليبي فى جيزة دمياط ، فان موقف أهل دمياط تجاه الحملة كان يتسم بالدفاع عن بلادهم دون إتباع سياسة الهجوم، فقد فوجيء سكان المدينة بتواجد الصليبيين أمامهم مرابطين فى جيزة دمياط يتحفزون للهجوم عليهم . فاستعدوا للدفاع عن مدينتهم كما قاموا أيضاً بتخزين الدقيق والقمح والخبز وكافة المؤن الأخرى (٤) . وفى الوقت نفسه أرسلوا إلى الملك الكامل (٦١٥ — ٦٣٥ هـ / ١٢١٨ - ١٢٣٨ م) الموجود بالقاهرة

١ — Eracles , op. cit., , p 326

٢ — Roger of Wendover, op. cit. II. p. 401.

راجع أيضا الخريطة رقم (٣) .

٣ — Vitry, op cit., p. 105 : Oliver of Padenborn, op cit., p. 23.

٤ — Hist . Pate. Alex., P , 240

نائباً عن والده الملك العادل — المقيم في هـذا الوقت بمرج الصفر بالشام — وأخبروه عن طريق الحمام الزاجل بتواجد الصليبيين في جيزة دمياط . فخرج الكامل مسرعا في اليوم التالي وإتخذ طريقـه إلى دمياط ، كما طلب من والى الغربية (١) وهو فى الطريق أن يجمع سائر العربان وينضم إلى قـواته وسار الجميع حيث استقروا في المكان الذى سمى بالعادليـة (٢) جنوبى دمياط، كما سار الأسطول الإسلامى فى فرع دمياط واستقر فى شارمساح (٣) . وبدأ الكامل فى إدارة العمليات العسكرية ضد الصليبيين من العادلية ، كما صار يتنقل بين دمياط والعادلية عدة مرات في اليوم لتدبير أمور الحرب . وكان مايشغل بال الكامل في هذا الوقت هو عدم تمكين الصليبيين من العبور إلى الضفة الشرقية

١ – الغربية ، أحد أقسام مصر الادارية فى ذاك الوقت ، أنظر ابن مماتى : المصدر السابق ص ١٣٤ .

٢ – العادليه ، تقع بين دمياط وفارسكور على الضفـة الشرقية للنيل في مقابل قرية بورة أنظر : ابن واصل : المصدر السابق ج ٣ ص ٢٦٠ حاشيه (٢) .

٣ – المقريزى : السلوك ج ١ ق ص ١٨٩ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ج ٢ ص ١٣٤ ، Hist. Part. Alex, Ibid وكانت شارمساح قرية كبيرة كالمدينة من كور الدقهلية مساحتها ١٢٩٤ فدانا . بينها وبين دمياط خمسة فراسخ (حوالى ٣٠ كيلو) أنظر : ياقوت الحموى : المصدر السابق ج ٣ ص ٣٢ ، ابن مماتى : المصدر السابق ص ١٥٣ ، ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار ج ٥ ص ٧٣ ، راجع أيضا : جوزيف نسيم يوسف العدوان الصليبى عـلى مصر ص ١٤٧ حاشية (٢) .

للنيل (١) ، والحيلولة بينهم وبين الإستيلاء على برج السلسلة .

أما الملك العادل فعندما علم بنزول الصليبيين قبالة دمياط إنتقل من مرج الصفر إلى عالقين (٢) ، وبدأ في إرسال ما عنده من العساكر إلى مصر (٣) . وبدأت العساكر تتوافد على مصر أولا بأول حتى أنه لم يبق عنده من العساكر إلا القليل (٤) . ولم يكتف بذلك بل طلب من إبنه المعظم عيسى ملك دمشق (٦١٥ — ٦٢٤ هـ / ١٢١٨ — ١٢٢٧ م) بالتقدم إلى معاقل الصليبيين بالشام ليشغلهم عن دمياط (٥) . ومن الملاحظ أن سياسة الضغط على أملاك الصليبيين بالشام كانت سياسة قديمة إتبعها نور الدين زنكي عندما كان الصليبيون يقومون بالهجوم على مصر. كما طلب أيضاً من إبنه المعظم تخريب حصن الطور رغم أهميته البالغة وذلك لسببين ، أولها ، إستغلال مافيه من الرجال والعتاد في إنجاد دمياط، وثانيهما خشية إستيلاء الصليبيين عليه إذا ملكوا

١ — ابن الأثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ٢١١ ، راجع أيضا : ابن واصل : المصدر السابق ج ٣ ص ٢٦٠ ، ابن بهادر : فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر (مخطوط) ورقة ١٠١ .

٢ — ابن الأثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ٢١١ . وعالقين قرية بظاهر دمشق . أنظر : المقريزي : السلوك ج ١ ص ١٩٠ حاشية (٢) ، لي سترانج . فلسطين فى العهد الاسلامي ترجمة محمود عمايري ص ٤١٥ .

٣ — أبو شامة . المصدر السابق ص ١٠٨ ، ابن الجوزي . المصدر السابق ج ٢ ق ٢ ص ٥٩٢ .

٤ — ابن واصل . المصدر السابق ج ٣ ص ٢٦١ .

٥ — أبو المحاسن . المصدر السابق ج ٦ ص ٢٠ .

دمياط فيكون « سببا فى خراب الشام » . والواقـــع أن المعظم لم يرض عن تخريب الحصن لدرجة أنه «بقى أياما لايدخل إلى أبيه العادل» . ولكن العادل بعث إليه وإسترضاه بالمال « ووعده فى مصر ببلاد » ويبدو أن هذا العرض من قبل العادل قد أراح الملك المعظم فبدأ فى هدم الحصن (١)، وبعث من كان فيه إلى القدس وعجلون (٢) والكرك (٣) « تمهيداً لإرسالها إلى مصر . وفى الوقت نفسه أمر العادل إبنه الأشرف موسى أن يدخـــل إلى بلاد الصليبيين أيضاً لمهاجمتها ولبى الأشرف نداء والده ورحل فى عساكره إلى بلاد الفرنج ودخل صافيثا (٤) « فخرب ربضها ونهب رساتيقها وهدم ماحول الحصن » . ثم توجه إلى ربض حصن الأكراد ونهبه وحاصر القلعـــة حتى كاد يستولى

(١) ابن الجوزى : المصدر السابق ج ٨ ق ٢ ص ٥٩٣ ، أبو شامة : المصدر السابق ص ١٠٩ .

(٢) عجلون ، تقع فى قضاء جرش وتتبعها قلعة حصينة جـدا تمتاز بالمياه الجـــارية والفواكة المتنوعة والحاجيات الرخيصة الكثيرة . أما قلعتها فتقع على مكان مرتفع جدا يمكن رؤيته على بعد رحلة أربعه أيام . لي سترانج : المرجع السابق ص ٤١٦ .

(٣) ابن ايبك : كنز الدرر (مخطوط) ج ٧ ورقه ١٧٨ .

(٤) صافيثا ، من أشهر قـلاع الفرسان الداوية ، وبها برج يسميـه الفرنج القصر الأبيض ، ويقع فوق جبل مرتفع الى الجنوب الشرقى من جزيرة ارواد ، وقد فتحـه الظاهر بيبرس سنة ٦٥٨ هـ (١٢٧١ م) . ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٢٦٧ ، جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على بلاد الشام ص ٢٣٥ حاشيـة (١) ، Dussaud, oP. cit., Planche 148.

عليها ، وعاد بعدها إلى بحيرة قدس (الحولة) ، مرابطا للصليبيين . ولكنه اضطر للعودة إلى حلب لعلمه أن إبن عمه الملك الأفضل إستغل فرصة إنشغاله بأمر الصليبيين وطمع فى إمتلاك المدينة ، فأرسل العادل الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص بدلا منه(١). وبعد عودة الأشرف إلى حلب أرسل من جانبه الأمير سيف الدين كهذان والمبارز بن خطلخ على رأس جماعة من العساكر إلى دمياط لنجدة أخيه الكامل (٢) . ويضيف إبن واصل اليها مبارز الدين سنقر الحلبي ، ويذكر أن الأشرف أرسل هؤلاء الثلاثة إلى دمياط للتخلص منهم لأنهم كانوا « يضمرون الغدر به » وبسبب ميلهم إلى الملك الأفضل أيضا (٣) .

أما تاريخ هرقل فقد جاء فيه أن العادل لما علم بنزول الصليبيين على دمياط أحضر إبنه الملك المعظم وأبلغه خوفه على الديار المصرية من الصليبيين وأبلغه أن الحل الوحيد لإخراج القوات الصليبيه من مصر هو التنازل لهم عما كانوا يملكونه قبل فتوحات صلاح الدين وأضاف أنه يمكن التضحية بالجزء لانقاذ الكل وهى مصر (٤) ويلاحظ أن المصادر العربية لم تتعرض بكلمة واحدة لمثل هذه النصيحه التى أسداها العادل لإبنه المعظم . ومن المستبعد إلى

---

(١) ابن واصل : المصدر السابق جـ٣ ص٢٦٥ ـ ٢٦٦ .

(٢) أبوالمحاسن : المصدر السابق جـ ٦ ص ٢٢٢ ، ابن أيبك : كنز الدرر جـ ٧ ورقة ١٧٩ .

(٣) ابن واصل : المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٣ ـ ٢٢ .

(٤) Eracles, op. cit , pp. 329 - 330.

بعد ما صدور مثل هذا الرأي عن العادل شريك صلاح الدين فى الجهاد ضد الصليبيين . فضلا عن أن المصادر الإسلاميـة المعاصرة والمتأخرة أسهبت فى ذكر استعداداته لمواجهه الأعداء ودفعهم عن البلاد . فلا يقبل والأمر هكـذا أن يفكر بكل سهـولة فى التنازل لهم عن البـــلاد التى إستردها منهم مؤسس الأسرة الأيوبية .

وعلى أيه حال ، فان الكامل ظل يواصـل إستعداداته للدفاع عن دمياط بعساكره والعساكر التى كانت تصل اليه تباعا من الشام فى الوقت الذى كان يقوم فيه المعظم والأشرف والمجاهد بالضغط على أملاك الصليبيين بالشام لصرف نظرهم عن مصر . كما أن الصليبين بعد أن تمكنوا من الإقامه فى جيزه دمياط شرعوا فى بناء سور حول معسكرهم « وجعلوا خندقا يمنعهم ممن يريدهم »(١) وفى الوقت نفسه أرسلوا إلى البابا هونوريوس الثالث فى الخـــامس عشر من يونيـــة (١٩ ربيع أول) من نفس العام يبلغوه برسوهم بأرض مصر دون مقاومة . كما أرسلوا أيضا إلى الأمبراطور فريدريك الثانى كتابا بنفس المعنى(٢) . ولعل القادة الصليبيون قصدوا بذلك أن يستحثوا الأمبراطـور الألمـانى على القدوم إلى مصر باعتباره قد وعد أن يلحق بالحمـله ويهونوا عليه الأمر وحتى يستفيدوا من القوات التى تأتى معه من مواصلة الهجوم على مصر .

والواقع أن المناوشات العسـكرية بين الطرفين لم تنقطـع منذ أن وطأت أقدام الصليبيين جيزة دمياط ، ولكنها كانت غير فعالة (٣) . وربما يرجع ذلك

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق جـ١٢ ص ٢١٠ ـ ٢١١ .

(٢) L.F Crusade, op cit., dated 15th June 1218, p. 40

(٣) Hist. Patr. Alex., *P.* 241.

إلى أن كل طرف منهم يواصل إستعداداته لهجوم أفضل ، أو ربما بسبب سعو أغوار القوات الأخرى . ولما كان الهدف الأول للصليبيين هو الإستيلاء على برج السلسلة فقد جهزوا المنجنيقات لضرب البرج وضرب دمياط في الوقت نفسه لشغلها عن إنجاد البرج . وظلت الأحجار تتساقط ليلا ونهارا فى وسط المدينه وقد تسبب ذلك في جرح عدد كبير من سكانها (١) . ورغم هذا ظلت المدينه تقاوم الهجوم الصليبي بشدة . ويلاحظ أن أبواب مدينة دمياط كانت مفتوحة والمؤن والعساكر تخرج وتدخل منها وذلك لبعدها عن أيدى الصليبيين والكامل يتردد عليها من آن لآخر لترتيب أمور الدفاع عنها ولتشجيع أهلها على الصمود (٢) .

وإزاء مناعه البرج والمدينة قام الصليبيون بهجوم مكثف على دمياط استعدوا له بما يقرب من سبعين أو ثمانين سفينة مزوده بستائر (٣) من الخشب لحمايتها من رماح المسلمين وقذائفهم ، وشنوا هجوما على المدينة يوم الجمعة الثاني والعشرين من يونية ١٢١٨ م (٢٦ ربيع أول ٦١٥ هـ) من الناحيه الشماليه في الوقت الذى كان يحمى فيه السفن المهاجمة غطـــاء من قذائف المنجنيقات المثبتة على الشاطىء الغربى حيث يعسكر الصليبيون . وتمكنت السفن من الاقـتراب من

---

(١) Roger of Wendover, op. cit, II, pp. 407-9.

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق جـ ١٢ ص ٢١٢ .

٣ — الستائر ، وهى آلات الوقايه من الطوارىء ، وما فى معناها مما يستر به على الاسوار والسفن التى يقع فيها القتال ونحو ذلك . القلقشندى : المصـدر السابق جـ ٢ ص ١٣٨ . ويذكر عبد الفتاح عبادة : ان من المبالغة من الاختفاء وضع قلوعا زرقاء على السفن فلا تظهر من بعيد وهذه القلاع كانت تسمى الستائر . سفن الاسطول المصرى ص ٩ . وعن الستائر أنظر ايضا المقريزى السلوك جـ ١ ق ص ١٠٢ حاشية (٣) .

أسوار المدينة وقد تسبب هذا الهجوم الكبير في إثارة الرعب في نفوس المسلمين. ولكنهم صمدوا للدفاع عن مدينتهم (١) ، مما أعجز الصليبين من تسلق أسوار المدينة أو التمكن منها . وعندما أدرك الصليبيون أنهم عاجزون عن الوصول إلى المدينة عادوا أدراجهم إلى معسكرهم في جيزة دميــــاط ، بينما ظلت قذائف المنجنيقات تنهال على المدينه لالحاق الضرر بها (٢) .

ولما كانت السلسله هى العقبة الأساسية التى تعوق تقدم السفن الصليبيه(٣)، لذلك أخذ فرسان الداويه إحدى سفنهم وزودوها بأربعين فارسامن فرسانهم بالاضافه إلى بعض الرجال الآخرين المسلحين وقد بلغــــوا فى جملتهم حوالى ثلاثمائه من الصليبيين . وكانت خطتهم تنحصر فى تسيير السفينة بمن عليهـا ويجعلوها تصطدم بالسلسلة وتحطمها . وبدأوا في تنفيذ خطتهم ، وما لبثوا أن إقتربوا من السلسلة حتى استقبلهم المدافعين عن البرج بالحجــــارة والنبــال فانتابهم الذعر (٤) . وحاولوا التراجع بسرعـة إلى حيث كانوا ، ولكن شدة القذف أذهلتهم . وساقوا السفينة إلى الضفة الشرقية للنهر تجاه المدينة . ولكنهم تداركوا الأمر وإستطاعوا أخيرا الابتعاد عن أسوار المـدينة . وقد شجعت الصورة التى ظهر بها الصليبيون على مهاجمة المسلمين لهم فاستقلوا سفنهم وإنقضوا على سفينة الداوية، ولما أدرك الداوية أنهم هالكون لامحـالة، ثقبوا السفينة فغرقت بمن عليها من الصليبيين ويقدر عددهم بحوالى مائة وأربعين رجلا. وكذلك استشهد عدد من المسلمين وقدر عددهم بحوالى الف وخمسمائة من الرجال كما جاء فى تاريخ

---

١ — Roger of Wenbover, op. cit., II, p. 407.

٢ — Hist. patr. Alex., p. 241.

٣ — Oliver of padenborn, p. 24.

٤ — Roger of Wendover, Ibid.

هرقل ، وساد الحزن المعسكرين الاسلامى والصليبى للخسارة الناجمة عن هذه المحاولة (١) ولاشك أن عدد الغرقى من المسلمين مبالغ فيه بصورة واضحة .

وبعدما فشل الصليبيون فى تحطيم سلسلة البرج عاودوا الهجوم مرة أخرى على المدينة والبرج معا فى وقت واحد. ففى الأسبوع الأخير من شهر يونية ١٢١٨م (أواخر ربيع أول وأوائل ربيع ثانى ٦١٥هـ) قام ليوبولد دوق أستريا ومعه بعض الفرسان الاسبتارية بمحاولة لتسلق أسوار المدينة وإستعمل فى هذه المحاولة السلالم المتحركة(٢) المثبتة على السفن . ولكن هذه المحاولة فشلت عندما كسرت هذه السلالم تحت ثقل القوات الصليبية المهاجمة مما أدى إلى غرق كثير من الجند . أما فيما يتعلق بالهجوم على البرج فقد قام بهذه العملية أدولف Adolf كونت برج Berg ومعه بعض الفريزيين والألمان فى نفس الوقت الذى كان يقود فيه ليوبولد دوق استريا عمليته الفاشلة على المدينه . وإستخدم أدولف فى هذه المحاولة أحدى السفن الصليبية ، وقد منيت هذه المحاوله هى الأخرى بالفشل بفعل النار الاغريقيه (٣) التى قذف بها المسلمون السفينه .

١ — Eraclee, op. cit., p. 327.

٢ — نوع من السلالم ترتفع وتنخفض بواسطه عجلة دائرية متصلة بالسلالم من طريق الحبال وتستخدم بالارتفاع المناسب للمكان المراد مهاجمته بعد أن يصعد عليها المهاجمون .
انظر : Hist. Patr. Alex., p. 241.

٣ — النار الاغريقيه ، سميت هكذا لأن مخترعها مهندس اغريقى يدعى كالينكس Callinious من مواطنى مدينة هليوبولس بسوريا ، اخترعها فى عهد الامبراطور قسطنطين الرابع . وكانت بعض عناصرها مكونه من مزيج من النفط والكبريت مجمد بنوع من الصمغ القابل للاشتعال . وكان هذا المزيج يوضع فى أنابيب من النحاس لها فم تتقد منه ، وفى مؤخرتها قوس يدفعها حين توتره الى الامام . وكانت تلك الانابيب النحاسيه توضع

المهاجمه(١). ورغم الخسائر التى لحقت بالقوات الصليبيه فى هاتين المحاولتين فقد أعدوا عدتهم مرة أخرى للهجوم على المدينه والبرج فى آن واحـد أيضـا ، ولكن بتركيز أكثر على البرج منه على المـدينه . ففى أول يوليو من نفس العام (٥ ربيع ثانى ٦١٥ هـ) زود الصليبيون أربع بطسات (٢) ببعض الأبراج الصغيرة، وثبتوا فوق هذه الأبراج بعض السلالم المتحركه لتضيف الى الإبراج مزيدا من الارتفاع يجعل فى استطاعتهم الوصول الى المدافعين عن البرج. وقد أخفيت هذه السلالم بقطع من القماش حتى لاتراها حـــاميه البرج . وبعـد هـذه الاستعدادات إتجهت ثلاثه من البطسات لمهاجمة البرج فى حين قامت الرابعـه

= بكميات كبيرة فى اسطوانة هائلة مستديرة ، وتلقى فى مدافع المنجنيق ، ثم تقذف على العدو فتصابه نارا حامية وتحدث به اضرار جسيمه . عن ذلك ولمزيد من التفاصيل أنظر:

Joinville, Memoirs of Saint Louis 1X., pp. 405 - 7,n. I.

راجع أيضا جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على مصر ص ١٥٦ حاشية (٢) ،

١ — Vitry, op. cit., p, 106, Oliver of Padenborn; op. cit., p, 24.

٢ ـ البطسه ، ومعناها بالاسبانية مركب للتجارة أو للحرب وهى نوع من المراكب البحرية عظيمه الحجم كثيرة القلوع يصل عددها الى حوالى ار بعين شراعا فى البطسه الواحدة وهى أشهر انواع السفن الصليبية وقد لعبت دورا كبيرا فى الصراع الاسلامى الصليبي وكانت تزود بالمنجنيقات والمقاتلة والأسلحة والذخيرة وسائر الات الحرب والحصار فضلا عن المؤن اللازمة . وكانت ذات أسطح عالية وطبقات متعددة كل منها خاصة بفئة من الجند الذين يصلون الى ستمائة وخمسون رجلا أو اكثر : أنظر السيد عبد العزيز واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ص ١٣٦ ، سعاد ماهر : البحرية فى مصر الاسلامية ص ٣٢١ — ٣٢٢ ، عبد الفتاح عبادة : سفن الاسطول المصري ص ١١ ، ٢٢ .

بمهاجمة المدينة (١) وقد بذل الصليبيون المكلفون بمهاجمة البرج مجهوداً كبيراً حتى تمكنوا من الرسو أمامه وحاولوا إسناد أحد السلالم المغطاه بالقماش الى جدار البرج (٢) . وفي الوقت نفسه قام المكلفون بالهجوم على سور المدينة بتنفيذ نفس الخطة ، وكان الفشل حليف هاتين المحاولتين بسبب بسالة المدافعين عن البرج وعن المدينة . فقد انهالت القذائف من البرج ومن المدينة على المهاجمين مما إضطرهم الى التراجع (٣) ، كما كسرت السلالم المثبتة أعلا الأبراج بفعل ثقل الجنود المزودين بالدروع الحديدية (٤) . وكانت خسارة الصليبيين كبيرة لأن السلالم قد كسرت من وسطها فأدى ذلك الى سقوط النصف الأعلى منها وما عليه من الجنود فى النهر (٥) فغرق منهم عدد كبير (٦) ، وإبتهج المسلمون بهذا النصر ودقت الطبول داخل مدينة دمياط والقاهرة كما زينت الشوارع بالأعلام (٧) . أما الصليبيون فقد ملأهم الغيظ وتراجعوا بسفنهم إلى الخلف وعادوا إلى معسكرهم المقام فى الضفة الغربية للنيل فى الوقت الذى ظلت فيه القذائف الصليبية تنهال على البرج وعلى المدينة (٨) لتغطية إنسحاب إخوانهم بعد محاولتهم الفاشله وإنكسار آلاتهم (٩) ، ولاشك أن ذلك قد فت فى عضدهم وثبط من روحهم المعنوية إلى حد كبير .

---

١ — Hist. Patr, Alex., p. 241.

٢ — Eracles, op. cit., pp. 328-9.

٣ — Vitry; op. cit., P. 106 Olive of padenborn, op cit,, pp - 24 - 5,

٤ — Hist. Patr, Alex. Ibid,

٥ — Eracles, op. cit., p. 328.

٦ — Vitry, Ibid, Roger of Wendover, op. cit., II, p 407 .

٧ — Hist, Patr, Alex. Ibid.

٨ — Eracles, op. cit', p. 329.

٩ — ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ٢١١ .

ونتيجة للتجارب السابقة لمحاولة الوصول إلى أسوار المدينة أو البرج والتى إنتهت جميعها بالفشل ، بدأ الصليبيون يعملون على هجوم مكثف وبتركيز أدق على البرج . فقد أشار أوليفر أف بادنبورن إلى فكره تعتبر جديده فى الفنون العسكرية فى ذلك الوقت المبكر (١) . وهذه الفكره هى وضع بطستين جنبا إلي جنب وربطها مع بعضها بعروق من الخشب حول محيطهما وبذلك تصبح قطعه واحدة ، ثم يقام فوقها أربع صوارى من الخشب يشيد أعلاها برجا من الخشب تضاف اليه الستائر الخشبية لحمايته ، ثم يوضع فوق البرج سلما متحركا ينخفض ويرتفع عن طريق عجلة من المعدن (٢) . وهكذا أصبحت البطستان كالقلعة العائمة ، ثم غلفوها بالنحاس الأحمر وجلود الحيوانات حتى لا تتأثر بالنار الأغريقية وأضافوا اليها أحد المنجنيقات الذى ثبتوه فوق البرج (٣) . وبهذا البرج العائم والذى استحق عليه أن يسمى أوليفر وهو من رجال الدين بالناصح الموهوب (٤) ، إستعد الصليبيون لمهاجمة البرج مرة أخرى (٥) .

وبعد أن اطمأن الصليبيون إلى سلامة ومتانة القلعة العائمة المتحركة زحفوا

---

١ — Vitry, op. cit, p. 106, Roger of Wenpover, op. cit., II p. 408 .

٢ — Hist. Patr. Alex., pp. 242-3 . Oliver of Padenborn, op. cit., p. 2?.

٣ — Roger of Wendover, Ibid,

٤ — Setton; op. cit, II, pp. 399-400 .

٥ — ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٢ نفس الصفحة . المقريزى : السلوك ج ١ ق ١ ص ١٨٩ .

بها لمهاجمة البرج فى الثالث والعشرين من أغسطس سنة ١٢١٨ م (٢٩ جمادى الأولى ٦١٥ هـ) فى الوقت الذى كان يحمى البرج ثلاثمائة من المسلمين المسلحين (١). وتمكن الصليبيون من الرسو فى الجانب الشمالى الشرقى منه بينما كان رجال الدين من الصليبيين يسيرون حفاة على طول الشاطىء الغربى للنيل يبتهلون الى الله ويصلون من أجل نجاح إخوانهم في مهمتهم. وفعلا نجح المهاجمون في إسناد السلم المتحرك الى جدار البرج (٢)، وإستبشر الصليبيون بذلك خيرا وبدأت معركة حاميه بين الطرفين (٣). إستمرت من الساعة الثالثة بعد ظهر نفس اليوم حتى الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم التالى (٤)، دام القتال فيها وجها لوجة وإستعمل فيه الرماح بين حامية البرج والصليبيين الصاعدين على السلم المتحرك (٥). كما إستخدم المسلمون النار الإغريقية التى صبوها على القلعة العائمة، ولكن الصليبيون تمكنوا من إخمادها مستعملين في ذلك الأحماض والرمال. وإستبسل المسلمون فى الدفاع عن البرج ورد المعتدين وقد تقرر مصير هذه الغارة عندما وضع المسلمون كتل النيران فى أطراف رماحهم وقذفوا بها

---

١ — Hist. Patr. Alex., p. 243 .

ويروى جاك دي فترى أن البرج كان يحميه مائتان وخمسون من خيرة رجال المسلمين أنظر Vitry, Ibid .

٢ — Oliver of Padendorn, op. cit., p. 26 .

٣ — Eracles, op. cit., p. 328

٤ — Roger of Wendover, op. cit., II, p. 410 .

٥ — Roger of Wendover, op. cit., p. 409

السلم المتحرك مما أدى إلى إشتعال النار فيه . ونظرا لارتفاع السلم الذى كان يبلغ خمسه وأربعين قدما وما عليه من ثقل الجند ، وفضلا عما انتابهم من الذعر من جراء النيران المشتعلة، سقط حامل الراية لدوق استريا وبعض الجنود الآخرين فى النهر. وابتهج المسلمون بهذا النصر فى الوقت الذى رقد فيه رادلف بطريق بيت المقدس على الارض حاملا شظية الصليب يصلى بصوت عال طالبا المساعدة الالهيه لنجدة اخوانه الصليبيين ، ولم تفت هذه الهزيمة فى عضد الصليبيين ، فقد تمكنوا من أخماد النيران بعد جهد مضن وتمكنوا من تجميع أنفسهم مره أخرى واستعادوا مواقعهم على قلعتهم العائمة بعد أن أعدوها مره أخرى للهجوم على البرج(١) .

وفى هذه المرة تقدم المهاجمين أحد فرسان التيوتون الألمان يدعى ليتوت Litot ، وصعد أعلا السلم ممسكا بيده مقلاعا مكونا من عصا مكسوة بالحديد يبلغ طولها حوالى ثلاثة أقدام مثبت فى نهايتها سلسلة من الحديد يصل طولها إلى مايقرب من قدمين تنتهى بكرة من الحديد ذات ستة أسنان بارزة. وتقدمت القلعه العائمة إلى البرج وهو يلوح بالمقلاع بعنف شديد لدرجة أن أحداً من رجال حامية البرج لم يجرؤ على مواجهته أو الإقتراب منه وفى الوقت نفسه تمكن اثنان من الجنود الصليبيين المزودين بالرماح من دفع عساكر البرج المواجهين لهم بعد ماطعنوهم برماحها مما ساعد ليتوت من الوصول إلى البرج خاصة وأن الصليبيين استعملوا ستاراً من الدخان فى هذه العملية لحجب الرؤية

---

١ — Oliver of Padenborn, op. cit., pp-26-7, Vitry, op. cit., p. 106.

من المدافعين عن البرج ، وتحت هذا الستار تابع الصليبيون فى الوصول إلى الطابق الرئيسى للبرج وأعملوا القتل فيمن وجدوه به من العساكر الإسلامية ، ومن نجا من القتل وقع فى قبضتهم أسيراً ، وألقى الباقون بأنفسهم فى النهر وتمكن الصليبيون من انتشال بعضهم وضموهم إلى قائمة الأسرى ، ونجح الباقون فى الوصول سباحة إلى بر دمياط(١) ، كما استولى الصليبيون على علم الملك الأيوبى ، ورفعوا مكانه على البرج العلم الصليبى (٢) . وهكذا نجح الصليبيون فى الإستيلاء على البرج فى الرابع والعشرين من أغسطس ١٢١٨ م (٢٩ جمادى الأولى ٦٩٥ هـ) بهذه الصورة التى صورها المؤرخون الأوروبيون على أنها عمل من أعمال البطولة الغير عادية التى الصقوها بالجنود الصليبيين . ومما يجعلنا نأخذ بهذه الروايه مع شيء من التحفظ لافى نتائجها ، بل فى تفاصيل حوادثها ، هو أن المصادر الاسلامية صمتت عن ذكر تفاصيل هذه الحادثه . ولكنها متفقة فى النتيجه التى أوردتها المصادر والمراجع الأجنبيه وهى سقوط البرج فى أيدى الصليبيين بعد قتال دام حوالى أربعة أشهر (٣) .

---

(١) Oliver of padenborn, op - cit., pp - 27 - 8

Eracleo, op - cit., p - 523.

Vitry, op. cit., p. 107, Roger of Wendover, op. cit., II, pp - 409 - 410. Hist. patr. Alex., p. 243,

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق انظر: نفس الجزء والصفحة ؛ ابن واصل: المصدر السابق ج ٣ ص ٢٥٩ — ٢٦١ ، ج ٤ ص ١٥ ، أنظر أيضا : أبو المحاسن : المصدر السابق ج ٦ ص ١٧٠ ؛ المقريزي : المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ١٩٠

والمهم أن الصليبيين إستولوا على البرج كما استولوا أيضا على كل ماوجدوه بداخلة من السلاح والمؤن والعتاد (١) ، وذلك بفضل إقتراح أوليفر بانشاء القلعة العائمة (٢) ، وتحكموا فى مدخل فرع دمياط . وكان أول مافعلوه هو تحطيم سلسله البرج التى عاقت تقدمهم منذ أن وطأت أقدامهم جيزة دمياط وتمكنوا من تسيير مراكبهم في النيل (٣). كما قام الدخلاء باغلاق باب البرج المواجه للمدينة وفتحوا الباب المقابل لمعسكرهم فى الضفه الغربية للنيل، كذلك شيدوا جسراً من السفن ليصل بين معسكرهم والبرج بعدما حطموا الجسر العائم الذي كان يصل بين البرج والمدينة (٤). وعلاوة على ذلك فقد زود الصليبيون البرج بكل مايحتاجون اليه من أدوات القتال (٥) .

وفى الوقت نفسه كان لأخبار إستيلاء الصليبيين على البرج أسوأ الأثر فى نفوس المسلمين وأرسل الملك الكامل إلى أبيه العادل الذى كان لايزال مقيما بمرج الصفر رسولا من قبلة هو شيخ الشيوخ صدر الدين (٦) يخبره

(١) Hist. Part. Alex., p. 242 .

(٢) Rohrict, Gesehichte du Kreuzzuge im Umriss, p. 200

(٣) Vitry, op' cit,, p. 109

(٤) Hist. part. Alex., p, 242

(٥) Kracles' op. cit., p. 328

٦ ــ هو صدر الدين أبو الحسن محمد بن عمر بن حمويه شيخ الشيوخ بمصر والشام ، ويرجع أصلة الي أسره فارسية متصوفه وكان أفرادها فقهاء شافعية ، هاجر فرع منها الي الشام وتمتعوا بنفوذ كبير في زمن بنى أيوب الأواخر خاصه الملك الكامل واولادة وكان صدر الدين فقيها فاضلا وصوفيا صالحا وقد توفى سنة ٦١٧ هـ ، عن ذلك أنظر ; =

بسقوط البرج رسمة صرخ به ، ووقع الخبر على العادل وقوع الصاعقة ودق بيده على صدره أسفا وحزنا ومرض اساعته (١) ، وكان مرض الموت (٢). ورحل من مرج الصفر الي عالقين ولكنه لم يلبث أن توفى يوم الخميس السابع من جمادي الآخره عام ٦١٥ هـ (٣١ أغسطس ١٢١٨م) (٣) ،ورغـــم كثره أولاده فلم يكن أحدا بجانبة ساعة وفاته فقد كانوا متفرقين فى البــلاد (٤) . ولم يعلم بوفاته حينئذ سوى كريم الدين الخــــلاطي (٥) فأرسل بطاقة إلى نابلس حيث كان الملك المعظم يخبره فيها بوفاة والده ، وقد حضر المعظــم على الفور « وإحتاط على الخزائن وصبر العادل» (٦).

= ابن واصل المصدر السابق جـ ٤ ص ٩١ . وقد استمع منه المؤرخ ابن الجوزى الى ما دار من حوادث في دمياط. أنظر: ابن الجوزى: المصدر السابق جـ٨ ق٢ ص ٧٠٥ – ٧٠٦ ، أبو المحاسن : المصدر السابق : جـ ٦ ص ٢٤٣ – ٢٤٤ .

(١) ابن الجوزى : المصدر السابق جـ ٨ ق ص ٥٩٣ .

(٢) المقريزى : المصدر السابق جـ ١ ق ١ ص ١٩٠ .

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق جـ ١٢ ص ٢٣٩ . أنظر ايضا :
Oliver of Pabenborn, of. cit., pp. 30-I

(٤) ابن ايبك : المصدر السابق جـ ٧ ورقة ١٧٠ ، البغدادى : عيون الأخبار (مخطوط) جـ ٢ لوحة ٤١٠ .

(٥) كريم الدين الخلاطى ، من أخص اصحاب الملك العادل وقد أخفى خبر وفاته . أنظر: ابن واصل : المصدر السابق جـ٣ ص ٢٧٥ . ثم صار من أخص أصحاب الملك المعظم أنظر : نفس المصدر جـ ٤ ص ٢٣٨ .

(٦) السلامي : مختصر التواريخ (مخطوط) ورقة ٣٢١ .

ونظرا لما قد يحدثه خبر وفاة الملك العادل من تأثير على الروح المعنوية لعساكر المسلمين المرابطين فى دمياط وخاصة بعد سقوط برج السلسله . فقد أخفى خبر وفاة الملك ، وحمل في محفة (١) وصور الناس عن طريق الخدم والأطباء أنه لازال حيا . وحمل جثمانه إلي دمشق حيث غسل وكفن ودفن سرا في القلعة ثم نقل بعد ذلك إلى المدرسة العادلية بدمشق أيضا . (٢) وجدير بالذكر أنه بعد وفاة العادل ثبت أولاده كل منهم في المملكة التى أعطاها له أبوه . ويلاحظ أن الأولاد إتفقوا إتفاقا حسنا في هذا الوقت ولم يحدث بينهم من الاختلافات ما جرت عليه العادة بين أبناء الملوك بعد وفاه آبائهم ، بل كانوا كالنفس الواحدة كل منهم يثق في الآخر ثقة عمياء ، فكانوا نعم الملوك في الجهاد والدفاع عن الاسلام (٣) . وكان ذلك من العوامل التى ساعدت على هزيمة الصليبيين .

---

(١) محفه : وهى محمل على اعلاة قبه وله أربعة سواعد ، ساعدان في الامام وساعدان فى الخلف وتغطى بالجوخ أو الحرير ، وتحمل على بغلين أو حمارين يكون أحدهما فى المقدمة والآخر فى المؤخره والراكب فيها يشعر كأنه فى سريرة ، وكان من عادة الملوك والامراء اصطحابها معهم فى أسفارهم . أنظر : صبح الاعشى : المصدر السابق ج ٢ ص ١٣٠ .

(٢) ابن واصل : المصدر السابق ج ٣ ص ٢٧٦ ،

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ج١٢ ص ٣٢ . وعن حياة العادل وسيرته ووفاته راجع: أبو المحاسن : مورد اللطافة (مخطوط) ورقة ٣٥ ، ابن ايبك : المصدر السابق ج ٧ ورقه ١٧٩ ، العينى : المصدر السابق ١٧ لوحة ٢٧٦ . أنظر أيضا : ابن أبى السرور: النزهة الزهية (مخطوط) ورقة ١٠٠ ب ، ابن خلدون : المصدر السابق ج ٥ ص ٣٤٥ ، ابن الشحنه : روضة المناظر ص ٢٠٨ — ٢٠٩ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص٦٥ ، أبو المحاسن : النجوم الزهرة ج ٦ ص ٢٢٧ ، ابن مطروح : ديوان ابن مطروح ص ١٧٥ — ١٧٦ ، ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٧٧ .

ويهمنا في هذا الموضع أن الملك الكامل خلف والده فى حكم مصر ووقع عليه العبء الأكبر فى الدفاع عنها وطرد المعتدين . وكان أول ما فعله هو إقامة جسر عظيم بعرض مجرى النيل بدلا من السلاسل ليمنع الصليبيين من صعود النهر (١) . وقد أقيم هذا الجسر جنوب برج السلسلة وليس ببعيد عن المعسكر الصليبي فى الضفة الغربية (٢) ولكن الصليبيين قاتلوا على هذا الجسر قتالا شديدا متواصلا حتى تمكنوا تحطيمه (٣) ، وتمت لهم السيطرة على مجرى النيل مرة أخرى .

ولما وجد الكامل أن الطريق النهرى أصبح مفتوحا أمام السفن الصليبية قام بعمل ثقوب فى بعض السفن بعد أن ملأها وأغرقها بعرض النيل لتكون عوضا عن السلسلة الحديدية وعن الجسر (٤) . وكانت فكرة عملية نفذت بتعقل واحكام (٥) ، وأعادت للمسلمين السيطرة مرة أخرى على مجرى النيل .

وهكذا عجز الصليبيون عن تمريز سفنهم فى النيل رغم إستلائهم على البرج . وكل ما أصبح فى إمكانهم عمله هو مهاجمة أسوار المدينة من الناحية الغربيه ، ولكنهم لم يقوموا بذلك فى الأيام القليله التى تلت سقوط البرج . فقد

---

(١) المقريزي : (الخطط ج ١ ص ٣٤٩ ، السلوك : ج ١ ق ١ ص ١٩٤ .

(٢) Setton, op. cit , III, 404 .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ٢١١ .

(٤) المقريزي : الخطط ج ١ ص ٣٤٩ .

(٥) Grousset, op. cit., III, p. 211

إعتقـــد كثير من الصليبيين أنهم قد وفوا بوعـدهم وعادوا إلى أوطانهم ؛ وكان من الضرورى على الصليبيين إنتظار الامدادات التى لا تأتى إلا فى الخريف أو الربيع وهى الفصول المناسبة لسير السفن فى البحار ، وجنح باقى الصليبيين إلى الكسل والخمول فى إنتظار وصول اخوانهم (١) .

ومما لاشك فيه أن حاله الركود هذه من قبل الصليبيين قد أعطت الفرصـة للمسلمين لالتقاط أنفاسهم بعدما صـدموا بسقوط البرج ووفاة العادل . ولو أن معظم الصليبيين لم يعودوا إلى بلادهم وواصلوا الهجوم على المدينة مباشرة بعد سقوط البرج لربما تغيرت نتائج الحمله (٢) . هذا من جهة ، ومن جهـــة أخرى فان المسلمين لو أدركوا أن بعض قوات الجيش الصليبى قد رحلت إلى بلادها ، وتمكنوا من إعادة تنظيم أنفسهم بسرعة وهاجموا بقيـة الصليبيـين لربما وفر ذلك على المسلمين جهدا وعناء ومالا فضلا عن الرجال طوال إقامة مـــدة الحملة .

نعود مرة أخرى إلى الحوادث التى تلت سقوط البرج فى أيدى الصليبيين ففى الوقت الذى عمت فيه الفرحـة المعسكر الصليبى فى جيزة دمياط حمـل

---

(١) OEiver oF Padenbern, op cit. , p. 28

يذكر رانسيمان أن معظم العائدين من الصليبين كانوا من الفريزيين وقد عوقبوا بالموت غرقا عـلى تركهم الحملة وذلك عندما طغى البحر على بلادهم فى العـــام التالى لعودتهم : أنظر : Runciman, op. cit., III' p. 1F4

(٢) Runciman, Idid.

الخبر إلى عكا فارس صليبى يدعى رولان دى لوك Roland de Luque فسر إفرنج الشام بذلك سرورا عظيما ، وبينما هم فى غمرة هذا السرور وصل اليهم خبر قدوم المسلمين لمهاجمتهم ، فخـرج بعض الفرسان والتركوبول وحاولوا مطاردة المهاجمين واندفعوا خلفهم حتى تل قيمون (١) متشحمين بالخلفية الصليبية الموجودة فى عكا . وكان على رأس هذه القوات جاك دى دورنيه Jacques de Durnai الذى وصفه تاريخ هرقل بالتخاذل (٢) . وفى هذا الموقع تمكنت القوات الاسلامية بقيادة الملك المعظم من هزيمتهم فى جمادى الآخرة عام ٦١٥ هـ (أغسطس - سبتمبر ١٢١٨ م) وقتل منهم عدد كبير ، كما أسر المسلمون حوالى مائة وعشرين من فرسان الداوية وأدخلوهم القدس وأعلامهم منكسة (٣) . وربما تكون هذه الغارة الإسلامية للانتقام مما حل ببرج السلسلة أو للضغط على الصليبيين بالشام كما جرت العادة لرفع أو تخفيف الخطر المحيط بدمياط . ومن الطبيعى ألا تؤثر مثل هذه الواقعة فى مجرى حوادث القوات الرئيسية المرابطة فى جيزة دمياط . فقد ظلت فى مكانها تنعم بالنصر الذى أحرزه رجالها على المسلمين ، يتمتع العامة منهم بقسط من الراحة

---

(١) تل قيمون ، ويسمى أيضا بالقيمون . وهو حصن يقع قرب الرملة فى فلسطين ويقال أنه على بعد ستة أميال الى الشمال من اللجون ، وتسعة أميال من عكا . أنظر : ياقوت الحموى المصدر السابق جـ ٤ ص ٤١٨ . أنظر أيضا :

(٢) Eracles, op , cit., p. 330

(٣) ابن الجوزى : المصدر السابق جـ ٨ ق ٢ ص ٥٩٦ ، راجع : أبوشامة المصدر السابق ص ١٠٩ .

بينما يشغل بال الملك جان دى برين والقادة الصليبيين الأعـــداد اللازمة من العساكر لمواصلة الهجوم على دمياط .

وعلى أية حال ، لم يستمر هذا الوضع طويلا فسرعان ماوصل فى التاسع من سبتمبر ١٢١٨ م (١٥ جمادى الآخرة ٦١٥ هـ) دفعه كبيرة من الصليبيين محمولة بحراً بعد مادفع البابا مبلغ عشرين ألف مارك فضى نظير نقلهم من برنديزى حيث كانوا مجتمعين منذ عام تقريبا إلى جيزة دمياط . وقد وضع البابا عـلى رأسها الكاردينال بلاجيوس المندوب البـابوى للحمـلة (١) . الذى سبق أن عين فى هذا المنصب فى الثانى عشر من يونية الماضى (٢) . كما وصل معه أيضاً الكاردينـال روبرت أف كورسون بعـد ماشفـع له أوليفر آف بادنبورن لدى البابا عن الأخطـاء التي ارتكبها فى فرنسا أثناء عملية الوعـظ للحملة فضلا عن إختلاسه بعض أموالها (١). وعين روبرت فى منصب القائد الروحى للحملة على ألا تعلوا سلطته سلطـة بلاجيوس (٣) ، هذا بالاضافة إلى لفيف من فرسان فرنسا البارزين منهم هيودى لوزجنان Hugh de Lusignan, وسيمون دى جينفيـل Simon de Gienvile ، وجـان دارسيس Jean d ' Arcis ، وأخيـه جى دى بيجى Gui de Pigi وايـرارد دى شاسينـة Erard de Chacenai ، وميل دي مانتى Mile de Mantueil

---

(١) Olivor of Padenborn.op. cit., p. 29

(٢) Runciman, op, cit., III, p. 145

(٣) Donovan, op, cit., p. 46 ، Setton, op. cit., II, p. 402

وأخيه أندرية Andre وكذلك أندريه دى إسبس Andre de Esbisses ، وجوتييه Gautier أحد رجال البلاط الفرنسي ، وإبنه آدم Adem وغيرهم من الفرسان ، كما حضرت معهم مارجريت Margerite إبنة أخي الملك جان دى برين (١) .

كذلك وصلت الامدادات الانجليزيه ومعها بعض الايرلات والبارونات منهم وليم ايرل أروندل Arownbel، والبارون روبرت فتز والتر Robert Fitz Walter ، ورالف ايرل تشستر ، ووليم أف هاركورت William of Harcourt ، بالاضافة إلى أوليفر (٢) Oliver إبن ملك إنجلترا (٣) . وفى الواقع كانت الأعداد الصليبية الانجليزية قليلة بعكس ما كان متوقع لها ، وذلك بسبب السماح لبعض الانجليز بتأجيل رحيلهم حتى الخريف التالى (٤) .

وتجمعت كل هذه الامدادات مع العساكر الصليبيــة فى جيزة دمياط واستعادت القوات نشاطها وحيويتها مرة أخرى استعداداً لاستكمال غــزو مصر . وفى الواقع فقد واجهت الحمله مشكلتين أساسيتين بعد وصول هــذه الامدادات ، أولها وهى الأسهل حلا أن هذه الجموع الغفيرة تتطلب مزيداً من المؤن التى كانت تحتاج اليها القــوات الصليبية . وقد تحمــل جى صاحب

---

(١) Eracles, op. cit., pp. 331-2

(٢) هو ابن غير شرعى للملك الانجليزى حنا . أنظر :

Setton, op. cit , II, p. 402

(٣) Oliver ad padenborn, ap cit-, PP - 29 -30 , Matthew of Westmenistr, op. cit., II, p. 134

(٤) Setton' Loc, cit.,

بجبيل نفقات هذه المؤن وإحضارها من قبرص باعتباره من أغنى كبار رجال الشرق اللاتيني (١) . أما الثانيـة وهى الأكثر تعقيدا هى مشكلة الصراع عـلى السلطة الذى نشب بين المندوب البابوى و بين الملك جان دى برين . فقد كان بلاجيوس متغطرسا بطبعة متعصبا لرأيه ، وقد أعطى لنفسه سلطة تفوق بكثير السلطة التى خولها له البابا هونوريوس الثالث وتعالى على الملك جان دى برين وأعلن أن الصليبيين جنود الكنيسة ويجب ألا يخضعوا إلا لسلطة الكنيسة ، وبالتالى فهم خاضعون له باعتباره ممثل البابا. كما ان بلاجيوس لم يتقبل الملك جان دى برين قائداً للحملة. وليس ذلك فحسب بل كان يرى أن الملك الصليبى ليس ملكا حقيقيا بل وصيا على الملكة إيزابيلا إبنة زوجته الراحلة (٢).وعلى ضوء هذه التفسيرات أعتبر بلاجيوس نفسه قائداً للحملة كلهـا ، وأعلن أنه عندما يأتى الأمبراطور فريدريك الثانى ـ الذى وعد باللحاق بالحملة ـ سيتولى قيادة الحملة(٣).

ومما تجدر الاشارة اليه أن هذا الصراع ظل باقيا طوال مدة إقامة الصليبيين فى مصر وزاد من هذه المشكلة إنحياز رجـــال الدين إلى جـانب بلاجيوس وإنضمام القادة العسكريين إلى الملك جان دى برين مما جعل الجبهه الصليبيـة تبدو وقد إنشقت إلى قسمين يخضع كل منها لطرف من الأطراف المتصارعة(٤). وعلى أية حال فقد تمكن بلاجيوس من فرض رأيه وسلطته عـلى الحملة كلهـا تقريبا (٥) . ومما لاشك فيـه أن هذا الصراع كان له أسوأ الأثر عـلى الحمله بأكملهـا (٦).

(١) Groussét, op, cit., III' p. 221 & n° 6

(٢) Duggan, op, cit , p. 215.

(٣) Runciman, op. cit., III. p. 155.

(٤) Rohricht, op. cit., p. 200

(٥) Setton. op. cit., II.p. 402.

(٦) Grousset. op, cit., III, p. 211

والمهم أن الامدادات الصليبيه توالت على جيزة دمياط. ففى نهايه أكتوبر من نفس العام (٩ شعبان ٦١٥ هـ) وصلت مجموعة كبيرة من الفرنسين بعد ما أبحرت من جنوه في الشهر السابق. وكان على رأس هذه القوات أنجرس Angers أسقف باريس ووليم أسقف بوردو Bordeaux (١).

ولم يكن وصول هذه الامدادات بخافيا على القادة المسلمين المرابطين فى العادلية فى مواجهة الصليبيين. وكان المفروض على الملك الكامل ألا يترك القوات الصليبيه تنعم بالراحه والهدوء في الوقت الذى يتزايد عددها يوما بعد يوم. فأخذ يستعد لمهاجمتها قبل أن تهاجمه (٢)، أى أنه بدأ يأخذ بسياسة الهجوم لا بسياسة الدفاع. لذلك أعد لهجوم شامل بالبر والبحر على المعتدين وجهز جيشا مكونا من أربعة آلاف من الفرسان ومثلهم من المشاة. وفى الوقت نفسه أعد لهم حوالى خمسين أو ستين سفينة من الشواني (٣).

١ ـ Oliver of Padenborn, op. cit, p. 29

٢ ـ Eracles, op. cit., p. 332.

٣ ـ الشوانى، جمع شينى وتسمى بالفرنسيه Galere وبالايطالية Galera وهى من أقدم أنواع السفن التى كان يتكون منها الأسطول الرومانى وزادت أهميتها فى العصور الوسطى عند الغرب والشرق، وكانت من أكبر السفن وأكثرها استعمالا لحمل المقاتله للجهاد، وعليها أبراجا وقلاعا للدفاع والهجوم. وكان متوسط ما عليها من الرجال مائه وخمسون رجلا، ولها حوالي مائه مجداف. أنظر: ابن مماتى. المصدر السابق ص ٣٤٠، المقريزى: السلوك ج ١ ق ٢ ص ٣٠٦ حاشيه (٢)، أحمد مختار العبادى: والسيد عبدالعزيز سالم المرجع السابق ص ٢ ١٣ ـ ١٣٣، سعاد ماهر: المرجع السابق ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣.

والحراريق(١) فى نهر النيل إستعدادا للهجوم المنتظر. وفى يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر رجب ٦١٥ هـ (٩ أكتوبر ١٢١٨م) قام الملك الكامل بانزال قواته على الضفه الغربية للنيل جنوبى المعسكر الصليبى فى المكان المعروف ببوره وتقدمت الفرسان الاسلامية بحذاء النيل حتى وصلت الى الجزء الجنوبى من خندق المعسكر الصليبى، ويلاحظ أن وجود هذا الخندق قد حال دون تقدم الفرسان الإسلامية أبعد من ذلك. وفى الوقت نفسه تقدمت المشاة الاسلامية بحذاء النهر فى المواجهة الشرقية للقوات الصليبيه. ورغم قلة عدد العساكر الإسلامية من المشاه إلا أنها تمكنت من التوغل داخل المعسكر الصليبى. وأيقن الصليبيون أنهم هالكون لا محالة نظر لما أبداه المسلمون من شجاعة فائقة فى هذا الهجوم (٢). لذلك قام الملك جان دى برين بتجهيز فرقة من الجنود الصليبيين بلغ عددها حوالى سبعة آلاف جندى وخرج على رأس هذه الفرقة تاركا الكونستابل أودو أف مونتبليار Odo of Montbeliart فى مكانه، واصطحب معه ايمارديلايرون ـ صاحب قيساريه السابق ـ وأحد ماريشالات الفرسان الاسبتاريه،

١ ـ الحراريق، جمع حراقة Brutot وبها مرامى النيران ويقال هى المرامى نفسها وتستعمل فى حمل الأسلحة والنار الأغريقية واستعملت فى العصور الوسطى فى الشرق والغرب، واستعملت أيضا فى العصر الفاطمى والمملوكى فى النيل لحمل الأمراء ورجال الدولة فى الاستعراضات البحرية والحفلات الرسمية. أنظر ممانى: المصدر السابق نفس الصفحة، المقريزى: المصدر السابق جـ ١ ق ٢ نفس الصفحه حاشية (٢)، السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى: البحرية الاسلامية فى المغرب والأندلس ص ٣٠٢ حاشية (٢)، سعاد ماهر: المرجع السابق ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

٢ ـ Hist, Patr. Alex. p. 244., Oliver of Padenborn op. cit, p. 31.

كما خرج معة أيضا جودفرى موست Godfrey Most وهو من الفرسان المشهود لهم بالشجاعة . وأعطى الملك أوامره الى الجنود الصليبيين بالخروج من الخنادق والمراكب لمقاتله المسلمين . كما توغل بنفسه داخل صفوف العساكر الاسلامية حتى رأى حامل رايه الملك الكامل وكان رجلا طويل القامه مرتديا درعا ويحمل رمحا طويلا غليظا بأعلاه الرايه الملكية ذات اللون الأزرق والهلال والنجوم الذهبيه ، فاسرع اليه جان دى برين بجواده وطعنه قوية برمحه فخر صريعا على الأرض ومعه الرايه الملكية . وقد أثر هذا المشهد فى صفوف المسلمين وعادوا مسرعين الى سفنهم هربا من الصليبيين . وعندما رأى الجنود الصليبيون هروب المسلمين اشتدوا فى الهجوم عليهم وقتلوا منهم عددا كبيرا (١) . وعندما شاهد الملك الكامل ذلك بدأ فى الانسحاب ، ومن الملاحظ أن الأسطول الاسلامى لم يقم بأى عمل ايجابى فى هذه الغاره للاسباب التى أسفلنا اليها . وانتهت هذه الجوله بغرق بعض عساكر المسلمين اثر انسحابهم من أمام الصليبيين ، وكان أكثرهم من أهل الشام لعدم قدرتهم على السباحة الى الضفه الشرقية للنيل (٢) . ورغم ذلك فان هذه النتيجة لم تؤهل الصليبيين الى خوض معركة شامله ضد المسلمين .

ولكن غرور المندوب البابوى جعله يقوم ببعض العمليات الاستكشافية للهجوم على المعسكر الاسلامى أملا فى العبور الى الضفة الشرقية للنيل (٣) .

١ — Oliver of Padenborn, Ibid, Eracles, op. cit., pp. 333-4.

٢ — Hist. Patr. Alex., p. 244; Roger of Wendover, op. cit., II, p. 412.

٣ — Setton, op. cit., II, p. 405.

وقامت إحدى السفن التى أرسلها جـاك دى فترى وعليها مائتان من الجنود بعملية الاستطلاع . ولكنها لاقت مقـاومة عنيفة من قبل المسلمين وعادت ادراجها من حيث اتت بعد أن لازمها الفشل . وقام الصليبيون بمحاوله أخرى بعد أن غطيت السفينة بالقماش للتموية ، ولكن المسلمين تمكنوا من أسر ستة من ملاحيها وهلك الباقون بعد أن تحطمت السفينة (١) .

وتشجع الملك الكامل بعد إحباط هذه المحاولات الاستكشافيـة من قبـل الصليبيين واستعد للاغارة على المعسكر الصليبى مرة أخرى . فى يوم الجمعة الرابع من رجـب ٦١٥ هـ (٢٦ أكتوبر ١٢١٨ م) عبرت القوات الاسلامية الى البر الغربى لنهر النيل يحميها حوالى ألف من الفرسـان . والتحمت هذه القوات مع الصليبيه ودار اشتبـــاك عنيف بين الطرفين انتهى بهزيمة القوات الاسلامية وقتل عدد كبير منهم ، ولم يستطع النجاه الا الذين يجيدون السباحة الذين تمكنوا من الوصول الى الضفه الشرقية للنيل ، وقد تركـت هذه الهزيمة أثرا سيئا فى نفوس المسلمين (٢) . واضطر الملك الكامل بعد هذه المحاولات الاسلامية الفاشلة للعـودة مرة أخرى إلى سياسة الدفاع تاركا سياسة الهجوم . فبدأ فى تشييد مزيد من الاستحكامات على الضفة الشرقية للنيل وأقام عليها المنجنيقـات لضرب السفن الصليبية التى تحاول استكشاف طريقة للعبور الى حيث يعسكر المسلمون (٣) .

ورغم إلتجاء الكامل إلى سياسة الدفاع فان الصليبيين لم ينعموا بالراحة . فقد إجتمع العربان على إختلاف قبائلهم وهاجموا معسكرات الصليبيين « فى كل ليلة بحيث إمتنعوا عن الرقاد » وزاد طمع البدو فى الصليبيين بحيث كانوا

---

١ — Roger of Wendover, Ibid, Rohricht, Geschichte des Konigreichs Jerusalem, p. 733.

٢ — Hist. Patr Alex., p. 244, Oliver of padesborn, op cit, p.31

٣ — Eracles, op. cit., p. 385.

يهاجمونهم نهارا ويخطفون منهم ما يقع تحت أيديهم . وقد لجأ الصليبيون الى إقامة الكمائن لتصيد هؤلاء العربان ، وتمكنوا من قتل عدد كبير منهم (١) ، كما لم يسلم المسلمون أيضاً من هجمات هؤلاء البدو فانهم كثيرا ما هاجموا البلاد المجاورة لدمياط وقطعوا الطريق ، « وأفسدوا وبالغوا في الإفساد فكانوا أشد على المسلمين من الفرنج » (٢) . ومن الملاحظ أن هذا السلوك من قبل العربان كان مألوفا أثناء قيام الحرب بين المسلمين والصليبيين (٣) .

وعلى أية حال ، فقد أصبح من المتعذر على الصليبيين العبور إلى الضفة الشرقية للنيل أو حتى القيام بعمليات استطلاعية جديدة بعد فشل محاولتهم السابقة ، وعلاوة على ما أقامه الكامل من الاستحكامات حول المعسكر الاسلامي فى العادلية ، ومضايقات العربان المستمرة لهم ليلا ونهاراً ، بدأ الصليبيون يفكرون في وسيلة أخرى لاجتياز مجرى النهر ، خاصة بعد ما بدأت الإمدادات تتوافد على المعسكر الصليبي منذ نوفمبر عام ١٢١٨م (أواخر شعبان ٦١٥هـ) (٤) . واهتدى تفكيرهم إلى حفر خليج قديم هو الخليج الأزرق أحد روافد النيل القديمة وكان يصل بين النيل وبين البحر المتوسط في الاتجاه الشمالي الغربى بدايته القريه المسماه بوره . وبذلك يصبح فى إمكان الصليبيين تمرير سفنهم من البحر المتوسط إلى النيل عبر الخليج المقترح تعميقه متفادين بذلك السد الذى أقامه الملك الكامل بالسفن الغارقة جنوبى برج السلسله (٥) . وبعد أن إقتنع القادة الصليبيون بهذه الفكرة بدأوا فى عملية الحفر .

---

١ — المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٤٩ ، السلوك ج ١ ق ١ ص ١٩٥ .

٢ — ابن الأثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ٢١٢ .

٣ — Grousset. op. cit., III. p. 216.

٤ — Setton. op. cit., II, p. 504

٥ — Hist. Patr. Alex., pp. 44—6.

وما أن بدأت عملية تعميق الخليج حتى هبت رياح شديده فى ليلة التاسع من شهر رمضان سنة ٦١٥ هـ (٢٩ نوفمبر ١٢١٨م) أعقبها هطـول أمطار غزيرة . وقد تسبب ذلك فى كارثتين بالنسبة للمعسكر الصليبى وكارثة بالنسبة للمعسكر الاسلامى ؛ فقد قطعت هذه الرياح إحـدى مراسى مرمات (١) الصليبين ودفعت بها إلى الشاطىء الشرقى للنيل حيث يعسكر المسلمون، وكانت من عجائب الدنيا مصفحة بالحديد لاتعمل فيها النار ومساحتها حوالى خمسمائة ذراع وبها من المسامير مازنة الواحد منها خمسه وعشرون رطلا (٢) ويلاحظ أن هذه المرمة كانت تخص فرسان الداوية وهى تشابه القلعة العائمة التى إستولى بها الصليبيون على برج السلسلة ومزودة بكافة المعـدات اللازمة للقتال (٣) . فاستولى عليها المسلمون بعد ماقتلوا حوالى أربعة عشر صليبيا وأسروا الباقين ، ولم يتمكن من الفرار سوى إثنين ، فقد ألقيا بنفسيهما فى النيل وسبحا إلى الضفة الغربية ، وقد حوكما بتهمة الجبن وعدم تنفيـذ الأوامر المكلفين بها مما تسبب عنه فقدان هذه المرمة (٤) ، وعوقبـا بالموت شنقا بأمر الملك جان دى برين (٥) .

---

١ ـ المرمة ، وجمعها مرمات وهى نوع من السفن الحربية الكبيرة فى العصور الوسطى ويظهر أنها من أصل ايطالى **Meremma** وهى ناحية فى ايطاليا . وكانت تزود بالميرة والسلاح وكل أدوات الحرب كما كان يبنى فوقها الابراج للزحف بها على أسوار المـدن والابراج . وفى بعض الاحيان كانت تغطى بالحديد وتصير مصفحـة لا تتأثر بالنيران . أنظر : ابن واصل : المصدر السابق جـ ٣ ص ٢٦٠ حاشية (١) ، سعاد ماهر : المرجع السابق ص ٣٦٨ .

٢ ـ المقريزى : السلوك جـ ١ ق ١ ص ١٩٥ .

٣ ـ **Oliver Scolastique, Letter to Angelbert, cf. Bongars, op. cit., p. 1168.**

٤ ـ **Hist. Patr. Alex., p. 245.**

٥ ـ **Setton, op. cit., II, p. 406.**

والكارثه الثانية كانت أشد من الأولى،فان هبوب هذه العارصفة دفع بمياه البحر حتى وصلت إلى المعسكر الصليبي فى جيزه دمياط فغرقت الخيام والمؤن كما أنها تسببت في نفوق عدد كبير من الخيول وتحطيم عدد كبير من الزوارق الصليبية ، بالاضافة إلى الخسائر البشرية (١) . ويبدو أن الإعصار كان شديدا لدرجة أن الجرحى لم يتمكنوا من النجاه فهلكوا جميعا (٢) . كما أن كمية المياه التى تدفقت على المعسكر الصليبي كانت هائله بدليل أن الأسماك كانت ملقاه على الأرض داخل وخارج المعسكر بعد جفاف المياه (٣) ولم يستطع الصليبيون مقاومة هذه الكارثة الطبيعية الا بعد هدوء العاصفة وإنحسار المياه . فقد أمر بلاجيوس باقامة حاجز بين البحر والمعسكر على وجه السرعة ، وتم إستخدام كافة مخلفات الكارثة بما فيها حطام السفن وجثث الخيول النافقة فى إقامة هذا الحاجز (٤) .

وإذا إنتقلنا إلى الجانب الإسلامى نجد أن مياه بحيرة تنيس قد طغت على المنطقة الواقعة من جنوب دمياط حتى العادلية بما فيها المعسكر الإسلامى

---

١ — Roger of Wendover, op. cit., II, p 412, Matthew of Westmenister, op. cit, II, p. 134.

٢ — Hist. Patr. Alex. Ibid.

٣ — Oliver Scolastique, Ibid, Roger of Wendover, Ibid

٤ — Archer & Kingsford, op. cit., p. 376, cf. also, Rohricht, Geschichte der Kreuzzuge im Umriss, p. 2?1, Runciman op. cit, II, p. 156.

وتسبب ذلك في تخريب هذه المنطقة وهلاك عدد من المسلمين والدواب (١) . ويبدو أن خسارة المسلمين كانت أقل بكثير من الخسارة التى لحقت بالمعسكر الصليبي ، وربما يرجع ذلك الى بعد المعسكر الإسلامى إلى حـد كبير عن البحر والى حد ما عن بحيره تنيس .

ورغم ماسببته هذه العاصفة من كوارث فانها أفادت الصليبيين فائدة كبرى فقد امتلأ الخليج الأزرق بالمياه وأصبح فى مقدور الصليبين أن يسيروا سفنهم في هذا المجرى الجديد من البحر إلى نهر النيل عند قرية بوره . وهو ما كان يسعي من أجلة الصليبيون (٢) .

ومما هو جدير بالذكر أنه فى اعقـاب هذه الـكوارث داهمت الحمى والأمراض الجلدية القوات الصليبية . وتفشت هذه الأوبئة داخـل المعسكر الصليبي . وقد قاس العـديد من هذه الحمى ، كما تسببت في موت حوالى سعين على الأقل من بينهم روبرت أ ف كورسون الواعظ الروحي للحمله (٣).

وكان لهذا كله أسوأ الأثر فى نفوس الصليبيين ، وتبلور في زيادة حده الصراع بين المندوب البابوى والملك الصليبي . فمن الواضـح أن الصراع بدأ بين الطرفين منـذ أن وطأت أقدام بلاجيـوس المعسكر الصليبى فى الخريف السابق لهذه الأحداث . وبدأ الصـراع يتصاعد يوما بعد يوم . ومما زاد من

---

١ — Hist. Patr. Alex., p, 245

٢ — ابن واصل : المصدر السابق ج ٤ ص ١٦ .

٣ — Oliver of Padenborn, op. cit., p. 82 ; Roger of Wendover, op. cit., II, p. 418

حدثه حالة الخمول النسبى التى مرت بها الحملة بعدسقوط برج السلسة ، بالاضافة إلى فشل كافة العمليات العسكرية للعبور إلى الضفة الغربية للنيل . وقد أدى هذا الفشل الى المناداة بزعامة جديدة تتولى قيادة الحملة . واستغل المندوب البابوى هذه الحالة النفسية التى تسيطر على المعسكر الصليبى ، وتمكن من السيطرة على الموقف وتولى أمر قيادة الحملة يسانده فى ذلك كافة رجال الدين ، وأعلن بلاجيوس الصيام لمدة ثلاثة أيام داخل المعسكر الصليبى ، وأمر رجال الدين بالوقوف حفاة أمام الصليب مبتهلين إلى الله طالبين العون للقوات الصليبية ، وفى أوائل فبراير عام ١٢١٩ م (أوائل ذي القعدة ٦١٥ هـ) لاحظ بلاجيوس إرتفاع الروح المعنوية للجيش الصليبى وأن هناك نشاطا ملحوظا بين قواته ، فبدأ يستعد للهجوم على المعسكر الإسلامى ، وأعد الصليبيون لهذا الغرض قاعة عائمة أطلق عليها الصليبيون الأم المقدسة Holy Mother وهى مكونه من ست سفن مثبتة مع بعضها فى شكل ثلاث صفوف متوازية . ثم ثبتوا عليها الصوارى وزودوها بالآلات والرجال . وبدأ الهجوم على المعسكر الإسلامى عن طريق الخليج الأزرق يوم السبت الموافق الثانى من فبراير عام ١٢١٩ م (١٥ ذو القعدة ٦١٥ هـ) وتصدت لهم القوات الإسلامية وأجبرتهم على العودة ثانية من حيث أتوا . وبعد أن إستعدوا مرة أخرى للهجوم هطلت الأمطار ، فضلا عن أن هذا اليوم كان قارس البرودة ، فاضطر الصليبيون إلى تأجيل عملية الهجوم لوقت لاحق . ورغم أن المسلمين والصليبيين كانوا مستعدين للقتال فى يومى الأحد والإثنين ، إلا أن رداءه الجو عاقت كلا الطرفين عن القيام بأية عملية عسكرية (١).

Hist. Patr. Alex., pp. 245 - 6, OLiver of Padenborn, op. cit., - I pp. 63 - 4' Roger of Wendover, op. cit., II, p. 415.

وإذا كان الملك الكامل قد تمكن من دفع الأخطار الصليبية واحداً تلو الآخر ، فان الخطر الكبير الذى هدده عندئذ جاء من جانب أحد قواده (١) . ذلك أنه بعد وفاة الملك العادل طمع بعض الأمراء فى الملك الكامل(٢) ، وتآمر عليه عماد الدين بن المشطوب (٣) ،ولفيف من الأمراء الأكرادالذين ينقادون اليه ويطيعونه (٤) . وكان على رأس هؤلاء الأمراء الأمير عز الدين الحميدى والأمير أسد الدين الهكاري (٥) والأمير مجاهد الدين (٦) . واتفق هؤلاء على

١ — سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٩٧٢ .

٢ — Hist. Patr. Alex., p. 46, cf, also Eracles, op. cit., p. 335.

٣ — هو أبو العباس أحمد بن الأمير سيف أبى الحسن على بن أحمد بن أبى الهيجاء ابن عبد الله بن أبى الخليل بن مرزبان الهكاري المعروف بابن المشطوب والملقب عماد الدين ، والمشطوب لقب والده وانما قيل له ذلك لشطبه بوجهه ، وكان من أجل الأمراء الهكارية وله لفيف من الأمراء والأكابر وله حرمة وافرة عند الملوك ،وكان صلاح الدين الأيوبى قد أقطعه ثلثى نابلس بعد وفاة والده بطل الدفاع عن عكا سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١ م) .عن ذلك أنظر: ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٨١ ، المقريزى : المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ١٩٥ ، راجع أيضـــا : العماد الأصفهانى المصدر السابق ص ٥٠٥ ، ٥١٣ .

٤ — ابن واصل : المصدر السابق ج ٤ ص ١٦ - ١٧ .

٥ — نسبة الى الهكارية احدى قبائل الأكراد الذين عاشوا فى أعالى الجزيرة حياة مستقلة فى تحصيناتهم الجبلية وسط غيرهم من قبائل الأكراد . ياقوت الحموى : المصدر السابق ج ٤ ص ٩٧٠ ، ٩٧٨ . أنظر أيضا : ابن واصل: المصدرالسابق ج ٤ ص١٦ حاشية (٤) .

٦ — ابن الفرات : تاريخ الأمم والملوك (مخطوط) ج ١٠ لوحة ٢١ ب ، المقريزى: المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ١٩٦ .

خلع الملك الكامل وتولية أخيه الملك الفائز، وكانوا قد اتفقوا معه على أخيه الكامل واستحلفوا له العساكر (١). ذلك لأن عماد الدين كان يرى أن الفائز صبى خفيف لايتأتى منه شر. وقد تسربت أخبار هذه المؤامرة إلى الملك الكامل وهو مرابط للصليبيين فى معسكره بالعادلية. فاتجه إلى المتآمرين ودخل عليهم فاذا هم مجتمعون وبين أيدهم المصحف وهم يحلفون عليه لأخيه الفائز. فعندما شاهدوه تفرقوا، كما خرج بعضهم من تحت أذيال الخيمة المجتمعين فيها (٢). ولكنه لم يستطع القيام بعمل إيجابى ضد المتآمرين لعظم مكانتهم بين العساكر (٣)، هذا من جهة ومن جهة أخرى لكونه قبالة العدو واتفق بعد خروج الكامل من خيمة المتآمرين قدوم الصاحب صفى الدين بن شكر (٤) من آمد (٥). لأن الكامل كان قد إستدعاه بعد موت أبيه العادل

---

١ ـ ابن الجوزى: المصدر السابق جـ ٨ ق ٢ ص ٦٠٢، أبو شامة: المصدرالسابق ص ١١٦. أنظر أيضا: ابن الأثير: المصدر السابق جـ ١٢ ص ٢١١ ـ ٢١٢، ابن واصل: المصدر السابق جـ ٤ ص ١٦ ـ ١٧، ابن خلكان: المصدر السابق جـ ٢ ص ٧٢.

٢ ـ ابن الفرات: المصدر السابق جـ ١٠ لوحة ٢٢ أ.

٣ ـ ابن خلكان: المصدر السابق جـ ص ٧٢.

٤ ـ اسمه عبدالله بن على، وأصله من قرية الدميرة بمصر وكان عالما فاضلا له معرفة بقوانين الوزارة وكان وزيرا في دولة العادل وقد انتظمت الدولة فى عهده ولكن العادل انحرف عنه في أواخر أيامه ونفاه الى آمد ثم دخل في خدمة الكامل وتوفي عام ٦٢٠هـ انظر: ابن الجوزي: المصدرالسابق جـ ٨ ق ٢ ص ٦٧٧.

٥ ـ آمد، من أعظم مدن ديار بكر، وأجلها قدرا وأشهرها ذكرا. وهى بلدة ـ

فتلقاه الكامل وأكرمه وأبلغه بأخبار المؤامرة فشجـــع الصاحب الكامل على المتآمرين (١) . كما أشار عليه أيضاً بالإسراع فى الإستنجاد بملوك البيت الأيوبى لمساندته على مواجهة المتآمرين ، «فحسن هذا عند السلطان واصغى اليه» ثم عرف الصاحب صفى الدين بن شكر مايحتاجه الكامل من الأموال لمواجهة هذا الموقف وإستعد لتحصيلها (٢) .

ورغم تشجيع إبن شكر للملك الكامل إلا أن الملك كان خائفا عـــلى نفسه من المتآمرين لذلك رحل ليلة الثلاثاء ١٨ من القعـدة ٦١٥ هـ (٥ فبراير ١٢١٩ م) وسار إلى قرية أشموم طناح (٣) . وعندما عـلم الجنود المسلمـون

= حصينة قديمة ، ونهر دجله محيط باكثرها كالسور شبه هلال ، وفى وسطها عيون وابار فى متناول اليد ، فضلا عما بها من البساتين . ياقوت الحموى : المصـدر السابق جـ ١ ص ٦٦ .

١ ـ المقريزي : المصدر السابق : جـ١ ق١ ص ١٩٦ .

٢ ـ ابن الفرات : المصدر السابق جـ ١٠ نفس اللوحة .

٣ ـ اشمون أو أشموم طناح ، وهى من أقدم المدن المصرية واسمها بالقبطى Chemoun Erman وسماها العرب اشمون الرمان نسبة الى اسمها القبطى وسميت أيضا أشمـــوم طناح نسبة الى طناح التى كانت معها في كورة واحدة . وهى تقع عـــلى الشاطىء الشرقى لبحر اشموم نسبة الى هذه المدينة . وكانت مـدينة ذات حمامات وأسواق وجامع وفنادق كما كانت مساحتها حوالى ١٧٥٨ فدانا . واستمرت هذه المدينة قاعدة لاقليم الدقهلية حتى اخر العصر المملوكي حين حلت مدينة المنصورة محلها . ومنذ ذلك اضمحلت اشمون طناح وأصبحت قرية عادية من قرى مركز دكرنس بمديرية الدقهلية . عن ذلك أنظر : ابن دقاق : كتاب الانتصار جـ ٥ ص ٦٨ ـ ٦٩ ، ابن مماتى : المصدر السابق ص ٨٩ ، ياقوت الحموي : المصـــدر السابق جـ١ ص ٢٨٢ . راجع أيضا : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على مصر ص ٨١ حاشية (٤) .

بذلك وأدركوا أنهم « فقدوا سلطانهم » ساد الفزع أرجاء المعسكر الإسلامى ولعل إبن الأثير قد عبر خير تعبير عن الصورة التى إجتاحت العادلية بقوله «فركب كل إنسان منهم هواه ولم يقف الأخ على أخيه » . وهو وصف يوضح لنا الهرج الذى ساد المعسكر الإسلامى ، مما ترتب عليه أن العساكر تركت خيامها وأسلحتها وأموالها ودوابها وكافة تجهيزات المعسكر، ولم تتمكن إلا من حمل اليسير من هذه المعدات واتخذت طريقها إثر الملك الكامل تاركة العادلية على حالها تقريبا (١) .

هذا ماورد فى المصادر العربيــة عن مؤامرة إبن المشطوب ، أما تاريخ هرقل المعاصر لهذه الأحداث فيروى أن سببها مرجعه أن الكامل استدعى إثنين من الأمراء الأكراد منها عماد الدين بن المشطوب ، وطلب منهما الدخول إلى دمياط بعساكرهما - الذين يبلغ عددهم حوالى سبعمائة فارس من خيرة الفرسان — لحمايتها وذلك لثقته فيهما أكثر من غيرهما ، فأجابه الأميران بأنهما قد قدما لخدمته وأنهما لايمانعان فى دخول المدينــة ورجواه فى أن يدخل معهما أحد أولاده حتى يهتم بالمدينة ولا يهملها ، كما فعل عمه صلاح الدين الأيوبى عندما ترك سيف الدين بن المشطوب والد عماد الدين ومعه حاكم عكا (٢) ، أثناء حصارها وتركها تسقط أمام عينيه . ويضيف نفس المصدر أن الكامل غضب عندما سمع كلام الأميرين وقام على الفور واستدعى أمرائه . وعندماشعر

---

١ — ابن الأثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ٢١٢ . أنظر أيضا :

Hist. Patr. Alex., p. 216.

٢ — هو حسام الدين حسين بن باريك المهرانى . ولمزيد من التفاصيل عن سقوط عكا فى يد الصليبيين بعد مااستردها صلاح الدين الأيوبى: أنظر : العماد الأصفهانى : المصدر السابق ص ٥١٣ وما بعدها ، ابن شداد : المصدر السابق ص ١٧٣ وما بعدها .

عماد الدين بن المشطوب والأمير الذى معه سماه تابخ هرقل « أوتفين » (١) Otevin إعتقدا أن الكامل سيلقى القبض عليهما ، فسلحا رجالهما وقالا أنه خير لهما أن يموتا وهما يدافعان عن أنفسهما من أن يقبض عليهما . وبلغ الخبر الملك الكامل ، وأيقن أنهما مستعدان للقتال ، فاستعد هو الآخر لقتالهما . وتسلحت كافة العساكر وبذلك أيقن إبن المشطوب أن الكامل يستعد للقبض عليه فهرب وخلفه رجاله . وعلى هذا النحو أخذ كل من فى المعسكر طريقة إلى الهرب . فخاف الملك الكامل على نفسه وأدرك أن الصليبين سيعبرون اليه فغادر هو الآخر المعسكر دون أن يشعر به أحد سواء من بالمعسكر أو بالمدينة (٢) .

ويبدو أن ماورد فى المصادر العربية عن سبب هذه الحوادث وهو التآمر لخلع الملك الكامل محمد وتوليه أخيه الفائز مكانه هو الصحيح ، بدليل أن خمسة من المؤرخين العرب المعاصرين (٣) قد أوردوا هذا السبب ، فضلا عن المصادر العربية المتأخرة (٤) التي كررت رواية المصادر المعاصرة . ولو كان هناك سببا

---

١ ـ لم أتمكن من تحديد الاسم العربى لهذا الاسم . وربما يكون الأمير عز الدين الحيدى أو الأمير أسد الدين الهكارى أو الأمير مجاهد الدين وهم من ورد اسمهم الى جانب ابن المشطوب فى المصادر الاسلامية .

٢ ـ Eracl s, op. cit., p 335 .

٣ ـ أنظر ماسبق ص٢٤٦ حاشية ١

٤ ـ من المخطوطات : ابن أيبك المصدر السابق جـ ٧ ورقة ١٨٢ ، ١٨٣ ، ابن بهادر المصدر السابق ورقة ١٠٤ ، العينى: المصدر السابق جـ ١٧ لوحة ٣٨٠ ، النويري : المصدر السابق جـ ٢٧ لوحة ٢٠٤ ، ٢٥ ، ابن الفرات : المصدر السابق جـ ١٠ لوحة ٢١ ب ،

غير ذلك ورد في مصادر فقدت ولم تصلنا لظهر على الأقل في عدد من المصادر المتأخرة . وهذا يؤكد صحة ما أورده الكتاب العرب المعاصرون خاصة وأن منهم من كان على إتصال بمجريات الأمور والأحوال فعلا وصديقا للملك المعظم (١) . كما أن تاريخ هرقل يفنـد نفسه بنفسه ، فان ماذكره عن إهمال صلاح الدين فى الدفاع عن عكا غير صحيح . ذلك أن صلاح الدين لم يتوان لحظة واحدة في اتخاذ التدابير اللازمة للدفاع عن المدينة . هـذا من جهة ومن جهة أخرى فانه قد صور إبن المشطوب ورجاله وقد استعدوا لقتال الكامل وفى الوقت نفسه صور الكامل وكافة العساكر وقد أعدوا عدتهم لمواجهة إبن المشطوب ورجاله . ثم يروى أن الكامل ترك المعسكر دون أن يشعر به أحد سواء من كان بدمياط أو المعسكر . ويصح ألا يشعر به من فى المدينـة ، أما لا يشعر به من فى المعسكر وهم مستعدين لقتال إبن المشطوب على حد قوله فهو أمر مستبعد ويصعب تقبله بسهولة .

= ٢٢ أ . ومن المصادر المنشورة ابن كثير : المصدر السابق ج ١٣ ص ٨٠ ، ٩٢ ، ابن الوردى . المصدر السابق ج ٢ ص ١٣٩ ، أبو المحاسن : المصدر السابق ج ٦ ص ٢٣٠ ، المقريزي : المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ١٩٦ .

١ — كان ابن الجوزى صديقا للمعظم وسمع عن وقائع الحملة كما حضر جانبا منها في دمياط أنظر أبو المحاسن : المصدر السابق ج ٦ ص ٢٢٢ ، ٢٤٣ . وعن حياة ابن الجـوزى أنظر ابو المحاسن : المنهل الصافى (مخطوط) ج ٥ ورقة ٥٨٩ — ٥٩١ .

على أيه حال ، فقد غادر الكامل العادلية إلى أشموم طناح وفى إثره كافة العساكر الاسلامية (١) . وباتت العادلية ـ خط الدفاع الأول ضد الصليبيين ـ ليلة الثلاثاء الثامن عشر من ذى القعده سنة ٦١٥هـ (٥ فبراير ١٢١٩م) خالية من العساكر بعد أن قاومت المعتدين أكثر من ثمانية أشهر . وأصبح الطريق مفتوحا أمام الصليبيين (٢) .

وكانت تحركات العساكر الاسلامية فى هذه الليلة غير خافية على الصليبيين(٣)، إلا انهم كانوا يجهلون أسبابها فى ذلك الوقت . وفى صباح الثلاثاء (١٨ ذو القعدة / ٥ فبراير) لاحظ الصليبيون خلو العادلية من العساكر الاسلامية (٤)، واعتقدوا أن عملية الانسحات ربما تكون خدعة عسكرية لجأ اليها المسلمون(٥)، لذلك أرسل جان دى برين أحد رجاله ويدعى أوبرت لاشاربنلييه Aubert La Charpenlier إلى العادلية لاستطلاع الأمر ، وعاد هذا الكشاف وأخبر الملك الصليبى بخلو المعسكر الاسلامى من العساكر. ولم يصدق الملك ما سمع فعاد وأرسل كشافا آخر من الفرسان يدعى ميخائيل دى فتز Michel de Vitz، فعاد وأيد صحة أقوال الكشاف الأول . وعند ذلك إطمأن جان دى برين إلى خلو العادلية من العساكر الاسلامية ، فأمر رجاله بالاستعداد لعبور النيل الى

---

١ ـ Oliver of Padenborn, op cit., p. 44.

٢ ـ Setvenson, op cit., p 303.

٣ ـ يلاحظ أن ليلة الثامن عشر من الشهر العربى من الليالى القمرية وفى المستطاع رؤية المعسكر الاسلامى من الضفة الغربية حيث يعسكر الصليبيون .

٤ ـ Roger of Wenbover, op. cit., II, p. 415.

٥ ـ Hist. Patr. Alex., p. 246.

الضفة الشرقية (١). والواقع أن العساكر الصليبيـة كانت مستعدة للعمليات العسكرية طوال الثلاثة أيام الماضيه (٢)، وكانت خيولهم موجودة بداخـل السفن منذ الليلة السابقة فصعدت العساكر الصليبية السفن بعـد ما صلوا واستمعوا الى القداس وهذا يدل على أنهم ذاهبون للقيـام بعمل خطير (٣). وبدأت الحملة في العبور إلى الضفة الشرقية للنيل في يوم الثلاثاء الثامن عشر من ذى القعدة ٦١٥هـ(٥ فبراير ١٢١٩م) متفائلين بهذا اليوم لكونه عند المسيحيين الغربيين هو عيـد القديسة أجاث Agathe (٤). وما أن رست سفنهم أمام العادلية حتى إنتشرت جنودهم بداخلهـا، وأعملوا القتل فى القله القليـلة من العساكـر الإسلامية التى وجدوها بداخل المعسكر الاسلامى واستولوا على ما وجدوه من الأبراج والمنجنيقات (٥)، هذا بالاضافة إلى الخيـام والأوانى الذهبية والفضية، وكذلك الدواب والعليق. كما أسروا من وجـودهم من النساء والأطفال. وفوق هذا كله فقد إستولوا على السفن الراسية عندشاطىء العادلية (٦)، وكان ماغنموه « عظيما يعجز العادين » (٧).

١ — Eracles, op. cit., , p 236

٢ — راجع ماسبق ص ٢٤٤.

٣ — Eracles, I bid.

٤ — Vitry, op. cit., p. 126 : Oliver of Padenborn, op cit., p. 34.

والقديسة أجاث من قديسات صقلية وقد توفيت فى مدينة بالرمو أو فى مدينة كاتانيا فى القرن الثالث الميلادي ويحتفل بعيدها فى الخامس من فبراير كل عام. أنظر:

Ency. Brit., Vol, I, p, 321 :

٥ — Hist. Patr. Alex., p. 246 .

٦ — OLiver of Padenborn, op cit. , p 35.

٧ — ابن الأثير: المصدر السابق جـ ٢ ص ٢١٢

وهكذا وضع الصليبيون أقدامهم على الضفه الشرقية للنيل واحتلوا العادليه، ومنها في نفس اليوم شرعوا في حصار دمياط . وعندما خرجت بعض العساكر الاسلامية من مدينة دمياط لاستطلاع الأمر لعدم درايتها بما وقع فى الليله السابقة أجبرتها قوة من العساكر الصليبيه بقيادة أحد الفرسان يدعى جان دارسيس على العودة الى المدينة مرة أخرى . وبدأت القوات الصليبية فى أعمال الحصار حول المدينة ، فحاصرتها السفن الصليبية من الجهة الغربية المقابله للنيل كما حاصرتها القوات البريه من الجهات الأخرى (١) . وانحصر ما يقرب من ستين ألفا من الأهالى داخل المدينة نفسها (٢) . ويلاحظ أن الملك جان دى برين خشى دخول العادليه فى أول الأمر لإحتمال أن يكون إنسحاب المسلمين يمثل خدعة عسكرية . ولذلك ظل فى الحقول المجاوره للعادلية ومعه بعض رجاله ، وبعد أن إطمأن إلى حقيقة الموقف دخل العادلية وبدأ فى تنظيم القوات المحاصرة لدمياط ، فعسكر هو والجند الذين يتكلمون الفرنسية والبيازنة في جنوب المدينة بالقرب من برج الفائز ، كما عسكر الى الشرق منه الكونت هنرى أف نيفر وفرسان الداوية ، أما الجانب الشرقي للمدينة فقد حاصره فرسان الاسبتارية والاسبان والبروفنساليون . وسيطر المندوب البابوى والجنيويه وبقية الايطاليين على الجانب الشمالى لدمياط . أما الفرسان التيوتون فاختصوا بالدفاع عن الشاطىء الغربى المقابل للمدينة . ويلاحظ أن الصليبيين لم يتركوا معسكرهم القديم في جيزة دمياط ، فقد

---

١ — Roger of Wendover, op. cit. II. p. 416.

٢ — Vitry, Ibid, Oliver of Padenborn, Ibid.

تركت كل جاليه بعض قواتها به . ولسهولة الاتصال بين المعسكرين اقام الصليبيون جسرا يصل بين العادلية وجيزه دمياط (١) . وبهذا الحصار المحكم إنحبست القوات الاسلامية التى بداخل المدينة فلم تتمكن بعد ذلك من الخروج منها (٢) . كما أقيمت المنجنيقات حول المدينـــة (٣) ، خاصة أمام ابوابها الاربعة . ويلاحظ انه كان لفرسان الداوية منجنيقا كبيرا تسبب فى الحاق أضرار بليغه بالمدينة (٤) .

وهكذا أصبح موقف الجبهة الإسلامية فى غاية السوء بعد إحتلال الصليبيين للعادلية وأحكامهم الحصار حول دمياط ، هذا بالاضافة الى الخلل الذى انتاب المعسكر الاسلامى بعد حوادث إبن المشطوب مما أدى إلى إنتشار الرعب فى نفوس أهل مصر كلها (٥) . وتحرج موقف الكامل بصورة بالغة لدرجــة أنه عزم على مفارقة البلاد وتركها بيد الفرنج والتوجة الى بـــلاد اليمن التى كان يحكمها ابنه الملك المسعود (٦) . وبذلك تهددت الجبهة الإسلامية بالانهيار التام،

---

١ — Roger of Wendover, op. cit,, II, p 416, Eracles, op. cit., p. 337.

٢ — Vitry, op. cit., p. 146, Oliver of Padenborn, op. cit., p. 36.

٣ — Hist . Part. Alex., p. 347 of, Roger of Wendover, op. cit., II, p. 416.

٤ — Eracleo, op. cit , p . 338.

٥ — Hist. Patr. Alex, p. 274 .

٦ — أبن واصل : المصدر السابق ج ٤ ص ١٧ — ١٨ ، وهو المسعود صلاح الدين —

الا أنه « إتفق من لطف الله تعالى بالمسلمين » أن وصل الملك المعظم عيسى إلى أخيه بعد يومين من حركة إبن المشطوب ، أى في اليوم التالى لعبور الصليبيين إلى العادلية التاسع عشر من ذى القعده ٦١٥ هـ (٦ فبرايـر ١٢١٩ م) فتحسن موقف الكامل « وإشتد ظهره » (١)،فخرج الكامل وتلقاه وأطلعـــة على ما جرى من إبن المشطوب وما إنتهت اليه الحوادث (٢) ،فحلف المعظـم الا ينزل حتى ينفيه من الديار المصرية (٣) . وإتجه بعدها إلى خيمة إبن المشطوب وكان ذلك فى نهاية نفس اليوم ، وطلب من حراسه إبلاغه بالركوب فخـــرج إبن المشطوب ولحق بالمعظم . ويبـدو أن إبن المشطوب قـد إعتقد أن المعظم يميل إلى جانب الثائر وبأنه أتاه لكى يتفق معه (٤) . لذلك سار إلى جانب المعظم وهو مطمئن،ولما بعدا عن المعسكر قال له المعظم أن الملك الأشرف قد طلبـك وإنه محتاج اليك وعليك أن تسير إليه الساعة، فأجابه إبن المشطوب بأنه ليس مستعد للرحيل فى الحال لعدم وجود حراسه وملابسه معه فى هذه اللحظه . والواقع أن المعظم قد اختلق معه هذا الحديث حتى يبعد بـه كثيرا عن المعسكر ، فلما إطمأن المعظم إلى ذلك إلتفت اليه وقال : « ياعماد الدين ! هذه البـلاد لك

يوسف المعروف بالاتسيس وقد أرسلة والده سنة ٦١٢ هـ فاستولى على اليمن من سليمان شاه أنظر نفس المصدر جـ ٣ ص ٢٢٧ .

١ ـ ابن الأثير : المصدر السابق جـ ١٢ ص ٢٠٢ . أنظر أيضا :
Oliver of Pabenborn, op. cit,. p. 36 ,

٢ ـ ابن خلكان : المصدر السابق جـ ٢ ص ٧٣ .

٣ ـ أبو شامة : المصدر السابق ص ١١٦ .

٤ ـ ابن ايبك : المصدر السابق جـ ٧ ورقة ١٨٣ .

ونشتهي أن تهبها لنا » (١) ، ثم أعطاه خمسمائة دينار ، وقال له : « كل ما لك يلحقك والله مايضيع لك خيط واحد » (٢) . وعهــد به إلى بعض رجاله ـ الذين يثق بهم والذين أعدهم لهذا الغرض وكانوا يسيرون خلفه ـ وطلب منهم أن يسيروا معه حتى يخرجوه من البــلاد . ولم يكن في وسع إبن المشطوب إلا الإمتثال للأمر لعدم وجود عساكره إلى جواره (٣) . فسار مع الحراس حتى ادخلوه بلاد الشام (٤) .

أما الملك المعظم فقد عاد إلى خيمة إبن المشطوب ووقف حتى جهزت خيوله وغلمانه وكل ما يملكه وأرسلها في إثره ، وعاد إلى خيمته بعد أن اطمأن الى مغادرة إبن المشطوب للمعسكر الاسلامى ، ثم حضر اليه أخوه الـكامل

---

١ ــ ابن خلكان : المصدر السابق ج ٢ ص ٧٢ ، المقريزى : المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ١٧٩ .

٢ ــ ابن الجوزى : المصدر السابق ج ٨ ق ٢ ص ٦٠٢ ، ابو شامــه : المصدر السابق ص ١١٦ .

٣ ــ ابن خلكان : المصدر السابق ج ٢ ص ٧٢ .

٤ ــ انتهى الامر بابن المشطوب ان الملك الاشرف بن العادل اعتقله فى قلعة حران وتوفى بها عام ٦١٩ وعمره أربعة وأربعون سنة . عن ذلك وعن بقية حياة ابن المشطوب بعد خروجه من مصر إنظر : ابن خلكان : المصدر السابق ج ٢ ص ٨١ ــ ٨٢ ، أبو الفدا : التبر المسبوك فى تواريخ الملوك (سيكروفيلم) لوحه ٢٧ أ .

وقبل الأرض بين يديه ، أما الملك الفائز فقد إعتراه خوف عظيم بعد ما حدث لإبن المشطوب (١) . وكان لابد من إبعاده عن المعسكر الإسلامى خشيـــة وقوع فتنة أخرى . وبناء على نصيحة صفى الدين بن شكر (٢) ، طلب منه الكامل والمعظم التوجه إلى الموصل لإحضار النجدة منها ومن كافه بلاد الشرق (٣) . وهكذا خـــرج الفائز وإبن المشطوب من المسكر الاسلامى فتحللت عزائم من بقى من إتباعهما ودخلوا فى طاعة الملك الكامل كرها لاطوعا (٤) .

والمهم ، فقد ترتب على مؤامرة إبن المشطوب إحتلال الصليبيين للعادلية التى كانت خط الدفاع الأول ضد الصليبيين أثناء تواجدهم فى جيزة دميـاط ، كما تمكنوا أيضا من حصار دمياط وذلك بعد قتال دام أكثر من ثمانيـة أشهر تمكن فيها الصليبيون من الاستيلاء على برج دمياط بعد إنقضاء نصف هـذه المدة تقريبا . وأصبحت الآن مدينة دمياط مطوقة من البر والبحر بأمل إنهيار مقاومة القوات الاسلامية المدافعـة عنها ، وذلك فى الوقت الذى يحـاول فيـه الكامل تجميع القوات الاسلاميه مرة أخرى لفك هذا الحصار وإنقاذ دميـاط من أيدي الطارق الدخيل .

---

١ ـ ابن الجوزى : المصدر السابق ج ٨ ق ٢ ص ٦٠٢ .
٢ ـ ابن الفرات : المصدر السابق ج ١ لوحة ٢٢ أ .
٣ ـ ابن كثير : المصدر السابق ج ١٣ ص ٩٢ .
٤ ـ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٣١ . ويـلاحظ أن الملك الكامل لم يتعرض لهؤلاء الامراء أثناء تواجد الصليبيين فى مصر وبعد جلاء الحملة عن دمياط سنة ٦١٨ هـ (١٢٢١ م) طلب منهم الخروج من مصر فتوجهوا الى الشام . عن ذلك ولمزيد من التفاصيل أنظر : المقريزى : المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ٢١٢ .

الفصل الخامس

سقوط دمياط في أيدي الصليبيين

- الدعوة للجهاد .
- عرض الملك الكامل الصلح على الصليبيين .
- إعداد مصر والشام للقتال .
- تخريب بيت المقدس وبعض الأماكن الأخرى .
- مناوشات غير حاسمة بين المسلمين والصليبيين .
- معركة أغسطس ١٢١٩ (جمادى الثانى ٦١٦ ﻫ) .
- عرض ثان بالصلح على الصليبيين .
- قدوم النجدات الصليبية .
- عرض ثالث بالصلح .
- إشتداد الحصار حول مدينة دمياط .
- سقوط دمياط .

كان من المحتم على الملك الكامل أن يفيد تنظيم قواته ويعد نفسه مرة أخرى لمقاومة الصليبيين الغزاة بعد فترة الاضطراب التي سادت مصر والمعسكر الاسلامى بسبب مؤامرة إبن المشطوب . ومما لاشك فيه أن الكامل قد إطمأن كثيرا إلي وجود أخيه الملك المعظم إلى جانبه بعد تنقيه المعسكر الاسلامى من المتآمرين وإبعاد الفائز وعماد الدين بن المشطوب من صفوف القوات الاسلاميـة . ويلاحظ أنه في فترة الحزن والفوضى واليأس التى إجتاحت المعسكر الاسلامى تمكن الصليبيون من السيطرة تماما على منطقة العادلية ، وعلى المنطقة الواقعة بينها و بين دمياط ، فضلا عن تطويق المدينة من جميع الجهات . وليس ذلك فحسب فانه لمزيد من الاستحكامات حول أنفسهم قاموا بحفر الخنادق حول معسكرهم لتحول بينهم وبين المسلمين . هذا بالاضافة إلى الأسوار والستاير التى أقاموا عليها الرماة بالجروخ (١) . هذا علاوة على سيطرتهم السابقة على المنطقة المعروفة بجيزة دمياط . وبذلك أصبحت القوات الصليبية فى وضع أفضل بكثير من القوات لاسلامية التى تمزقت بعد مؤامرة إبن المشطوب . كما أن مدينة دمياط بدأت تحس بوطأة الحصار بعد أن أصبحت معزولة تماما عن مصر كلها .

على أية حال ، بدأ الكامل فى الانتقال من أشموم طناح إلى فارسكور حيث لحق به جيشه والعساكر التى قدمت مع أخيه المعظم عيسى من دمشق لمساندته على مقاومة الصليبيين . وقد اختار الكامل مدينة فارسكور الواقعة جنوب

---

١ ـ ابن أيبك : المصدر السابق ج ٧ ورقة ١٨٤ .والجروخ جمع جرخ وهو نوع من القوس الرامى التى ترمى عنه النشاب أو النفط . عن ذلك ولمزيد من التفاصيل أنظر : ابن واصل : المصدر السابق ج ٢ ص ١٥٠ حاشية (٣) ، ص ٢٤٣ حاشية (٤) .

العادلية ليتمكن المسلمون من مهاجمة الصليبيين من الخلف عندما يهاجمون مدينة دمياط . وبذلك يقع الصليبيون بين حامية دمياط في الشمال والجيش الاسلامى المعسكر فى فارسكور فى الجنوب (١) . ورغم ذلك لم يتمكن الكامل من موقعه الجديد أن يقوم بالهجوم على المعسكرات الصليبية بهدف رفع الحصار عن دمياط وذلك لعدم توفر القوات الكافية للقيام بهذا العمل (٢) .

لذلك بدأ يستحث العالم الاسلامى لنجدته وإنقاذ مصر من الخطر الصليبي الذى أصبح يهدد الممتلكات الاسلامية فى الشام أيضا . واستغل الكامل والمعظم هذه الفرصة لاستبعاد أخيها الفائز عن المعسكر الاسلامى عندما طلبا منه التوجه الى الملوك الأيوبيين بالشام والشرق لاستنهاض العالم الاسلامى لنجدة الملك الكامل . كما كتب الكامل الى أخيه الملك الأشرف موسى صاحب خلاط (٣) ، يستحثه على سرعة الحضور إلى مصر . واستغل الكامل موهبته الشعرية وصدر المكاتبة ببعض الأبيات الشعرية مطلعها :

يامسعدى إن كنت حقا مسعفى — فانهض بغير تلبث وتوقف (٤)

---

١ — سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ج ٢ ص ٩٧٣ .

٢ — محمد مصطفى زيادة ، المرجع السابق ص ٤٨ — ٤٩ .

٣ — خلاط ، بلد عامرة مشهورة ذات خيرات وثمار يانعة ، وهى قصبة أرمينيه الوسطى وبها بحيرة تعرف باسمها (بحيرة وان الآن) . أنظر : ياقوت الحموي ، المصدر السابق ج ٢ ص ٤٥٨ . كانت هذه الأمارة الأرمينية الصغيرة قد آلت الى الأيوبيين بعد زوال أسرة سيف الدين بكتمر سنة ٦٠٤ هـ . أنظر : المقريزي ، السلوك ج ١ ق ١ ص ١٩٧ حاشية (٣) . وقد تولاها الأشرف بعد أخيه الأوحد . أنظر : ابن واصل : المصدر السابق ج ٣ ص ٢٧٤ .

٤ — المقريزى : المصدر السابق ج ١ ق ص ١٩٧ — ١٩٨ .

كما كتب أيضا الي أخوته يستحثهم ويستنجد بهم ويقول « الوحا الوحا العجل العجل أدركوا المسلمين (١) . وكان من جملة ما كتبه في طلب النجدة من اخوته « يا إخوتاه يا غوثاه يا إسلاماه أدركوا الاسلام أعينوا أمة محمد عليه السلام » (٢) . ولعل في صيغ الاستعجال التي أرسلها الكامل إلى اخوته دليل على مدى تحرج موقف الكامل وخوفه على إمتلاك الصليبيين لأرض مصر كلها (٣) . وهكذا ظلت كتب الكامل متواصلة إلى أخوته في طلب النجدة لمساندته على مقاومة القوات الصليبية المحاصرة لدمياط (٤) .

وبدأت القوات الاسلامية تتوافد على الكامل من كل مكان . ويلاحظ أن أول من لبى النداء الملك الأشرف موسى (٥) ، الذى كان مقيما بظاهر حلب في هذا الوقت يدبر أمر جندها (٦) . فاقبل الى مصر ولكنه أضطر للعودة إلى بلاده في نفر قليل من العساكر بعد أن ترك عساكره عند أخيه الكامل(٧). وفي الوقت نفسه أمر الكامل بخروج أهل مصر والاتجاه الي دمياط لقتال الصليبيين (٨) . وهكذا تجمع لدى الكامل بعض القوات التى أعادت الثقة إلى نفسه ، فبدأ في إعادة تنظيم قواته خلف المعسكر الصليبي . وبفضل الاجراءات

---

١ ـ العينى : المصدر السابق مجلد ٥١ جزء ١٧ لوحة ٣٧٤ .
٢ ـ ابن ايبك : المصدر السابق ج ٧ ورقة ١٩١ .
٣ ـ ابن كثير : المصدر السابق ج ١٣ ص ٨٠ .
٤ ـ أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ج ٣ ص ١٢٨ .
٥ ـ العينى : المصدر السابق مجلد ٥١ ج ١٧ لوحة ٣٧٥ .
٦ ـ ابن واصل : المصدر السابق ج ٣ ص ٢٦٦ .
٧ ـ ابن كثير : المصدر السابق ج ١٣ ص ٩١
٨ ـ النويرى : المصدر السابق ج ٢٧ لوحة ٢٥

التي اتخذها الكامل والمعظم استطاعت مدينة دمياط الصمود ، وقاومت الحصار الصليبي ببسالة رغم المحاولات العنيفة التي بذلها الصليبيون للاستيلاء عليها (١). وكان صمود المدينة طوال هذه الفترة أكثر مما توقعه الصليبيون لدرجة أنهم ملوا الحصار وكانوا على وشك الانسحاب والعودة الى بلادهم (٢).

وعلى اية حال ، فبعد أن تجمعت لدى الملك الكامل بعض القوات وأحس بتحسن مركزه العسكري ، إستعد لشن الهجوم على القوات الصليبية التي كانت تعسكر بالعادلية . ولكنه إضطر للتراجع إلى فارسكور بسبب هبوب عاصفة شديدة في الرابع عشر من ذي الحجة ٦٩٥ هـ (٣ مارس ١٢١٩ م) ، وكانت هذه العاصفة مصحوبة بأمطار غزيرة جعلت المعسكر الاسلامي غير صالح للاقامة ، فضلا عن أن ذاك العام كان شديد البرودة ، ومن الملاحظ أن هذه العاصفة قد الحقت الضرر أيضا بالمعسكر الصليبي خاصة وإنها إستمرت لعدة أيام متواصلة (٣) .

وبعد هدوء العاصفة أعاد الكامل تنظيم قواته مرة أخرى ، وفي العشرين من ذي الحجة (٩ مارس) ، قام الجيش الإسلامي بشن غارة على المعسكر الصليبي المقام في العادلية ، ويروى أوليفر أف بادنبورن أن المسلمين فاجأوا الصليبيين ونجحوا في الوصول إلى الخندق الذي يحيط بالمعسكر الصليبي ، ورغم

---

١ — سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق جـ ٢ ص ٩٧٣ .

٢ — Lamb, op . cit , pp . 244 .

٣ — Hist. Patr. Alex. pp. 248 - 9

ذلك لم تنجح القوات الإسلامية في إقتحام المعسكر ، ولذلك كانت هذه الغارة غير فعالة عديمة الجدوى (١) وربما يرجع ذلك إلى قلة القوات الإسلامية التي هاجمت الصليبيين أو إلى شدة حصانة المعسكر الصليبي .

وعلى ما يبدو أن الكامل قام بهذه الغارة لسبر أغوار الصليبية في موقعها الجديدة ، والظاهر أنه تأكد من صلابة الجبهة الصليبية وأحس أنه من الصعب هزيمة القوات الصليبية وإجلائها عن مصر بالقوة العسكرية بالإمكانيات التي توفرت لديه في ذلك الوقت . ولهذه الأسباب ولأسباب أخرى بدأ الكامل يتحول من سياسة الهجوم أو الدفاع إلى فكرة عرض الصلح على الصليبيين .

ومن الأسباب التي ربما دفعت الكامل إلى فكرة عرض الصلح أن مؤامرة عماد الدين بن المشطوب قد أثرت تأثيراً سيئا في حالة الجيش المعنوية ، فضلا عما ساده من الإضطراب والفوضى . وهذا كله يحتاج إلى بعض الوقت لإعادة حالة القوات إلى ما كانت عليه معنويا وعسكريا وربما تمكن الصليبيون خلال ذلك الوقت من إحراز مزيد من الإنتصارات على القوات الإسلامية يترتب عليها سقوط مدينة دمياط في أيديهم وتقدمهم نحو القاهرة ،وبذلك تكون الحملة قد حققت الهدف الذي قدمت من أجله إلى مصر . كما أن حالة الأهالي داخل مصر لم تكن بأحسن من حال القوات المرابطة في فارسكور . فقد إصيبوا هم أيضا بالفزع خاصة بعد ما سمعوا أن الملك الكامل قد عزم على مغادرة مصر والتوجه إلى اليمن . وعلاوة على ذلك فإن موقف الكامل

---

١ — Oliver of Padenborn, op. cit p. 2 .

قد زاد تحرجا عندما إجتمع العربان على إختلاف قبائلهم ، ونهبوا البلاد المجاورة لدمياط وقطعوا الطريق وأفسدوا وبالغوا فى الإفساد فكانوا أشد على المسلمين من الصليبيين على حد تعبير إبن الأثير (١) . ثم أن الكامل كان يتشكك فى قرب وصول النجدات الإسلاميه الكافية لدفع الخطر الصليبى (٢) . يضاف الى ذلك ظهور الخطر المغولى (٣) . وما قام به المغول من أعمال القتل والسلب،

١ — ابن الأثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ٢١٢.

٢ — محمد مصطفى زيادة : المرجع السابق ص ٤٩ . أنظر أيضا :

Lamb. op. cit , p. 243.

٣ — بدأ ظهور الخطر المغولي على العالم الاسلامى عام ٦١٥ ﻫ (١٢١٨ م) ولمزيد من التفاصيل عن المغول وأخطارهم فى هذه الفترة أنظر : كتاب فى التاريخ (مخطوط محفوظ في دار الكتب تحت رقم (٤٠٣٠) ورقة ٣٣٠ أ — ٣٣٢ ب ؛ ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ٣٣٣ — ٣٦١ ، ابن واصل : المصدر السابق ج ٤ ص ٣٤ — ٦٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٦٥ ، ٧٨ — ٧٩ ، ابن كثير : المصدر السابق ج ١٣ ص ٨٦ — ٨٧ ، ٩٤ — ٩٥ ، ابن الوردى : المصدر السابق ج ٢ ص ١٣٧ — ١٤١ ، ابو شامه ، المصدر السابق ص ١٢١ — ١٢٨ ، ابو المحاسن : المصدر السابق ج ٦ ص ٢٣٣ — ٢٤٨ ، الحافظ الذهبى ، المصدر السابق ج ٢ ص ٨٨ — ٩١ ، المقريزي ، المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ١٨٥ ، ٢٠٤ — ٢٠٥ . أنظر أيضا : البغدادى ؛ عيون التواريخ (مخطوط) ج ٢ لوحة ٤١١ — ٤١٢ ، فؤاد عبد المعطى الصياد ، المغول فى التاريخ ص ١١ وما بعدها . محمد صالح داود القزاز ، الحياة السياسية فى العراق فى عهد السيطرة المغولية ص ٣٥ وما بعدها .

وسماع الكامل بهذه الأعمال الوحشية التي يتصف بها المغول وعزمهم على الإتجاه إلى المشرق الاسلامى (١) ، ومما لاشك فيه أن مثل هذه الأخبار قد تسبب في إزعاج الكامل وإنتشار الذعر في أرض مصر كلها (٢) ، خاصة وأن الخطر الصليبي هو الآخر على أبوابها يهددها بشر مستطير .

وإذا كانت أخبار ظهور المغول قد أقلقت مضاجع المسلمين ، فان نفس الأخبار قد أنعشت آمال الصليبيين فى القضاء على العالم الاسلامى. فقد إعتقدوا أنهم سيجدون فى جنكيز خان (٦٠٣ – ٦٢٣ هـ / ١٢٠٦ – ١٢٢٦ م) حليفا قويا لهم ضد المسلمين باعتباره خليفة الكاهن يوحنا Pretre Jean (٣)، كما أنعش آمال القوات الصليبية حضور جوتيية Gautier قائد جيش قبرص ومعه بعض

١ — ابن الجوزى : المصدر السابق جـ ٨ ق ٢ ص ٦٠٩ – ٦١٠ . أنظر أيضا ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٩٢ وما بعدها .

٢ — Lamb, oq. cit., p. 217.

٣ — ترجع أسطورة الكاهن يوحنا الى عام ١١٥٠ م عندما أخذ الغرب الأوربى يتداول رسالة جرى الزعم أن كاتبها هو الكاهن يوحنا ووجهها الى الامبراطور البيزنطى مانويل الأول (١١٤٣ – ١١٨٠ م) بغرض التعاون المشترك بينهما للقضاء على العالم الاسلامى ورغم أنه يكاد يكون من المحقق أن هذا العمل من تزييف أحد القساوسة الالمان الا أن الغرب الاوربى لم يتغافل هذه الرسالة . ففى عام ١١٧٧ م وجه البابا اسكندر الثالث (١١٥٩ – ١١٨١ م) رسالة الى الكاهن يوحنا حملها أحد رجال الدين يدعى فيليب لبحث التعاون بين الطرفين . ولما كانت شخصية الكاهن شخصية وهمية فقد طاف فيليب للبحث عنها وانتهت رحلته فى الحبشه حيث كان يظن أن ملكها هو الكاهن يوحنا ومن الطبيعى أن تنتهى هذه الرحلة بنتائج غير محسوسة . وظل الغرب الأوربى ينتظر =

الفرسان إلى المعسكر الصليبى المقام حول دمياط (١)، وبذلك تحسن موقف الصليبيين معنويا وعسكريا فى الوقت الذى لازالت تتعثر فيه القوات الأسلامية فى فارسكور :

ولكل هذه الأسباب مجتمعة فكر الكامل والمعظم فى عرض الصلح على الصليبيين ، ومحور هذه الفكرة أن الصلح خير من الحرب وأن السلام الدائم سيد العلاقات بين أى طرفين متحاربين خاصة إذا توافرت حسن النية لدى كل منهما (٢) ، لذلك تقدم الملك الكامل بأسخى عرض تمكن التقدم به فى مثل هذه الظروف (٣) ، ويبدو أن ذلك كان بتشجيع كبير من أخيه الملك المعظم .

= ظهور شخصية الكاهن يوحنا حتى وقت ظهور المغول، واعتقدوا أن جنكيزخان سيقوم بدور الكاهن يوحنا وهو التعاون مع أوربا للقضاء على الاسلام أنظر :

Runciman, op. cit , II, pp. 422 - 3, III, p. 163.

وعن نص الخطاب المرسل من الكاهن يوحنا الى الامبراطور مانويل أنظر :

Y. Kamal, op. cit., t. III, fasc. IV, pp, 891 -2.

وللمزيد من المعلومات عن ذلك أنظر ، أرنولد (توماس) : الدعوة الى الاسلام — ترجمه حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين واسماعيل النحراوى ص ١٩٢ ، حسن ابراهيم حسن ، انتشار الاسلام بين المغول والتتار ص ٢٨. وقد تعرض جاك دى فترى لهذه الاسطورة فى احدى خطاباته الى البابا هونوريوس الثالث أنظر :

vitry, op, cit., pp. 142 ff,

١ — Eracles, op, cit, p, 340,

٢ — محمد مصطفى زيادة : المرجع السابق ص ٤٩ .

٣ — سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ج٢ ص ١٢٤ .

ويروى تاريخ هرقل أن الملك المعظم قال لأخيه الملك الكامل أن كل الأراضى التى كانت تابعة للصليبيين قبل أن يستردها صلاح الدين الأيوبى فى يدى وإننى أعطيها لك لكى تخلص مصر من القوات الصليبية . فكل شيء يهون فداء بلاد المسلمين . ويبدو أن الكامل إرتاح عندما سمع ذلك ، فوقف وقبل أخاه على كتفه وأثنى عليه ثناء كبيرا ، ورد الكامل على المعظم بأنه سيعوضه فى صعيد مصر مقابل مايتنازل عنه فى الشام (١) .

وفيما يتعلق بعرض الصلح فان الملك الكامل تقدم بعرض الصلح على قادة الحمله الصليبية الخامسة عدة مرات كما هو واضح من النصوص التى تحت أيدينا وكما سيرد ذلك فيما بعد ، وهذا هو العرض الأول الذى تقدم به الكامل. وحول موعده نقول أنه يقع على ما يبدو فى الفترة الواقعة بين (٢٠ ذو الحجة ٦١٥ — أول المحرم ٦١٦ هـ / ٩ — ١٩ مارس ١٢١٩ م) والتاريخ الأول يتعلق بتاريخ الغارة التى أشرنا اليها من قبل ، والتاريخ الثانى هو تاريخ قيام المسلمين بهدم أسوار مدينة بيت المقدس وغيرها من القلاع الشامية (٢). ومما يجعلنا نميل إلى تحديد هذه الفترة هو أن العرض الأول لم يتضمن إصلاح أسوار مدينة بيت المقدس وغيرها لأنها لم تكن هدمت بعد ، على العكس من العرض الثانى الذى تقدم به الملك الكامل فى الثامن عشر من جمادى الثانى ٦١٦ هـ (٣١ أغسطس

---

١ — Eracles, op, cit, p, 338 .

٢ — ابن الجوزى — المصدر السابق جـ ٨ ق ٢ ص ٦٠١ . وأشار أوليفر أن عملية الهدم استمرت من ٩ — ٢٥ مارس انظر . Oliver of Padenborn, op cit p .52

١٢١٩ م) (١) ، وأضاف الى شروط الصلح دفع تكاليف إصلاح أسوار مدينة بيت المقدس والقلاع التي هدمت معها في نفس التاريخ أو بعده بقليل.
ونقطة أخرى تجعلنا نرجح هذه الفترة هي أن الملك الكامل تقدم بعرضه الأول وهو في حالة يأس من الإنتصار على الصليبيين وكان عليه أن يقدم كل ما يمكنه لإجلائهم عن مصر ، ولو كانت أسوار مدينة بيت المقدس قد هدمت لعرض عليهم إصلاحها كما هو الحال في العرض الثاني. وعلى العكس نجد الملك الكامل تقدم بعرضه الثاني بعد انتصاره في معركة كبرى على الصليبيين وكان عليه أن يكون متشددا إلى حد ما أو يكون عرضه الثاني مساويا لعرضه الأول والفرق بين الاثنين أنه يعرض عرضه الثاني من مركز المنتصر ولكنه كان سخيا رغم إنتصاره وقدم إصلاح أسوار المدينة وغيرها من القلاع لأن حدوث الهدم كان قد وقع فعلا. وسوف نناقش هذا كله على الصفحات التالية في هذا الفصل.

والمهم أن الملك الكامل اختار رسولا لعرض الصلح على الصليبيين ورد ذكره في تاريخ هرقل باسم لجارس Legars وزوده بترجمان سماه نفس المصدر باسم بيران (٢) Beiran واتجها الرسول والترجمان الى المعسكر الصليبي، وطلبا من الملك جان دي برين والمندوب البابوي بلاجيوس أن يرسلا مندوبا عنهما إلى الملك الكامل في فارسكور ، فوافق الملك والمندوب وأرسلا إثنين من

١ـ Eracles, op. cit, p. 341.

٢ـ فيما يتعلق باسمي لجارس وبيران لم أجد لهما مقابل باللغة العربية في المصادر والمراجع التي بين يدي.

عقلائهم لهذا الغرض هما أملين دى ريورات Amelin de Riorte وهو من مقاطعة أنجو Argi والآخر يدعى ولـيم ، وصطحبا معهما ترجمـانا يدعى موستار Mostar . وتوجه ثلاثتهم بصحبة الرسول الكاملى وترجمانه إلى حيث يعسكر الكامل . وبعد أن مثلوا أمامة عرض عليهم أن يعيـد للصليبيين كافة الأراضى التى كانت فى حوذتهم قبل فتوحات صلاح الدين الأيوبى عدا قلعتى الكرك(١) والشوبك ، وعقد هدنة بين المسلمين والصليبيين لمـدة ثلاثين سنة وذلك مقابل الجلاء عن دمياط ؛ وعاد الرسولان إلى المعسكر الصليبي وأبلغ قادتهما بعرض الملك الكامل في حضور بعض رسل المسلمين للعودة بما يتم علية الاتفاق . وقد عقد القاده الصليبيون مجلسا للتشاور ، وفى هـذا المجلس أختلفت الآراء حول قبول أو رفض العرض الـكاملى . فقد وافق الملك جان دى برين على قبـول

---

١ ــ الـكرك ، تحتل الـكرك مـكان كرمواب Ker Moab ، والـكرك اسم محرف من السريانية كركو Karko التى تعنى حصن . وقد بنيت هذه القلعـــة عام ١١٤٢ م (٥٣٦ ــ ٥٣٧ هـ) على يدى باين Payen ساقى الملك الصليبى فولك الانجـــوى (١١٣١ ــ ١١٤٤م) . انظر : لى سترانج : المرجع السابق ص ٤٥٠ ــ ٤٥١ . وهى قلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحى البلقاء وتقع على سن جبل عال تحيط بها الأودية من جميع الجهات عدا جهة الربض . انظر : ياقوت الحموى : المصدر السابق جـ٤ ص ٦٣ ؛ . ويقال أنه كان ديرا للروم وبه فواكة كثيرة وعيون وابار ومن أعمال قلعة الشوبك عن ذلك انظر : شمس الدين الأنصارى : نخبـة الدهر فى عجائب البر والبحر ص ٢١٣ . وترجع أهمية هاتين القلعتين الي وقوعهما فى جنوب الشام حيث ملتقى التجارة وحركة المرور بين الشام والعراق ومصر والجزيرة العربية وقد استعادهما صلاح الدين عام ٥٨٣ هـ (١١٨٧م م) راجع : العماد الاصفهانى : المصدر السابق ص ٥٩ــ٦٠ ، ٨٠ .

العرض وأيده فى ذلك الفرسان الفرنسيون وعساكر مملكه بيت المقدس . ولم يوافق عليه المندوب البابوى ورجال الدين وفرسان الداوية والاسبتارية والايطاليون ، وطالبوا بكافة مملكة بيت المقدس بما فيها الكرك والشوبك ، لأنهم كانوا يرون أن من المستحيل الاحتفاظ ببيت المقدس دون هاتين القلعتين نظرا لأهميتها العسكرية . وإنتهى الأمر برفض العرض الكاملى وعادالرسل من حيث أتوا (١).

وإذا قمنا بتحليل موقف كل فريق من الفريقين الصليبيين ، فنجد أن الملك جان دى برين لم يكن يرى فى نفسه إلا وصيا على مملكه بيت المقدس ، أو بمعنى أصح على مملكه عكا فقط . فلم يكن هناك مملكة لبيت المقدس بعدأن استعاد المسلمون معظم ممتلكاتهم على يد صلاح الدين . لذلك نرى الملك الصليبى يوافق على عرض الملك الكامل بالصلح حتى تصبح مملكه بيت المقدس حقيقة واقعة . ولاشك أن ذلك سيعود عليه بالكسب الأدبى باعتبار أنه أعاد المملكه إلى ما كانت عليه سلمياوهو ما فشل فيه من قبل ريتشارد قلب الأسد وفيليب أوغسطس عسكريا (٢) . ومما لاشك فيه أيضا أن رأى الملك جان دى برين كان رأيا راجحا سديدا وهو ما كان يجب الموافقة عليه (٣) .

---

١ — L. F. Crusade, Letter to The Pope Henerus III, dated 12 th. Nov. 1219, cf. Rohricht, Funften. Kreuzzuges, p. 47, Eracles, op cit., pp. 338 -9

٢ — Lamb, op cit., p. 248.

٣ — Fabri, op. cit., Vol. 2, part I, p. 3:8.

والمهم فان رأى الملك اللاتينى أوضح الغرض السياسى الحملة الصليبية الخامسة بصفه خاصة والحملات الصليبية كلها بصفة عامة .

أما عن موقف الفريق الآخر ممثلا فى المندوب البابوى وهو الذى رفض عرض الملك الكامل بالجلاء عن مصر ، فذلك أن بلاجيوس كان يرى أن الأستيلاء على مصر يشطر العالم الإسلامى إلى قسمين ، القسم الشرقى ويشمل الشام والجزيرة العربية واليمن والعراق وما فى شرق هذه الدول ، والقسم الغربى وهو ما يشمل الممالك التى تقع غرب مصر حتى المحيط . وكان يرى أنه بعد الاستيلاء على مصر سيتمكن من نشر المسيحية على المذهب الرومانى الكاثوليكى داخل مصر كلها (١) ، هذا من جانب ومن جانب آخر إعتقد بلاجيوس أن المسيحيين فى شبه الجزيرة الايبيرية سيواصلون إنتصاراتهم على المسلمين وأنهم سيعبرون مضيق جبل طارق ويسيطرون على المغرب والجهات الشرقية منه حتى مصر . أما عن الجبهةالشمالية فقد ظن بلاجيوس أن مملكة أرمينيـة أصبحت دولة قوية وفى مقـدورها السيطرة على شمال الشـام والعراق (٢) . أما الجبهة الشرقية فقد تكفل بها المغول وهوالأمر الذى طمأن الجانب الصليبي . هذا فضلا عن آمالهم فى إتخاذ المغول حلفاء لهـم وإحيـاء أسطورتهم القديمة الخاصة بالكاهن يوحنا . ومما لاشك فيـه أن بلاجيوس كان يعتقد أيضا أنه بعد سقوط مصر فى أيدى الصليبيين ستقع كافة الممالك الاسلامية بالشام فى أيديهم أيضا (٣) :

---

١ — Grousset, op. cit., III, p. 209.

٢ — Duggan, op. cit., pp. 217 - 8.

٣ — abri, op. cit., Vol 2. part I. p. 358.

وعلى هذا التصور رفض المندوب البابوى العرض الـــكاملى كما تهيأ له أنه سينجح فى الاستيلاء على مصر كلها وعلى الممالك الاسلامية فى الشام، وسيتمكن من نشر الديانة المسيحية الكاثوليكية فى كل ربوع العــالم الاسلامى وإحتواء القوات المغولية وإدخالها فى الديانة المسيحية أيضاً، وبذلك يسيطر أهل الغرب اللاتينى على ممالك البسيطة كلها (١) . ومن الواضح أن أفكار المندوب البابوى الملىء بالغرور والصلف والكبرياء كان لها أكبر الأثر فى ضياع الفرصة الذهبية لإستعادة مملكة بيت المقدس (٢) . ومن الغريب أن يأتى رفض مثل هذا العرض من المندوب البابوى ورجال الدين . ولو أتى هذا الرفض من الرجال الدنيويين لأصبح أمراً مقبولا إلى حد ما . إما وأن يأتى الرفض من أكبر شخصية دينية على رأس الحملة فهو أمر يدعو للدهشة . وربما تزول هذه الدهشة إذا عرفنـا بعضا من سلوك بلاجيوس تجاه البيزنطيين ، فهو الذى كان يسجن الرهبان والقساوسة الارثوذكس ويغلق الكنائس الخـــاصة بهم (٣) . فاذا كان هذا هو سلوكه تجاة إخوانه فى العقيدة ، أدركنا على الفور أن رفض عرض السلام أم يكن غريبا أن يأتى من مثل هذا المندوب الذى تسبب فى فشل الحملة بأكملها بسبب أطماعه وأطماع من ساندوه (٤) .

ويروى جاك دى فـترى أن بلاجيوس كان يشك فى نوايا المسلمين وأن الملك الكامل لم يتقدم بهذا العرض عن طيب خاطر وإنما لجأ اليه كـوسيله من وسائل الخداع وبث الشقاق بين الصليبيين فيسهل على المسلمين التغلب عليهم .

---

١ ـ المقريزى : السلوك جـ١ ق ١ ص ٢٠٣

٢ ـ Grousset, op. cit., 1iI, p 223.

٣ ـ J uchaire, op. cit., p. 249.

٤ ـ Fabri, op. cit., Vol. 2. part 1. p. 358.

هذا من جهه، ومن جهة أخرى، إذا وافق الصليبيون على العرض الكاملي فيجب على الجيش الصليبي أن يعود من حيث أتى وتتفرق القوات الصليبية ، ويصبح في إمكان المسلمين إستعادة الأراضى التى سلموها للفرنج بموجب هـذا الصلح مرة أخرى (١) . وعلى أية حال ، فقد كان لرأى المندوب البابوى أبلغ الأثر على بعض الفئات الأخرى في رفض العرض الاسلامى بالصلح .

وكان الايطاليون من الطوائف التى ساندت المندوب البـابوى ورفضت فكرة الجلاء عن مصر . وليس ذلك بغريب عليهم فأهم المدن الإيطالية وهي بيزا وجنوة والبندقيه مدن تجارية ، ويهمها في المقام الأول مصالحها الاقتصادية بغض النظر عن أية مصالح أخرى سواء أكانت سياسية أم دينية فهم الذين حولوا حملة صليبية وهى الحملة الرابعة الى القسطنطينية ، وقضوا على امبراطورية بأكملها ولو الى حين . والسبب الأساسى فى رفض الايطاليين الجلاء عن مصر هو الطمع فى أرضها باعتبارها البلد العامرة بالمـــدن والقرى وحركة التجارة المستمرة فيها براً ونهراً وبحراً لوقوعهـــا في منتصف الطريق بين الشرق والغرب . وهى أيضاً «المليئة بالخيرات » ، وليس فى العالم كله بقعـة آهله بالسكان غنية بثمارها مثلها (٢) . كما أن الايطاليين لم يكن لهم هدف من الاشتراك فى الحملات الصليبية الا التوسع فى تجارتهم والحصول على أكبر قدر من المكاسب الماديه . ومن الطبيعى ألا يقبلوا شروطا تقضى بعدم بقائهم في دمياط وهى المدينة التجارية الهامة التى تخدم مصالحهم التجارية ويستطيعون من خلالها أن ينفذوا الى جوف البلاد المصرية (٣) ، كما نظرت الجاليات التجارية

١ — Vitry, op, cit,, pp. 125 - 6.

٢ — بنيامين التطيلى : الرحلة ص ١٧٤ — ١٧٥ .

٣ — محمد مصطفى زيادة : المرجع السابق ص ٩٠ .

الإيطالية إلى أبعد من ذلك ، فمصر ملتقى التجارة الآتية من الهند عبر البحر الأحمر وأن وجودهم فيها يضمن لهم الإتصال عن قرب بمنابع المواد الأساسية للتجارة والحصول على أكبر فائدة من التجارة المباشرة مع الهند والشرق الأقصى (١) ، هذا بالإضافة إلى أن بقاء الإيطاليين في دمياط سيعفيهم من دفع الضرائب المقررة على بضائعهم والتى تتراوح بين عشرين وخمسة وثلاثين فى المائة من قيمة هذه البضائع (٢) .

وهناك رأى آخر يتعلق برفض الصليبيين لعرض الصلح الذى تقدم به الملك الكامل ، وهو أن القوات الصليبية قد وجدت نفسها متقدمة في عملياتها العسكرية ، إذ نجحت في الإستيلاء على برج دمياط وفي العبور إلى الضفة الشرقية للنيل وأصبحت تحاصر مدينة دمياط فضلا على علمها باختلال أحوال المسلمين . يضاف إلى ذلك أمل الفرنج فى حضور الإمبراطور فريدريك الثانى وقواته ، وأملهم أيضافي مزيد من الإنتصارات عند حضورهذا الإمبراطور ، وبالتالى تصور كل فريق أن أمتلاك مصر أصبح شيئا مضمونا وأنه سيتم فى القريب العاجل . ولكنهم حين تصوروا كل هذا لم يكن يدور بخلدهم أن هناك إرادة إسلامية ستحقق بالحرب ماحاولت اقتراحه بالسلم بالنسبة للجلاء عن مصر .

ويجب الإشارة هنا إلى نقطة هامة تتعلق بفلسفة الحركة الصليبية كلها والتى تنحصر فيما زعمه القادة الصليبيون من حرصهم على الغاية التى قامت من

---

١ — Mahmud, op. cit., p. 25.

٢ — حسنين محمد ربيع : النظم المالية ص ٥١ .

أجلها الحملات الصليبية وهى إسترداد بيت المقدس ، فلو كانوا متمسكين فعلا بهذا الهدف لقبلوا العرض الذى تقدم به ملك مصر إبان تواجد الحملة الصليبية الخامسة في دمياط ،ولوجدوا فيه فرصة طيبة لاسترداد هدفهم المنشود — بيت المقدس — دون عناء . ولعل موقف الصليبيين من عرض الملك الكامل يوضح أن أهداف الحملات الصليبية كانت استعمارية وليست دينية حسب زعمهم (١) . ولهذه الأسباب الإستعمارية رفض الصليبين العرض الكاملى مرة أخرى عندما كرر عليهم عرض الصلح عقب الرفض مباشرة (٢) .

وبعد ما تحققت للملك الكامل نوايا الصليبيين وعزمهم على الإستمرار فى الحرب برفضهم الجلاء عن مصر ، بدأ الكامل في اتخاذ الاجراءات اللازمة التى من شأنها مساعدته على مواجهة الخطر الصليبي المحدق بدمياط والذى يهدد مصر كلها على وجه الخصوص والعالم الاسلامى كله على وجه العموم وبدأ الكامل بتكليف الصاحب صفى الدين بن شكر فى جمع المبالغ اللازمة لنفقات الحرب فاتجة إلى القاهرة وبدأ بجمع الأموال من التجار ، كما تقرر أيضا التبرع على الاملاك ، وظل بالقاهرة حتى العشرين من شهر رمضان ٦١٦ هـ (٣٠ نوفمبر ١٢١٩ م) . وقد تمكن خلال هذه الفترة من تحصيل مبلغ كبير من المال (٣) . ويلاحظ أن أن أهالى مصر من مسلمين ومسيحيين ويهود (٤) قد ساهموا

---

١ — سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق جـ ٢ ص ٩٧٥ .

٢ — Eracl s, op. cit., p. 336 .

٣ — النويري : المصدر السابق جـ ٢٧ لوحه ٢٥ — ٢٦ .

٤ — بلغ اليهود رتبا علميا وسياسيا أيام الدولة الفاطمية والأيوبية ، فكان منهم الوزراء والكبراء والأطباء والعلماء . عن ذلك أنظر : بنيامين التطيلى : المصدر السابق ص =

فى دفع هـــذه المبالغ ، فمصر وطن الجميع ويجب على جميع المواطنين مساندتها وقت الشدائد سواء بالنفس أو المال .

أما فيما يتعلق بالأموال التى تقررت على المسيحيين سواء الأقبــاط منهم أو الملكانيين و كذلك تلك التى دفعها اليهود ، فقد عقدت عدة مجالس لهذا الفرض حضرها رجال القانون وقساوسة وأحبار الطوائف المعنية . وقـد طلب منهم فى هذه المجالس المساهمة بأموالهم فى دفع الخطر الصليبى عن مصر . وقد ساهمت كافة هذه الطوائف فى نفقات الحرب ضد الصليبيين ، وتحمل الملكانيون مبلغ ألف دينار من الأموال المتوفرة لديهم . وطلب من المسيحيين الأقباط أن يتبرعوا بما يوازى أربعة وعشرين مرة من المبلغ الذى قدمه الملكانيون وذلك بالنسبة لعددهم ومكانتهم بالمقارنه مع الملكانيين . وبعد عدة مفــاوضات تقرر أن يقــدم الأقباط ثلاثة آلاف دينار وبذلك يكون جملة ماتحصل منهم هـــو أربعة آلاف دينــار ، وتقرر على اليهود أن يدفعوا مبلغ خمسمائة دينار . أما المسلمون فقد تقرر أن يدفع كل فرد قادر منهم مبلغ خمسة دنانير وإعفاء الفقراء من دفع هـذا المبلغ (١) . ومما تجدر الإشارة اليه أن بعض المـؤرخين المحدثين ذكروا أن الأقباط والمكانيين قد تعرضو لقيـود بالغة الشدة وتقررت عليهم

= ١٧١ حاشية (١) . في حين عاش يهود أوروبا نفس الفترة يعانون من أشد أنواع التعذيب والاضطهاد . وعلى سبيل المثال المذبحة التى قامت فى مدينة يورك بانجلترا فى ١٦ ، ١٧ مارس ١١٩٠ م للتخلص من اليهود وديونهم على الأمراء والأهالي ، حتى اضطر اليهود الى قتل أنفسهم . عن ذلك أنظر : نعيم عزيز زكى : دور اليهود في تجارة العصور الوسطى ص ١٥٤ ــ ١٦١ .

١ — Hist. Patr. Alex , p, 249

الضرائب الباهظة (١) . وللرد على ذلك أن جملة مادفعه الأقباط هو مبلغ ثلاثة آلاف دينار ، وقياسا على مادفعه المسلم وهو خمسة دنانير فان العدد اللازم من الأقباط لدفع مبلغ ثلاثة آلاف دينار هو ستمائة مواطن وحوالى مائتين على أقصى تقدير بالنسبة للملكانيين، أما بالنسبة لليهود يتطلب الأمر مائة منهم لدفع المبلغ الذى تقرر عليهم . فاذا أخذنا في اعتبارنا أنه كان يوجد بالقاهرة فقط نحو ألف يهودى (٢) فبذلك يكون ماتحمله كل فرد من اليهود حوالى ربع دينار على الأكثر من يهود القاهرة فقط بغض النظر عن اليهود المنتشرين فى مصر كلها . فاذا كان ذلك هو الحال بالنسبة لليهود فان نفس الحال ينطبق على الطوائف الأخرى . اذ لا يعقل أن يكون بمصر ستمائة من الأقباط ومائتين من الملكانيين ، فقد ذكرت بعض المصادر المعاصرة أن عدد الأقباط فى مصر كان لايقل عن عشرة آلاف نسمة (٣) . وعلى أية حال فقد بدأ الأقباط فى جمع الأموال المقررة عليهم عن طريق التبرع فى الكنائس . كما حصلوا على بعض هذه الأموال من دير طموية (٤) ومن بعض الأديرة الأخرى (٥) .

---

١ — Runciman. op. cit., III, p. 170

٢ — بنيامين التطيلى : المصدر السابق ص ١٧١ .

٣ — Nieclas I, Lettre au Pape Honoré III, p. 648.

٤ — طمويه ، تقع على الضفة الغربية للنيل على بعد خمسة أميال من النقطة الموازية لحلوان وكانت احدى متنزهات مصر ، والدير راكب البحر وحوله الكروم والبساتين والنخيل والشجر . عن ذلك أنظر : الشابشى : الديارات ص ١٩٤ وحاشية (٢) ولمزيد من التفاصيل انظر : نفس المصدر ص ٢٥٩ ، ياقوت الحموى : المصدر السابق ج ٤ ص ٦٧٤ ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ج ١ ص ٢٧١ . راجع أيضا : القمص عبد المسيح البرموسى : تحفة السائلين ص ١٦١ ، مجلة جمعية الآثار القبطية المجلد الخامس ص ١٨ — ٢٠ .

٥ — Hist. Patr. Alex. pp. 247 - 251.

يلاحظ أن المبالغ التى تحملها كل فرد فى مصر سوا . أكان مسلما أم مسيحيا أم يهوديا =

يبدو أنه أثناء قيام الوزير صفى الدين بن شكر بجمع هذه الاموال حدث احتكاك بين بعض المسلمين والمسيحيين . ويذكر تاريخ بطارقة الاسكندرية أنه قتل بعض المسيحيين أثناء هذه الحوادث (١) . وإن صحت هـذه الرواية التى لم يرد ذكرها فى بقية مصادر الحملة من عربية وأجنبية ، فان هذا العمل لا يعدو أن يكون مجرد عمل فردي يبعد كل البعد عن سياسة الدولة الأيوبية ، لأن الأقباط لم يصبهم أيام الحكم الأيوبى ضرر بقـدر مالحقهم من الصليبيين أنفسهم (٢) فقد عاش الأقباط وكافة الطوائف المسيحية الأخـرى وكذلك

= فى وقت تواجد الحملة الصليبية الخامسة بدمياط كانت بسيطة جدا اذا ما قورنت بنفس المبالغ التى تحملها أهل أوروبا لقيام نفس الحملة مع اختلاف الهدفين . أنظر ماسبق ص ١٠٧ — ١٠٨ .

١ — Hist, patr. Alex., pp' 247 - 8 .

٢ — جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على مصر ص ١١٨ . ولم تـكن حسن معاملة المسلمين للاقباط قاصرة علي مصر فقط بل سادت بلاد الشام خاصة مدينة بيت المقدس فانه خلال الحرب الفاطمية السلجوقية التي استمرت حوالى عشرين سنـة فى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى قبل الحملة الصليبية الأولى بقليل ، نجد أن الصراع دار على مدينه بيت المقدس وتناولتها أيدى الطرفين عدة مرات . وفى هذه الحروب لم يصب المسيحيون باكثر مما أصيب به غيرهم وبقى الحى المسيحى المسور لم يمسه أحد بأذى . أما عند قدوم الحملة الصليبيه الأولى فقد خرج الأهالي المسيحيون من القدس . وكان ذلك من حسن حظهم لانهم لو بقوا فى المدينه لكان نصيبهم كنصيب المسلمين واليهود من المذابح التى قام بها الصليبيون احتفالا بدخولهم المدينة المقدسة عن ذلك أنظر :

Runciman, The Cristian Arabs of Palestine, p. 10 .

اليهود آمنين في مصر أحرارا في عقيدتهم حسب شريعة كل طائفـــة منهم ، وذلك حسب ماروته بعض المصادر الأجنبية المعاصرة للحمـلة (١) . كما تميز عهد الملك الكامل وأبيه العادل بالتسامح والعدالة تجاه الأقباط ولعل ماورد في كتاب « قصة الكنيسة القبطية » من أن حسودا أراد أن يوغر صدر العادل ضد القبط فادعى أمامه أن دير الأنبا أبى مقـار (٢) يحتوى على كنوز ثمينـة فقام الملك العادل بانتداب بعض كتبة الديوان للتوجـــه إلي الدير المذكـور والبحث عما فيـــه من كنوز ، فلما قابل المندوبون رئيس الدير عرفوا منه أن الـكنوز الموجودة فيه فعلا هى أوانى المذبح والملابس الكهنوتية . فأخذوها بعد أن أكدوا لرئيس الدير أن الملك العـــادل منصف للغاية ، وحينما رأى العادل هذه الأشياء أمر بتقييمها وعرف أنها لاتساوى غير ثلاثةآلاف دينار . فأمر العادل بتسليمها إلى الأنبا يؤنس السادس (١١٨٩ م – ١٢١٦ / ٥٨٤– ٦١٣ هـ) مع الاعتذار له عما وقع . ثم قام بتوقيع العقاب على الجسود . وقـــد تجلت في هذا الموقف عدالة الملك العادل . هـذا بالإضافة إلى مواقف أخرى لاتقل نزاهة وعدالة عن ذلك ، منها أن بعض دعاة السوء حاولوا إقناع العـادل

١ – Paeriarche de Jerusalem, Rapport du qape Innocent, III p. 932 .

٢ – دير أبى مقار ، يقع فى المكان الذى يسمى وادى النطرون حاليا وموقعـــه فى الجنوب الشرقى من دير السريان ودير الأنبا بيشوى . ويرجع أصل أبى مقـــار الى بلده جحوير من أعمال منوف وقد عاش فى أواسط القرن الرابع الميلادى ومات عن ٩٧ سنة . أنظر : القمص عبد المسيح البرموسى : المرجع السابق ص ٧٦ – ٨٤ عمر طوسون وادى النطرون ورهبانه وأديرته ص ٧٦ وما بعدها .

بمضاعفة الضرائب على القبط كما فعل غيره فأجابهم « أكان غيرنا قدظلم فلاداعي لأن نكون ظلمة » (١) . وما اتصف به العادل من تسامح مع الأقباط إنطبع في ولده الكامل . فقد حدث أنه كان مرة في الأسكندرية وأثناء عودته إلى القاهرة عن طريق الصحراء زار دير الأنبا أبي مقار ومعه حاشيته . وقد رحب به الرهبان واستضافوه ومن معه عدة أيام أحاطوه فيها بالمودة والإكرام، ولقد سر الكامل مما رأى ورغب في تكريم رهبان الدير فمنحهم ثلاثمائة أردب من القمح والشعير ومائة من الفول ومائة من الترمس. وفوق ذلك كله أصدر مرسوما يتضمن إعفاء الرهبان من الضرائب وأيلولة تركة الراهب بعد وفاته إلى الدير الذى ينتمى اليه (٢) . وفى مقابل هذه العدالة النزيهة امتلأت قلوب القبط بهجة وطمأنينة (٣) ، وذلك على العكس من شعورهم تجاه الصليبيين الذين اعتبروا أقباط مصر من الهراطقة وكثيرا ما أساءوا اليهم . وليس أدل على ذلك من حرمان الأقباط من الحج إلى بيت المقدس منذ إستيلائهم عليها فى الحمله الأولى فلم يدخلوها حتى إستردها صلاح الدين الأيوبى (٤) .

وإذا كنا قد تناولنا بالدراسة والتحليل ماورد في أحد النصوص من

(١) ايريس حبيب المصرى : قصة الكنيسة القبطية ج ٣ ص ١٩٣ — ١٩٤ .
(٢) منير شكري أديرة وادي النطرون ص ٢٨٦ .
(٣) ايريس حبيب المصرى : المرجع السابق ج ٣ ص ١٩٤ . ويلاحظ أن منصب البابا القبطى كان شاغرا في الفترة من ٧ يناير سنة ١٢١٦م حتى ١٧ يونية ١٢٣٥م أنظر : المقريزى : الخطط ج ٣ ص ٤٠١ .
(٤) جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على مصر ص ١١٨

إضطهاد المسلمين للأقباط الذى ليس له فى الحقيقة أي أساس من الصحة فى ظل التسامح الإسلامى الذى كان يتمتع به قبط مصر ، فان ذلك لا يبعدنا عن الإجراءات التي إتخذها الكامل لدفع الخطر الصليبى عن دمياط ، كاعداد خطوط الدفاع الأمامية عند فارسكور وجمع الأموال اللازمة لنفقات الحرب وإستنهاض آل البيت الأيوبى لإمداده بالقوات الكافية لإجلاء القوات الصليبية عن مصر عسكريا بعدما فشلت المحاولات السلمية .

وفيما يتعلق باعداد خطوط الدفاع الأمامية فقد تولاها الملك الكامل بنفسه عند فارسكور . وأما الأموال فقد تولى أمرها صفى الدين بن شكر ، وأما استنهاض آل البيت الأيوبى فقد تولى أمره فعلا الملك المعظم عيسى . فانه عقب رفض الصليبين عرض الملك الكامل للصلح إتجه المعظم إلى دمشق لإمداد مصر بما تحتاجه من الرجال لدفع الخطر عن دمياط . كما أنه كان يخشى وصول بعض القوات الصليبية من أوربا إلى الشام إذا علموا بسيطرة إخوانهم على دمياط والملك الكامل مشغول بحاربتهم ، فيقصدون البيت المقدس فيملكونه « ويتعذر على المسلمين إستنقاذه من أيديهم » (١) . هذا فضلا عن أن الملك المعظم بلغه أن طائفة من الفرنج عازمة على الإستيلاء على البيت المقدس . لذلك أتفق على خرابه خاصة وأن الشام كانت خالية من العساكر الإسلامية وأنه إذا إستولى الصليبيون على القدس استولوا على باقى الممتلكات الاسلامية وحكموا الشام كله (٢) . لذلك طلب الكامل من أخيه العزيز عثمان والأمير عز الدين أيبك الحلبي المعظمى (٣) اللذين كانا بالقدس فى ذاك الوقت تخريب

(١) ابن واصل : المصدر السابق ج ٤ ص ١٩ .

(٢) ابن الجوزى — المصدر السابق ج ٨ ق ٢ ص ٦٠١ .

(٣) كان الامير عز الدين يشغل وظيفة استاذ دار الملك المعظم والاستاذ دار هو الذي =

المدينة ، ولكنها لم يرغبا فى خرابها بأمل الدفاع عنها إذا هاجمها الصليبيون ، ولكن المعظم كتب اليها ثانيا قائلا « لو أخذوه [بيت المقدس] لقتلوا كل من فيه وحكموا على بلاد الشام وبلاد الإسلام ، فألجأت الضرورة إلى خرابه » ، فاقتنعا برأى المعظم وشرعا فى خراب سور المدينة فى أول المحرم عام ٦١٦ هـ (١٩ مارس ١٢١٩ م) (١) . ويصف المؤرخ إبن الجوزى الضجة التى سادت البلد فى هذا اليوم ، فكان كيوم القيامة ، إذ خرج جميع أهل مدينة القدس شيبا وشبانا رجالا ونساء ومعهم أولادهم وإتجهوا إلى مسجد الصخره والمسجد الأقصى حيث قطع النساء شعورهن ومزقن ثيابهن حتى إمتلأ المسجدان بالشعور ثم خرج الجميع هاربين من المدينة تاركين أموالهم وذويهم معتقدين أن الصليبيين فى أثرهم . فامتلأت بهم الطرق ومنهم من إتجه إلى مصر أو إلى حصن الكرك كما ذهب بعضهم إلى دمشق سائرين على الأقدام ، « والبنات المخدرات يمزقن

= يتولى شئون مسكن السلطان أو الأمير وله الاشراف على كل أعمال المأكل والمشرب والخدم ، وكان له مطلق التصرف فى أعداد مايحتاجه المسكن من النفقات والكساوى وأصبح لهذه الوظيفة شأن كبير فى العصر المملوكى . أنظر : النقشبندى : المصدر السابق ج ٤ ص ٢٠ ، ج ٥ ص ٤٥٧ . وقد رفض هذا الأمير السلطنة عندما عرضتها عليه شجر الدر فى عام ٦٤٨ هـ بعد مقتل المعز أيبك التركمانى . أنظر : أبو المحاسن : المصدر السابق ج ٦ ص ٣٧٥ .

(١) ابن الجوزى : المصدر السابق ج ٨ ق ٢ ص ٦٠١ . ويلاحظ أن المصادر العربية اختلفت فى تحديد التاريخ الذى تم فيه هدم أسوار المدينة . فيرى البعض أن ذلك تم فى ذي القعده عام ٦١٦هـ (يناير ١٢٢٠ م) أي بعد سقوط مدينة دمياط . ابن الاثير : =

ثيابهن ويربطنها على أرجلهن من الحنا » . وقد مات فى هذه المحنة خلق كثير من الجوع والعطش ، كما نهبت أموالهم التى تركوها بالمدينة . ورخصت المؤن لعدم القدرة على شرائها حتى بلغ قنطار الزيت عشرة دراهم (١)، ورطل النحاس نصف درهم (٢) .

وبعد تخريب أسوار مدينة بيت المقدس خربت أيضا أبراجها وكانت حصينة منيعة وفى غاية المناعة لأن العمارة فى هذه الأبراج كانت قائمة منذ استعادة مدينة القدس على يد صلاح الدين الأيوبى ، لدرجة أن كل برج من أبراجها كان يعتبر قلعة قائمة بذاتها (٣) . وقد تم تخريب المدينة كلها عدا المسجد الأقصى

المصدر السابق ج ١٢ ص ٢١٠ . ويذكر اخر أن ذلك كان أول المحرم أو السابع منه (١٩ أو ٢٥ مارس ١٢١٩ م) . أبو شامة : المصدر السابق ص ١١٤ . وتدروى ابن واصل حادثة هدم المدينة ولكنه لم يذكر تاريخا لذلك . ابن واصل : المصدر السابق ج ٤ ص ٣٢ . وتتفق مع ابن الجوزي بعض المصادر المتأخرة منها ما هو مخطوط ومنها ما هو منشور . أنظر : بامخرمة : المصدر السابق ج ٥ ورقة ٢٢٢ ، العينى : المصدر السابق ج ٧١ ٧ لوحة ٣٩٥ . أنظر أيضا : ابن العماد : المصدر السابق ٥ ج ص ٦٦ ، أبو المحاسن : المصدر السابق ج ٦ ص ٢٤٤ . والارجح ما أوردناه فى المتن اعتمادا على صلة ابن الجوزى بالملك المعظم كما اسلفنا ـ راجع أيضا ما سبق ص٢٦٩.

١ ـ ابن الجوزى : المصدر السابق ج ٨ ق ٢ ص ٦٠١ ـ ٦٠٣ . أبو المحاسن : المصدر السابق ج ٦ ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ .

٢ ـ ابن ايبك : المصدر السابق ج ٧ ورقه ١٧٦ .

٣ ـ ابن واصل : المصدر السابق ج ٤ ص ٣٢ .

وقبة الصخرة وكنيسة القيامة وبرج داود (١) . وفيما يتعلق بكنيسة القيامة فقد أشار أحد الرحالة الأجانب في منتصف القرن الخامس عشر الميلادى (أواسط القرن التاسع الهجرى) أن المسلمين أرسلوا إلى الصليبيين المحاصرين لمدينة دمياط بأنهم ينوون هدم الكنيسة إذ لم يرفعوا الحصار فوراً عن دمياط(٢). والواقع أن هذه الرواية غير صحيحة بدليل أن الحصار لم يرفع عن دمياط ولم يتم هدم الكنيسة . ولعل هذه الروايه من قبيل الشائعات التى كانت تلقى رواجا في مثل تلك الظروف . وربما يقول قائل أن هذه الرواية قد حدثت من قبل التهديد فقط . والرد على ذلك يأتى من الصليبيين أنفسهم . فقد روى أوليفر مؤرخ الحملة أن المسئولين المسلمين أعلنوا بأن كنيسة السيد المسيح لن تهدم وستبقى كما هى لأن المسلمين يعتبرون السيد المسيح نبيا عظيما (٣) .

وعلى هذه الصورة تم هدم مدينة بيت المقدس ، وأصبحت المدينة مفتوحه لا يمكنها الدفاع عن نفسها (٤) . ولذلك قام المعظم بنقـــل ما كان فيها من

١ — Hist. Patr. Alex. P. 251, Oliver Scolastique, Lettre, a Angelbert, cf, Bongars. pp 1118 ff, Roger of Wendover, op. cit., II, p. 410.

٢ — Fabri, op. cit. Vol. 2, part I, p. 356.

٣ — Oliver Scolastique, Idid, Roger of Wendover, op. cit, II, pp. 410 - II.

أنظر أيضا : مكسيموس مونروند : الحروب المقدسة جـ ٢ ص ٢٥٦ .

٤ — Lamb, op. cit., p. 247.

الزردخاناه (١) وآلات القتال وغير ذلك (٢) . ورغم أن هـــدم المدينة قد تم لأسباب إستراتيجية إلا أن المسلمين قد حزنوا عليها حزنا شديدا نظراً لمكانتها الدينية . وأنشد الشعراء الأبيات في هذه المناسبة . فقال مجد الدين محمد بن عبد الله الحنفي قاضي الطور :

مررت على القدس الشريف مسلما   على ما تبقى من ربوع كأنجم

ففاضت دموع العين مني صبابة   على مامضي من عصرنا المتقدم

وقال أيضـا :

فلو كان يفدى بالنفوس فديتـه   بنفسي وهـذا الظن في كل مسلم (٣)

وأنشد شاعر آخر يهجوا الملك المعظم على تخريب القدس فقال :

في رجب حلل الحميـــا   وأخرب القـــدس في المحرم (٤)

١ ـ الزردخانة ، وهي كلمة فارسية مركبة من « زرد » أي سلسلة « وخانة » أي مسكن أو مكان . أي سجن أنظر : ابن الفرات : المصدر السابق المجلد الرابع جـ٢ ص ١٧ حاشيه (٥٩) . ولـكن هذه الكلمة أصلا تعني خزانة الزرد أي خزانة السلاح ، أنظر : ابن واصل : جـ ٢ ص ٣٥٧ حاشية (٤) .

٢ ـ ابن واصل : المصدر السابق جـ ٤ ص ١٢ .

٣ ـ أبو المحاسن : المصدر السابق جـ ٦ ص ٢٤٥ .

٤ ـ ابن الجوزي : المصدر السابق جـ ٨ ق ٢ ص ٦٠٢ . ويلاحظ أن بيت المقدس كان =

ولم يكتف المعظم بتخريب المدينة المقدسة فقام بتخريب بعض القلاع الأخرى مثل حصن تورون أو تبنين (١) وصفد (٢) وبانياس . وقد خربت أيضا حتى لا يستولى الصليبيون عليها بحصانتها (٣) ، بل يتسلموها خرابا لا تستطيع الدفاع عن نفسها فيسهل على المسلمين إستردادها إذا ضاعت من أيديهم شأنها شأن المدينة المقدسة . ويرى بعض المؤرخين المحدثين أن النية كانت متجهة إلى معاودة عرض الصلح على الصليبيين مقابل التنازل لهم عن

= تحت حكم المسلمين منذ خلافه عمر بن الخطاب حتى استولى عليه الصليبين عام ١٠٩٩ م ثم استرده صلاح الدين عام ١١٨٧ ثم تناولته أيدى المسلمين والصليبيين حتى استعاده المسلمون نهائيا عام ٦٤٢ هـ (١٢٤٤ م) . عن ذلك أنظر : ابن فضل الله العمرى : المصدر السابق جـ ١ ص ١٣٩ . أما عن تخريب القدس فى هذه الفترة أنظر : ابن رسول : نزهه العيون (مخطوط) جـ ٢ ورقة ١٠٢ ، اليونينى : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) جـ ١٥ ورقة ٣١ أ ، النويري : المصدر السابق جـ ٢٧ لوحة ٢٦ ، ابن خلدون: العبرة جـ ٥ ص ٣٤٥ ، أبو الفدا : المصدر السابق جـ ٣ ص ١٢٨ راجع أيضا
Eracles. op. cit., p. 340.
L. F. Crusade, Letter to The Pope Honorus III, dated 10 th nov. 1219., cf. Rohricht, op. cit., p. 43.

١ ـ تبنين ، بلدة فى جبال بنى عامر المطلة على بلدة بانتاس وتقع بين صور ودمشق ، ياقوت الحموى : المصدر السابق جـ ١ ص ٨٢١ ، ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٢٨٢ لى سترانج : المرجع السابق ض ٣٤٨ .

٢ ـ صفد ، تقع هذه المدينه على جبال لبنان فى المنطقة المطله على حمص . أبو المحاسن : المصدر السابق جـ ٦ ص ٤٢ حاشية (١) .

٣ العيني : المصدر السابق جـ ١٧ لوحة ٣٧٩ ـ ٣٨٠ ؛

ممتلكاتهم السابقة فى الشام . فلذلك تم تخريب هـذه الحصون حتى يتمكن المسلمون من إستعادتها مرة أخرى (١) .

والمهم أن الخطة العسكرية الإسلامية لم تتطلب هدم بيت المقدس وبعض قلاع الشام فقط ، بل تطلبت أيضا هدم كنيسة القديس مرقس (٢) الإنجيلية (٣) فى مدينة الإسكندرية . وعندما قرر الكامل هدم هذه الكنيسة عرض عليه مبلغ ألفين من الدنانير للابقاء عليها ، ولكنه لم يوافق على ذلك لانهـا تقع خارج أسوار المدينة وتطل على الميناء ويخشى من إستيلاء الصليبيين عليها فيزودونها

---

١ Grousset, op cit., III, p 214.

٢ ـ القديس مرقس ، اسمه يوحنا ويلقب بمرقس وأصله من اليهود وهو أحد الانجيليين الأربعة . ولم يكن من تلاميذ السيد المسيح الاثنى عشر . وعلى يديه دخلت الديانة المسيحية الى ديار مصر فى القرن الأول الميلادى . لجنة التاريخ القبطى : تاريخ الأمة القبطية : ص ٦١ ومابعدها . وقد ناله الأذى على أيدى حكام الرومان الوثنيين حتى قبضوا عليه فى يوم عيد الفصح الموافق ٧ مايو سنة ٦٨ م ، ووضعوا فى عنقه حبلا وأخذوا يجرونه حتى المساء وعاودوا الكرة فى اليوم التالى ٨ مايو حتى أسلم الروح وقد بنى محل استشهاده الكنيسة المرقسيه بالاسكندرية ودفن فيها . فرج جرجس : تاريخ الكنيسة القبطيه ص ٦٧ .

٣ ـ كانت هذه الكنيسة قديمة حصينة البناء كثيرة الأعمدة ، وقد تحولت بعد ذلك الى مسجد وكان موقعها خارج أسوار مدينة الاسكندرية بقرب باب القبـارى . سيد على الحريرى : الاخبار السنية فى الحروب الصليبية ص ٢٣٥-٢٣٦ ، جرجس فيلوثاوس عوض : القبط ١٥٣ . ويرى البعض أن المسجد الذى تحولت اليه الكنيسة هو جامع الالف عامود . على مبارك : الخطط التوفيقية جـ٧ ص٤٣ . ويرى اخرون أن جامع الالف عامود شيد على أنقاض كنيسة القيصرون . أنظر : تاريخ الاسكندرية وحضارتها ص ٢١١ . وعلى أية حال ، فانه لايوجد علاقة بين كنيسة القديس مرقس القديمة لوقوعها خارج أسوار مدينة الاسكندرية وبين جامع الالف عامـود لوقوعه داخل أسوار المدينة . أنظر : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها ص ٤٩ .

بالالات الحربية ويتخذون منهـا مركزا للاستيلاء على الاسكندرية فيتحرج مركزه بينها و بين دمياط . وتم تنفيذ الهــدم خلال شهر ربيع ثانى ٦١٦ هـ (يوليو ١٢١٩) (١) .

وإذا كانت الخطط العسكرية الإسلامية قد تطلبت هدم الأماكن الهـامة من الوجهة الحربية ، بصرف النظر عن مكانه بعضها من الناحية الدينية ،فان الأمر كان يتطلب أيضا إرسال النجدات إلى الملك الــكامل لمقاومة الحصار الصليبي لمدينة دمياط . لذلك قام الملك المنصور صاحب حمـاه ٥٨٧ – ٦١٧ هـ (١١٩١ – ١٢٢٠ م) بتنصيب إبنه المظفر محمد وليا لعهده وأرسله على رأس العساكر ومعه الطواش مرشد المنصورى نجـدة إلى مصر (٢) . وكان المظفر يبلغ من العمر سبعة عشر سنة عندما أوفده فى هـذه المهمة . وقد شجعه والده عند مغادرته حماه ، وأنشده من نظمه بعض أبيــات الشعر لشد أزرة وزيادة حماسته (٣) . ولما قدم إلى مصر أكرمه الملك الكامل وأعظم قدرة وأنزله على ميمنته وهى منزلة أبيه وجده عند صلاح الدين الأيوبى (٤) . وهذا يدل على على إهتمام الكامل بالنجدات التى كانت تفد إليه وهو فى محنته مع الصليبيين .

ويبدو أن الكامل قد تشجع بعد وصول هذه الإمدادات اليه فقرر مهاجمة المعسكر الصليبي فى يوم أحد الزعف (٥) الموافق الثالث عشر من المحــرم

١ — Hist Patr, Alex.,p . 252,
٢ — ابو الفدا : المصدر السابق جـ ٣ ص ١٣٠
٣ — ابن واصل : المصدر السابق جـ ٤ ص ٦٥
٤ — المقريزى : السلوك جـ ١ ق ١ ص ٢٠١
٥ — أحد السعف أو أحد الزعف ، Palm - Sunday ، أول يوم فى الاسبوع المقدس وهو الاحد السابق لعيد القيامة Ency, Brit., Vol, 17, p, 191

٦١٦.هـ (٣١ مارس ١٢١٩ م) . فجمع الكامل عدداً كبيرا من خيرة القوات الاسلامية وهاجموا معسكر الصليبيين من كل جانب . وقد ترجـــل الفرسان المسلمون وإجتازوا الخندق المقام حـــول المعسكر الصليبى ، ولم يتمكن ليوبولد دوق استريا ومن معه من فرسان الداوية دفـــع المسلمين ، ودار بين الطرفين قتالا عنيفا إنتهى بسقوط عدد كبير من القتلي من كلا الجانبين ، وعاد المسلمون بعد أن أحرقوا بعض أجزاء الأبراج الخشبية الصليبية المقامة بمعسكرهم (١)، وكانت هذه الغارة رغم عنفها من الهجمات غير الفعالة وعديمة الجـــدوى (٢). لذلك قرر الملك الكامل الهجوم مرة أخرى بعد قليل ،ففى يوم الأربعاء الموافق أخر أيام شهر المحرم (١٧ أبريل) قام المسلمون بهجمة أخرى وكانت نتائجها كنتائج سابقتها (٣). وربما يرجع فشل هاتين الغارتين إلى أن الصليبيين كانوا يحيطون معسكراتهم في الضفة الشرقية والغربية للنيل بخنادق تمتد على ضفتى فرع دمياط ، وقد زودوا هذه الخنادق بالأبراج التى مـــلأوها بالمقاتلين . كما ربطوا بين المعسكرين بجسر من القـوارب ، فأصبحت معسكراتهم في غاية الحصانة فضلا عن سهولة الاتصال بالضفتين (٤).

لذلك رأى الكامل تخريب الجسر الذى يصل بين المعسكرين لشطرهما إلى قسمين فيسهل عليه مهاجمة أحدهما دون مساعدة الجانب الآخـر . وبدأ باستمالة تسعه من العساكر الصليبية بعد أن وعـــدهم بالمال ، ولكن المندوب

---

١ — Oliver Scolastiqus, Lbid.

٢ — Hist. Part. Alex, p 251, Roger of Wendover, op, cit, 11, p, 417,

٣ — Setton' op, cit 11, p, 411,

٤ — Hist. Part, Alex. p. 251,

البابوى اكشف هذه الحيله وتمكن ثمانية منهم من الفرار الى معسكر المسلمين بينما استطاع الأخير من تخريب بعض أجزاء الجسر وتمكن الصليبيون أخيراً من القبض عليه (١) . كما قبضوا أيضاً على صليبى آخر - يعتقد أنه إنجليزى كان قد فر الى المعسكر الإسلامى وأعتنق الديانة الإسلامية - لتعامله مع المسلمين (٢) . وقد ربط الاثنان في ذيول الخيول وسحلا داخل المعسكر الصليبى عقابا لهما . وعلى ضوء هذه الحادثة بدأ الصليبيون في تشديد الحراسة على هذا الجسر (٣) .

وعلى أية حال ، فقد إنقضى ما يقرب من أحد عشر شهراً على تواجد الصليبيين عند دمياط دون أن يتمكنوا من الاستيلاء عليها . ويبدو أن بعض الصليبيين قد ملوا من طول هذه المدة فعادوا إلى بلادهم (٤) . كما عاد أيضاً بعض الذين أعتقدوا أنهم قد وفوا بعهودهم بالاشتراك في الحملة ، وكان على رأس العائدين ليوبولد دوق استريا ، ففى أول مايو من عام ١٢١٩ م (١٤ صفر ٦١٦ هـ) أبحر إلى بلاده (٥) . ويرجع ذلك لعدة أسباب ، منها أنه أعتقد أن الجيش الصليبى أصبح في حالة طيبة وأن لاداعى لوجوده خاصة وأنه متغيب عن بلادة منذ قدومه مع الحملة الهنغارية ، أى مايقرب من عشرين شهراً . وسبب آخر هو أنه أنفق مبالغ كثيرة في هذه الفترة مما أدى الى نفاذ أمواله ، وأن بقاءه مع الجيش الصليبي سيحمله نفقات إضافية لا قبل له

١ - Setton, op. cit., II, p. 416

٢ - Areher & Kingsford, op.cit., p 377.

٣ - Setton, Ibid

٤ - Rohricht, Geschichte der Kreuzzuge im Umriss, p. 202

٥ - Oliver Scolastiqus, Ibid.

بها ولا داعي لها . ونظرا لاحتياجه لبعض المال عند عودته إلى بلاده اقترض ألف دينـــار (١) . ومما تجدر الاشارة اليه أن ليو بولد كان من أعظم النبلاء نشاطا وعلى جانب كبير من الولاء والطاعة والكرم ولم يوجــه اليه الـلوم على عودته إلى بلاده بعد هذه الفترة . والمهم أن ســلوك ليو بولد مع قيادة الحمــلة الصليبية الخامسة وأعمال المروءة والشجاعة التى أتصف بها فى هذه الفترة ، قد محت الآثار السيئه التى لحقت بــه بسبب صراعه مــع الملــك ريتشــارد قلب الأسد فى الحملة الصليبية الثالثة (٢).هذا ، ومن الطبيعى أن يحــاول المندوب البابوى منع رحيل هذه القوات ، فاستعمل كل سلطاته للحيـلولة دون ذلك ، أو على الأقل لتأجيل رحيل العائدين ، ولكـن جهوده لم تفلح فى تخويف أو إقناع الصليبيين . ويبدو أن الصليبيين الذين عادوا إلى بلادهم كانوا من الكثرة لدرجة أن القادة الصليبيين المرابطين عند دمياط قد خافـوا على مصير الحملة ، وإشتكوا الى البابا هونوريوس الثالث من قلة عدد القوات الموجودة في مصر ، وطلبوا منه تدبير العساكر اللازمة بالطريقـــة التى يراها ولذلك وصلت بعد رحيل هذه القوات إمدادات صليبية جديدة ، بأعداد كبيرة في السادس عشر من مايو ١٢١٩ م (٢٩ صفر ٦١٦ هـ) (٣) . ومن الطبيعى أن تجدد هذه القوات النشاط في صفوف القوات الصليبية .

---

١ - Eracles, op, cit., p. 332

٢ - Ruciman, A History of the Crudades, III, p. 159.

ومن الحوادث التى وقعت بين ريتشارد وليو بولد أنظر :

Devizes & Vinsanf, op. cit, p. 24.

٣ - Oliver Sco'astiqus, Ibid,

ويبدو أن الملك الكامل قد أحس بقدوم هذه القـــوات ، فرأى سرعة الهجـوم على المعسكر الصليبي قبل أن تنتظم هذه الإمدادات وتبادر بالهجـوم على القوات الإسلامية، لذلك قام المسلمون بالإغارة على الصليبيين فور وصول الإمدادات ودامت الإشتباكات في البر والبحر ، ولكنها لم تأت بالنتائج التى أرادها الملك الكامل . لذلك عاود الهجوم مرة بعد أخرى على القوات الصليبية وكان مصيرها كمصير الهجمات السابقة (١) . وتوضح هذه الغارات الإســلامية المتكررة الفاشلة أن القوات الاسلامية لم تكن كافيــة لهزيمة ما أمامهــا من القوات الصليبية .

وازاء الهجمات الاسلامية المتكررة فكر القادة الصليبيون فى مهاجمة القوات الاسلامية . واستعدوا بكافة معداتهم وآلات حصارهم،وحاولوا إقامه سراديب أو أنفاق من تحت أسوار المدينة ، ولكنهم أيقنوا أن فكرة الأنفاق غير عملية لأن الخندقين اللذين يحيطين بالمدينــة كانا مليئان بالمياه. وإنه لكى يتمكن الصليبيون من دخول المدينة فعليهم أن يعتلوا أسوارها . ولما كانت المدينـــة محاطة بثمانية وعشرين برجا كبيرا غير الأبراج الصغيرة ، وكلها فى غاية المنعـة والحصانة (٢) ، فأصبح ذلك العمل صعب التنفيذ فى ذلك الوقت على الأقـل ، خاصة وأن الصليبيين كانوا يخشون من هجوم خلفى من القوات الاسلامية إذا ماقاموا هم بالهجوم على المدينة . وفكر الصليبيون بعد ذلك فى مهاجمة المدينـة والمعسكر الاسلامى فى وقت واحد . ولكن المندوب البابوى لم يوافق عـلى هذا الرأى ، وانتهى أمر هـذه الفكرة التى ظهرت فى السادس والعشرين من

---

١ — OLiverof Padendor n, op. cit., p.39.

٢ — Vitry, op, cit,, pp. 128, 131.

مايو ١٢١٩ م (١٠ ربيع أول)،وهكذا لم يتم الهجوم لاعلى المدينة ولا على المعسكر الإسلامى (١) .

وبعد أن أدرك الفرنج عدم إمكان تنفيذ الهجوم على دمياط برا ، عكفوا لبعض الوقت وهم يستعدون لهجوم بحرى على المدينة.فشيدوا المرمات العظيمة وزودوها بالأبراج (٢) ، واستعدوا بكافة الآلات الحربية الأخرى . وقاد بلاجيوس هذه السفن وقام بالهجوم على المدينة في الثامن من يوليو ١٢١٩ م (٢٣ ربيع ثان ٦١٦ هـ) . وصاحب هذه الهجمة قارعوا الطبول ونافخوا المزامير لتشجيع الصليبيين ، ولكن الحامية الإسلامية المرابطة فى دمياط الهبت المهاجمين بالنار الإغريقية وحطمت السلالم المثبتة على المرمات والأبراج (٣) ، وفى الوقت نفسه أعطت حامية دمياط الإشارة إلى القوات الإسلامية المرابطة جنوب المعسكر الصليبى ، فقامت بالهجوم على الصليبيين من الخلف فاضطر الصليبيون للتراجع وبذلك فشلت هذه الهجمة الصليبية على دمياط (٤) . وبعد فشل هذه المحاولة عاود الصليبيون مهاجمة المدينة مرة أخرى لمدة يومين على التوالى . وفى تلك الأثناء تمكن ثمانية من المسلمين من التسلل إلى المعسكر الصليبى وقتل سبعة من الأعداء . وقد أثر ذلك على الروح المعنوية للقوات الصليبية ، كذلك قام الصليبيون بالإغارة مرة أخرى على دمياط فى الثالث عشر من يوليو (٢٨ ربيع ثان ٦١٦ هـ) ، ولكنهم إرتدوا على أعقابهم خاسرين

---

١ ـ Setton' op cit., II' p. 412.

٢ ـ Hisat Patr. Alex., p. 252 .

٣ ـ Donovan, op. cit., p. 58.

٤ ـ Setton op. cit., II, p. 431.

بفعل النار الإغريقية . ويبدوا أن المسلمين قد استغلوا إنشغال الصليبيين بالهجوم على المدينة ، فقامت قواتهم بالهجوم على الجسر الذى يصل بين المعسكرين وكانوا على وشك تدميره لولا وصول بعض القوات الصليبية التى تمكنت من إنقاذ الجسر فى اللحظات الأخيرة (١). ويبدو أنه طوال المدة من التاسع عشر من ربيع الثانى حتى التاسع والعشرين منه (٤-١٤ يوليو) لم تنقطع الهجمات الصليبية سواء فى البر أو البحر . كما أن المسلمين ظلوا هم أيضاً يهاجمونهم ليلا ونهاراً بدون إنقطـاع . ولما لم تأت هجمات الفرنج بأية نتيجة إنسحبوا بسفنهم وآلاتهم من أمام دمياط كما عاد المسلمون إلى معسكراتهم (٢) .

ومن الواضح أن الملك الكامل كان ملتزما بسياسة الدفاع طـوال الهجمات الأخيرة . تمشيا مع سياسته التى إختطها لنفسه وسار عليها ، ولكنه أدرك أنه يجب عليـه القيام بالهجوم عـلى الصليبيين حفظـا لمكانته بين المسلمين بعامة والصليبيين بخاصة . لذلك قام فى السابع عشر من شهر جمـادى الأولى ٦١٦ هـ (٣١ يوليو ١٢١٩ م) بالهجوم على معسكر الصليبيين وعلى معسكر الفرسان الداوية بالذات . وتمكن المسلمون من التوغل داخل صفوف الأعداء (٣)، ولكن وليم أف شارتر William of Chartres (وليم بواسيـه Puiset) رئيس الداوية تمكن بمساعدة فرسانه من جمع شمل جنوده والتصدى للمسلمين . ولقد كان الهجوم الإسلامى من العنف لدرجة كادت تهلك فيه القوات الصليبيـة التى

---

١ — Setton, Ibid .

٢ — Hist. Patr. Alex., p. 252.

٣ — Roger of Wendover, op. cit., II, p. 417.

تصدت للمسلمين ، ولم ينقذ معسكر الداوية من هذا الهلاك سوى حلول الظلام ومساعدة إخوانهم من الفرسان التيوتون وبعض الفرسان الآخرين (١) .

ورد الصليبيون على هذه الغارة بعد قليل بعدد من الغارات المتتالية على دمياط لبعض الوقت من أغسطس . ويروى وليفر أن المعدات الصليبية المعده لضرب المدينة قد أصابتها بعض الأعطال أو أحرق بعضها ، لذلك رأى البيازنة والجنيوية والبنادقة مهاجمة المدينة عن طريق النيل بواسطة أربع سفن مزودة بالسلالم ، وقد وافق المندوب البابوى بلاجيوس على هذه الفكرة وأمدهم بكافة الوسائل اللازمة للهجوم المرتقب ، كما أمدهم الملك جان دى برين أيضا بكميات وافرة من الحبال والأهلاب التى يحتجونها فى عملياتهم القادمة . وبعد أن استعدت السفن بكافة السبل بدأ الهجوم على المدينة . ونجح الصليبيون فى اليوم الأول من قتل وجرح عدد من سكان المدينة ، لكن أهل دمياط دافعوا عنها ببسالة ونجحوا فى إشعال النار فى السلالم المثبتة على السفن ، وحاول الصليبيون إصلاحها عدة مرات ولكنهم فشلوا واضطروا للانسحاب (٢) . وعلى ما يبدو أن القوات الإسلامية لم تقف مكتوفة الأيدى أثناء هذه العمليات فقد هاجمت المعسكر الصليبي المرة تلو الأخرى ونجحت فى أسر وقتل عدد من الصليبيين ، والمهم أنه بعد هذه المحاولات المتعددة من جانب القوات الصليبية والتى استمرت حتى الثامن عشر من أغسطس (٤ جمادى الثانى) فشل الصليبيون فى النيل من

---

١ — Oliver of Padenborn, op. cit., p. 40.

٢ — Oliver of Pabenborn, op. cit., pp. 40 - 1.

المدينة كما قتل منهم العديد وكان على رأس القتلى ميلو الثالث كونت بارسورسين Milo III Count of Bar Sur-Seine وولديه والتر Walter ووليم والاخير هو وليم بواسيه رئيس فرسان الداوية (١) .

وعلى أية حال ، فان فشل القيادة الصليبية فى الاستيلاء على دمياط بعد خمسة عشر شهرا من المعارك قد أدى إلى تذمر القوات الصليبية . وأدى ذلك إلى إنهيار الروح المعنوية بين الفرنج وأصبحوا على وشك الانفجار (٢) ، واتهموا الامراء والفرسان بالخيانة والجبن وطالبوا بالهجوم على المعسكر الاسلامى فى فارسكور ، وكان الامر يتطلب تهدئة الجيش الصليبي بالقيام بأى عمل عسكرى . وهنا دب الخلاف بين المندوب البابوى والملك جان دى برين على الخطة العسكرية التى يهاجموا بها المسلمين . فكان الملك يرى تشديد الحصار على دمياط فى الوقت الذى يطالب فيه بلاجيوس بالهجوم على المعكر الاسلامى فى فارسكور وساند رجال الدين وبعض الفرسان المندوب البابوى، وفى الوقت نفسه عارض هذه الفكرة بعض الصليبيين ورأوا الانتظار فى مواقعهم فى الوقت الذى يقوم فيه البعض بالهجوم على المدينة ، فاذا ما أتت القوات الإسلامية كعادتها لمهاجمتهم تمكنوا من ضربها من مواقعهم . وقد إنتصرت إرادة الذين نادوا بالهجوم على المعسكر واتهموا من نادوا بغير ذلك بالجبن والخيانة . وازاء هذا الإتهام وافق المعارضون على الهجوم على القوات الإسلامية (٣) . وعلى ذلك قرر بلاجيوس الهجوم على معسكر الملك الكامل فى فارسكور(٤)،

---

١ — Oliver of Pabenborn,of. cit,p .30 n 15-17

٢ — Roger of Wendover, op cit, II, p 418,

٣ — Eracles, op. cit., p. 340. - 8

٤ — Rohricht, Geschichte dea Kreuzzuge im Umriss' p.203.

وتحدد يوم الهجوم فى التاسع والعشرين من أغسطس عام ١٢١٩م (١٦ جمادى الثانى ٦١٦ هـ) . وفى هــــذا اليوم خرجت القوات الصليبية عـــدا المكلفين بالحراسة (١) . وتقدم الصليبيون تجاه المعسكر الإسلامى ، وعند رأى المسلمون ذلك تظاهروا بالإنسحاب تاركين معسكرهم على حاله يحميه قلة من العساكر، وعندما وصل الصليبيون إلى معسكر الملك الكامل وجدوه خاليا تقريبا من العساكر (٢) .

وعند ذلك تشاور الصليبيون فى خطة العمل المقبلة ، فأشار الملك جان دى برين بالمبيت فى المعسكر الإسلامى والعـودة إلى معسكراتهم في الصبـاح ، ووافقت الأغلبية على هذا الرأى وبدأو فى إعـداد عدتهم للمبيت (٣) . وعند هذه المرحلة استدار المسلمون وقاموا بهجوم مضاد على القـــوات الصليبيه التي أصيبت بذعر شديد من جراء المفاجأة، وأبدى الذين كانوا متحمسين للهجوم رغبتهم الشديدة فى الانسحاب السريع إلى مواقعهم،وبدأ الصليبيون فى تراجع غير منتظم واختلت صفـوفهم (٤) ، وحـاول الملـــك جان دى برين حمايه المنسحبين فثبت ومعـه والترأف برثوت Walter of Beathout وكونتات ويد Wied وهولنداوساربورکون وفرسان منالداويه والاسبتاريه والتيوتون

١ - Eracles, Ibid.

٢ - العينى : المصدر السابق جـ ١٧ لوحة ٢٧٩ . أنظر أيضا :
Oliver Scolastiqus, Lettre a Angelbert, p. 1189.

٣ - Eracles, op. cit., p. 340

٤ - Hist. Patr. Alex., p. 252.

بالاضافة إلى بعض الفرنسيين والبيازنة وبعض الفرسان الآخرين لمقاومة الهجوم الاسلامي ، ولكن القوات الاسلامية حملوا عليه وعلى القوات الصليبية التى قاومتهم حملة قاسية أجبرت الملك الصليبي ومن معه على الانسحاب بعد أن كادت النار الاغريقية تقضي على الملك نفسه (١) . وأسفرت هذه الموقعة عن قتل وأسر عدد كبير من الصليبيين .

ويذكر تاريخ هرقل أن عدد القتلى بلغ أربعة الاف من العساكر الصليبية وثلاثمائة من الفرسان (٢) ، بينما يذكر جاك دى فترى أن عدد القتلى والأسرى بلغ ألفا من العساكر الصليبية من بينهم مائة فارس، وقد مات بعضهم بحد السيف كما مات آخرون بفعل شدة العطش وحرارة الجو. وأما الفرسان الذين وقعوا فى الأسر فكان ذلك بسبب الجروح التى أصابة خيولهم وأعجزتها عن المسير (٣) .

أما تاريخ بطاقة الاسكندرية فيروى أن عدد القتلى بلغ الفا من الجنود وأربعمائة من الفرسان (٤) ، وهى معلومة تقترب إلى حد كبير مما ذكره تاريخ هرقل . هذا وقد سجل أوليفر أن خمسمائة رأس من قتلى الصليبيين أرسلوا إلى السلطان (٥) .

١ـ Oliver of Padenborn, op. cit., p. 42

٢ـ Eracles, op, cit, p, 341,

٣ـ Vitry, op. cit, p.129

٤ـ Hist. Patr. Alex., I bid

٥ـ Oliver of Padenborn, op. cit, p.43.

والواضح أن خسارة الصليبيين فى هذه المعركة كانت فادحة خاصـة وأنه كان من بـين الأسرى عـدد من كبار الشخصيات والفرسان الصليبية ، كما قتل وأسر فى هذه المعركة عدد كبير من فرسان الداوية والاستبارية والتيوتون منهم ثلاثة وثلاثون من فرسان الداوية هذا فضلا عن أيماردى لايرون Aymar de Layron أحد ماوشالات الاستبارية (١) ، ويبدو أنه قتل فى هذه المعركه لعدم ورود ذكره بعد ذلك فى المصادر التى بين أيدينا ، كما غنم المسلمون غنائم كثيرة بعد المعركه (٢) .

وإنتهت هذه المعركة الرهيبة بعودة المسلمين الى معسكرهم منتصرين حيث أقاموا فى مساء اليوم نفسه حفلا كبيراً على دقات الطبـول وأنغام المزامير والآلات الأخرى (٣) كما أرسلوا الحمام الزاجل يحمـل بشائر هذا النصر إلى القاهرة التى زينت بالأعلام ، وتم نقل الأسرى إلى القاهرة حيث تم الطواف بهم بطول المدينة وعرضها (٤) .

ومما تجدر الإشارة اليه أن هذه الهزيمة قد أفقدت بعض الصليبيين صوابهم وخرجوا من المعسكر وهم يفكرون فى العودة إلى أوطانهم وبالفعل إنسحب عدد من الصليبيين وعادوا إلى بلادهم وتركوا الجيش الصليبى فى حالة يرثى لها ، وقد سبب إنسحابهم مزيدا من الأسى للصليبيين ، كما أنه من جهة أخرى عمل

---

(١) Cliver of Padenborn, op. cit, pp, 42 - 3

(٢) Eracles op. cit. p. 341.

(٣) Roger of Wendover, op. cit. 11. p.459 Eracles, Ibid.

(٤) Hist. patr, Alex. pp. 252 - 3

على تحسن الموقف العسكرى بالنسبة للمسلمين (١) ، أما الذين بقوا فى المعسكر فقد تذرعوا برباط الجأش بقدر ما استطاعوا (٢) . وعلى أية حال فان السبب الرئيسي فى هزيمة الصليبيين فى هذه المعركه بالذات كان إزدواج القيادة الصليبية والصراع بين الملك الصليبى والمندوب البابوى ، هذا بالاضافة إلى تخاذل الفرسان الصليبيين خاصة الفرسان القبارصة ، وشدة حرارة الجو التى زادها الصليبيون باحتساء الخمر دون خلطة بالماء فضلا عن قتال الصليبيين في أرض يجهلونها (٣) . ولكن جاك دى فترى يرجع أسباب الهزيمة إلى غضب الله على الصليبيين، وأنه أى الله أراد أن يذل كبرياء وغرور الصليبيين بهذه المحنة التى أنزلها بهم (٤) .

وفى اليوم الثالث بعد هذه المعركة التاسع عشر من جمادى الثانى (أول سبتمبر) جدد الملك الكامل عرضه بالصلح على الصليبيين وهو الخاص بالجلاء عن مصر . وإن كان الكامل قد تقدم بهذا العرض من قبل وهو مركز الضعيف بعد مؤامرة إبن المشطوب وعبور القوات الصليبية إلى الضفة الشرقية، فانه يتقدم بعرضه الان وهو في مركز القوة بعد هذا الانتصار الأخير ، فأرسل الكامل نفس الرسولين اللذين سبق أن أرسلها من قبل لعرض صلح فبراير ١٢١٩ م ، كما أرسل معها إثنين من كبار أسرى الصليبيين فى الموقعة

---

(١) Roger op Wendover, op. eit., II, p. 420

(٢) Eracles, Ibid

(٣) Oliver of Padenborn, op. cif., p. 42.

(٤) Vitry op. cit., p. 103.

السابقة وهما أندرو أف نانتيول Andrew of Nanteuil وجان دارسيس (١) وكان الكامل يعتقد أن الهزيمه الأخيرة التى لحقت بالصليبيين سوف تجعلهم يغيرون من موقفهم المتشدد ويصبحوا أكثر ليونه من موقفهم فى فبراير (٢) . وقد أبلغ الرسولان الملك الصليبى والمندوب البابوى بأن الله قد أكرم الملك الكامل وعساكره بالنصر ، ورغم ذلك فانه لا يتفاخر ولا يتباهى لأن العظمه لا تؤدى الى الخير . وأنه يعرض عليكما الصلح بالشروط التى سبق أن عرضها فى فبراير الماضى (٣) .

ويبدو أن الغرور قد ملأ عقول الصليبيين واعتبروا أن الهزيمة أو النصر من سنة الحروب . وكانوا يرون أنهم إذا رفضوا عرض الملك الكامل وهو عودة ما كان بايديهم سلما فان فى استطاعتهم الإستيلاء على هذه الأراضى عسكريا . وطلبوا من الرسولين العودة من حيث أتيا . ولكن الرسولين نصحا الملك والمندوب البابوى بقبول العرض الكاملى والا يغترا بأنفسهما وأشارا بأن الملك سيكرر عرضه مرة أخرى إذا رفض هذة المرة أيضا .

وفعلا عاود الملك الكامل عرض الصلح للمرة الثالثة. وفي هذه المرة قدم للصليبيين كل الأراضى التى فتحها صلاح الدين عدا الكرك والشوبك . ووافق أن يقدم مقابل هاتين القلعتين خمسة عشر الف دينار وأبدا إستعداده لدفع تكاليف إعادة تحصين مدينه بيت المقدس وباقى القلاع التى خربها أخوه المعظم بالشام، وأن يترك إحتساب تكاليف إعادة التحصين إلى لجنة رباعية تتألف من إثنين

---

١ — Eracles, op. cit, p. 341

وقد أورد أوليفر عباره موجزة عن عرض الكامل للصلح . أنظر :

Oliver of Padenborn, op. cit., p. 45.

٢ — Grousset, op. cit, III p. 226

٣ — Eracles, Ibid.

من المسلمين وإثنين من الصليبيين وإقترح أن تعقد هدنة مدتها ثلاثون سنة وذلك مقابل الجلاء عن دمياط. وضمانا لتنفيذ ذلك تعهد الملك الكامل بتقديم عشرين رهينة من أقاربه ليحتفظ بها الصليبيون مدة سنتين يتم خلالها تحصين القلاع التي خربت (١). وتضيف بعض الوثائق الصليبية المعاصرة أنه عرض عليهم أيضا صليب الصلبوت الذي استعاده صلاح الدين عقب استرداد مدينة بيت المقدس مع إعادة كل الأسرى الفرنج الذين كانوا لايزالون على قيد الحياة في مصر والشام (٢). وجدير بالذكر أن المصادر الإسلامية لم تشر بكلمة واحدة إلي هذا العرض الذي تقدم به الكامل إلى الفرنج، وأن معلوماتنا عنه مستقاه من الأصول الغربية ولانجد تفسيرا معقولا لذلك.

ولا شك أن الملك الكامل كان متساهلا إلى أبعد حد عندما قدم هذا العرض إلى الصليبيين. وعلى أية حال، فانه على ضوء ماتجدد في العرض الكامل السخي عقد الزعماء الصليبيون مجلسا للتشاور دار فيه نقاش طويل حول هذا العرض. ولم يختلف موقف الفرنج منه عن موقف عرض فبراير. فقد وافق عليه الملك الصليبي وبارونات بيت المقدس وإنضم اليهم الفرنسيون والفرسان التيوتون وبعض كبار رجال الدين، ولم يوافق عليه كعادته المندوب البابوي بلاجيوس (٣)، وسانده فراسان الداويه والاسبتارية اللذين كانوا يملكون قلعتي الكرك والشوبك من قبل، واعتبروا أن الانسحاب من أمام دمياط يعتبر عارا على كل فارس، فضلا عن عدم ثقتهم في المسلمين. وكانوا يرون أن

(١) Hist. Patr. Alex. p. 253. cf, also. Eracles, op. cit. PP. 341-3.

(٢) Vitry, op. cit., p. 125, L.F. Grasade. Lettre to The Pope Honorus III, dated 11th nov., 1219, p. 47.cf. also:

(٣) Pabri, op. cit., Vol. 2. Parl I, p. 357.

الطريق الوحيد لإعادة ممتلكاتهم السابقــة فى كل أنحاء الشام هو طريق القــوة وأنه بالصبر سوف تسقط دمياط وسوف تسقط مصر كلها بل وكل الأراضى المقدسة (١) . كما انضم إلي جانب الرافضين معظم الإيطاليين ، وانتهى الأمر بتغلب الرأى المطالب بالرفض على الرأى المنادى بالقبول (٢) ، ويرجع رفض الصليبيين لهذا العرض إلى نفس الأسباب السابقة المتعلقة بعرض فبراير بالإضافة إلى إحساسهم بما تقاسيــه مدينة دمياط من وطأة الحصار وتوقعهم وصــول إمدادات صليبيــة من الغرب (٣) ، والأمبراطــور فريدريك الثانى فى القريب العــاجل .

وأننا لانجد تبريراً معقولا لرفض الصليبيين للعرض المغرى الذى تقدم به الملك الكامل ، كما لانجد تفسيراً منطقيا لهذه التنازلات السخية التى تقــدم بهــا الكامل إلى الفرنج ، اللهم إلا إذا كانت تلك خدعة سياسية يستهدف من ورائها إتاحة الفرصة للمعسكر الإسلامى لتجميع قواته واستعادة قواه توطئة لتوجيه الضربة القاصمة إلى العدو .

وعلى أية حال ، فقد شاهــد معركة الثامن والعشرين من أغسطس (١٥ جمــادى الثانى ٦١٦ هـ) ، فى أسى بالــغ القـــديس فرانسيس الأسيسى (٤) Francis of Assisi . وربما يكون قد لحق بالمعسكر الصليبى قبل هذه المعركة

---

١ — Campbell, op. cit.' p. 386

٢ — Eracles, Ibid .

٣ — Setton, op. cit., II, p. 415. Cf, also: Duggan; op.cit, p. 216.

٤ — Runciman, op. cit., III, p. 159.

بقايل (١) . ولابد أن يكون قد علم بعرض الكامل السابق والحالى ويحتمل أن يكـــون قد إشترك في مناقشة العرض الأخير. وقد لاحظ انقسام الزعامة الصليبية حول عرض المسلمين للصلح . وكان هو شخصيا من أنصار قبول الصلح حقنا للدماء ، ولكن نصائحه لم تلق قبولا أمام تعنت المندوب البابوى ومؤيديه (٢) .

لذلك رأى القديس فرنسيس أن يقوم بعمل فردى من جانبه لتحقيق حلم الصليبيين بوسيلة أخرى وهى محاولة إدخال الكامل وهو الملك المسلم فى المذهب الكاثوليكي . فاستأذن من بلاجيوس للذهاب إلى الملك الكامل في معسكره ولكن بلاجيوس رفض فى أول الأمر ثم عاد ووافق على طلبه وسمح له وأحد رفاقه يدعى اليوميناتو Ulluminato بالذهاب إلى الملك الكامل (٣) . وأرسلها إلى أطراف معسكر المسلمين في فارسكور تحت علم الهدنة (٤) . فقابله الحراس المسلمون ولم يفهموا من كلامه غير كلمة « صلدان » ، أى أنه يريد السلطان أى الملك الكامل ، فاصطحبوه ورفيقه إليه . وأخيرا وجد نفسه أمام الملك

= وفرانسيس الأسيسى هو جيوفانى فرانسسكو برناردو Giovanni Francesco Bernardo ، ولد فى أسيس بايطاليا عام ١١٨١ أو ١١٨٢ م ومات عام ١٢٢٦م ، وهو مؤسس جماعة الاخوان الفرنشسكان . عن ذلك أنظر :

Ency. Brit., Vol' 9, pp. 780 - 1

١ — Setton, op. cit., II, p. 415.

٢ — محمد مصطفى زيادة : المرجع السابق ص ٥٠ — ٥١ .

٣ — Ency' Brit, Vol, 9, p. 781; cf. alss: Setton, op. cit., II, p. 415, Chesteron, G. K., Saint Francois, pp. 174 - 5.

٤ — Runciman, op. cit., III pp. 159 - 160.

الكامل تحيط به حاشية من قادته وتراجمته ، وربما يكون أولئك التراجمة ممن اشتراهم الكامل من أفراد حملتى الصبيان .وعلى أية حال،فقد استأذن القديس فرانسيس فى الحديث فسمح له بالكلام . وبدأ القديس بوعظ الملك الكامل واصفا له الديانة المسيحية ودعاه للدخول فيها . وقد استمع له الملك فى دماثة المتمكن من عقديته المحترم لعقيدة غيره (١) .

ولم يجادل الكامل القديس فرانسيس ، ولم يسمح لأحد من علمائه بمناقشته ، بل استمع اليه فقط فى صبر وأناه ، وبالغ فى إكرامه . ولم يسع القديس إلا الامعان فى إطراء الكامل وأوصاه بحسن معاملة الأسرى الصليبيين وأخيرا عاد إلى المعسكر الصليبى ليخبرهم بما حدث ويكرر عليهم مزايا عرض المسلمين بالجلاء عن دمياط ولكنه وجد النية معقودة على مواصلة الحرب وهو عكس ماأراد أن يسهم به فى خدمة المسيحية الغربية . وأخيرا إقتنع بأن لافائدة ترجى من بقائه بمصر ، فاتجه إلى الشام باذن من الملك الكامل (٢) .

١ـ محمد مصطفى زيادة : المرجع السابق ص ٥٠ ـ ٥١ ، ويلاحظ أن فكرة ادخال المسلمين في الديانة المسيحية كانت من أفكار أوليفر . ولكنه لم يجرؤ على القيام بما قام به فرانسيس ، واكتفى أوليفر بالكتابة الى الملك الكامل عن هذه الفكرة . أنظر ، Conder, ep. cit., p 310. كما نفذها جاك دى فترى بدليل أنه قام بتعميد كل الاطفال الذين وقعوا أسرى فى أيدى الصليبيين أيام حصار الحملة الصليبية لحصن الطور أنظر ما سبق ص ، وبعد سقوط مدينة دمياط . أنظر فى ذلك : Vitry, op. cit., p. 310 . وبدأت هذه الفكرة تنتشر منذ حوالى ذلك الوقت وارتبطت بالفكرة الصليبية ارتباطا وثيقا .

٢ ـ محمد مصطفى زيادة ؛ المرجع السابق ص ٥١ .

ويذكر تاريخ هرقل أن عودة القديس فرانسيس ترجع إلى عدم رضائه عن الخطايا وأعمال السوء التي إنتشرت في صفوف الجيش الصليبي (١) . والمهم أن القديس فرانسيس فشل في إقناع الملك الكامل باعتناق المسيحية على المذهب الكاثوليكي الغربي ، كما فشل أيضا في إقناع القادة الصليبيين بقبول عرض الصلح الاسلامي .

وعلى أية حال فانه لم يكن من الحكمة أن يرفض الصليبيون مثل هذا العرض السخي مرة بعد أخرى ، لأن هذا العرض يعيد اليهم مملكة بيت المقدس سلما وبدون إراقة للدماء ، وهو الهدف الذي سيروا اليه الحملة الصليبية الثالثة ومات من أجله مئات الصليبيين . فضلا عن الأموال الطائلة التي أنفقت في سبيل تحقيق هذه الغاية التي لم تتم . كما أنهم قضوا بمصر مايزيد عن سبعة عشر شهرا من أجل الاستيلاء على دمياط ولم تسقط المدينة في قبضتهم ، وصمدت طوال هذه المدة . وربما يطول الحصار أكثر من ذلك وهو ماحدث بالفعل في الوقت الذي يتناقص فيه عدد الصليبيين يوما بعد يوم . وحتى لو استولوا على دمياط فان استبدالها ببيت المقدس أفضل بكثير من الاحتفاظ بها بالنسبة للصليبيين بعامة وللحركة الصليبية بخاصه ، فضلا عن حقن الدماء ، ولذلك فان الملك جان دي برين كان على حق في المناداة بقبول العرض الاسلامي . والوقع أن رفض هذا العرض مرجعه أن هدف الحملة الصليبية الخامسة كان إخضاع مصر كلها وليس دمياط فقط ، فتخضع بالتالي الأراضي المقدسة كلها للصليبيين . أما سيطرتهم على الأراضي المقدسة دون مصر ، فانه سيجعل من الممكن إستعادة

١ — Eracles, op. cit., p. 348.

الشام مرة أخرى مثلما حدث فى عهد صلاح الدين . ومن هنا نجد أن المندوب البابوى كان يرى استمرار أعمال الحملة العسكرية فى مصر لاخضاعها بأكملها وليس دمياط فقط، فيكتسب من الشهرة ما فشل فى الحصول عليه الملك ريتشارد قلب الاسد والملك فيليب أوغسطس وغيرهما من ملوك الغرب وأباطرته (١) .

وكيفما كان الامر ، فقد كانت فترة مناقشة عرض السلام فرصة لكلا الطرفين الاسلامى والصليبى ليقوم كل منها باعادة تنظيم قواته وتحصين مواقعه ، كما وجدها بعض الصليبيين فرصة للعودة إلى أوطانهم (٢)، فقد رحل البعض فى أوائل سبتمبر سنة ١٢١٩ م (منتصف جمادى الثانى سنة ٦١٦ هـ) كما رحل البعض فى الرابع عشر من نفس الشهر (٣ رجب ٦١٦ هـ) . وقد حملت الدفعة الأخيرة حوالى اثنتا عشرة سفينة من سفن البضائع محملة بأكثر من حمولتها (٣) . وهذا يدل على ضخامة الأعداد التى غادرت المعسكر فى هذا الوقت ، والحالة المعنوية التى سيطرت على القوات الصليبية فى هذه الفترة كما يدل على فتور الروح الصليبية لدى الفرنج (٤) . كما زادت فى هذه الفترة أيضا حدة الخلاف بين الملك الصليبى والمندوب البابوى ، خاصة وأن الاخير كان يرى أن من حقه التصرف فى كافة الامور التى تتعلق بالحملة متجاهلا بذلك

---

١ — Michaud, op. cit., II, p. 247.

٢ — OLiver of Padenborn, op. cit , p. 43-4

٣ — Runciman, op. cit , III, p. 160 .

٤ — OLiver of Padenborn, op. cit., p. 44.

سلطة الملك الذى يعتبر القائد العسكري الاعلى للقوات الصليبية (١) . وقد بلغت ذروة الخلاف بينها فى موقفها من عرض المسلمين بالصلح عندماوقف كل منها موقفا مضادا من الآخر . وكان لهذا الشقاق أبلغ الاثر على فشل الحملة الصليبية بأكملها (٢) .

يضاف إلى كل ماتقدم أنه كان من أسباب رفض الصلح مع المسلمين هو توقع الصليبيين وصول بعض الامدادات العسكرية اليهم عند دمياط وقد صح ماتوقعه بعض القادة الصليبيين، إذ وصلت بعض القوات الفرنسية والانجليزية (٣)، وكانت محملة على مايقرب من عشرة سفن جنيوية (٤) . إتخذت خط سيرها إلى مصر عن طريق جبل طارق (٥)،ومما لاشك فيه أن هذه القوات قد عوضت النقص الذى نتج عن عودة بعض الصليبيين إلى أوربا بعد معركة أغسطس . كما كانت من العوامل التي ساعدت على رفع الروح المعنوية للقوات الصليبية وتشجيعها على مواصلة وتشديد الحصار حول دمياط (٦) .

---

١ — Eracles, op. cit., pp. 343 - 4.

٢ — King, op. cit., p. 192.

٣ — Eracles, op. cit., p. 343.

٤ — Runciman, op, cit., III, p. 161. Cf. also: Duggan, op. cit., p. 216.

٥ — Eracles. Ibid

٦ — Roger of Wendover, op. cit., II, p. 420.

وعلى عادة الملك الكامل في الهجوم على الصليبيين عقب وصول أية إمدادات اليهم ، فقد قام بالإغارة على المعسكر الصليبي من البر والبحر (١) . ولكن القادمين الجدد تمكنوا من الدفاع على المعسكر بنجاح (٢) . ويذكر أوليفر أن هذه الغارة استمرت في الفترة الواقعة من السادس والعشرين الى الثامن والعشرين من سبتمبر ١٢١٩ م (١٥ – ١٧ رجب ٦١٦ هـ) (٣) .

ويبدو أن الملك الكامل قد أحس بالنشاط الذى ساد القوات الصليبية بعد قدوم الإمدادات الأخيرة ، وبعد ما سبر أغوارها بالغارة السابقة . ويحتمل أن يكون قد أحس أيضاً بوطأة الحصار على المدينة . ولعله قد مل من طول الحرب ، فضلا عن عدم وصول الامدادات الكافية اليه من الشرق وذلك لوفاة أخيه الفائز (٤)، المكلف باحضار النجدات من الشرق، هذا بالاضافة إلى إشتداد خطر المغول وقتذاك ، والصراع الذى نشب بين الأشرف والافضل على إمتلاك حلب وإنشغالها عنه بذلك (٥) . فلعل لهذه الأسباب كلها جدد الكامل عرض الصلح قبيل سقوط دمياط مباشرة (٦) . وكعادة الصليبيين فقد عقدوا المجالس للتشاور والتباحث في أمر هذا الصلح، ولم يختلف رأى الملك الصليبي

---

١ – Runciman op. cit. III, p. 161,

٢ – Roger of Wendover, op. cit., II, p. 420 .

٣ – Oliver of. Padenborn, op. cit., p, 44

٤ – ابو المحاسن : المصدر السابق ج ٦ ص ٢٣١ .

٥ – ابن واصل : المصدر السابق ج ٤ ص ٢٣ .

٦ – Hist. Patr. Alex. p. 382

عن المواقف السابقة ، ورفض العرض كعادته المندوب البابوى (١) ، وإدعى أن الملك الكامل إنما يعرض هذا الصلح كحيلة منه يقصد بها بذر بذور الشقاق بين صفوف القوات الصليبية الأمر الذى سيجز على الصليبيين أكبر المخاطر(٢)، ووقف بجانب بلاجيوس رادلف بطريق بيت المقدس الاسمي ورجال الدين والفرسان الداوية والايطاليون (٣)، وإنتهى الأمر كما إنتهى من قبل، برفض عرض الصلح للمرة الرابعة وبدأ الفرنج في إحكام الحصار حول مدينة دمياط .

وإشتد حصار الصليبيين للمدينة التى أصبحت محاصرة من كل جانب سواء من البر أو البحر . وضيقوا على أهلها ومنعوا الاقوات أن تصل اليهم . وفي الوقت نفسه كان الصليبيون متحصنين داخل معسكراتهم المحاطة بالخنادق والأسوار والستائر الخشبية المزودة بالرماة والجروخ . وقاست المدينة من الجوع والوباء بسبب طول هذا الحصار وبدأت حاميتها في الانهيار(٤). وكان من جراء شدة الحصار وعدم إمكان وصول المؤن الى المدينةأن غلت الأسعار بها حتى بلغ قيمة البيضة عدة دنانير ، كما بيعت البقرة بعد ذبحها بثمانمائة دينار(٥) ويروى آخر أن البقرة بيعت بضعف هذا المبلغ واشترط البائع أن يكون

---

١ — Roger of Wendover, op. cit., II. pp. 422-3.

٢ — Vity. op. cit , p. 152,

٣ — Oliver of Padenborn, op cit., p. 45 - 6

٤ — Oliver of padenborn. op, cit., p. 44,

٥ — المقريزى : المصدر السابق جـ ١ ق ١ ص ٢١٠ .

له إحشائها ورأسها التي تباع بمائة وأربعـــة عشر دينار (١) . كما بلغ رطل السكر مائة وأربعين دينارا والدجاجه بثلاثين دينـارا أو أكثر ، ولم يبق بداخل دمياط سوي القليل من القمح والشعير (٢) . ويضيف روجـر أف وندوفر أن ثمن التينة الواحدة بلغ اثنى عشر بيزنط (٣) .

وعلى الرغم من شدة الحصار على دمياط ، فان الكامل كان يراسل أهلها سراً عن طريق العوامين الذين كانوا يحملون رسائل الملك ويغطسون فى الماء ويطلعون من تحت أسوار دمياط ، وذلك لتشجيع أهل المدينه على الصمود ولمعرفة أحوال المدينة الداخلية ومدى مقاومتها . ولكن الصليبيين فطنوا إلى هذه الحيلة فقاموا بوضع الشباك والخطاطيف بعرض النيل من دمياط إلى البر الغربي . وبذلك تمكنوا من سد هذه الثغره وأصبح في وسعـهم إصطياد هؤلاء العوامين وقتلهم . وتعذر بعد ذلك الإتصال بالمدينة (٤) . ورغـم ذلك فقد صبر أهل دمياط صبر الكـرام ، وكان من أشهر من قام بعملية الغطس

---

١ ــ النويرى : المصدر السابق جـ ٢٧ لوحة ٢٦ .

٢ ــ المقريزى : المصدر السابق جـ ١ ق ١ نفس الصفحة .

٣ ــ Roger of Wendover, op, cit, II, p. 421

والبيزنطه Bezant هو فى الاصل عملة ذهبية بيزنطيسة ، وقد سمى هكذا نسبة الى بيزنطة (أى القسطنطينيية عاصمة الامبراطورية الرومانية الشرقيـة) . وكانت هذه العملة متداولة بكثرة في أوربا خلال العصور الوسطـى حتى القرن الثالث عشر الميلادي تقريبا . ومتوسط قيمتها حوالى تسعة شلنات انجليزية . أنظر: جوزيف نسيم يوسف، العدوان الصليبى على مصر ص ٢١٦ وحاشية (٣) .

٤ ــ النويرى : المصدر السابق جـ ٢٧ لوحه ٢٦ .

تحت الماء فى المحنة هو شمايل (١) ، وهي أحد الجاندارية (٢) ، ويرجع أصله إلى إحدى قرى مدينة حماه ، وكان يخدم في ركاب الملك الكامل . وكان شمايل هذا يخاطر بنفسه ويسبح فى النيل رغم امتلاء النهر بمراكب الصليبيين ، فيدخل إلى مدينة دمياط ، ويأتي إلى الملك الكامل بأخبارها . وكان وصوله إلى أهل دمياط من قبل الملك عاملا مشجعا لهم على الصمود أمام الصليبيين وكان يعدهم بوصول النجدات والمؤن اليهم ويهدىء خاطرهم ، فنال بذلك خطوة عند الكامل الذى قربه اليه وعينه بعدذلك واليا على القاهرة، واليه تنسب خزانة شمايل (٣) . والمهم أن شمايل كان يقوم بهذه الأعمال في أشد حالات حصار المدينة . ولعل أبلغ وصف يصور شدة هذا الحصار ما قاله إبن أيبك بأن الطير « لا يطيق العبور بها لاحتياط الصليبيين » (٤) . كما تتضح شدة الحصار أيضا من الابيات الشعرية التى رماها الامير جمال الدين الكنانى من دمياط في رأس سهم إلى الملك الكامل كان مطلعها :

١ — شمايل : هو الأمير علم الدين شمايل واليه تنسب خزانة شمايل أشهر سجون مصر فى العصر المملوكى . وكانت مأوى لمن وجب عليه القتل من اللصوص وقطاع الطرق وأصحاب الجرائم الكبيرة ومن أراد السلطان اهلاكه . أنظر : ابن واصل : المصدر السابق ج ٤ ص ١٩ ، راجع ايضا : المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٥٠ .

٢ — الجاندارية ، فئة من مماليك السلطان أو الامير وهي كلمة مركبة من لفظين فارسيين أحدهما « جان » ومعناها سلاح والثانى « دار » ومعناها ممسك وهى وظيفة يتولي شاغلها باستئذان السلطان قبل دخول الامراء عليه ويدخل أمامهم الى الديوان . أنظر : القلقشندي : المصدر السابق ج ٥ ص ٤٥٩ .

٣ — خزانة شمايل، وقد سجن فيها الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمورى (٨١٦ — ٨٢٣ هـ) فى عهد الناصر فرج بن برقوق (٨٠١ — ٨١٥ هـ) وقاس فيه شدائد عظيمة ونذر في نفسة ان خلص من هذه الشدة وعين سلطانا أن يهدم هذا السجن ويبنى مكانه جامعا ، فكان له ماتمنى . عن ذلك أنظر : ابن اياس : المصدر السابق ج ٢ ص ٧٠٦ .

٥ — ابن ايبك : المصدر السابق ج ٧ ورقة ١٨٤ .

ياما لكي ! دمياط ثغر هــــدمت شرفاته كادت تجث أصوله

ثم أضاف :

أشكو اليك عدو سوء أحدقت بجميعه فرسانه وخيــوله

فالبر قد منعت اليـــه طريقـــه والبحر عز لنصره أسطوله (١)

لم يستسلم المسلمون لليأس ، بل لجأوا إلى كل الحيل لوصول المـؤن إلى مدينة دمياط (٢) . ورغم كافة الاحتياطات التى اتخذها الصليبيون ، فكان الملك الكامل يدفع برجاله ليلا فى فرع دمياط وهم يحملون المؤن المحفوظه داخل الجلود والمشمعات ، وفطن الصليبيون أيضا لهذه الحليلة فقاموا بوضع الحبال المزودة بالاجراس بعرض النهر ، وعندما كانت تدق الأجراس يتجهوا اليهـا ويقتلوا من بجانبها أو يأسروه (٣)

ورغم كل ذلك لم ييأس المسلمون من توصيل المؤن الى المدينه، فقد أحضروا الجمال والخيول الميته وأفرغوا بطونها ووضعوا بداخلهـا الأغذية والفاكهة والبقول وغير ذلك ، ولفوها بعناية ورموها فى النهر مع بعض الجيف الأخرى للتمويه على الصليبيين وكان أهل رمياط يعرفون ذلك فيجذبون هذه الاشياء بالخطاطيف والسنانير بعد ما يدفعها التيار فتصل إلى ما تحت الاسوار الغربية للمدينة . وفطن الصليبيون أيضا إلى هذه الحيلة فعملوا على منعها (٤) .

---

١ ـ المقريزى : السلوك جـ ١ ق ١ ص ١٩٨ ـ ٢٠٠ . انظر أيضا : باقى القصيدة فى نفس المصدر ونفس الموضع .

٢ ـ Vitry, op. cit, p. 125.

٣ ـ Eracles pp. cit., p. 344.

٤ ـ المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣٥١ .

وهكذا تعذر الوصول إلى دمياط أو توصيل الأقوات اليها ، وأصبحت معزوله عزلا تاما لدرجة أن المسلمين والصليبيين كانوا لا يعرفون ما يدور بداخلها (١) . ولم يجد الكامل بداً من المخاطرة بفرقة من رجاله قوامها خمسمائة من العساكر على رأسها إبن الجرخى ، وقامت هذه الفرقة بالهجوم على الخنادق الصليبية . ولكن الصليبيين تمكنوا من صد هذه الغاره التى قتل فيها إبن الجرخى ومن كان معه . وقام الصليبيون بصف رؤوس القتلى على خنادقهم (٢) ، إبتاجها بهذا النصر .

وعاودت القوات الإسلامية فى الثالث والعشرين من شعبان ٦١٥ هـ (٣ نوفمبر ١٢١٩ م) التسلل مرة أخرى عبر الخطوط الصليبية بعد ما أعد الكامل فرقة لهذا الغرض بلغ عددها حوالى ثلاثمائة من العساكر . وأعدت هذه الفرقة نفسها للتسلل إلى المدينه على ثلاث دفعات ، ولكن القوات الصليبية إكتشفت أمر هذه القوات المتسللة وهى تتخذ طريقها داخل المعسكر الصليبى تجاه أحد أحد أبواب المدينه ـ ويبدوا أنه أحد الأبواب الشرقية ـ فاعطى من إكتشف أمرهم إنذاراً بالخطر . وتمكن الاسبتاريه والداوية من القضاء على هذه المحاولة (٣) ، وقد قتل وأسر فيها حوالى مائة وخمسون من المسلمين (٤) .

---

١ ـ Oliver of Padenborn, op. cit, p. 45.

٢ ـ ابن الجوزى : المصدر السابق جـ ٨ ق ٢ ص ٦٣٠ ، أبو شامة : المصدر السابق ص ١١٦ . ومن محاولات التسلل هذه أنظر أيضا :

Hist. Patr. Alex., p. 256; cf. also : Vitry, op. cit., pp 131-2.

٣ ـ Eracles, op cit., 345.

٤ ـ L. F. Crusade, Letter to The pope Honorus, III, dated 11th. nov. 1219, p 44

وتمكن ثلاثة وخمسون منهم من الوصول إلى المدينة حاملين معهم الخبز وأنواعا أخرى من المؤن (١). وقد عوقبت كونت نفر Never على هذا الاهمال وعدم قيامه بواجبه في تشديد الحراسه على القطاع الخاص به. وقد خلقت هذه الحادثة نوعا من الترابط بين الصليبيين وبدأوا في توحيـد صفوفهم وتناسوا خلافاتهم الشخصية وأخذوا يعدون العدة لهجمة نهائية على المدينة (٢).

وبعد هذه المحاولات المتعددة من قبل المسلمين للوصول إلى المدينـة سواء عن طريق البر أو البحر، وبعد ما أسر للمسلمين فيها ما يقرب من أربعمائة (٣) هذا بالاضافة الى القتلى، وجد المسلمون أنه من الصعوبة بمكان الاتصال بالمدينة، هذا فى الوقت الذى صدرت فيه الأوامر المشددة داخـــل المعسكر الصليبي بأحكام الحراسة. وفرضت الجزاءات الرادعة على كل شخص يهمل فى الواجب المكلف به في الدفاع عن المعسكر. وتقرر أن يعاقب بالاعـــدام حراس الخنادق الذين يتركون مواقعهم، كما تقرر أيضا العقـاب بالسحل للفرسان الذين لا يقومون بالواجبات المكلفين بهـا. أما الطوائف الأخرى فكانت عقوبة رجالها قطع الأيدى ومصادرة أموالهم. كذلك تقرر توقيـع

= ويروى خطاب آخـــر مؤرخ فى ١٠ نوفمبر ١٢١٩ م أن الكامل أرسل مائتين وستون مقاتلا لمحاولة دخول المدينة قتل الصليبيون منهم مائتين أنظر :

Rohricht, Fuuften Kreuzzuges, p. 42.

ويروى اوليفر أن القوة الاسلامية التى الاسلامية التى قامت بهذا الهجوم كانت مكونة من مائتين واربعين قتل وأسر منهم حوالى مائتين انظر: Oliver of Padenborn op. cit.,46.

١ — Eracles, Ibid

٢ — Setton. op. cit.; II, pp. 417-8,

٣ — Vitry, op. cit., pp. 131-2,

الجزاء على المهملين الذى لا يقومون بحراسة خيامهم على الوجه الأكمل لا فرق فى ذلك بين كافه الرتب . هذا فضلا عن التهديد بتطبيق قرار الحرمان الذى سيلحق بكل مذنب . وقد وزعت هذه الأوامر على الجنود الصليبيين تمهيدا لهجمة كبرى على المدينة (١) ، بعد أن أحكم الحصار حولها تماما من جميع الجهات (٢) ، وحيل بينها وبين القوات الاسلامية المرابطة فى فارسكو .

واستعددت القوات الصليبيه للاستيلاء على مدينة دمياط . واختلفت الروايات الأجنبيـة والعربية حول تفاصيل الحوادث المتعلقة بسقوط المدينة . فيروى جاك دى فترى أن المندوب البابوى لم يحتمل بقاء القوات الصليبيه على هذا الحال من الحصار ، فجمع بعض رجال حاشيته الذين يثق فيهم تماما حتى لاتتسرب خطة الهجوم على دميـاط إلى المسلمين ، وكان بعضهم من رجال الدين والبعض الآخر من الفرسان . واستعد المندوب البابوى بهذه القله واتجه الى خندق المدينة فى منتصف ليلة الخامس من نوفمبر ١٢١٩م (٢٥ شعبان ٦١٦ هـ) ، وكانت ليلة حالكة الظلام . وكان عند النقطـة التى وصل اليها بلاجيوس ورجاله قنطرة تصل إلى أحد أبواب دميـاط عبر الخندق ، وكان المسلمون قد دمروها من قبل حتى لايستخدمها الصليبيون للوصول الى المدينة. فأمر بلاجيوس باصلاح هذه القنطرة وبسرعة قام رجالة بوضع السـلالم والكتل الخشبيه لتقوم مقام القنطرة، وعلى هذا النحو اجتاز الصليبيون الخندق ووصلوا إلى باب السور الأول فأشعلوا فيه النيران وأحرقوه ثم ساروا وسط

١ — Setton, op. cit., II. pp. 417-8.

٢ — Matthew fo Westminster. op. cit., II p. 136.

هذه النيران حتى وصلوا إلى باب السور الثانى فاحرقوه أيضا ووصلوا إلى السور الثالث حيث وضعوا عليه السلالم واعتلوه ، وعند ذلك أصيب المسلمون الذين بداخل المدينة بالذهول والخوف ولم يستطيعوا المقاومة (١).

ويروى أوليفر أن دمياط سقطت فى الخامس من نوفمبر عام ١٢١٩ م وذلك بفضل مهارة ويقظة المندوب البابوى بلاجيوس ، وأضاف أن المدينه سقطت دون خيانة أو مقاومة أو ضوضاء ، وأن قليل من السلالم قد إستخدم في هذه العملية وأن سقوط المدينة كان على مرأى من الملك الكامل الذى لم يتمكن من إجتياز صفوف الصليبيين لحصانتها (٢) .

ويذكر تاريخ هرقل أن المدينة أصابها الوهن والمرض ولم يبق من أهلها إلا القليل من الرجال للقيام بعملية المراقبة والحراسة على الأسوار ، وقد أصبح ذلك واضحا للصيبيين ،فاستطاعت إحدى سفن فرسان الاسبتارية المزودة بالقذائف أن تحدث ثغره في برج المدينة الكبير يستطيع أن يمر منها رجل واحد . وفي ليله الخامس من نوفمبر (٢٥ شعبان) وكانت ليله حالكة الظلام ، أخذ أربعة من الصليبيين سلما طويلا كانوا قد صنعوه فى الخفاء وساروا به نحو البرج وأسندوه بالقرب من الفتحة التى أحدثتها قذائف فرسان الاسبتاريه وصعدوا عليه ودخلوا البرج فلم يجدوا به أحدا ، فعادوا وأخبروا الملك جان دى برين بذلك وقام الملك بدوره بابلاغ المندوب البابوى وكبار القادة الصليبيين بما حدث وبأنه فى الإمكان الاستيلاء على المدينة في أي وقت

---

١ — Vitry, op. cit., pp. 152-6.

٢ — Oliver of Padenborn, op. cit., pp , 47-8

يريدون . ولذلك أعد الجميع أسلحتهم فى الفجر وأرسل الملك عددا من رجالة فاحتلوا البرج . ولما أصبح الصباح رفع الرجال الذين إحتلوا البرج رأيه الملك جان دى برين وصاخوا قائلين « العون من الله للقبر المقدس Dex aye Saint Sepucre » فتعالت الصيحات داخل المعسكر الصليبى ، واندفع عدد كبير من القوات الصليبيه نحو السلم ومنه إلى البرج ثم إلى شوارع المدينة وفتحوا الأبواب فدخل المدينة كل من أراد الدخول من الصليبيين . وقد التجأ من إستطاع من أهل المدينة إلى قلعتها وظلوا بها ، ولكنهم استسلموا فى ظهر نفس اليوم . وهكذا تم الاستيلاء على دمياط يوم خميس من يناير سنة ١٢١٩م (شوال ـ ذو القعدة ٦١٥ هـ) (١).

وقد ورد فى أحد الخطابات التى أرسلت من مندوب القاصد الرسولى بلاجيوس إلى البابا هونوريوس الثالث فى العاشر من نوفمبر (١ رمضان ٦١٦هـ) أن المندوب البابوى قد دبر أمر الاستيلاء على دمياط بعنايه وحذر وساعده فى ذلك بعض المقربين اليه وبعض أعوانه ، وأشار بأن سقوط المدينة تم فى الخامس من نوفمبر ١٢١٩م (٢٥ شعبان ٦١٦هـ) (٢). كما ورد فى خطاب آخر مؤرخ فى الحادى عشر من نوفمبر سنة ١٢١٩م مرسل من الملك جان دى برين والمندوب البابوى بلاجيوس وجاك دى فترى وبعض القادة ورجال الدين الآخرين الى البابا هونوريوس الثالث أن المندوب البابوى أمر بوضع السلام

١ — Eracles, op. cit., pp. 345-6. Cf. also, Fabri, op. cit., vol 2, part I, pp. 858-9.

٢ — L. F. Cruesade, Letter to The Pope Honorus III, dated 10 th. nov. 1219, p. 41.

أسفل الأسوار نحو الغرب والشرق . وعن طريق هذه السلالم دخل الصليبيون المدينة . ولجأ الأمراء وكبار رجال المسلمين إلى برج حصين وظلوا حتى الظهر رافضين الاستسلام على أمل أن يهاجم المسلمون المعسكر الصليبي ويستعيدوا المدينة (١) . وتتفق هذه الروايه مع روايتي أوليفر وجاك دى فترى فيما يتعلق بأن بلاجيوس كان له أكبر الأثر فى الاستيلاء على المدينة ، وفى تاريخ سقوط المدينة . كما تتفق مع رواية هرقل فيما يختص بالتجاء بعض المسلمين إلى برج المدينة .

كذلك ورد ذكر سقوط المدينة فى خطاب آخر مؤرخ فى الثانى عشر من نوفمبر (٣ رمضان) ولكن ماورد فيه كان مقتضبا للغايه، اذا اكتفى بالاشاره الى أنه بفضل العنايه الالهيه هوجمت المدينة وتم الاستيلاء عليها (٢) . ويستفاد من هذه الروايه بأن سقوط دمياط كان قبل كتابة هذا الخطاب .

ويذكر روجرأف وندوفر أن القوات الصليبية قامت بهجوم عنيف على مدينة دمياط فى الوقت الذى كانت فيه الأسوارخالية تماما من المدافعين ،وعندذلك أسرع الصليبيون باعتلائها ودخلوا المدينة فى الخامس من نوفمبر (٢٥ شعبان) وإستولوا عليها دون مقاومة وذلك بفضل العنـاية الالهيه ، وقد تم ذلك على مرأى من الملك الكامل (٣).

---

١ ـ L. F. Grusade , Lettre to The Pope Honorus III, dated 10 th nov 1219, p. 45.

٢ ـ L. F. Crusade; Letter to The Pope Honorus III, dated 1 th nov. 1219, p. 74.

٣ ـ Roger of Wendover, op. cit., II, p. 423.

هذا ما رددته المصادر الغربية حول سقوط المدينة ، أما المصادر العربية فيروى بعضها أن الأقوات تعذرت على أهل دمياط وسئموا مواصله القتال ، لأن الصليبيين كانوا يتناوبون القتال على المدينة لكثرهم العدديه وليس بدمياط من الكثرة ما يجعلهم يتناوبون القتال كالصليبيين . ومع هذا صبروا صبرا لم يسمع بمثله ، وكثر فيهم القتل والجراح وداهمهم الموت وأصابتهم الأمراض . ودام الحصار حتى السابع والعشرين من شعبان عام ٦١٦هـ (٧ نوفمبر ١٢١٩م) فعجز من بقي من أهلها عن حفظ المدينة لقلتهم وتعـــذر الاقوات عندهم فسلموا دمياط في هذا التاريخ بالأمان (١) . ويضيف إبن أيبك أن الملك الكامل عجز عن نصره أهل دمياط فراسلوه « فتمادى عليهم بالجواب فراسلوا الفرنجة » لتسليم المدينة (٢) .

بينما ذكر فريق آخر من المؤرخين العرب أن الصليبين ظلوا يضايقـــون ويقاتلون أهلها بجميع آلات القتال حتى نفذ ماعند أهلها من الأقوات ، وإشتد الغلاء بها ، وفتك الجوع بأهلها حتى مات أكثرهم فضـلا عن إنتشار الوباء في المدينة مما أدى إلي عجز من بها عن حفظها ، فحينئذ هجم الصليبيون على المدينة

---

١ — ابن الاثير : المصدر السابق جـ ١٢ ص ٢١٣ ، ابن الجوزي : المصـــدر السابق جـ ٣ ق ٢ ص ٦٠٣ ، أبو شامة المصدر السابق ص ١١٦ — ١١٧ ، العيني : المصدر السابق جـ ١٧ لوحة ٣٩٣ — ٣٩٤ ، ابن العماد : المصـــدر السابق جـ ٥ ص ٦٦ ، المصدر السابق جـ ٥ ص ٦٦ ، ابن كثير : المصـدر السابق جـ ١٣ ص ٨٣ — ٨٤ ، أبو المحاسن : المصدر السابق جـ ٦ ص ٢٣٨ ، الحافظ الذهبي : المصـدر السابق جـ٢ ص ٨١ .

٢ — ابن ايبك : المصدر السابق جـ ٧ ورقة ١٨٧ .

فى غفلة من أهلها واستولوا عليها واسترقوا أهلها . (١) ويروى تاريخ بطارقة الاسكندرية أن سقوط المدينة كان فى الخامس والعشرين من شعبان عام ٦١٦ﻫ (٥ نوفمبر ١٢١٩ م) ويذكر أن هناك من يقول أن ذلك يرجع إلى خيانة الحامية الإسلامية (٢) .

ونستخلص من ذلك أن سقوط مدينة دمياط كان يوم الثلاثاء الموافق الخامس والعشرين من شعبان ٦١٦ ﻫ (٥ نوفمبر ١٢١٩) أعتمادا على تاريخ بطارقة الاسكندرية . فقد سجل اليوم والتاريخ العربى والقبطى ، وهو من المصادر العربية المصرية وكاتبه كان مقيما بالقاهرة أثناء هذه الوقائع ، وإعتمادا أيضا على ماذكره أوليفر وجاك دى فترى باعتبارهما من شهود العيان الصليبيين وأيضا على ماورد فى تاريخ رؤساء أساقفة جزيرة قبرص اللاتين (٣) . وعلى أية حال ، فان ماذكره إبن الأثير لم يبعد سوى يومين عن هذا التاريخ . أما ماذكره تاريخ هرقل بأن سقوط المدينه كان فى شهر يناير عام ١٢٢٩ م (ذو القعدة — ذو الحجة ٦١٥ ﻫ) ، فهو أمر مستبعد لأنه من الثابت تاريخيا أن هذا التاريخ يسبق عبور الصليبيين للضفة الشرقية للنيل . وحتى إذا افترضنا أنه شهر يناير سنه ١٢٢٠ م وهو الأقرب نسبيا إلى تاريخ السقوط فهو أمر

---

١ — ابن واصل : المصدر السابق ﺟ ٤ ص ٣٢ — ٣٣ ، أنظر أيضا : ابن الشحنة : المصدر السابق ص ٢١٠ ، ابن الوردى : المصدر السابق ﺟ٢ ص١٣٧ ، أبو الفدا : المصدر السابق ﺟ ٣ ص ١٢٨ ، القزوينى : آثار البلاد ، ص ١٣٠ ، المقريزى . السلوك ﺟ ١ ق١ ص ٢٠١ ، الخطط ﺟ ١ ص ٣٥٢ سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ﺟ ٢ ص ٩٧٦ .

٢ — Hist. Patr. Alex., p, 254

٣ — Hestoire des Archeveques latins de L'ils de Chypre, P. 416.

مستبعد أيضا أعتمادا على ماسبق ، وعلى الخطابات الثلاثة المؤرخة فى العاشر والحادى عشر والثانى عشر من نوفمبر ١٢١٩ م ، وكلها تتحدث عن سقوط المدينة ، وعلى ماكتبه أيضا والتردى همنبرج فقدروى أن سقوط دمياط كان فى شهر نوفمبر ١٢١٩ م ولكنه لم يحدد يوم السقوط (١) .

أما بخصوص من كان له أكبر الأثر فى سقوط المدينة وهل كان الملك جان دى برين أم المندوب البابوى، فهو أمر يصعب البت فيه على ضوء المصادر الأجنبية المتاحة للباحث . لأن من أرجعوا ذلك إلى بلاجيوس هم رجال الدين وكان من الطبيعى أن يقفوا وراء المندوب البابوى ، وقد رأينا من قبل كيف وقفوا إلى جانبه فى معارضته لعروض الصلح المتتالية التى تقدمها الملك الكامل. ومن الملاحظ أن الملك جان برين كان من بين الذين أرسلوا الخطاب المؤرخ فى الحادى عشر من نوفمبر ٢ رمضان) إلى البابا هونوريوس الثالث الذى ورد فيه أن المندوب البابوى كان له أكبر الأثر فى سقوط دمياط ومعنى ذلك أن الملك الصليبى يعترف بما ورد فيه ، ولكن الباحث يرى أن الملك جان دى برين كان مغلوبا على أمره ولم يكن بوسعه المعارضة على مادون فى الخطاب ، أو ربما أضيف أسمه إلى الخطاب إستكمالا للشكل الرسمى لهذه الوثيقة . ثم أن تاريخ هرقل قد تحامل على المندوب البابوى فى كثير من الأحيان على عكس موقف التعاطف الذى وقفه من الملك الصليبى . وربما يكون ما أورده سليما الا أن عدم وجود مزيد من النصوص الأجنبية يجعل الباحث لا يستطيع الترجيح بينها خاصة وأن المصادر العربية لاتلقى ضوءا على هذه الناحيه. وكل مايمكن

---

١ — Walteherus de Hemingburhh, op. cit., p. 940.

قوله في هذا الصدد أنه سواء أكان سقوط المدينة يرجع إلى الدور الذى قام به المندوب البابوى أو يعزى إلى الملك الصليبى ، فالأمر الثابت الذى لاخلاف فيه أن المدينة سقطت في قبضة العدو بعد حصار دام أكثر من سبعة عشر شهراً .

أما عن الطريقة التى سقطت بها المدينة ، فهناك ثلاثة آراء حول هذا الموضوع . أولها رأى يقول أن هناك خيانة من جانب الحامية الإسلامية للمدينة ، والثانى أن المدينة إستلمت للصليبيين بعد ما أخذ أهلها الأمان والثالث أن الصليبيين إستولوا على المدينة بحد السيف بعد أن وهنت حاميتها .

أما عن الرأى الأول فالباحث لايميل إلى الأخذ به ، خاصة وأن كاتبه لم يقطع بحدوثه بل رواه مع كثير من التحفظ . هذا ، بالإضافة إلى أنه لم يرد ذكره في أى من المصادر العربية أو الأجنبية سواء المعاصرة منها أو المتأخرة .

وفيما يتعلق بالرأى الثانى الخاص بالاستسلام فهو رأى لم يرد ذكره إطلاقا في المصادر الإجنبية المعاصرة أو المراجع الحديثة المتاحة للباحث . ورغم أن هذا الرأى قد أورده كل من إبن الأثير وابن الجوزى، الا أنه من الصعب الأخذ به ويعزز ذلك صمود المدينة وأهلها طوال أشهر الحصار . ولذلك فان الرأى الثالث هو الأقرب إلى للصواب . ومن هنا يمكن القول أن حامية دمياط ظلت تقاوم ببسالة طوال سبعة عشر شهراً . ولكن إنتشار الوباء الذى فتك بالكثير من أهلها، وعدم إمكان الملك الكامل نصرتها أو توصيل المؤن اليها بسبب شدة الحصار كل هذا قد تسبب في عدم إمكان من تبقى من الحامية على القتال بعد ما انهارت معنويا وجسديا الأمر الذى سهل على الصليبيين إقتحام المدينة . والدليل على ذلك

ما رواه شهود العيان الصليبيين بأنهم لما دخلوا مدينة دمياط وجـــدوا جثث الموتى تغطي شوارع المدينة وقد أصابها التعفن وكانت تتصاعد منها الرائحــة الكريهه (١) .

وتشير الوثائق المعاصره أن من كان بالمدينة عند بداية حصارها – بعـد مؤامرة إبن المشطوب – بلغ عددهم ستين ألف نسمة لم يتبق منهم بعد سقوطها سوى ثلاثة آلاف نسمة (٢) . ويذكر جاك دى فترى أن مائة منهم فقط كانوا بصحة طيبة (٣) . وهكذا قضى الجوع والطاعون عـلى آلاف المسلمين داخل المدينة ، ولم تستطع القلة الباقية وقتها الوقوف فى وجه الغزاه (٤) . كما أن صورة الأطفال الجياع وهم يطلبون الطعام من آبائهم أو أمهاتهم الأمـــوات لتجعلنا نزرف دمعه حزينة على المدينة وحالها عندما سقطت في أيدى الصليبيين (٥) . ولم تكن جثث الموتى تملأ الشوارع فقط ، بل كانت على أرضيـات المنازل وفق الأسرة أيضاً (٦) .

---

١ – Vitry, op. cit., p. 127. cf. also , Oliver of Padenborn, op cit., p. 53

٢ – L. F. Crusade, Letter to The Pope Honorus III, dated 11th. nov. 1291; p. 44; Vitry, op. cit., p. 125.

٣ – Vitry, op. citi, p. 126.

٤ – Vitry, op. cit., p. 127, cf. also : Fabri. op. cit, Vol. 2. part I. p. 359,

٥ – Roger of Wendover, op. cit., II. pp. 423-4. cf. also. Michaud, op. cit , II. p. 251,

٦ – Oliver of Padenborn, op. cit., p. 53i

انظر أيضا : مكسيموس مونروند : تاريخ الحرب المقدسة ج ٢ ص ٢٦١ ،

وعلى هذه الصورة وطأت أقدام الصليبيين المدينة ورفعوا أعلامهم على أسوارها وأبراجها (١) . وأنزلوا فيمن تبقى من أهلها القتل والأسر والنهب ، وباتوا تلك الليلة فى جامع المدينة يفجرون بالنساء ويفتضون البنات (٢) . وفيما يتعلق بالأسرى فقد إحتفظ الصليبيون بأربعمائة من عليه القوم وأغنياء المدينة من الجنسين كرهائن لمبادلتهم بالأسرى الصليبيين (٣) . كما سيق بعض الأسرى إلى عكا (٤) ، وبيع بعضهم كعبيد فى الأسواق (٥) . وكان من الذين نجوا من الأسر أبو الحسن على بن أبى القاسم الدمياطى المعروف بابن قفل باعتبارة من مشايخ المسلمين الصالحين المحسنين (٦) .

أما عن أطفال المدينة الأحياء فقد استطاع جاك دى فترى الاحتفاظ بأكثر من أربعمائة طفل ثم قام بتعميدهم . كما عهد جاك دى فترى إلى بعض أصدقائه ببعض الاطفال الآخرين ليتكفلوا بهم ، ويعلموهم الكتاب المقدس والشعائر الدينية . وقد تحمل فترى فى سبيل ذلك كثيراً من العناء والمال(٧). وهذا يؤكد ما سبق أن أوضحناه من إرتباط الناحيه التبشيرية عند الصليبيين الغربيين بالفكرة الصليبية نفسها .

---

١ ــ ابن أيبك : المصدر السابق جـ ٧ ورقة ١٨٧ .

٢ ــ ابن الجوزى : المصدر السابق جـ ٨ ق ٢ ص ٦٠٣ ، أبو شامة : المصدر السابق ص ١١٧ . أنظر أيضا : العيني : المصدر السابق جـ ١٧ لوحة ٣٧٤ .

٣ ــ Vitry, op. cit., p. 128, cf. also : Fabri, op. cit., Vol. 2, Part 1, p. 359.

٤ ــ المقريزى : السلوك جـ ١ ق ١ ص ٢٠٢ .

٥ ــ Fabri, Ibid.

٦ ــ ابن الجوزى : المصدر السابق نفس الموضع .

٧ ــ Vitry, Ibid Cf. also : Hist. Patr. Alex. p. 25 , Oliver of Padenborn, op. cit., pp. 48, 54.

وكان بداخل مدينة دمياط عندما سقطت فى أيدى الصليبيين كميات كبيرة من الذهب والفضه والنفط ، وكميات لا تحصى من الذخيرة والآلات الحربية التى تخص الملوك والأمراء والعساكر (١) . هذا بالاضافه إلى الأقمشة الحريريه والأحجار الثمينة التى حوتها المدينة التجارية الواسعه الثراء (٢) ، مطمع الصليبيين بعامه والايطاليين بخاصة . والمهم أن القادة الصليبيين بدأوا فى جمع هذه الكنوز لاستغلالها فى الانفاق على الحملة ، ولكى لا تتسرب إلى إيدى العساكر الصليبيه فقد صدرت الأوامر المشدده المصحوبة بالتهديد بقرار الحرمان لكل من يحاول أن يخفى ما يقع تحت يده من هذه الأسلاب . ولكن هذه القرارات والتهديدات لم تجد نفعا أمام جشع الصليبيين (٣) ، فقد كان فى صفوف القوات الصليبيه عدد كبير من اللصوص والمجرمين الذين أعماهم الطمع ، وخرجوا على طاعة تعليمات المندوب البابوى . ولذلك فقد الكثير من هذه الكنوز ، ولم يتمكن الصليبيون الا من جمع ما يساوى أربعمائه آلاف بيزنط (٤) ، خاصه وأن المسلمين قد أخفوا بعض هذه الكنوز فى باطن الأرض (٥) . وعلى أيه حال فقد أودعت

---

١ — Hist. Patr. Alex. pp. 2?4-5, Oliver Scolastique, Lettre, a Engelbert, p. 1191 Waltherus de Hamingburgh, p. 940,

٢ — Vitry, op. cit., p. 127 Olive of padenborn, op cit., p. 56

٣ — Roger of Wendover, op. cit, II, p, 424; Cf. also : Michaud, op, cit., II, p. 251,

٤ — وهى تعادل نصف الفدية التى دفعها الصليبيون لفك أسر لويس التاسع بعد أسره فى المنصوره . عن ذلك انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على مصر ص ٣١٦ .

٥ — Vitry, op. cit., p. 127.

هذه الغنائم طرف جاك دى فرى (١) ، تمهيدا لتوزيعها بمعرفة رجال الدين ذوى السمعة الطيبه على كافة الصليبيين بما فيهم النساء والأطفال (٢) .

ولم يستول الصليبيون على هذه الغنائم فقط ، بل إستولوا على المدينة كلها ، ووزعت أحيائها وأبراجها على الفرق الصليبيه الموجوده مع الحملة (٣) . وكان أهم ما استولي عليه الصليبيون جامع دمياط الكبير وهو جامع إبى المعاطي (٤) وحولوه إلى كنيسة لاتينية باسم السيده مريم العذراء لاقامة الشعائر

١ — Setton, op cit., II. p. 419.

٢ — Oliver of Padenborn, op. cit., p. 56.

٣ — Vitry, op. cit., p. 128.

٤ — يعتبر هذا الجامع من أقدم مساجد دمياط وأكبرها . اذ كانت مساحتة ما يقرب من فدان ، هذا بالاضافة الى المحلات التى ادخلت عليه بعد انشائه . وقد بنيت جدران المسجد الأربعه بحيث تواجه الجهات الأربع الأصلية مواجهة تامة دون انحراف . ولذلك جاءت تباته في الزاوية الجنوبية الشرقية وهو أمر نادر الحدوث . وكان المسجد يتكون من مستطيل يتوسطه صحن مكشوف تحيط به الاروقه من ثلاث جهات ، وتحتوى الجهة القبلية منه وهى ايوان القبله على اربعة أروقه . اما الايوانان الشرق والغربى فتحتوى كل منها على رواقين . ولا توجد اروقه في الايوان الشمالى . ومما يجدر ملاحظته أن اعمدة هذه البوائك كانت مختلفة الألوان ومتعدده التيجان والأشكال وغير منتظمه العقود . وهذا يدل على كثره الاصلاحات والتجديدات التى اجريت لهذا المسجد . ويوجد به بعض الكتابات التذكاريه التى تثبت هذه التجديدات ، بعضها يرجع الي العصر الفاطمى فى القرن الخامس الهجري ، وبعضها الى القرن الحادى عشر الهجرى أيضا . عن ذلك ولمزيد من التفاصيل أنظر : سعاد ماهر مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ج ١ ص ٢٤٧ .

الكاثوليكيه ، وعينوا عليها مطرانا من رجال الكنيسه الرومانية الغربية (١) ، التى تختلف عن مصر جنسا وعقيدة وجعلوا فى هذه الكنيسه أيضا كرسى المطرانيه الذى خضعت له كافة الكنائس الصغرى التى اقاموها داخل دمياط ، ولتكون نواه لما يقام من كنائس لاتينيه أخرى فيما بعد فى مصر (٢) .

ولم يكن هذا التصرف الصليبي قبل دور العبـــاده الاسلامية غريبا على الصليبيين اللاتين . فقــد سبق لهم عندما دخلوا بيت المقــدس عام ٤٩٢ هـ (١٠٩٩ م) أن قاموا بتحــويل مسجد الصخره إلى كنيسه رومانية سموها « معبد السيد » Templum Domini ، كما إستخدموا المسجـد الأقصى لمصالحهم وأطلقوا عليه « معبد سليمان » Templum Solomonis وقسموه الى ثلاثة أقسام ، فجعلوا القسم الأول كنيسه والثانى سكنا لفرسان الدوايه والقسم الأخير مستودعا لذخائرهم ، ثم اتخذوا من السراديب التى تحت المسجد إصطبلا لحيواناتهم . وأن دل ذلك على شيء فانه ليدل على تعصبهم وحقدهم على العروبة والعرب ، ويكشف في الوقت نفسه عن أحــد دوافع الحركه الصليبيه وهى العمل على جعل العــالم العربى أرضا لاتينيه تدين بالكاثوليكيه على مذهب روما ، والقضاء على الاسلام وثقافته من المنطقة وعلى المسيحيه الشرقية وديانتها الأرثوزكسيه وهو هدف كانوا يسعون اليه قبل قيام الحركة الصليبيه بوقت غير قصير (٣) . وعلى أية حال ، فقد إستولى الصليبيون على

---

١ — Roger of Wendover, op. cit., II, p. 434.

٢ — Vitry, Ibid, cf. also, Oliver of Pedenborn, cit., p 55

٣ — جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين ص ٢٦٣ — ٢٦٤ .

منبر الجامع وكان من الأبنوس وقطعوه الى قطع صغيرة احتفظ بعضهم بأجزاء منه وأرسلوا بقيه الأجزاء الأخرى مع المصاحف ورؤوس القتلى الى البابا وملوك أوربا كدليل على سقوط المدينة في قبضتهم (١) ، وشاهدا على تزمتهم الدينى وحقدهم الدفين على الاسلام والمسلمين .

هكذا سقطت دمياط فى أيدى الصليبيين بعد حصار دام تسعة أشهر كامله دارت فيها معارك طاحنه بين الطرفين ، كما تخللها عرض الملك الكامل بالصلح عدة مرات . ومما لاشك فيها أن سقوط المدينة كان له أسوأ الأثر فى نفوس المسلمين مما جعلهم يتكاتفون لصد الخطر الداهم وإجلاء المعتدين عن الأرض والديار ،فى الوقت الذى إستعد فيه الصليبيون للزحف صوب القاهرة للاستيلاء عليها لتحقيق الهدف الذى قامت من أجله الحمله.

---

١ ـ ابو شامه : المصــــدر السابق ص ١١٧ . أنظر أيضا : ابن واصل : المصدر ج ٤ ص ٩٩ ـ ١٠٠ .

الفصل السادس

فشل الحملة الصليبية الخامسة

— الدعوة للجهاد ، وبناء مدينة المنصورة .

— إنقسام الصليبيين على أنفسهم فى دمياط وأثره .

— سقوط قلعة تنيس .

— مهاجمه ممعلكات الصليبيين فى الشام .

— رحيل الملك جان دى برين إلى عكا .

— رحيل وقدوم بعض القوات الصليبيه .

— مهاجمة البرلس .

— عودة الملك جان دى برين إلى دمياط .

— الزحف صوب القاهرة .

— هزيمة القوات الصليبية .

— أسباب فشل الحمله .

لقد كان المسلمون يعتقدون في حصانه ومناعه مدينة دمياط (١) ، ولكن هذا الاعتقـاد تبدد عندما علمت القوات الاسلامية المرابطة فى فارسكور بأن أعلام الصليبيين مرفوعة على أسوار المدينـــة ، فأيقنت أن القوات الصليبيه إستولت عليها (٢) ، فوقع ذلك على المسلمين وقوع الصـاعقه ، وبكيا الملك الكامل والمعظم بـكاء شديدا (٣) . وخاب أمل بعض المسلمين وهربوا الى القاهرة معتقدين أن الصليبيين يقتفون أثرهم (٤) . هذا ، ويذكر عن سقوط دمياط أن الملك المعظم قال « لو كان الدعاء الآن يسمع لسمع دعاء أهل دميـاط ، فان الله تعالي أخبرنا أنه يستجيب دعائنا فى عدة مواضع من كتابه وإنما أهل دمياط لما كثر فسقهم وفجورهم سلط الله عليهم من إنتقم منهم (٥) . ومما لاشك فيه أن خساره المسلمين بضياع مدينة دمياط ـ قفل الديار المصريةـ كانت فادحة ، وزاد من وقعها أنها جاءت فى الوقت الذى أخذ فيه المغـول يقوضون أركان الجانب الشرقى من العالم الاسلامى (٦) . وكان من أثر الصدمة التى أصيب بها العالم الاسلامى أن تدفق المسلمون على المساجد للتضرع

---

١ — Hist. Patr, Alex. p. 255.

٢ ـ ابو شامه : المصدر السابق ص ١١٧ ،

٣ ـ ابن ايبك : المصدر السابق جـ ٧ ورقه ١٨٧ . انظر أيضا : العينى : المصدر السابق جـ ١٨ لوحة ٣٩٤ .

٤ — Lamb, op, cit., p, 215.

٥ ـ ابن الجوزى : المصدر السابق جـ ٨ ق ٢ ص ٦٠٣ .

٦ ـ سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق جـ ٢ ص ٩٧٧ ,

لله ضد أعداء الإسلام . وبادر الملك الكامل والمعظم بارسال السفراء إلى الخليفة العباسى الناصر لدين الله (٥٧٥ – ٦٢٢ هـ / ١١٧٩ – ١٢٢٥ م) فى بغداد يحثونه على دفع المسلمين لحمل السلاح للدفاع عن العروبه والاسلام (١) . وقام الخليفة بدوره فكتب إلى سائر الممالك الاسلامية لإنجاد الملك الكامل (٢). وهكذا ساند الخليفة العباسى الملك الكامل ، ولكن هذه المسانده كانت أقرب إلى التعاطف ، كما أنه كان تعاطفا ضعيفا عاجزا سلبيا . وربما يستباح له العذر لأنه كان مشغولا فى هذا الوقت بأخبار تقدم المغول إلى بلاده ، الأمر الذى لم يمكنه من إرسال العساكر إلى مصر تاركا الجبهه المواجهة للمغول مفتوحة يسهل إجتيازها، فكانت أياما عصيبه على الاسلام وعلى المسلمين. ولعل المؤرخ إبن الأثير قد صدق عندما وصف حال المسلمين والاسلام فى هذه الفترة بقوله « لقد بلى الاسلام والمسلمون فى هذه المدة بمصاعب لم يبتلى بها أحد من الأمم » (٣) . فلا عجب إذا أن يقوم الملك الكامل بإيفاد الرسل إلى كافه الممالك الاسلامية وهم « يستصرخون الناس لاستنقاذ أرض مصر من أيدى الفرنج » ، لأن الملك الكامل بخاصة والمسلمون بعامة كانوا « يعرفون أنه

---

١ – كان من بين الذين ارسلوا لطلب النجدة صدر الدين أبو الحسن محمد بن شيخ الشيوخ محمد بن حمويه . ولكن هذا الرسول لم يتمكن من الوصول الى الخليفة الناصر ، فقد مرض بين حران والموصل وتوفى فى منتصف شهر جمادى الآخرة عام ٦١٧ هـ (١٨ أكتوبر ١١٢٠ م) من ذلك أنظر : ابن الفوطى : الحوادث الجامعة فى المائه السابعة ص ١٠٨ . ويلاحظ أن هذا الرسول هو الذي أخبر الملك العادل بسقوط برج دمياط . ابو المحاسن : المصدر السابق ج ٦ ص ٢٢٢ .

٢ – المقريزى : المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ٢٠٤ .

٣ – ابن الأثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ٢٣٥ .

إذا ملك الصليبيون مصر ملكوا إلى حضرموت وعفوا آثار مكة والمدينة والشام » (١) ، وهو ما كان يدركه الصليبيون أيضا . فقد سجل شاهدو العيان منهم أنه بعد الاستيلاء على مدينة دمياط أصبح هينا عليهم الإستيلاء على ما تبقى من أرض مصر وبالتالى على مملكة بيت المقدس ، وأوضحوا أن المسلمين يحتفظون بالشام بفضل مساعدات مصر . ولذلك أخذ هؤلاء المشاهدون للحوادث . وهم القادة الصليبيون فى دمياط ، يطالبون البابا هونوريوس أن يحث الامبراطور فريدريك الثانى على سرعة القدوم إلى مصر ، كما يطالبون بمزيد من الأموال حتى تتمكن الحملة من إنجاز الهدف الذى قامت من أجله (٢) .

وعلى أية حال ، فانه على ضوء هذا المفهوم صار عامة الناس فى مصر يتوقعون البلاء صباحا ومساء ، وأراد بعضهم فى نوبة اليأس هذه ، الرحيل من مصر خوفا من الصليبيين تاركين مصر خاوية على عروشها ، ولكن الكامل منعهم من ذلك (٣) . وأيقن ملك مصر أن المهمة الملقاه على عاتقة ثقيلة وأن مسئوليته أصبحت أخطر من ذى قبل . وبدأ يخطط من جديد لدفع الخطر الصليبي عن مصر قبل أن يستفحل ويمتد كالأخطبوط ليشمل مصر كلها ، فرأى أن بقاء الملك المعظم إلى جانبه بمصر أصبح غير ذات موضوع فى هذا

---

١ — ابن واصل : المصدر السابق ج ٤ ص ٣٣ . انظر أيضا : المقريزى : المصدر السابق ج ١ ص ٢٠١ .

٢ — L. F. Crausade, Letter to The Pope Honorus III, bated 11, th nov. 1219 , p. 45.

٣ — ابن الأثير : المصدر السابق نفس الموضع .

الوقت على الاقل ، لأن مصر حاولت مقاومة الصليبيين مستعينة بالقدر البسيط من الإمدادات وردت اليها من الشام ، ورغم ذلك سقطت المدينــة فى أيدى القوات الصليبية التى أصبحت تعد العدة للتقدم إلى القاهرة عاصمــة البلاد . لذلك قرر إستحضار أكبر قدر ممكن من العساكر الشرقية والضغط بفاعليــة أكبر على ممتلكات الصليبيين فى الشام ، فقال لأخيه المعظم « جرى المقدور لما هو كائن وما فى مقامك هنا فائدة والمصلحة أن تنزل إلى الشام تشغل خواطر الفرنج وتستجلب العساكر من الشرق »(١) . وليس معنى ذلك أن الملك الكامل وقف مكتوف اليدين بعد سقوط المدينة فقد نادى بأن « النفير عام » وتمكن من جمع حوالى عشرين ألف مقاتل (٢) ، كما أنــه رأى أن الاستراتيجيــة العسكرية تتطلب وضع هذه العساكر والعساكر التى كانت معه من قبـل فى موضع أكثر ملائمة لقتال الصليبيين عند زحفهم إلى القاهــرة ، كما سبق أن إختار فارسكور من قبل بعد سقوط العادلية .

وإختار الكامل المنطقة التى سميت فيما بعد بالمنصـــورة . ولم يكن لذلك الموضع إسم معروف وقتذاك ، كما لم تكن له أية صفة طبوغرافية تميزه عن سائر ما حوله من أراضى الدلتا الرخوة عدا موضـــع فضاء فسيح ، معتدل الهواء ، مثلث الشكل تقريبا (٣) ، يقع جنوب بحر أشموم طنــاح والشاطىء

---

١ — ابو شامة : المصدر السابق ص ١٧٧ . أنظر : النويرى : المصدر السابق جـ٢٧ لوحة ٢٦ .

٢ — ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ ص ٧٩ .

٣ — محمد مصطفى زياده : المرجع السابق ص ٥٣ .

الشرقى للنيل قباله قرية جوجر (١) . وفى هذا المكان بنى الكامل معسكره الجديد (٢) ، وزاده فيما بعد بالمنازل والحمامات (٣) والفنادق (٤) . ومن الطبيعى ألا يكون إختيار الكامل لهذا المكان اعتباطا أو خبط عشواء ، بل على أساس اعتبارات إستراتيجية واضحة الأهمية لأغراض القتال ضد الصليبيين الذين أصبحوا مسيطرين علي دمياط . وهم الذين سيزحفون على القاهره إن عاجلا أو آجلا لتحقيق أهدافهم التى عجزت عنها كافة المحاولات الصليبية السابقة (٥).

فمن الواضح أن الكامل اختار هذا الموضع المثلث الشكل لأنه محصن بضلعين مائيين هما بحر أشموم المعروف بشدة إنحدار جانبية وسرعة تياره هذا بالاضافة إلى بعد هذه المنطقة من دمياط ولا يتيسر للصليبيين الوصول اليها عن طريق النيل إلا باسطول نهرى طويل يحتاج إلى حراسة نهريه وبرية قوية وعديدة لبعده عن قواعده المتمركزة فى دمياط . كما أنه مهما بلغت قوة هذه الحراسة فان الأسطول سيتعرض لهجمات إسلامية تؤدى إلى استنزاف جهد كبير من الصليبيين . ومن مزايا هذه المنطقة أيضا أنها أقرب الأماكن المحضنه تحصينا طبيعيا لاستقبال النجدات الأيوبيه المنتظر قدومها من الشام عبر شبه جزيرة سيناء . أضف إلى ذلك أنها أقرب طريق للمواصلات الرئيسية الى القاهرة ،

١ — جوجر ، بليدة بمصر من جهة دمياط فى كورة السمنودية . أنظر : ياقوت الحموي : المصدر السابق ج ٢ ص ١٤٢ ، ابن مماتى : المصدر السابق ص ١٢٥ .

٢ — Eracles, op. cit,, p. 350.

٣ — القزوينى : آثار البلاد ص ١٣٠ .

٤ — ابن اياس : المصدر السابق نفس الموضع .

٥ — ابن بهادر : المصدر السابق ص ١٠٩ أنظر أيضا : العينى : المصدر السابق ج ١٧ لوحة ٤١٨ .

فضلا عن قربها من ميناء سمنود التجارى ذى المحاصيل الوفيرة والمركز الجغرافي المتصل بمختلف بلاد الدلتا (١) .

ومن ذلك كله يتضح حسن إختيار الكامل لهذا الموضع الحصين . وليس أدل على ذلك من إكتساب هذا المكان الشهره العالمية فى هزيمة الصليبيين سواء فى الحملة الصليبية الخامسة أو السابعة . ومن البديهى أن بناء هـذه المدينة العسكرية فى البقعة الأرضية الطينية الخالية من أحجار البناء والصخور الطبيعية جعلها في أول الأمر خالية من الطرز المعمارية ، وغلب عليها طابع السرعة والبساطة والمنفعة العسكرية بما يجعلها تتلائم مع الموقف فى مواجهة الصليبيين (٢) والمهم أن الملك الكامل إنتقل اليها بعد يومين من سقوط دمياط وإستقر فى هذا المكان على بعد مسيره يوم واحد من دمياط مرابطا للجهاد (٣) ، محتميا بالأسوار التى بناها غرب المنصورة على الضفة الشرقية للنيل (٤) .

أما الصليبيون فانهم بعد أن إستولوا على دمياط «شرعوا فى عمارتها وتحصينها وبالغوا فى ذلك حتى أنها بقيت لا ترام » (٥) . وكتبوا إلى البابا هونوريوس

---

١ — محمد مصطفى زيادة : المرجع السابق ص ٥٣ — ٥٤ .

٢ — محمد مصطفى زيادة : المرجع السابق ص ٥٤ .

٣ — Vitry. op. cit., p. 137. Oliver fo Padonborn, op. cit., p. 61.

٤ — ابن واصل : المصدر السابق ج ٤ ص ٣٣ . انظر : أيضا : السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٤٥٦ .

٥ — ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ٢١٣ . أنظر أيضا :
Petre de Montacute, Letter to Bishop of Elmenum, cf. Rogre of Wendover, op. cit., II, p. 433.

الثالث يتوسلون اليه لإرسال المزيد من القوات إلى مصر ، خاصة وأن بعض الصليبيين كانوا يفكرون فى العودة إلي أوطانهم فى الربيع التالى . كما طالبوه أيضا بارسال الامبراطور فريد ريك الثانى إلى الحملة ،وعدم الترخيص للصليبيين الذين حملوا الصليب بتأجيل حضورهم الى مصر . هذا بالاضافة إلى مطالبتهم بالأموال التى جمعت لصالح الحملة وعدم إنفاقها فى أغراض أخرى (١) .

وكان إمتلاك المدينة فى حد ذاته مشكلة للصليبيين ، فكان الملك جان دى برين يسانده بارونات بيت المقدس ورؤساء الهيئات الدينية الثلاث يعتبرون أن مدينة دمياط أصبحت جزء من مملكة بيت المقدس ، أما المندوب البابوى بلاجيوس فكان يرى أن تخضع المدينة لسلطة الكنيسة . وباعتباره ممثلا للبابا فان إمتلاك المدينة يجب أن يكون له (٢) . وأعلن أن المدينة أصبحت من ممتلكات الكنيسة الغربية التى كان لها أكبر الأثر فى سقوط دمياط ،ورفض كل الحجج التى تقدم بها الملك الصليبى لادارة المدينة سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة (٣) ونادى بأن أكبر الأثر في سقوط المدينة يرجع اليه شخصيا، وسانده رجال الدين فى هذا الادعاء وروجوا له . ولكن الرأى العام للحملة عارض بلاجيوس فى إدعائه ملكية المدينة (٤) . وهكذا بدأ الشقاق مره أخرى

---

١ - L. F. Crusad , Letter to The Pope Honorus III dated 11th nov. 1219, p. 46.

٢ - Archer & Kingsford, op. cit.; p. 377 .

٣ - Setton, op, cit., 11, p. 419 .

٤ - Runciman, op. cit. 111, p. 162 .

بين الملك والمندوب البابوي وظهرت بوضوح عوامل الحقد والكراهيـة التى كانت بينهما وتناسى بلاجيوس تعليمات البابا الخاصة بوضعه في الحملة(١) . ولعل مثل هذا الصراع ما كان لينشب لو تواجد الامبراطور الألمانى مع الحملة، ولكن مثل هذا لم يحدث ، ولذلك تأزمت الأمور بين الملك الصليبى والمندوب البابوى وهدد الملك بترك الحملة والعودة الى بلاده (٢) . وفعلا بدأ فى إعـداد السفن لتنفيذ ذلك . وتعقدت الأمور أكثر من ذى قبل وبدأت الاشتباكات وأعمال الشغب بين أنصار كل من طرفى الصراع . فكان يؤيد الملك كالمعتاد فرسان الداوية والاسبتارية والفرنسيون وصليبيو بيت المقـدس ، فى الوقت الذى كان الايطاليون يساندون فيـه المنـدوب البابوى . وانتهـى الأمر بعرض المشكلة على البابا هونوريوس الثالث الذى أيد الملـــك فى موقفه من حكم المدينة (٣) . ومما هو جدير بالذكر أن إنقسام القيادة الصليبية على نفسها بسبب الصراع على السلطة كان له أسوأ النتائج على الحملة بأكملها . كما أن هذاالنزاع قد خدم الجبهة الاسلامية بصورة غير مباشره فى هزيمة القوات الصليبية (٤) .

وفى خضم هذا الصراع حول السيادة والزعامة نشبتمشكلة أخرى وهى

---

١ — Eracles, op. oit , pp. 348-9 .

٢ — Runciman, op. eit., III, p. 162.

٣ — Oliver of Pedenborn, op. cit., p. 55

٤ — سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق جـ ٧ ص ٩٧٩ .

مشكلة توزيع الغنائم على الصليبيين ، لأن الايطاليين لم يقتنعوا بالنصيب الذى حصلوا عليه منها وأعلنوا العصيان وشهروا سلاحهم ضد جنود الحملة بصفة عامة وضد الجنود الفرنسيين بصفة خاصة (١) ، مستندين فى ذلك إلى كونهم من أتباع المندوب البابوى ومعتقدين أنه سيساندهم فى موقفهم . ولكن بلاجيوس تخلى عنهم مما جعلهم ينفجرون فى ثورة حادة ضد القيادة والقوات الصليبية (٢).
وحاول بلاجيوس البحث عن حل يرضى به الايطاليين لحفظ الأمن والنظام داخل صفوف الحملة . ولكن غضبة الايطاليين كانت عارمة لدرجة أن حياة بلاجيوس أصبحت مهددة بالخطر . وإنقاذا للموقف أخرجت القوات الفرنسية من المدينة حتى لا تشتبك مع القوات الايطالية ، وحتى تدبر القيادة الصليبية حل هذه المشكلة ، قرر الزعماء الصليبيون أمرين ، أولهما ، طرد القوات الايطالية من المدينة ، وتولى هذه المهمة فى السادس من يناير عام ١٢٢٠ م (٢٨ شوال ٦١٩ هـ) الملك الصليبي وفرسان الداوية والقوات الفرنسية (٣) ، بالاضافة إلى الفرسان الاسبتارية (٤) وثانيهما ، إعادة النظر فى توزيع الغنائم ،

---

١ — Hist, Patr, Alex. pp. 254-5 cf. Waltherus qe Hemingburgh, op. cit., p. 940.

٢ — Vitry, Historia Orientalis, p. 944

يتضح من ذلك مدى عدم سيطرة القيادة الصليبية على قوات الحملة ومن جهة أخرى عدم اعتداد رجال الحملة بالمندوب البابوى أو بغيره من القيادة الصليبية .

٣ — Rohricht, Geschichte der Kruzzuge im Umriss, p, 204

٤ — Delaville Le Roulx, op, cit, d, 145

وفى هذه المرة كان نصيب الايطاليين أكثر مما جعلها تترابط مرة أخرى(١). وإنتهي أمر هـذه الفضـائح على حـد تعبير المؤرخ جاك دى فترى كما إنتهى أمر هذه المنازعات والمشاجرات التى تسبب فيهـا الجهلة والمشاغبون من أفراد الحملة (٢) ، فى الثانى من فبراير من نفس العام (١٦ذو الحجة)(٣).

والمشكلة الثالثة التى أعترضت الصليبيين مع مشكلةإمتلاك المدينة ومشكلة توزيع الغنائم هى مشكلة الزحف صوب القـاهرة . وهى ليست من المشاكل الشكلية السابقة ، بل من الأمور التى تتعلق بالاستراتيجيـة العسكرية الصليبية التى يتوقف عليها تحقيق الهدف الأكبر للحملة. واختلف الملكوالمندوبالبابوي حول هذا الموضوع أيضا . فكان الملك يرى أن يقوم الصليبيين أولا بزيادة تحصينات المدينة والمعسكر الصليبى المقام حولها وإعطـاء القوات الصليبية قسطا من الراحة حتى يصل الامبراطور فريدريك (٤) ، خاصة وأن الصليبيين قد قاسوا الكثير منذ وصولهم إلى جيزة دمياط فى أوائل يونية عام ١٢١٨ م حتى سقطت المدينة فى قبضتهم فى الخامس من نوفمبر عام ١٢١٩ م أى ما يزيد عن سبعة عشر شهراً . أضف الى ذلك طول المسافة بين دمياط والقاهرة التى تبلغ حوالى مائة ميل من الأراضى المليئة بالترع والقنوات المتفرعة عن الفرع الشرقى للنيل (فرع دمياط) التي لا يعرفها الصليبيون . فى حين كان بلاجيوس يرى التقدم الى القاهرة مباشرة بدون إبطاء فى أعقاب القواتالمنهزمة. وتغلب

---

١ — Settoa, op, cit,, II, p. 420

٢ — Vitry. Lettres de Jacques de Vitry. p. 127.

٣ — Rohricht. op, cit. p, 205

٤ — Hist. Patr. Alex; p 259.

رأى الملك على رأى المندوب البابوى هذه المرة أيضا ، ولم يغفل له بلاجيوش ذلك (١) ، وسيكون لهذا القرار أثر كبير على مجريات الحوادث التالية. وفعلا لو قام الصليبيون بالزحف تجاه القاهرة عقب سقوط مدينة دمياط مباشرة لربما إختلفت نتائج الحملة عن النهاية التى تقررت لها بعـد أن قررت الزحف علي المعسكر الاسلامى بعد ما يزيد عن سنة ونصف من سقوط المدينة قضتها فى حالة تكاد تصل إلى الخمول العسكرى التام (٢) .

ورغم هذه الخلافات فان الصليبيين لم ينسوا وجودهم كقوات صليبية موجودة في دمياط وفي المناطق المحيطة بها ، وكان عليهم تأمين هذا الوجود ضد القوات الاسلامية . لذلك رأوا الاستيلاء علي مدينة تنيس (٣) . ففى عيد القديس كليمنت (٤) Glement ، الموافق الثالث والعشرين من نوفمبر لعام

١ — Lamb, op, cit. pp. 345—6.

٢ — Chronique de Tours. p. 938.

٣ — تنيس ، اسم مدينة صغيرة كانت قائمة فى جزيرة صغيرة واقعة الى الجهة الشمالية الشرقية من بحيرة المنزلة التى كانت تعرف وقتها باسم بحيرة تنيس على بعد ٩ كيلومترات من الجنوب الغربى لمدينة بورسعيد الحالية . وفي سنة ٥٧٧ هـ انتدب السلطان صلاح الدين لعمارة قلعتها وتجديد الآتها واصلاح سورها القديم . وفى سنة ٥٠٨ هـ أخليت المدينة من سكانها بسبب خوف أهلها من الاعتداءات الصليبية عليها ، وانضم أهلها الي دمياط ولم يبق بها سوى المقاتلة في قلعتها . ثم أمر الملك الكامل في سنة ٦٢٤ هـ بهدم المدينة رغم شهرتها فى أعمال الثياب التى تصنع منها كسوة الكعبة بعد ماجري عليها فى هذه الحملة . أنظر : المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٩٣ ويذكر عن بحيرة تنيس أن بها مائة وخمسة وثلاثون نوعا من الطيور وتسعة وسبعين نوعا من السمك . ولمزيد من التفاصيل : أنظر : القزوينى : المصدر السابق ص ١١٨ — ١١٩ .

٤ — القديس كليمنت ، تولى كرسى البابوية فى روما من عام ٨٨ — ٩٧ م أو من ١٣ — ١٠١ م وهو الخليفة الثالث للقديس بطرس ويحتفل بعيده في الثالث والعشرين من نوفمبر كل عام . أنظر: Ency, Brit, Vol.5, pp. 897—8 .

١٢١٩ م (١٤ رمضان ٦١٦ هـ) ، أغار الصليبيون على المدينة . ولعدم معرفة القوات الصليبية بأحوال المدينة وخلوها من السكان فقد تصوروا أن أهلها قد غادروا المدينة على ظهر القوارب عبر بحر تنيس وهو بحر أشموم طناح ، ولم يبق بها سوى الحامية التى تحرس المدينة داخل القلعة المحصنة بسبعة أبراج(١)– فى غاية المنعة – وسورين وخندقين أحدهما يقع أمام السور الأول والثانى بين السورين . وكانت هذه الخنادق مملؤة بالمياه مما كان يزيد مناعة هذه القلعة على الصليبيين . وإستحال على القوات الصليبية الإقتراب منها بعد ما أغلقت حاميتها أبوابها . وكانت مفاجأة للصليبيين عندما وصلوا إلى القلعة فوجدوها خالية من العساكر ، ولم يكن ما إعتلى ظهور القوارب سوى رجال الحامية نفسها ، فاستولى الصليبيون عليها ، وعلى ما وجدوه بداخلها من المؤن والذخائر (٢) . وقد شيد الصليبيون فى تنيس كنيسة لاتينيه خضعت لمطرانيةمدينةدمياط(٣). وهذا يؤيد ما سبق قوله بأن من دوافع الحركة الصليبية كثلكة العالم العربى(٤) .

وعلى أية حال ، فان كان سلوك الصليبيين فى مصر هو مهاجمة المدن

---

١ – Oliver of Padenborn, op. cit., p. 57, cf. Roger of Wendover, op. cit, II, p. 452.

ويلاحظ أن جاك دى فترى ذكر أن عدد أبراجها كان ثمانية أبراج . أنظر :

Vitry, op. cit., 128 .

٢ – Oliver of Padenborn, Ibid. Roger of Wendover, Ibid, Frbri, op. cit,, Vol. 2, part I, p. 359؛ Chronique de Nicolaus Trivete, p. 940.

٣ – Vitry, Ibid .

٤ – أنظر ما سبق ص ٣٠٧

المصرية ، فان سلوك المسلمين بالشام كان مقاربا لذلك مع إختلاف الأهداف، فان الملك المعظم قد عاد إلى الشام بعد سقوط دمياط لغرضين ، أولهما حشد العساكر الاسلامية وإرسالها إلي أخيه الكامل فى مصر وثانيها الضغط على أملاك الصليبيين بالشام لتخفيف الضغط على مصر وإمتصاص بعض القوات الصليبية منها . لذلك قام فى المحرم من سنة ٦١٧ ﻫ (مارس عام ١٢٢٠ م) بحصار قلعة قيسارية، وأقام أمامها المنجنيقات التى ظلت تضرب حصنها ليلا ونهارا ، وتسبب في إصابتها باصابات بالغة (١) وقاومت المدينة في أول الأمر الحصار مقاومة شديدة ، وحاول جارنيه الألمانى Garnier the German نائب الملك جان دى برين عكا في ذلك الوقت إنقاذ الحصن ، فتفاوض مع الجنيويه للدفاع عن الحصن وإستنقاذه على أن يسلم اليهم بعد ذلك . هذا ، ويلاحظ أن الجنيويه كانوا قد طلبوا امتلاك هذا الحصن من الملك الصليبي ولكنه رفض . وإزاء هذا الخطر الذى أخذ يهدد بضياع الحصن، وافق جارنيه على ما طلبوه. كما قام والتر الثالث صاحب قيساريه ١٢١٧-١٢٢٩م من جانبه بارسال المقاتلين والأسلحة والمؤن وما يلزم للقيام بهذه المهمة ، ثم قام الصليبيون باخلاء المدينة . وظلت طوال أربعة أيام وهى تقاوم ضربات المسلمين . وفي النهاية أدرك الصليبيون عدم إمكانهم الصمود أمام الهجمات الاسلامية، فطلب المدافعون عن المدينة من جارنيه مساعدتهم على الهروب من القلعة ، فأرسل اليهم السفن اللازمة وإنسلوا من المدينة تحت جنح الظلام . وإستطاع المسلمون

---

١ ـ Eracles, op. cit.. p 433 , cf. also, Oliver of Padenborn op. cit., p. 58

احتراق الأسوار فى اليوم التالى (١) . وهكذا ظل المعظم نازلا عليها حتى فتحها عنوة (٢) ، ودخل اليها فلم يجد بها أحدا بعد أن فرت حاميتها فأمر بتدمير القلعة ، فخربت تخريبا تاما (٣) .

وبعد أن خرب المعظم قلعة قيساريه ذهب وحاصر قلعة الحجاج التى كانت تعرف أيضا بأسم قلعة عتليت، وكان هدف المسلمين أن ينزلوا بها ما أنزلوا بقيساريه من خراب ، ولكن القلعة كانت من الحصانة بحيث لم يتمكن المسلمون من النيل منها . هذا ، علاوة على الامدادات الصليبية التى أتت لمساعدتها ، وقد فشل المسلمون فى النهاية فى الاستيلاء عليها أو هدمها رغم المحاولات المتكررة التى قام بها لمعظم . وأخيرا إنسحب المسلمون من أمام القلعة (٤) . والمهم أن الهجمات الاسلامية على ممتلكات الصليبيين بالشام بالإضافة الى مرابطة الملك الأشرف بالقرب من أنطاكية وطرابلس ، قد حرم القوات الصليبية الموجودة في دمياط من الإمدادات التى يمكن أن تأتى اليها من الإمارات الصليبية فى الشام . وليس ذلك فحسب بل أدت إلى سحب بعض القوات اللاتينية من دمياط لمساندة أخوانها فى الشام (٥) . ويروى بعض المؤرخين أن هذه

---

١ — Vitry op. cit.. p. 138, cf. Petre de Mantacute' op. cit., p. 434, Eracles, op. cit,, p. 354.

٢ — ابن الجودي : المصدر السابق ج ٨ ق ٢ ص ٦٠٤ .

٣ — Eracles. Ibid.

٤ — Oliver of Padenborn, op. cit., pp. 58-9

٥ — ابن الجوزى : المصدر السابق ج ٨ ق ٢ ص ٦١٩ — ٦٢٠ .

الحوادث هى السبب فى مغادرة الملك جان دى برين دمياط الي عكا (١) . وعن حقيقة الأسباب التى من أجلها غادر الملك المدينة ، فان بدايتها ترجع الى أن العلاقات كانت تسير من سيء إلى اسوأ بينه و بين المندوب البابوى بلاجيوس لتجاهل الأخير للملك ، وعدم إعتباره قائدا للحملة ، ومحاولته فرض سلطته لتعلوا سلطة الملك (٢) , وليس ذلك فحسب بل أن بلاجيوس حاول الجمع بين السلطتين الدينية والدنيوية ومن الطبيعي أن يستاء الملك من هذا التصرف الذى أعتبره مهينا له . ولذلك رأى عدم الدخول في صراعات مع مندوب البابا مفضلا العودة الى بلاده تاركا القيادة لبلاجيوس .

لذلك الملك أصبح يتحين الفرص عله يجد فيها عذرا قويا يتذرع به لمغادرة الأراضى المصرية . وبينما يرى بعض المؤرخين المحدثين أن الملك إعتذر عن البقاء فى دمياط وطلب الرحيل إلى بلاده بحجه قيام الملك المعظم بمهاجمة قيسارية وعتليت ، فان أوليفر وتاريخ هرقل يرون أن السبب الذى تذرع به الملك لترك الحملة فى دمياط هو مشكله الوراثة فى أرمينيه (٣). ولو أن المشكله الأرمينيه فى حد ذاتها لاتتعلق بموضوع الحمله بصفه أساسية ، إلا أن الباحث يرى القاء بعض الضوء عليها لا بصفتها مشكلة تتعلق بأرمينيه ولكن

---

١ — Setton, op. cit., II. p. 422 ; cf. also : Rohricht, Geschichte des Konigreichs Jercsalem, pp. 744—5; Stevenson, op, cit,, p. 306. Duggan, op, cit., p. 218.

٢ — Archer & Kingsford, op. cit., p. 377

٣ — Oliver of Pabenborn, op, cit, p .63, Eracleo, op, cit, p. 347.

كمشكله تتعلق بوضع الملك الصليبي نفسه إذ حاول أن يكتسب لقبا يصبح به ملكا فعليا فى أرمينيه لا وصيا على مملكة عكا ، وهو الأمر الذى يزعزع مكانته أمام بلاجيوس بصفة خاصة وأمام الصليبيين بصفة عامة . هذا من جانب ، ومن جانب آخر باعتبار أن إنسحاب الملك من أمام دمياط سيؤثر على وضع القوات الصليبيه وهى فى منتصف الطريق بين عكا والقاهرة .

وترجع مشكله الوراثة الأرمينية، أن الأمير بوهمند الرابع إستطاع حكم طرابلس بالاضافة إلى انطاكية متجاهلا حقوق إبن أخيه ريموند روبان . وتمكن ليو ملك أرمينية من مساعدة ريموند إبن أخته من إستعاده مركزه فى أنطاكيه مرة أخرى (١) . وحدث بعد ذلك أن مات الملك ليوفى الثانى من مايو عام ١٢١٩ م وترك بنتين هما إستيفانى التى تزوجها الملك جان دى برين (٢) ، والثانية إيزابيلا التى تزوجت من فيليب بن بوهمند، وطرد بوهمند ريموند روبان بعد وفاة ليو وحكم طرابلس وأنطاكية مرة أخرى . وكان ليو قد عين ريموند هذا وريثا له ، ثم عدل عن ذلك وعين آدم أف جاستون Adem of Gaston ، ورغم ذلك نجد ريموند يطالب بعرش أرمينية . وارتاح ريموند من منافسه آدم عندما إغتاله الحشيشية . ولكن ظهر له منافس آخر هو كونستانس Constans ابن عم ليو (٣) . وكان قانون الوراثه فى أرمينيه يعطى الأسبقيـة فى الوراثه لبنات الملك وأزواجهن على إبن العم (٤) . لذلك صار الصراح على الوراثه فى أرمينية يسير فى ثلاثة اتجاهات مختلفة ، الأول منها إتجاه

---

١ — انظر ماسبق ص ١١٥ .

٢ — Rohricht, Geschichte der Kreuzzuge im Umriss' p.205.

٣ — Eracles, op. cit., p. 347.

٤ — Duggan, op. cit , p. 218.

جان دى برين وفيليب عن طريق زوجتيها ، والثانى إتجاه ريموند روبان باعتباره عين للوراثة من قبل ، والثالث إتجاه كونستانس .

أما ريموند فقد حضر إلى دمياط وقابل المندوب البابوى وطلب منه مساعدته فى إستعداده مركزه فى انطاكية بالاضافة الى مركزه كوصيا على أرمينية . وبالفعل ساعده بلاجيوس بالمال والرجال . وبالطبع كانت هذه المساعدة على حساب الحمله المرابطة فى دمياط . وربما كان بلاجيوش يسعى من وراء ذلك إلى بسط نفوذه فى الشام كما عمل على بسط نفوذه في دمياط . وعلى ايه حال ، فقد عاد ريموند إلى أرمينية وتمكن من الاستيلاء على مدينة أنطرطوس . ولكن كونستانس حاصره داخل المدينة فاستنجد بالمندوب البابوى الذى أرسل اليه أيمار بن أخ أيمار صاحب قيساريه السابق (١١٩٣ – ١٢١٣م) . وأبحر أيمار من دمياط ومعه بعض الفرسان في طريقة إلى أرمينية عن طريق قبرص . ولكن هذه النجدة وصلب متأخره ، فقد إستسلم أهل المدينة إلى كونستانس . وتم أسر ريموند زوج به في السجن حتى مات . وبذلك إنتهت مطالبة ريموند بالوصايه على العرش . أما فيما يتعلق بفيليب زوج إيزابيلا إبنه الملك ليو فقد تمكن أيضا كونستانس من تدبير مؤامرة إنتهت بالقبض عليه ، وزج به في السجن . وقام كونستانس بتزويج ايزابيلا من من إبنه هيثوم Hethoum. وبذلك إنتهت أيضا مطالبة فيليب بنصيبه فى العرش الأرمينى (١) .

---

١ — Eracles op. cit. p. 347.

ولم يبق من المنافسين بعد ذلك الا الملك جان دى برين ، لذلك استغل هذه المسأله فى الرحيل من دمياط ، ورغم الاحتمال الكبير فى عدم نجاحه فى مهمته بعد سيطرة كونستانس على أرمينية . فقد صمم على مغادرة مدينة دمياط بعد ما تفاقم الخلاف بينه وبين مندوب البابا . وحتى لا يتصرف الملك من تلقاء نفسه ، فقد رأى الاستئذان من البابا هونوريوس الثالث . وفعلا تسلم الملك تصريحا من البابا فى فبراير عام ١٢٢٠ م بترك الحمله وزيارة أرمينيـة (١) . ويلاحظ أن الملك تسلم الاذن فى فبراير سنة ١٢٢٠ م ، أى أنه طلب الرحيل قبل ذلك، ومن الواضح أنه فى ذاك الوقت أو قبله لم تكن قد بدأت حوادث مهاجمة المعظم لقيسارية وعتليت . وعلى ذلك فان الرأى الذى نادى بأن الملك طالب مغادرة دمياط لزيارة أرمينية هو الأرجح من الناحية العملية . ويلاحظ أيضا أن مغادرة الملك كانت فى أواخر مارس بعد حوادث الهجـوم على الممتلكات الصليبيه بالشام . وهناك فارق بين نيـة السفر وتنفيذ عملية الرحيل . وهذا يدل على أن الملك جان دى برين كان يعمل منذ فترة على مغادرة دمياط إذا أخذنا فى الاعتبار عامل المواصلات فى هذا الوقت بين دميــاط وروما وبالعكس لاستحضار تصريح المغادره . وأن دل ذلك على شىء فانما يدل على سوء العلاقات بين الملك والمندوب . وعلى أيه حال ، فقد إستعد الملك للرحيـل بعد أن سوى بعض الأمور وعين بعض الممثلين له فى دمياط (٢) . وأخذ معه

١ — Ruciman op cit III, p. 164.

٢ — Eracles, op cit., p 349.

كل فرسان جيشه تقريبا وترك بقية عساكره فى دمياط (١) التى غادرها فى التاسع والعشرين من مارس سنة ١٢٢٠ م (٢٢ محرم عام ٦١٧ هـ) فى طريقة إلى عكا (٢) ، ومنها أخذ يستعد للذهاب إلى أرمينية . وفى هذه الأثناء مرضت زوجته إستيفانى وماتت وأشيع أن ذلك بسبب سوء معاملة الملك لها (٣) . ثم مات إبنها بعد موت أمه بقليل وكان يبلغ من العمر أربع سنوات (٤). وبذلك لم يصبح للملك جان دى برين أى حق فى المطالبة بنصيبه فى عرش أرمينية (٥) .

ولو كانت مشكله الوراثة الأرمينيةهى السبب فى مغادرة الملك مدينة دمياط لعاد الى مصر بعد أن ضاع حقه وأمله فى العرش . ولكنه لم يعد الى دمياط واستمر غيابة فى عكا أكثر من سنة . وهذا يؤكد أن مشكله الوراثة فى أرمينية لم تكن المشكله الحقيقية التى غادر الملك من أجلها دمياط ، أو على الأقل لم تكن السبب الرئيسى فى رحيله من المدينة .

ومهما يكن من أمر فقد كان رحيل الملك جان دى برين الى الشام فرصة للمندوب البابوى بلاجيوس فى بسط نفوذه على الحمله كلها ، وهو ما سعى

---

١ — Vitry, op, cit., p. 136, Cf. also : Fabri, op, cit, Vol. 2, part I, p. 360.

٢ — Rohricht, op. cit., p. 205,

٣ — King, op cit., p. 19[illegible],

٤ — [illegible], ibid.

٥ — [illegible]unciman, op. cit., III, p. 165.

اليه وما كان يتمناه . ولما كان بلاجيوس حريصا على بقاء الحمله والعمل بشتى السبل لانجاح مهمتها ، فقد كان يخشى عودة الصليبيين إلى أوطانهم ، ويتبدد ما قامت به الحمله من جهود . لذلك بدأ فى إصدار التعليمات اللازمة لتقييد حركة السفن التى تنقل الجنود العائدة الى أوطانها ليضمن عدم رحيل القوات الصليبية الا بالقدر الذى يراه ، أو العمل على عدم رحيلها على الاطلاق . ولم تأت هذه القرارات بالنتائج التى تمناها المندوب البابوى فقد عاد عدد كبير من الصليبيين إلى بلادهم فى ربيع عام ١٢٢١ م لاعتقادهم أنهم وفوا بعهودهم . ولم يعبأوا بهذه القرارات ولا بتهديدهم بقرار الحرمان. وكان عذرهم إلى جانب وفائهم بعهودهم أن حالتهم الصحية لا تمكنهم من الاقامة مع الحمله . وكان من بين العائدين عدد كبير من الفرسان الايطاليين وبعض رجال الدين ، كما غادر دمياط ايضا رالف إيرل شيستر وهو الوحيد الذى صرح له القاصد الرسولى بالعودة (١) . ويبدو أن الحملة قد أصيبت فى هذه الفترة بالانحلال التام حتى يغادرها عدد من رجال الدين غير عابئين بقرار الحرمان . والمفروض فيهم أن يكونوا حريصين كل الحرص على تنفيذ تعليمات المندوب البابوى ، وقدوة للاخرين .

وفي فترة الحظر التى فرضها بلاجيوس على حركة السفن الصليبية، قام الملك الكامل باستغلال فرع رشيد . وأرسل منه بعض قطع الأسطول الأيوبى فى البحر الأبيض وهو آمنا من تعرض البحرية الصليبية له . وإتخذ طريقة إلى قبرص حيث عثر على بعض السفن الصليبية رأسية في الميناء ليماسول Limasol فشن عليها هجوما مفاجئا أدى إلي أغراق بعضها وأسر البعض الآخر. ووقع

---

١ - Roger of Wendover, op cit., II, p 426,

في أيدى المسلمين آلاف عديدة من الأسرى الفرنج (١) . ويلاحظ أن هذه الحوادث قد جرت رغم تحذير بلاجيوس من نشاط البحرية الاسلامية. ولكن الصليبيين تجاهلوا هذا التحذير ثم عادوا وأدركوا الأمر بعد فوات الأوان . وحاول بلاجيوس القيام بعمل مماثل لما قامت به البحرية المصرية ومهاجمة ميناء رشيد أو الاسكندرية بأسطول البنادقة . ولكن هـــذه الفكرة لم تنفذ لحاجة القيادة الصليبية الى الاموال اللازمة لاصلاح وإعداد السفن اللازمة للقيام بهذه العملية (٢) .

وتخرج من ذلك أن تعليمات المندوب البابوى بشأن القيود التى وضعها على حركة السفن اللاتينية قد أضرت بالبحـــرية الصليبية أكثر مما أفادتها ، وحرمت القوات الصليبية في دمياط من الامدادات الصليبيــة التى كانت ترد اليها من قبرص (٣) . هذا بالاضافة إلى أنها لم تأت بالنتيجـــة التى أرادها بلاجيوس في منع عودة القوات الصليبية إلى أوطانها .

وفي الواقع أنه فى الوقت الذى كانت تغادر فيه هذه القوات ميناء دمياط

---

(١) Petre. de Montacute, op. cit II, 426.

روى جاك دي فترى ان جملة عدد الاسري فى المعارك البرية والبحرية وفى الكمائن قد يبلغ ثلاثة الاف ، وذلك فى الخطاب الذي وجهه الي البابا هو نوريوس الثالث فى ١٨ ابريل ١٢٢١ م (٢٣ صفر ٦١٨ هـ) .Vitry, op. cit p. 138 وبذلك يكون من غير المعقول أن يتم أسر الاف عديدة فى هذه المعركة وحدها .

٢ — Oliver op Padenborn op. cit., pp 67,82 cf also : Chronique de Tours, p. 938.

٣ — Vitry; op. cit, p. 139

كانت بعض القوات الصليبية الأخرى فى طريقهـا من أوربا الى مصر (١) .
ويتضح من ذلك أن الخطابات المتلاحقـة التى أرسلهـا رجال الدين والقادة الصليبيون عقب سقوط مدينة دمياط قد آتت أكلها ، وإستجـاب البابا لنداء زعماء الحملة وبدأ فى ارسال بعض القوات التى وصلت الى دمياط فى مارس سنة ١٢٢٠ م (محرم ٦١٧ هـ) ومعهم بعض رجال الدين وعلى رأسهم هنرى رئيس أساقفة ميلان يرافقهم رسل من قبل الامبراطور الالمانى فريدريك الثانى ، الذى كان يرى أن الظروف لم تعد مناسبـة له لترك أوربا فى هـذا الوقت واللحاق بالحملة فى دمياط (٢) . كما قدمت أيضا بعض الامدادات من المانيا وفرنسا . هذا بالاضافة الى مبلغ كبير من المال الذى جمـع فى أوربا لصـالح الحملـة ، وعززه البابا ببعض الاموال الاخرى من الخزانة البابوية (٣) .

والمهم أن هذه القوات الغربية التى وصلت أخيراً أقـترحت على المندوب البابوى الهجوم على القوات الاسلامية . غير أن الفرسان الموالين للملك جان دى برين عارضوا هذه الفكرة وأعلنوا أن الملك هو القائد الوحيد للحملة وتدين له كافه القوات الصليبية بالولاء ، وأنهم لا يستطيعون القيام بأى عملية عسكرية إثناء غيابه فى عكا (٤) . وهكذا فشل مشروع الهجوم على المسلمين لاختلاف آراء الصليبين حول تنفيذه .

---

١ — Petre de Montacute, op. cit., P. 453,

٢ — Oliver of Podenborn, op. cit p 61.

٣ — Petre de Montacute Ibid.

٤ — Oliver of Padenborn, Ibid.

وفى أعقاب ذلك وصلت بعض الإمدادات الاخرى . فقد حضر فى يوليو ١٢٢٠ م (جمادى الأولى ٦١٧ هـ) متى Mathew كونت أبوليا ومعه ثمان سفن أرسلها الامبراطور فريدريك . وحاول بلاجيوس مرة أخرى استغلال هذه القوات فى الزحف تجاه القاهرة ، ولم توافقه هذه المرة القوات الفرنسية والإنجليزية والألمانية . وتمردت عليه فى ذاك الوقت خاصة عندما اقترح تجميع حملة فرعية من القوات الصليبية تضم كافة الموالين له يتولى هو قيادتها ويتجه بها صوب القاهرة (١) ، وهكذا فشل هذا المشروع أيضا فى مهاجمة القوات الاسلامية .

ويبدو أن المندوب البابوى قد اكتفى بعد فشل المشروعين باعداد مشروع للاغارة على البرلس . ففى يوليو من عام ١٢٢٠ م (جمادى الأولى ٦١٧ هـ) قام فرسان الطوائف الدينية العسكرية بالإغارة عليها ونهبها . ولكن هؤلاء الفرسان وقعوا فى كمين أعدته القوات الإسلامية أثناء عودتهم . ووقع فى الأسر عدد كبير من الفرسان منهم أحد مارشالات طائفة التيوتون (٢) . ومن الملاحظ أن هذه الحادثة لم يرد ذكرها فى المصادر العربية المعاصرة للحوادث — التى بين أيدينا — ولكنها وردت فى بعض المصادر المتأخرة نسبيا ، واختلفت روايتها عما ذكرته المصادر الأجنبية . فقد ذكرت هذه المصادر أن الصليبيين أغاروا على البرلس فى شهر رجب سنة ٦١٧ هـ (سبتمبر ١٢٢٠ م) وتمكن المسلمون من قتل عشرة آلاف من القوات المهاجمة كما إستولوا على خيول العدو وسلاحه

---

١ — Oliver of Padenborn, op. cit pp. 62 - 3

٢ — Olivér of Padenborn, op. cit., p. 65

وفر باقى المهزومين إلى دمياط (١) . ومما لاشك فيه أن ما أورده المؤرخون العرب عن قتل مثل هذا العدد أمر مبالغ فيه بصورة كبيرة جدا ، لاسيما أن البرلس لم تكن مكانا لتجميع القوات الإسلامية حتى تعد له القيادة الصليبية قوة قد تصل إلى أضعاف مثل ما قتل فيها ، لأنه من الناحية العملية لو تم الهجوم بعشرة آلاف صليبي وهو العدد الذى قتل بصرف النظر عن العائدين منهم لقضى مثل هذا العدد على البرلس ومافيها قضاء تاما .

ومن الواضح أن القوات الصليبيـة لم تقم بأى عمل عسكرى بعد سقوط دمياط سوى الإستيلاء على قلعة تنيس فى نوفمبر ١٢١٩ م (رمضان ٦١٦ هـ) والإغارة على البرلس فى يوليوعام ١٢٢٠ م (جمادى أولى ٦١٧ هـ) ويبدو أن شبه الفراغ العسكرى الذى عاش فيه الصليبيون منذ سقوط المدينة قد دفع بهم إلى حياة الفساد والفجور بعكس الحالة السابقة لسقوط المدينة (٢) . وقد صور جاك دى فترى هــذه الحالة فى خطاب أرسله الى البابا هونوريوس الثالث فى الثامن عشر من أبريل عام ١٢٢١ م (٢٣ صفر ٦١٨ هـ) سجل فيـه الآثام وأعمال الغش والسرقة وقتل الصليبيين بعضهم البعض . كما صور أيضا إنتشار لعب الميسر فى صفوف الصليبيين وصرف الأموال على الغانيات والحياة المزرية الفاسقه التى يعيشها رجال الحملة حتى أنهم أصبحوا يترددون فى خطيئة إلى أخرى غير عابئين بقرارات الحرمان وغير محترمين لرجال الدين . وأضاف أن الصليبيين

---

١ ـ النويري : المصدر السابق ج ٢٧ لوحة ٢٨ ، أبامخرمه : المصدر السابق ج ٥ ورقة ٨٣ ابن العماد : المصدر السابق ج ٥ ص ٧٢ ، الحافظ الذهبى : المصدر السابق ج ٢ ص ٩٠ ، المصدر السابق ج ٦ ص ٢٤٨ .

٢ ـ Eracles op. cit., p. 348

قد تفرغوا للسكر والعربدة وضورهم بأنهم أصبحوا مارقين ومجرمين وخونة وأنهم بهذه الأعمال يحطمون رسالة السيد المسيح (١) .

كما ذكر أيضا أن القوات الإسلامية لم تكف عن الحاق الأذى بالقوات الصليبية فى كل الظروف التي أتيحت لها . وقال أن الملك الكامل شجع قواته بمنح المكافآت نظير كل أسير أو قتيل من الصليبيين . وعلى ذلك قامت القوات الإسلاميه بنصب الكمائن للقوات الصليبية التى تخرج من المعسكر الصليبي لجمع الأخشاب أو الحبوب أو العليق أو صيد الأسماك . كما إستطاع المسلمون أسر بعض القوات الصليبية بعد إصابه خيولهم بالسهام . ومن الحيل التى لجأ اليها المسلمون هو تظاهرهم بالإنسحاب عند مشاهدتهم بعض القوات الصليبية ، ثم يعودون ويطبقون على من يتبعهم من الفرسان الصليبية ويقبضون عليهم . وأضاف أن المسلمين كانوا فى غايه الحذر أثناء قيامهم بهذه العمليات ، فهم لايهاجمون الصليبيين إلا إذا توفر لديهم العدد الكافى بحيث يضمنون نجاح المهمة التى يقومون بها (٢) .

ويبدو أيضا أنه خلال هذه الفترة التى أصيب فيها المعسكر الصليبي بالانحلال والتى تميزت بالهجمات الإسلامية الخاطفة على القوات الصليبية التى تبتعد عن المعسكر الصليبي أن بعض القوات الصليبية هربت من المعسكر الصليبى واتجهت إلى المسلمين ودخلت فى الديانه الإسلامية ، وقد تحامل عليهم جاك دى فترى

---

١ — Yitry, op. cit, p., 139. Cf. also : Oliver of Padenborn op. cit , pp. 54 , 65

٢ — Vitry, op cit, pp. 136 - 8:

إلى حد كبير (١) . وليس ذلك بالغريب عن رجل دين مثله متعصب للحركة الصليبية ولديانته ومن الداعين إلى كثلكة العـــالم الإسلامى تحقيقا للفكرة الصليبية عن طريق الحركة التبشيرية .

وعلى أية حال فان الملك الكامل ظل مرابطـا للجهاد فى المنصورة فى تلك المرحلة الحرجـة مستغلا حيـاة الخمول والكسل والتراخى التى كانت يحياها الصليبيون أثنـاء وجودهم فى دميـاط ، وفاعلا كل ما فى وسعه لوقف الزحف الصليبي على القاهرة (٢) . وفى الوقت نفسه قام بجمع العساكر من كافة النواحى ما بين أسوان والقاهرة (٣) . ولكي يشغل الصليبيين عن الخروج من دميـاط حتى تكتمل قواته قام بوضع بعض السفن الاسلامية فى بحيرة تنيس ، كما وضع الكثير من العربان والتركبول والفرسان حول دمياط لكى يقوموا بمنـاوشة القوات الصليبية ويشغلوها باستمرار . ومن الواضح أن الأعمـال العسكرية ، سواء أكانت بحرية أم برية ، قد نجحت نجاحا كبيرا فى تحقيق أهدافها وتمكن المسلمون خلالها من أسر عدد كبير من الصليبيين بلغ ثلاثة آلاف أسير من بينهم من أسروا فى المعارك السابقة وذلك حسب تقدير المؤرخ جاك دى فترى (٤) .

ولكى يؤمن الصليبيون أنفسهم ضـــد المناوشات قاموا بتشييد حصن فى جيزة دمياط لحماية الميناء والسفن الصليبية وبذلوا فى ذلك جهدا كبـيرا . وقد إشترك الجميع فى اقامة هذا الحصن ، وقد حمـــل كبيرهم وصغيرهم الرمال على

---

١ — Vitry, op. cit., p. 168 - 9.

٢ — سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ج ٣ ص ١٨١ .

٣ — Hist. Patr. Alex., 265.

٤ — Vitry, op. cit., pp. 137 - 8.

أكتافهم وعرف هذا الحصن باسم تورون Toron وهو يشبه التل المرتفع وقد أحيط بسور من الطين لعدم توفر الأحجار في هذه المنطقة . ورأى فيه الصليبيون حصنا منيعا لأنه لا يتأثر بالنار الإغريقية فضلا عن عدم إمكان إقامة السراديب تحت أسواره لكونها من الرمال والطمى . ثم أقاموا فوقه برجا خشبيا شديد الإرتفاع لإرشاد السفن الصليبية القادمة إلى دمياط . كما شيد الصليبيون أيضا في بحيرة تنيس في منتصف الطريق بين قلعتها وبين دمياط حصنا آخر أطلقوا عليه حصن بوتافانت Butavant وقد نجح هذا الحصن في الحد من نشاط السفن الإسلامية داخل البحيرة ، وأصبحت القوات الصليبية في مأمن لصيد ماتشاء من الأسماك المتوفرة فيها التي كانت من المواد الغذائية الرئيسية للحملة (١) .

وبعد إقامة هذين الحصنين شعر الصليبيون بالأمان النسبي داخل دمياط وماحولها . وبدأ المندوب البابوي في إعادة تنظيم قواته مرة أخرى . وفي هذا الصدد سجل أيضا المؤرخ جاك دي فترى أن بلاجيوس أصدر الأوامر التي تحرم على أى فرد إرتياد حانات السكر أو ممارسة لعب الميسر مع فرض العقوبات المالية على مرتكبي مثل هذه الأعمال . كما عين إثنى عشر قاضيا لمحاكمة اللصوص والسفاحين وغيرهم من سفلة الصليبيين . وقد نجح بلاجيوس في إعادة النظام إلى المعسكر الصليبي لدرجة أن جاك دي فترى يصفه بأن أصبح في نظامه مثل أديرة الرهبان ، وإستجابت الجنود الصليبية للتعليمات إستجابة تامة ، واضطرت العاهرات إلى ترك المعسكرات الصليبية في المدة التي تحددت لهن . وكان الصليبيون يعاقبهن بالجلد في وسط المعسكرات إذا قبضوا على

١ — Vitry, op. cit., pp. 140 - 1, Cf also : Oliver of Podenborn op. cit., p. 57.

أحداهن داخل معسكراتهم . هـذا بالاضافة الي وضع عـلامات معينة على جباههن مستعملين الحديد المحمى بالنار . وبدأ الصليبيون فى التوبة والاعتراف بخطاياهم وتحولوا الى نوع آخر من الرجال ، وأحاط الجلال والوقار بالجيش الصليبي وفقا لروايـة جاك دي فترى (١) . ولكى يشغـل المندوب البابوى القوات الصليبية حتى لا تعود الي الحالة التى كانت عليها فقد إستخدمهم فى توسيع واصلاح شوارع المدينة (٢) .

ورغم محاولة المندوب البابوى السيطرة على القوات الصليبيـة إلا أنه فى سبتمبر عام ١٢٢٠ م (رجب ٦١٧ هـ) تزايد عـدد العائدين إلى بلادهم وفى الواقع كان لرحيل القوات الصليبية من دمياط أسوأ الأثر في نفوس القـادة ورجال الدين وبقية الصليبيين . ويبدو أنه قد أثر بدرجة كبيرة على قوة الحملة العسكرية الباقية فى دمياط وعلى روحها المعنوية ، حتى أن جاك دى فترى قد صور حالة الجيش في خطاب وجهه الى البابا هونوريـوس الثالث وإلى بعض الشخصيات الكبيرة فى أوربا معددا الشخصيات والقوات التى تركت الحمـلة بادئا بالملك جان دى برين وبطرس مونتاجو (٣) رئيس هيئة الفرسان الداوية وكافة الفرسان الفرنسيين تقريبا ، بالاضافة الي القبرصية . ويصور فى هـذا الصدد أنه لم يعد هناك أى وجود للقوات الصليبية اللاتينية بما فيها رجال الدين

١ — Vitry, op. cit., p. 57.

٢ — Setton, op. cit., II. p. 421.

٣ — هو الذى خلف وليم بواسيه فى رئاسة هيئة الفرسان الداوية مـن ١٢٢٠ — ١٢٣٩ م .

عدا رادلف بطريق بيت المقدس. ويضيف جاك دى فترى وأليفر أن رحيل معظم القادة الصليبيين قد أثر كذلك فى موارد الحملة ، وأن من تبقى من الزعماء القادرين على الأنفاق على عساكرهم لا يتعدوا أربعة أو خمسة من الزعماء منهم الكونت متى . وأضاف أنه إنقاذا للموقف قام المندوب البابوى بتقديم ما فى استطاعته من الأموال للانفاق على القوات الصليبية . كما سجل جاك دى فترى أن بقاء العساكر الصليبية على هذه الصورة قد عرضها لخطر كبير فى دمياط لعدم إمكانها مواجهة القوات الاسلامية . لذلك بقيت خلف الأسوار وداخل الخنادق مكتفية بالدفاع عن نفسها وحراسة المدينة (1) .

وقد أطمأن الصليبيون بعض الشيء عندما بلغت مسامعهم الأنباء التى أرسلها البابا هونوريوس الثالث ومفادها أن الامبراطور فريديك أتى إلى روما فى نوفمبر عام ١٢٢٠ م حيث قام البابا بتتويجه مع زوجته كونستانس Constance امبراطورا وامبراطورة على المانيا . وفى مقابل ذلك أكد فريدريك وعده السابق فى التوجه إلى الشرق ، وحدد ربيع عام ١٢٢١ م موعدا لرحيله . ورغم ذلك فان البابا هونوريوس أصبح لا يثق فى وعود الامبراطور . لذلك نصح بلاجيوس بعدم رفض أى عرض يتقدم به الملك الكامل للصلح الا بعد عرض الأمر عليه . ورغم شكوك البابا فى وعود الامبراطور ، الا أن الصوره التى ظهر بها فريدريك فى الفترة اللاحقة كانت تبشر بخير وتوحى بأنه جاد فى وعده خاصة بعد قيامه بتشجيع وحث رعاياه على اللحاق بالحملة وإرساله

١ — Vitry. op. cit., pp. 136-7, Oliver of Padenborn, op, cit., pp. 67-8.

لويس دوق بافاريا فى أوائل مايو على رأس قوة حربية كبيرة . وبالإضافة الى هؤلاء فقد أتت الى دمياط فى عام ١٢٢٠ م (٦١٨ ﻫ) إمدادات كثيرة. وكان من بين القادمين الاسقف الألمانى أولريخ Ulrich أسقف باسو Passau (١) كذلك عاد لدمياط هرمان فون سالزا رئيس هيئة الفرسان التيوتـون ومعه خمسمائة من الفرسان . ويبدو أن هرمان قد رحل مع الملك جان دى برين الى عكا ، وقد بشرت هذه القوات بقرب وصول الامبراطور فريدريك (٢). ومما تجدر الاشارة اليه أن الامبراطور قد أمر لويس دوق بافاريا بعدم القيام بهجوم كبير على القوات الإسلامية حتى يلحق بنفسه بالجيش فى دمياط (٣). وهكذا أخذت القوات الصليبية تتدفق على دمياط من كل فج عميق حـتى أصبحت « دار هجرتهم » (٤) ، متشجعين بامتلاك إخوانهم الصليبيين للمدينة «وتمكنهم من الديار المصرية » (٥) ، وتزايد عددهم يوما بعد يوم (٦) ، حـتى أصبحت أعدادهم لا تحصى (٧) .

---

١ — Oliver of Padenborn op. cit., p. 70, Chronique de Tours, p. 938.

٢ — Petre de Monracute, od. cit., p. 434.

٣ — Duggan, op. cit., p. 219.

٤ — ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ٣١٣ .

٥ — ابن واصل : المصدر السابق ج ٤ ص ٩٢ .

٦ — Fabri, op. cit., Vol. 2, Part. I, p. 360

٧ — ابن الأثير : المصدر السابق نفس الموضع .

وبعد وصول الإمدادات الى دمياط على هذا النحـــو ، تشجع المندوب البابوى وقرر فى أواخر يونيه عام ١٢٢١ م (أوائل جمادى الأول ٦١٨هـ) الزحف صوب القاهرة ، وقد أيده فى ذلك الصليبيون الجـدد وعلى رأسهم لويس دوق بافاريا الذى كان يرى الإسراع فى مهاجمة القوات الإسلامية قبل حلول موعد الفيضان متجاهلا بذلك تعليمات الامبراطور فريدريك، كما أيده أيضا بطرس أف مونتاجو الذى عاد إلى دمـياط ، بالاضافـــة الى رئيس أساقفة ميلان والاساقفة الآخرين (١) . ويلاحظ أن هذا القرار أتخذ أثنـاء غياب الملك جان دى برين فى عكا . وربما قصد المندوب البابوى من وراء ذلك أن يستحوز على النصر ــ الذى افترضه مقدما للحمله ــ ليعلى به من شأنه وشأن الكنيسة اللاتينية باعتباره ممثلا لها (٢) . ولكن القادة العسكرين عارضوا هذا الرأى وأصروا على إرجاء الزحف تجاه القوات الإسلامية حتى حضور الملك الصليبى من عكا . وإزاء إصرار القادة على رأيهم إنصاع بلاجيـوس لطلبهم وأرسل سفارة رسمية إلى الملك فى عكا ليثبت حسن نيته للحمـلة وللكنيسة معا (٣) • بينما يروى تاريخ هرقل أن نواب الملك الذين تركهم نيابة عنه فى دمياط أثناء غيابه هم الذين أرسلوا الى الملك يطلبون منه الحضـــور الى

---

١ ـ Petre de Montacute, Letter to Martel, cf Roger of Wendover, op. cit., II p. 437

٢ ـ Eracles, op. cit.' p. 319.

٣ ـ Fabri, op. cit, Vol 2, Part I, p. 390. Donovan, op. cit, p. 85.

أنظر أيضا : سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ج ٢ ص ١٨٠ .

دمياط (١) . والمهم ان الملك الصليبي لم يوافق على الحضور الا بعد أن وعده بلاجيوس بمزيد من السلطة على الجيش الصليبي في دمياط (١) . وهذا يؤكد أن المندوب البابوى كان طرفا في إستدعاء الملك جان من عكا . وعلى أية حال، فان الملك الصليبى قد حزن حزنا شديداً عندما أبلغه الرسل باستعداد الجيش الصليبي للزحف تجاه القاهرة ، وأشار أن هذا التصرف سيعرض القوات الصليبية لمجازفة خطيرة تهدد بضياع كل المكاسب التى حققتها الحملة حتى ذاك الوقت (٣) . وكان على الملك ضرورة الحضور الى دمياط حتى لا يتعرض للوم القيادة الصليبية والكنيسة (٤) ، لأنه كان سيتعرض فعلا لهذا اللوم سواء إنتصرت الحملة أم إنهزمت . ففى حالة الانتصار سيكون الفضل كله للمندوب البابوى ، وفى حالة الهزيمة ستلقي عليه المسئولية باعتباره السبب في ذلك لعدم حضوره الى دمياط . وعلى ذلك أعد الملك ثلاث سفن وأبحر بها من عكا الى قبرص ومنها الى دمياط (٥) .

---

١ — Eracles, Ibid .

٢ — Archer, & Kingsford, op. cit., p. 378

٣ — Grousset, op. cit , III, p. 236.

٤ — Fabri' Ibid

أنظر أيضا : سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق نفس الموضع .

٥ — Pettre de Montacute, op. cit., p. 387. cf. also: Eracles, op. cit., p. 349.

ولم ينتظر المندوب البابوى حتى يصل الملك الصليبي ، فأخذ يعد الجيش للقيام بعملية الهجوم على القوات الإسلامية المرابطـــة فى المنصورة وأصبح الجيش الفرنجى على أهبة الاستعداد فى التاسع والعشرين من يونية عام ١٢٢١ م (٧ جمادى الأولى ٦١٨ هـ (١) . وتحركت القـــوات الصليبية من دمياط إلى معسكرها الكائن خارج المدينة (العادلية) إستعدادا للتقدم جنوب دمياط بحذاء النيل . واستعمل بلاجيوس سلطته والتهديد بقرار الحرمان فى تنفيذ هـــذه التحركات(٢) . وظل الجيش الصليبي خارج دمياط أربعة أيام فى إنتظار وصول الملك جان دى برين (٣) . ولكى يعد المندوب البابوى الجيش روحيا للمعركة القادمة أمر فى السادس من يوليو ١٢٢١ م (١٤ جمـــادى الأولى ٦١٨ هـ) بالصيام لمدة ثلاثة أيام ، ولم يلبث أن وصل الملك الصليبي فى السابع من نفس الشهر (٤) . وبوصول الملك بدأ الصراع مرة أخرى بينه وبين القاصد الرسولى وهو ما كان متوقعا من قبل لاختلاف وجهات النظر حول فكرة التقدم جنوبا إلى القاهرة والحقد الدفين بين الطرفين بسبب الصراع على السلطة .

ومهما يكن الأمر ، فان القيادة الصليبية عقدت مجلس الحـــرب للتشاور فى الأمر ، وأصر المندوب البابوى على الزحف صوب القاهرة (٥) . فقد كان يرى

---

١ — Rohrichr, Geochichte des Konigreichs Jerusalem, P' 747.

٢ — Eracles, Ibid.

٣ — Eracles, op. cit., P' 350.

٤ — Philip de Aldeney, Lettre to Lalph Earl of Chester cf., Roger ot Wendover, op' cit., II. p' 435.

٥ — Oliver of Padendorn, op. cit., pp. 70-1.

أن تحطيم القوة الإسلامية لا يتم إلا بالاستيلاء على القاهرة والقضاء على قوات مصر العسكرية. فمصر هى التى تمد العالم الاسلامى خاصة الشام بالمال والسلاح وأن سقوط مصر سيقضى على كافة القوى الاسلاميه الأخرى . هذا بالاضافة إلى أنه كان يرى أن القوات الصليبية متحمسة جداً لهذه العملية أكثر من أى وقت مضى وأن ضياع هـذه الفرصة يعتبر خيانة للحركة الصليبية ، كما كان يرى أن الهزائم التى لحقت بالمسلمين ستساعد الجيش الصليبى عـلى النجاح فى مهمته ، وساند الأساقفـــة والوعاظ وكافة رجال الدين اقتراح المندوب البابوى (١) .

وفى الوقت نفسه عارض الملك الصليبى فكرة الهجوم على المسلمين ،وكان يرى إنتظار وصول الأمبراطور فريدريك (٢) ، وكان يرى أيضا أن الوقت لم يعد مناسبا للقيام بهذه العملية بعـد أن لاحت البشائر بفيضان النيل ، وأن ذلك سيجعل من المتعذر على الصليبيين الاتصال بقواتهم فى دمياط سواء عن طريق البر أو البحر بعد مغادرة المدينة جنوبا صوب العاصمة (٣) . وفى هـذا المجلس حمل الملك الصليبى الذين ينادون بالزحف مسئولية النتائج المترتبة على ذلك . كما أشار أنه بعـد الانتصار عـلى المسلمين سيصبح من الصعب عليهم الاحتفاظ بالأراضى التى سيستولون عليها لأن الصليبيين تواقين للعـــودة إلى أوطانهم وليس إلى البقاء بمصر. وأضاف أنه ليس من المهم أن تنتصر القوات الصليبية فى معركة،فالصليبيون يحاربون الأمة الاسلامية بأسرها وهى مستعدة

---

١ — Nichaud, op cit., II P' 254.

٢ — Rohricht, Ceschichte der Kreuzzuge im Umriss' P. 207 .

٣ — Fabri, op. cit.. Vol.2' part 1, P. 306

للتضحية بدمائها في سبيل النصر ، وأنه بوسعها القضاء على الصليبيين إذا تركتهم فريسة للأمراض والارهاق والخلافات التى كانت تمزقهم والقلق النفسى الذى كانوا يعيشون فيه، فضلا عن جو مصر الحار الذى لم يتعودوا عليه ، وبذلك تضيع كل الجهود الصليبية هباء . كما أنه أشار إلى نقطة هامة تحوى فلسفة الحركة الصليبية لامن الوجهة العملية بل من الوجهة النظرية ، عندما أعلن جان دى برين أن القوات الصليبية لم تتجمع تحت راية الصليب لغزو مصر بل من أجل إستعادة بيت المقدس ، وأن الاستيلاء على دمياط وتنيس قد حقق لها هذه الغاية وكان عليها قبول عرض الملك الكامل بالصلح واستعادة الأرض المقدسة قبل التفكير فى غزو أراضى ليس من المؤكد ان تصبح فى ايديهم (١) . والواضح انه بالرغم من السمة الدينية التي إتسمت بها الحملة الصليبية ، فقد كانت الاتجاهات الاستعمارية واضحة فيها شأنها فى ذلك شأن زميلاتها من الحملات الصليبية الأخرى وهو أمر لا يمكن إغفاله عند التعرض للحركة الصليبية ودوافعها .

والمهم أن المندوب البابوى أصر علي الزحف جنوبا إلى القاهرة ورفض كل الحجج التي نادى بها الملك الصليبى (٢) ، مستغلا حماس القوات الصليبية التى أتت أخيراً من أوربا (٣) . وغضب من معارضة الملك رغم سلامة الآراء التى نادى بها والتى أظهرت بجلاء حكمته في ذلك الموقف العصيب الذي تعثرت

---

١ — Michaud, op. cit., II, PP. 254 – 5.

٢ — Chronique de Tours, P. 988

٣ — Stevenson, op. cit., P. 305

فيه الآراء الصليبية (١) . وفي الواقع كان الأولى أن تصدر مثل هذه الآراء عن المندوب البابوى وليس عن الملك الصليبى ، باعتبار أن المفروض فى ممثل البابا ان يكون إكثر تفهما للحركة الصليبية عن الحكام العلمانيين (٢) . وحسما لهذا الخلاف أستعمل المندوب البابوى سلاح التهديد بقرار الحرمان لكل من يخالفه فى تنفيذ خطة الزحف على القوات الاسلامية ، وعند هذه النقطة رضخ الملك للأمر الواقع حتى لا يبعد عن هدف الحملة الذى خطط له مجلس اللاتيران الكنسي منذ ست سنوات وحتى لا يكون عرضة للوقوع تحت طائلة قرار الحرمان (٣) . ويشير تاريخ بطارقة الاسكندرية أن الملك كان مضطرا للموافقه لأنه لو استمر فى معارضه المندوب البابوى لقتله الصليبيون (٤) . وهكذا تقرر بالإجماع تنفيذ خطه الزحف على القوات الاسلاميه التى تعسكر فى المنصوره على بعد مسيرة يوم واحد من دمياط .

وتجهز الجيش الصليبى للدخول فى المعركه الفاصلة مع القوات الاسلاميه واستعدت البحرية الصليبيه بأكثر من سمائة سفينة من مختلف الأحجام (٥) ، وقدحددها أوليفر بستمائة وثلاثين سفينه حملت حوالى سبعة آلاف من الفرسان الصليبيين وحوالي اربعة آلاف من رماة السهام من بينهم حوالى خمسمائة والفين

---

١ — Fabri, op. cit, Vol.2, Part I, P. 36 .

٢ — Michaud' op. cit., II, P. 2 5.

٣ — Fabri Ibid.

٤ — Hist Patr, Alex.,p . 62),

٥ — Setton op. cit., II, P. 212

من المرتزقة ، بالإضافة إلى عدد كبير من المشاه . هذا بخلاف القوات التى كانت تسير بمحاذاة النهر إلى جانب السفن لامداد القوات المحمولة عليها بما تحتاجه من مياه الشرب (١). وأشار تاريخ بطارقة الاسكندرية أن مجموع هذه القوات الصليبية بلغ تسعين ألفا (٢)، وقدرها المقريزى بحوالى مائة وعشرة آلاف مقاتل منهم عشرة آلاف من الفرسان (٣). أما المصادر الأجنبية المعاصرة فقد قدرتها بحوالى ستة وأربعين ألفا (٤) . وعلى أية حال ، قامت القيادة الصليبية بتزويد السفن من الجهة المقابلة للضفة الغربية لدمياط بالستائر ، حتى تكون فى مأمن من الهجمات الإسلامية فى هذا الجانب (٥). وبهذا التكوين تقدمت القوات الصليبية فى خدها وحديدها من دمياط جنوبا فى النيل وبمحاذاة الشاطىء للتوغل فى ديار مصر (٦). ووافق ذلك اليوم السابع عشر من شهر يوليو عام ١٢٢١ م (٢٥ جمادى الأولى هـ) ووصلت إلى فارسكور فى اليوم التالى (٧) .

ولما علم الملك الكامل بتحرك هذه القوات زحف بدوره شمالا فعبر بحر أشموم وتقدم نحو شار مساح ، غير أنه رجع ثانية إلى معسكره الحصين فى

---

١ — Oliver of Padenborn, op .cit. p. 78.

٢ — Hist. Patr. Alex., p. 257

٣ — المقريزى: السلوك ج ١ق١ ص ٢٠٢

٤ — Philip de Albeney, op. cit., p. 436.

٥ — Setton, op. cit., II. p. 424.

٦ — ابن واصل : المصدر السابق ج ٤ ص ٩٤ · أنظر أيضا :

٧ — Petre de Montacute, op. cit., P. 4·7 Oliver, of Padenborn Ibid

المنصورة واختار أن يجعل منه محور الارتكاز لجميع خططه المقبلة (١) . وعلى هذا النحو وجد الصليبيون الطريق مفتوحا أمامهم ولم يعترض طريقهم سوى بعض المناوشات الخفيفة ، فوصلوا إلى شار مساح وإستولوا عليها فى الرابع والعشرين من نفس الشهر (٢جمادى الآخرة ٦١٨هـ) وكانت خرابا (٢) .

ومما يجدر الاشارة اليه فى هذا الصدد ما ذكره تاريخ بطارقة الإسكندرية أنه عندما وصلت القوات الصليبية إلى شار مساح عرض الملك جان دي برين على المندوب البابوى البقاء فى هذه المنطقة بقية عام ١٢٢١ م (٦١٨ هـ) يقوم الصليبيون خلالها بتحصين المكان وزراعة المنطقة الشمالية حتى دمياط فى الوقت الذى يقوم فيه الأسطول بحراسة المنطقة من شار مساح حتى دمياط حراسة قوية ، خاصة وأن القوات الاسلامية كانت ضعيفة فى تلك الفترة، كما أنه سيكون بوسع الصليبيين إستقبال النجدات التى تفد اليهم من الغرب . ثم أن مصر فى الوقت نفسه ليست بعيدة عن الصليبيين الا بمسافة يومين فقط . ولكن المندوب البابوى كعادته لم يوافق على هذا الاقتراح أيضا واتهم الملك الصليبي بالخيانه . كما أنه كان يرى إذ لم يتم الاستيلاء على مصر فى ذلك الوقت فسوف لا يمكن الاستيلاء عليها بعد ذلك إطلاقا . وأضاف تاريخ البطارقة أن الملك عندما رأى مصب بحر المحلة (٣) ، أبلغ المندوب

---

١ — محمد مصطفى زيادة : المرجع السابق ص ٥١ .

٢ — Oliver of Padenborn, op. cit., p. 74.

٣ — بحر المحلة ، يخرج بحر المحلة من فرع مايج عند قرية ضيا الكوم بالقرب من طنطى الواقعة فى منتصف الطريق بين مايج والجعفرية . ويمر بقسرية الهيثم التى يسميها الادريسي محلة ابي الهيثم ثم بالقبنية حيث تتفرع الترعة المعروفة بهذا الاسم —

البابوى(١) أن هذا البحر خطير جدا ويجب حراسته بإحدى السفن الكبيرة. وأشار عليه أيضا أنه يجب وضع عشرة سفن في هذه المنطقة لصد سفن المسلمين إذا قدمت من هذا الفرع ، وبذلك يمكن إتقاء أى هجـوم إسلامى على مؤخرة السفن والجيش الصليبي . ولكن القاصد الرسولى لم يلق اعتبارا لكلمات الملك جان دى برين ، ورغم ذلك فان الملك الصليبي لم يمـانع فى إستمرار مسيرة الحملة على مسئولية بلاجيوس وتحميلة كافة النتائج التى تترتب على هذه المغامرة (٢) . وربما يرجع تجاهل ممثل البابا والقيادات الصليبية فى الحمـــلة لأهم نصيحة وجهت اليهم وهى حراسة مصب بحر المحله ، إلى اعتقادهم بأن بحر المحله لا يصلح للملاحة (٣) . وأن دل ذلك على شىء فانما يدل على جهل ممثل البابا ومن ساندوه بطبوغرافية البلاد المصرية وطبيعة أرضهـا ، وكان ذلك من الأسباب الرئيسية فى هزيمة الحمله (٤) .

= فالحلة الكبرى الى أن تتصل بالنيل عند قرية شار مساح . أنظر : ابن مماتى : المصدر السابق ص ٢١٨ ، ٢٢١ . راجع أيضا :

Omar, Tousson; Memoire sur L'Histoire du Nil, I, pp. 170-1, 176-7, 203-4.

جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على مصر ص ١٩١ حاشية (١) . أنظر أيضا الخريطة رقم ٦ .

١ ـ يتضح من هذه العبارة أن القيادة العسكرية للحملة كانت فى يد المندوب البابوى وليست فى يد الملك الصليبى ولو كانت القيادة فى يد الملك لتصرف على ضـــوء ما رآه بطبيعة الحال .

٢ ـ Hist. Patr. Alex p p 259-260.

٣ ـ OLiver of Padendorn, op. cit., p.81.

٤ ـ محمد مصطفى زيادة : المرجع السابق ص ٥٧ . أنظر أيضا :

Setton, op. cit., II, p. 414.

وازاء صلف المندوب البابوى تقدم الفرنج حسب الخطة التى رسمها حتى وصلوا الى طرف جزيرة دمياط (١) . فى الرابع والعشرين من يوليو (٢ جمادى الآخرة) وأقاموا معسكرهم فى هذا المكان (٢) ، دون مقاومة تذكر (٣) .

ولما علم الملك الكامل الذي كان لايزال مرابطا فى المنصورة بخروج القوات الصليبية من دمياط على هذا النحو ، بعد أن زين لهم سوء عملهم أن يملكوا أرض مصر ويستولوا منها «على ممالك البسيطة كلها » (٤) ، قام بجمع الناس من القاهرة إلى أسوان ، وتولى هذه المهمة الأمير حسام الدين يونس والى الاسكندرية والفقية تقى الدين طاهر الحلى ، كما قام الأمير علاء الدين جلدك والأمير جمال الدين بن صيرم بجمع الناس من المنطقة الواقعة بين القاهرة والحوف الشرقى (٥) ، فتجمع من الجنود أعداد كبيرة ولم يبق غير الشيوخ

---

١ ـ Petre de Montacute op, cit., p. 747.

وجزيرة دمياط ، هى المنطقة التى تقع بين فرع دمياط وبحر اشموم وهذان الفرعان كانا يتقابلان عند مدينة المنصورة على شكل مثلث رأسه المدينة المذكورة وقاعدته بحيرة تنيس . انظر : أبو المحاسن : المصدر السابق ج ٦ ص ٢٣١ حاشية (٢) . أنظر أيضا : الخريطة رقم ٧ .

٢ ـ Cliver of Padenborn, op. cit. p, 7?.

٣ ـ Rohricht, op. cit., p. 7?7.

٤ ـ المقريزى : المصدر السابق ج ١ ص ٢٠٣ .

٥ ـ الحوف الشرقى ، تسم العرب بعد فتحهم مصر ، أرض دلتا النيل اداريا الى قسمين ، وهما الحوف الشرقى والريف وكان الحوف الشرقى يمثل جميع الاراضى الواقعة شرقى =

والأطفال والنساء (١) .

هكذا استعدت الجبهة المصرية بكافة امكانياتها لمواجهه الزحف الصليبي . أما الجبهة الشامية وما في شرقها فكانت لا تقل هي الأخرى نشاطا من قبل ذلك في جمع العساكر لنجدة الملك الكامل واستخلاص مصر من أيدى الغزاة . فى الواقع كانت كتب الملك الكامل تكاد لا تنقطع الى أهل بيته يستحثهم فيها على الجهاده . وقد قام الملك المعظم بنشاط ملحوظ فى هذا الوقت ، فقد كان « مصياقا لأخيه الكامل » ، كما أنه كان من أحرص الناس « على خلاص

= فرع دمياط ، من عين شمس الى دمياط والفرما . وكان الريف عبارة عن بقية أرض الدلتا الى الاسكندرية . ثم عدل ذلك التقسيم فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادي)، وصارت أراضى دلتا النيل ثلاثه اقسام ،وهى الحوف الشرقى ،والحوف الغربى ، وبطن الريف . وكان الحوف الشرقى عبارة عن الحوف القديم ، ماخلا الأراضى الواقعه شمالي بحر أبى صير ، والحوف الغربى هو الأراضى الواقعة غرب فرع رشيد ويشمل أيضا أراضى رشيد وشباس وصا ، الواقعة شرقي هذا الفرع . أما بقية الأراضى الواقعة بين فرعى النيل وكذلك الواقعة شمال بحر أبى صير ، فسميت ببطن الريف . وظل هذا التقسيم حتى القرن الخامس الهجرى (الحادي عشر الميلادى) ثم تغير ذلك كله الى ما يشبه الاقسام الادارية الحالية . انظر : المقريزى : المصدر السابق جـ ١ ق ١ ص ٢٠٢ حاشية (٢) ، القلقشندي : المصدر السابق جـ ٣ ص ٣٨٥ ـ ٣٨٦ .

١ ـ Hist Patr. Alex., p. 2.6

أنظر أيضا : المقريزى : المصدر السابق جـ ١ ق ١ ص ٢٠٢ .

دمياط » (١) . فبعد أن اجتمعت العساكر في حران قادها المعظم تجاه حمص والملك الأشرف فى إثره . وفى الوقت نفسه قام المؤرخ إبن الجوزي بجهد كبير فى سبيل جمع العساكر الاسلامية والتقى مع الملك المعظم فى حمص ومعه الملك الأشرف ومن الملاحظ أن الملك الأشرف كان مقصرا في حق أخيه الكامل. لذلك سار مع إبن الجوزى «وهو كاره»، وابن الجوزى يعاتبه على تقصيرة فى حق أخيه وتمكن من إزالة مخاوفة واستراح وفرح المعظم بلقاء أخيه الأشرف وتشاورا فيما يجب عمله، فاتفقا على القدوم إلى مصر (٢) . وعلى ذلك بدأت الاستعدادات بهمه في المسير إلى القاهرة فى أول جمادي الآخرة ٦١٨ هـ (٢٣ يوليو ١٢٢١) (٣) .

وفى الوقت المناسب وصلت هذه الامدادات إلى المنصورة يتقدمها الملك الأشرف موسى وفى مؤخرتها الملك المعظم عيسى وبينهما بقية الملوك وهم الملك الناصر قلج إرسلان إبن الملك المنصور صاحب حماه (٤) والمجاهد أسد الدين

---

١ — أبو المحاسن : المصدر السابق جـ ٦ ص ٢٤٠ .

٢ — ابن الأثير : المصدر السابق جـ ١٢ ص ٢١٤ ، هذا وقد أشار بعض خواص الملك الأشرف علية بارسال العساكر الى مصر والعودة الي بلاده خوفا من اختلاف يحدث بعده ، فلم يقبل قولهم وقال : « قد خرجت بنية الجهاد ولابد من اتمام هذا العزم » . أنظر : ابن واصل : المصدر السابق جـ ٤ ص ٩٣ .

٣ — ابن الجوزى : المصدر السابق جـ ٨ ق ٢ ص ٦١٩ — ٦٢٠ ، أبو المحاسن : المصدر السابق جـ ٦ ص ٢٣٨ — ٢٤١ :

٤ — يلاحظ أن الملك المنصور توفى فى ذي القعده عام ٦١٧ هـ وكان ابنه الاكبر الملك المظفر تقى الدين محمود فى معسكر خاله الملك الكامل بالمنصورة فى مقاتلة الفرنج ، فقام بمملكة حاب الملك الناصر وكان عمره سبع عشرة سنة أنظر : المقريزى: المصدر السابق جـ ١ ق ١ ص ٢٠٥ .

شيركوه صاحب حمص والأمجد بهرام شاه صاحب بعلبك (١) . ولما علم الملك الكامل بوصولهم خرج لاستقبالهم « وسر سرورا عظيما » ، وأيقن بحصول النصر والظفر بالعدو (٢) ، وبادر بأكرام أخوته وآل البيت الأيوبى ومن معهم ، وقويت نفوس المسلمين وضعفت نفوس الفرنج بما شاهدوه من كثرة العساكر وتجمعهم (٣) . ونزل الجميع فى خدمة الملك الكامل بالمنصورة. ويقدر المقريزى عدد الفرسان المسلمين الذين قدموا للنجدة بحوالى أربعين ألفا(٤) . ومما تجدر الاشارة اليه أن تحركات هذه القوات فى الشام لم تكن خافية على الصليبيين فان الملكة أليس (٥) Alic الوصية على عرش قبرص قد أبلغت المندوب البابوى أن الملك المعظم والأشرف يقومان بجمع جيش كبير من القوات الاسلامية فى الشام (٦) ، وكانت هذه الأخبار من العوامل التى تذرع بها بلاجيوس للاسراع بالزحف تجاه القاهرة . (٧)

---

١ - المقريزى : المصدر السابق جـ ١ ق ١ ص ٢٠٨ .

٢ - ابن واصل : المصدر السابق جـ ٤ ٩٤ - ٩٥ . أنظر أيضا :

Hist. patr. Alex., p. 256.

٣ - العينى : المصدر السابق جـ ١٧ لوحة ٤١٨ .

٤ - المقريزى : المصدر السابق جـ ١ ق ١ ص ٢٠٣ .

٥ - هى زوجة الملك هيو ملك قبرص الذى توفى عام ١٢١٨ م وابنه هنرى كونت شامبانى وأخت ماريا زوجة الملك جان دى برين السابقة وتولت الوصاية على ابنها هنرى الأول ملك قبرص . أنظر عن ذلك :

Runciman, op. cit., III p. 167.

٦ - Oliver of Paderborn, op. cit., pp. 82-3.

٧ - Setton, op. cit.; II, p. 423.

والمهم أن القوات الاسلامية اجتمعت في مواجهة القوات الصليبية لا يفصل بينها سوى بحر أشموم ، وكل من الفريقين أصبح في غاية الاستعداد للدخول في معركة فاصلة مع الفريق الآخر بأمل الانتصار في هذه المعركة (١) . فالقوات الصليبية قد إجتمعت للزحف تجاه القاهرة للاستيلاء على مصر ومن بعدها السيطرة على الأراضي المقدسة فالشرق الأدنى الاسلامى كله ، بينما اختلف الهدف الذى إجتمعت من أجله العساكر الاسلامية . فهى لم تجتمع بغرض الغزو أو الاستيلاء أو السيطرة على أراضى الصليبيين ، وإنما اجتمعت بعرض طرد الصليبيين من مصر وتحرير أراضيها من عبث الطارق الدخيل . ومن ذلك يتضح الاختلاف البين بين الهدفين .

ورغم إجتماع القوات الاسلامية لتحقيق هذا الهدف واستبشار القادة المسلمين بالنصر بعد ما إكتملت عساكرهم ، فان الملك الكامل كان يكره المخاطرة والدخول في معركة ربما لا تحمد عقباها . فقد كان يخشى نجاح القوات الصليبية فى كسر قواته المرابطة فى المنصورة ، وبذلك يصبح الطريق مفتوحا أمام الفرنج إلى القاهرة ، لذلك تقدم الملك الكامل بعرض آخر للصلح ، وكان العرض الأخير على الصليبيين . وذكرت المصادر العربية أن الكامل تقدم بالصلح أثناء أشتباكات القوات الأسلامية مع القواب الصليبية دون

١ — Philip de Albeney, op. cit., p. 436

تحديد لتاريخ هذا العرض (١) وأخذت بهذه الرواية بعض المراجع الأجنبية (٢) في حين حددته بعض المراجع الأجنبية أيضا بشهر يونية ١٢٢١ م (ربيع ثانى ٦١٨ه) (٣) ، في حين حددته مصادر أجنبيه أخرى بالوقت الذى وصل فيه الملك جان دى برين إلى دمياط عائداً من عكا في أوائل يوليو (منتصف جمادى الأولى) (٤) . أما أوليفر أف بادنبورن فقد تحدث عن هذا الصلح بايجاز شديد وأورد ذكره قبل أحداث الثامن عشر من أغسطس ١٢٢١ م (٥) (٢٧ جمادى الثانى ٦١٨ ه) . ويمكن القول أن الكامل عرض الصلح على الصليبيين في الفترة التى تقع بعد تحركهم من دمياط السابع عشر من يوليو وقبل الثامن عشر من أغسطس . والأرجح أن الكامل عرض الصلح على الصليبيين بعد أستيلائهم على شار مساح (الرابع والعشرين من يوليو) .

وعلى أية حال لم يختلف عرض الصلح في جوهرة هذه المرة عن المرات السابقة ، فقد عرض عليهم صليب الصلبوت (٦) ، ومدينة بيت المقدس وعسقلان وطبرية وصيدا وجبله واللاذقية وجميع الأراضى التى فتحها صلاح الدين عدا الكرك والشوبك في مقابل جلاء الصليبيين عن دمياط ، ولكنهم رفضوا ذلك وطلبوا ثلاثمائة

١ — ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٢ ق ٣١٤ ص ٣١٥ ، ابن واصل : المصدر السابق ج ٤ ص ٩٥ ، المقريزى : المصدر السابق ح ١ ق ١ ص ٢٠٧ .

٢ — Kiny. op. cit., P, I 9 Michaud op, cit. II p. 2 7

٣ — Runciman op cit, II. p. 166.

٤ — Grousset. op. cit. III p. 235; Lamb p. cit. p. 348

٥ — Oliver of Padenborn, op. cit. p, 8

٦ — Campbell, pp, cit. p, 388.

الف دينار عوضا عن تخريب المدينة المقدسة لإعادة تعميرها بالإضافة إلى الكرك(١) والشوبك (٢) ، ويروى المقريزى إنهم طلبوا خمسمائة الف دينــــار لا ثلاثمائة الف (٣) . ولذلك لم يتم الاتفاق بين الطرفين لتعنت الصليبيين العظيم (٤) ،وعلى رأسهم المندوب البابوى بلاجيوس وموقفه المضـاد من موقف الملك جان دى برين الذى كان يرى الموافقة على قبول العرض الاسلامى .

وبما كان هذا الموقف المتشدد من قبل المندوب البابوى من هــــذا العرض بالذات بالاضافة إلى حججه السابقة , أن هذا العرض قد عرض على الصليبيين فى وقت كان فى غاية الحرج بالنسبة لهم وهو الوقت الذي تلا معركة أغسطس ١٢١٩ م بصرف النظر عن العرض الذى تلا مؤامرة ابن المشطـوب والعرض الذى سبق سقوط دمياط . واذا كان الصليبيون قد رفضوا كل هذه العروض السابقة وهم في موقف أضعف نسبيا من موقفهم في هذا الوقت من ناحية القوة العسكرية ، فلم يكن بالغريب عليهم أن يرفضوا هذا العرض أيضاً،خاصة وأن الأخبار التي حملتها الإمدادات الصليبية التى قدمت فى مايو السابق قد أفادت بقرب وصول الامبراطور فريد ريك (٥). أضف إلى هذا أن القوات الصليبية وهى مرابطة فى هذا الموضع قبالة الجيش الاسلامى ، أصبحت محميـــة بالخلفية

---

١ ــ ابن الأثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ٢١٤ ــ ٢١٥ .

٢ ــ العينى : المصدر السابق ج ١٧ لوحة ٤١٨ ــ ٤١٩ .

٣ ــ المقريزى : المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ٢٠٧ .

٤ ــ ابن ايبك : المصدر السابق ج ٦ ورقة ١٩٤ .

٥ ــ Oliver of Padenborn, op cit, p, 70

الصليبية المتمركزة في دمياط . وهكذا تصور الصليبيون أنهم أصبحوا في أوج قوتهم وأن دفعهم عن دمياط والأراضي التي إستولوا عليهـا يحتاج إلى جهد عظيم ليس في مقدور القوات الاسلامية القيام به في هـذا الوقت (١) . ومما لاشك فيه أن رفض العرض يرجـع إلى بلاجيوس شخصيا الذى إزداد زهوا وعنادا وغرورا (٢) ، وتناسى تعليمات البابا هونوريوس الخاصة بعـدم رفض أى عرض للصلح إلا بعد الرجوع اليه شخصياً في هـذا الأمر (٣). والمهم أن رفض هذا العرض قد أضاع على الصليبين آخر فرصـة لإستعادة مملكة بيت المقدس ومحو آثار معركة حطين (٤) .

ولا يعنى تقدم الكامل بالصلح أنه لم يكن مستعدا للحـرب ، فانه بفضـل الإمدادات التى وصلت اليه وبقيه الإمدادات التى كانت لاتزال تصل تباعا إلى المنصورة ، تكاملت هيئة القوات الإسلامية (٥) ، وأصبحت مستعـدة لنزال القوات الصليبية برا وبحرا وخوض معركة تحـرير الأراضى المصرية من الأجانب الدخلاء .

ويتضح من دراسه الأوضاع العسكرية للقوات الاسلاميه والصليبيه ومن الأحوال الداخلية فى المعسكرين أن المعسكـر الاسلامى كان وقتهـا أحسن

١ — Setten op. cit. II, p 423.

٢ — Rohricht, Geschichte der Kretzzuge im Umriss p, 20·

٣ — Oliver of Padenborn op cit', p. 83

٤ — سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ج ٢ ص ٩٨١ .

٥ — المقريزى : المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ٢٠٣ .

حالا كانا وجعا وروحا معنوية . فالمعسكر الكاملى مسيطر على ضفتى النيل من القاهرة حتى المنصورة بما فى ذلك جوجر وطلخا متحصنين وراء بحر أشموم ، كما أن الأراضى التى ستدور عليها رحى الحرب ذات قنوات وبرك كثيرة تعرفها القوات الأيوبية ولا يعرفها الصليبيون خاصة بعد أن لاحت بشائر الفيضان . أضف إلى هذا أن الجيش المصرى أصبح خاليا من المؤامرات والدسائس التى أقلقت الملك الكامل من قبل ، كما أن أبناء البيت الأيوبى جاءوا إلى مصر على رأس قواتهم فى حماسه ظاهرة (١) ، لأهدف لهم جميعا إلا الجهاد وطرد الصليبيين .

أما الصليبيون فقد اكتفوا باحاطة معسكرهم بالخنادق والأسوار وظلوا مايقرب من شهر فى هذه البقعة (٢) ، وهم يرمون العساكر الاسلامية بالمنجنيق والجروخ معتقدين أنهم منتصرون على المسلمين لا محاله (٣) . وأن هذا الغرور الذى إنتاب القيادة الصليبية دفعها إلى عدم اصطحاب المؤن التي تحتاجها القوات الصليبية إلا لعدة أيام فقط ، وقد إعتقد الفرنج أنهم سوف لا يلاقون أية مقاومة من العساكر الاسلامية ، وأن الطريق الى القاهرة سيكون مفتوحا أمامهم ، وأنهم سيسيطرون على كافة المدن والقرى التى فى طريقهم دون صعوبة ويتمكنون من تزويد الجيش الصليبي باحتياجاته من المؤن (٤) .

---

١ — محمد مصطفى زياده : المرجع السابق ص ٥٦ — ٥٧ .

٢ — Lamb op. cit, p. 246.

٣ — Ruacles op cit p. 351.

٤ — ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ٢١٥ ؟

وعلى أية حال ، فقد ظل بلاجيوس يعد جنوده بالنصر على المسلمين طوال هذه الفترة في الوقت الذى كان يلازم فيه خيمته في حالة من الخمول ، مما دفع بعض القوات الصليبية التى ملت هذا الوضع ـ الذي خلا من الالتحام المباشر بين الطرفين ـ العودة إلى دمياط (١) . ويذكر تاريخ بطارقة الاسكندرية وبطرس أف مونتاجو رئيس الفرسان الداويه في أحد خطاباته أن القوات العائدة بلغت أكثر من عشره آلاف صليبي . ولم يبق إلى جانب بلاجيوس إلا من اعتقدوا أن حالة الركود سوف لاتستمر طويلا (٢) ، ولو علموا بما تخطط له القيادة الاسلامية لعادوا مثلما عاد أخوانهم إلى دمياط .

وان كان ذلك هو ما انتهى اليه حال المعسكر الصليبي فان الاخوة الثلاثة الكامل والمعظم والأشرف ظلوا طوال هذه الفترة وهم يتدارسون مواقع القوات الصليبية وتحركاتها سواء أكانت برية أم بحرية ، فضلا عن معرفتهم التامة بطبوغرافية البلاد المصريه . وفى نهاية الأمر إستقر رأيهم على إرسال بعض قطع الأسطول المصرى في بحر المحلة لضرب مؤخرة السفن الصليبية (٣) ، بقصد قطع خطوط المواصلات البحريه ـ التى تعتمد عليها القوات الصليبية المتمركزة في دمياط . وهكذا سارت السفن الاسلاميه ومعها حراقة كبيرة عليها الأمير بدر الدين حسون الى رأس بحر المحلة المواجه لشارمساح (٤) ،

١ — Michaud op. cit., II, pp. 257 - 8.

٢ — Hist, Patr Alex, p. 257. Petre de Montacute, op, cit, p. 437.

٣ ــ ابن واصل : المصدر السابق ج ٤ ص ٩٥ .

٤ ــ النويرى : المصدر السابق ٢٧ لوحة ٢٨ ؟

وتقابلت مع السفن الصليبية ، « وقاتلوا الفرنج » (١) . وفي الوقت نفسه تقدمت شوانى المسلمين في فرع دمياط واشتبكت مع السفن الصليبية المتقدمة الراسية بحذاء المعسكر الصليبي شمالي المنصورة ؛ وتمكنت البحرية الاسلامية من أسر ثلاث قطع من سفن الصليبيين بمن فيها من الرجال والمؤن والسلاح والأموال ففرح المسلمون بهذا النصر « واستبشروا وتفاءلوا وقويت نفوسهم واستطالوا على عدوهم » (٢) .

وتشجع المسلمون بهذا النصر وصدرت الأوامر بضرب باقي السفن الصليبية الراسية بين المقدمة والمؤخرة ، ونجح المسلمون في تشتيتها بعد أن أتت النار الأغريقية على بعضها . فسيطر الرعب على الصليبيين (٣) . ويروى كل من إبن الأثير وإبن واصل أنه حتى ذلك الوقت كانت الرسل مترددة في تقرير قواعد الصلح بين المسلمين والصليبيين الذى لم يتم ، فاضطر المسلمون إلى « قتالهم ومصابرتهم » (٤) .

والمهم أن الملك الكامل نجح في وضع قواته خلف مؤخرة الأسطول الصليبي ، وحال بينهم وبين دمياط . كما أصبح من المتعذر على السفن الصليبية الباقية التى تصاحب الجيش البرى أن تتعامل مع البحرية الاسلامية لا من المقدمة

---

١ — المقريزى : المصدر السابق جـ ١ ق ١ ص ٢٠٦ .

٢ — ابن الأثير : المصدر السابق جـ ١٢ ق ١ ص ٢١٤ ، وابن واصل : المصدر السابق جـ ٤ ص نفس الصفحة .

٣ — Michaud, op.cit, II p 258

٤ — ابن الاثير : المصدر السابق جـ ١٢ ص ٢١٤ ، ابن واصل : المصدر السابق جـ ٤ ص ٩٥ .

ولا من المؤخرة بعـــد ما أصابتها سفن المسلمين بالشلل (١) . ويسجل تاريخ هرقل ما كانت عليه البحرية الصليبية في هذا الوقت قائلا أن السفن الصليبية لم يكن باستطاعتها الأبحـــار من دمياط إلى المعسكر الصليبى لأن المسلمين أتوا بسفنهم عن طريق فرع رشيد ودخلوا بها في نهر النيل عن طريق فرع دمياط (٢). هذا ، وإن كان ما رواه تاريـخ هرقل يصور عجز السفن الصليبية الراسية أمام دمياط من إمداد الفرنج المعسكرين شمالي بحـــر أشموم ، فانه في الوقت نفسه يشير الى عدم المعرفة بجغرافية البلاد المصرية ، لأن إحضـار السفن من فرع رشيد إلى فرع دمياط يتطلب الدخول فى معركة بحـرية مع بقية السفن الصليبية — التى أشار اليها — الرأسية أمام مدينة دمياط وهو الذى لم يحدث ولم يشر اليه تاريخ هرقل أو المصادر الأخرى سواء أكانت عربية أم أجنبية .

وقامت البحرية المصرية بدور حاسم في هذه المرحلة ، ونجحت أيضا في أسر ست شوانى بالاضافة الى جلاسة (٣) وبطسة. كما دخلت السفن الاسلامية فى معركة بحرية مع مرمة عظيمة من مرمات الصليبيين المحـاطة بعدة حراقات لحمايتها ، وكانت جميعها مملوءة بالمؤن والسلاح وكل مايحتاجون اليه، وتمكنت شوانى المسلمين من قتال رجالها واستولت على المرمة الصليبية وعلى ما حولها

١ — أبو المحاسن : المصدر السابق جـ ٦ ص ٢٤١ أنظر أيضا .

Hist, Patr. Alex pp. 235 - 7, Setton op. cit. II, p. 426, Lamb. op cit. 249.

٢ — Eracles op. cit., p. 320.

٣ — الجلاسة ، أصلها كلمة Galleasse وهى عبارة عن سفينة حربية كبيرة تسير بالشراع والمجداف معا ، وهى أثقل وأقوى أنواع سفن الشينى . سعاد ماهر : المرجع السابق ص ٣١٨ ، محمد يس الحموي : تاريخ الأسطول العربي ص ٣٨ .

من الحراقات . وعند ذلك أدرك الصليبيون أنهم يسيرون فى أرض يجهلونها ويجهلون جغرافيتها وطبيعتها (١) وفي السابع والعشرين من جمادى الآخر ٦١٨ هـ (١٨ أغسطس ١٢٢١ م) أيقن الصليبيون أن خط الرجعة قد قطع على سفنهم بعد ما تمكنت البحريه الاسلامية من إغراق أو الاستيلاء على من حاول - مما تبقى من السفن - العودة الى دمياط (٢) .

أما عن الاشتباكات البرية ، فان الصليبيين حاولوا عبور بحر أشموم لملاقاة المسلمين ، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل بفعل المنجنيقات الاسلامية المقامة فى معسكر المسلمين بالمنصورة (٣) . ومن جانب آخر فان الملك الكامل تمكن من إرسال بعض القوات الاسلامية عبر بحر أشموم . وقد استطاعت هذه القوات من تنظيم نفسها قرب بحيرة تنيس وسيطرت على شمالى المنطقة التى تعسكر فيها القوات الصليبية وقامت بمهاجمتها من الخلف (٤) . وهكذا تشتت جهود الصليبيين بين القوتين ، فى الوقت الذى كرس فيه العامة أنفسهم لإزعاج القوات الصليبية فى مواقعها ، فكانوا « يكرون على الفرنج أكثر مما يكر عليهم العسكر » (٥) . وإن دل ذلك على شيء فانما يدل على تكاتف المصريين جيشاً وشعباً لدفع الخطر الذى يهدد بلادهم والعمل يداً واحدة وصفا واحدا على لتحرير أراضيهم .

---

١ - ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ٢١٥ . ابن واصل : المصدر السابق ج ٤ ص ٩٦ ، ابن ايبك المصدر السابق ج ٧ ورقه ١٥٥ .

٢ - Oliver of Padenborn, op. cit, pp. 83-4.

٣ - Lamb, op. cit., p. 249.

٤ - Hist. Patr. Alex. p. 2,9.

٥ - المقريزي : المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ٢٠٦ .

وبعد أن نفذ الملك الكامل خطته في التصدى للقوات الصليبية من معسكره في المنصورة وقطع خط الرجعة على الفرنج بتحطيم قوتهم البحرية ، بالاضافة الى محاصرتهم بقواته البرية في المنطقة الشمالية لمعسكرهم إختار الوقت المناسب لتوجيه ضربته القاصمة مستغلا فيضان النيل الذى « كان عاليا » (١) إذ كان وقت فيضان النيل ، والفرنج لامعرفة لهم بمجال أرض مصر (٢) فقد أمر الملك الكامل طائفة من العساكر الاسلامية بالعبور إلى الأراضى التى يعسكر عليها الصليبيون « ففجروا النيل فركب الماء أكثر تلك الأرض ». وهكذا سدت جميع الطرق أمام الصليبيين من أمامهم وخلفهم ولم يبق لهم جهة يسلكونها إلا جهة واحدة وهى الشريط الضيق الملاصق للنيل ويمتد من معسكرهم شمالا حتى دمياط . وأدرك الملك الكامل ذلك فأمر بنصب الجسور فوراً على النيل عند أشموم طناح ، وعبرت القوات الاسلامية هذه الجسور وسيطرت على هذا الطريق الذى يسلكه الصليبيون إن أرادوا العوده الى دمياط (٣) . وكان هذا

---

١ — ابن ايبك : المصدر السابق ج ٧ ورقة ١٩٤ .

٢ — المقريزى : المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ٢٠٧ ، وقد ذكر عبد اللطيف البغدادى أن تمة زيادة النيل تكون فى الاعتدال الخريفى . انظر كتاب وصف مصر ص ١٦ . وجاء فى تقرير بطريق بيت المقدس المرسل الى البابا انوسنت الثالث فى عام ١٢١٤م (٦١٠ : ٦١١ هـ) ان فيضان النيل يبدأ من شهر يونية (بؤونة) وينتهى فى شهر سبتمبر (توت) وتبلغ قمة زيادته فى عيد الصليب ١٤ سبتمبر (١٧ توت) أنظر :

Patriache de Jerusalem. op. cit d. 932.

أنظر أيضا : ابن مماتى : المصدر السابق ص ٢٣٥ .

٣ — ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ٢١٦ ، ابن واصل : المصدر السابق

الطريق هو الأمل الوحيد فى عودة القوات الصليبية الى دمياط برا بعد إحكام الحصار عليهم برا وبحرا ، وبعد ماغرقت الأراضي التى يعسكرون عليها (١) .

وهكذا سيطر المسلمون على الموقف سيطرة تامة و وأدرك الصليبيون أن العودة الى دمياط أو التقدم الى الأمام أصبح مستحيلا (٢) ، وأيقنوا أنهم « ضلوا الصواب بمغادرة دمياط » (٣) ، في الوقت الذى لم يكن فى حوزة الصليبيين الا بعض المؤن التى تكفى عدة أيام فقط (٤) . وتشاورت القيادة الصليبيه فيما يجب عمله فى هذا السبيل المظلم . وكان أمامها أمران لا ثالث لهما أولهما التسليم للمسلمين بعد ما أيقنوا ما فيه من هلاك للقوات الصليبية (٥) ، وثانيهما القيام بمحاولة إنتحارية يائسة للتراجع إلى دمياط (٦) . واستقر رأيهم على الانسحاب وهو أهون الشرين بالنسبة لهم (٧) . وكان يجب تنفيذ هذا القرار فورا وبدون إبطاء لأن الموقف أصبح لا يحتمل التأخير بعد ما فاجأت

= ج ٤ ص ٩٦ ، ابن الوردى : المصدر السابق ج ٢ ص ١٤٣ أنظر أيضا :
Eracles. op. cit. p. 351. Alberus Stadensis. p. 458. Waltherus de Hemingburgh. 940.

١ — Setton op. cit. II. p. 420

٢ — Petre de Moutacute, op. cit., p 438, Philip de Albeney op. cit, p. 436

٣ — ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٢ نفس الصفحة .

٤ — Oliver of Padenborn. op. cit, op 84.

٥ — Walrherus de Hemingburgh, Ibid.

٦ — Lane-pool, A History of Egypt. p. 224.

٧ — Eracles. op. cit., p. 350.

الخطط الاسلامية القيادة الصليبية التي لم تكن تتوقع مثل هذه النتائج. وسيطرت القوات الإسلامية على ميدان المعركة وأصبح في مقدور الملك الكامل أن يحرك قواته كيفما شاء ، في الوقت الذى أصيبت فيه القوات الصليبية بالشلل التام بينما أحاط المسلمون بالصليبيين يرمونهم بالنشاب (١) « ويحملون على أطرافهم »(٢) .

وفي الصباح المبكر ليوم الخميس الموافق السادس من رجب ٦١٨ هـ (٢٦ أغسطس سنة ١٢٢١ م) بدأ الصليبيون في تنفيذ قرار الانسحاب وكان أول ما فعلوه أنهم اشعلوا النيران في معسكرهم وفي كل ما لا يستطيعون حملة (٣) ، بما في ذلك الأمتعة والخيام ، وأن كانت القيادة الصليبيه قد أمرت باحراق ما في المعسكر الصليبي حتى لا يقع غنيمة باردة في يد المسلمين (٤) ، فان هذا الاجراء قد عاد على الصليبيين بالضرر أكثر مما عاد عليهم بالنفع ، لأن

---

١ — النشاب ، جمع نشابه وهي ما يرمى بها عن القس الفارسية ، ويجب أن تكون صحيحة الاعتدال والاستداره والفتل والثقل والخفة ، ويحدد طولها وقصرها على حسب مقادير الرامي ومنها المريش المربع أو المثلث . عن ذلك ولمزيد من التفاصيل : انظر : القلقشندى : المصدر السابق جـ ٢ ص ١٣٥ ، الحسن بن عبد الله : المصدر السابق ص ١٦٠ .

٢ — ابن الأثير : المصدر السابق جـ ١٣ ص ٢١٥ ، ابن واصل : المصدر السابق جـ ٤ ص ٩٦ . أنظر أيضا : ابن الفرات : المصدر السابق جـ ١٠ لوحة ٣١ ب و ٣٢ أ ابن أيبك : المصدر السابق جـ ٧ ص ١٩٥ ، المقريزى : المصدر السابق جـ ١ ق ١ ص ٢٠٧ — ٢٠٨ .

٣ — Hist. Patr. Alex., p. 257.

٤ — Oliver of Paderborn, op. cit., p. 81.

اشعال النيران في المعسكر الصليبي قد أعلن للمسلمين بصورة غير مباشرة عن إنسحاب القوات الصليبية وتراجعها الى دمياط (١). وكان ذلك من الأخطاء التى ارتكبها الصليبيون في سلسلة متلاحقة من الاخطاء التى ارتكبوها. أضف الى الحالة التى انتهت اليها القوات الصليبية أن كثيرا من الصليبيين الذين لم يرق لهم أن يضحوا بما لديهم من النبيذ وعز عليهم أن يروه ينسكب على الأرض قد شربوه فثملوا (٢)، مما أفقدهم ما تبقى لديهم من وعي وفاعليـــه لمقاومة القوات الإسلامية.

وعلى هذه الصورة بدأت القوات الصليبية فى التراجع الى دميـــاط، في الوقت الذى كان يعلم فيه المسلمون بهذه التحركات. ويروى تاريخ هرقل أن القوات الإسلامية قامت طوال نفس الليلة بتدمير السدود التى كانت أمام وخلف القوات الصليبية. وعندما حل صباح يوم الجمعة الموافق السابع والعشرين من أغسطس (٧ رجب) لم يكن الصليبيون قد تراجعوا سوى ثلاثمائة أميـال فقط (٣) ووصلوا إلي ما يقرب من البرامون (٤)، والمياه تحيط بهـم من كل جانب والعساكر الاسلامية تسيطر على الطريق الوحيـد المؤدى الى دمياط، «فلم يبق لهم خـلاص» (٥). وبذلك حالت قوات المسلمـــين دون عودة

١ — Hist. Patr. Alxe. Ibid, cf. also, Oliver of Padenborn, Ibid

٢ — Oliver op Padenborn, op. cit., p. 5.

٣ — Eracles, op. cit., p. 351.

٤ — Hist. Part. Alxe., p. 257.

٥ — ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ٣١٥ .

الصليبيين الى قواعدهم في دمياط . وأحدق الخطر بالقوات الصليبية من كل ناحية ، فتشتتت في المستنقعات التي خلفتها مياه الفيضان في الوقت الذى قام فيه الفرسان المسلمون باقتفاء أثرها (١) .

وحاول الملك جان دى برين إنقاذ القوات الصليبية مما يحيط بها من هلاك فقام بحث الجنود على مقاومة القوات الاسلامية ، وأنبهم على انشغالهم بحالة الفيضان عن الصمود أمام قوات المسلمين . وقام بجمع بعض فرسان جماعات الرهبان العسكرية لدفع المسلمين ، ولكن هذه المحاولة لم تنقذ القوات الصليبية من الهلاك المحقق . فقد قتل في هذه المعركة ـ التي استمرت حتى فجر يوم السبت الثامن والعشرين من أغسطس (٨ رجب) ـ الألوف من الصليبيين(٢). وعندما أصبح الصباح كانت سهام المسلمين تنهال عليهم من كل جانب في الوقت التي عجزت فيه خيولهم عن الحركة من فعل الطمي والمياه التي تغطي المنطقة بأكملها (٣) ، حتى أصبح الصليبيون كالضفادع في المياه (٤) ، أو كالسمك في الشباك على حد تعبير بطرس دى مونتاجو (٥) وفقدوا ما تبقى من المؤن والمعدات ، وطافت أمتعتهم على سطح الماء . فاذا أضفنا الى هذا كله ما يشعر به الصليبيون من الجوع والارهاق أدركنا مدى الهزيمة التي لحقت بهم،

---

١ ـ Donovan, op. cit., p. 92.

٢ ـ Hist. Patr. Alex. Ibid. cf. also : Runciman, op. cit., III, p.168.

٣ ـ Oliver of Padenborn, Ibid.

٤ ـ Eracles, op. cit , p. 351.

٥ ـ Petre de Moutacute, op. cit., p. 4?8.

بينما أدركوا هم من جانبهم أن لا رجاء إطلاقا في العودة سالمين الى دمياط(١). فالقوا ما بأيديهم من سلاح ، ووقعوا بكل سهولة أسرى في أيدى القوات الاسلامية (٢) ، وأصبحوا تحت رحمه المسلمين ، ولم يعد يسمع من الصليبيين غير البكاء والنحيب والأنين (٣) .

وكان على القيادة الصليبية تدارك الأمر بأسرع ما يمكن لأنهم لو تركوا قواتهم على هذا الحال لهلكت جميعها دون شك (٤) . وأيقن بلاجيوس الذى كان يتولى قيادة الجيش من الناحية الفعلية خطورة الوضع الذى انتهت اليه الحملة وتأكد له أن عدم معرفته بطبيعة الاراضى التى سارت عليها القوات الصليبية كانت السبب فيما حدث لقواته. لذلك استدعى لويس دوق بافاريا وأرسله الى الملك جان دى برين يدعوة (٥) للتشاور وإنقاذ ما يمكن إنقاذه بعد ما لحقت الهزيمة بالصليبيين . وعندما حضر الملك طلب منه المندوب البابوى بلاجيوس متوسلا أن يشير عليه بما يراه لاخراج

---

١ — Philip de Albeney, op. 4[illegible] .

٢ — Albertus Stadensis. op. cit., p. 938.

٣ — Philip de Alpeney, Ibid. cf also Michaud, op. cit., II, p. 2[illegible]8

٤ — Hist. Patr. Alxe., p. 357, cf. also : Albertus Stad ensis, Ibid.

٥ — هذه الكلمة تدل على أن المندوب البابوى بلاجيوس كان يتولى القيادة العليا للقوات الصليبية وأن سلطته كانت تعلو سلطه الملك جان دى برين بدليل أنه هو الذى استدعى الملك وليس العكس .

الصليبين من هذه المحنه ، وكانت فرصة الملك الصليبي لتأنيب بلاجيوس على ما إقترفت يداه في حقه وحق الحملة بأكملها . وإنتهت المناقشة بين الطرفين بأن عرض الملك على المندوب البابوى إستطلاع رأى القادة الصليبيين لعرض الصلح على المسلمين (١) . وفي الواقع لم يكن هناك حل آخر غير هذا الحل السلمى الذى يتقدم به الصليبيون بعدما عجزوا عجزا تاما عن دفع القوات الاسلامية(٢). وكان هذا الحل ينطوى بطبيعه الحال على الاستسلام للقوات الاسلامية .

وبعد أن أستمع المندب البابوى إلى رأى الملك جان دى برين ، وعلم به القاده الصليبيون ، إتفقوا على إرسال سفاره إلي الملك الكامل لطلب الصلح وتكونت هذه السفاره من جى الأول صاحب جبيل وجؤدفرى موست (٣) ، وتضيف أحد المراجع الأجنبيه أن جماك دى فترى كان من هؤلاء المبعوثين(٤). وتوجهوا جميعا إلى الكامل فأحسن أستقبالهم (٥) . وتذكر المصادر الأجنبيه أن السفاره الموفدة من قبل القيادة الصليبية عرضت على المسلمين أن يسمح للقوات الصليبية سواء كانت داخل مدينة دمياط أو خارجها بالرحيل فى أمان ومعها كل ممتلكاتها ،وأن يقوم المسلمون والصليبيون باطلاق سراح مالديهم من الأسرى فى مصر والشام وأعادة صليب الصلبوت ، وأن يتكفل الملك الكامل

١ — Eralces, Ibid

٢ — ابن الفرات : المصدر السابق حـ ١٠ لوحة ١٣٢ أ .

٣ — Eracles, op. cit , p, 351.

٤ — Michaud, op. cit., II, p, 200.

٥ — Rohrichr, Gesbicht des konigreiche Jerusalme, p, 751.

بامداد القوات الصليبية ـ حتى يتم جلاؤها بالمؤن الـلازمه ، وذلك في مقابل تسليم مدينة دمياط وكل توابعها وأن تكون مدة الهدنه ثمان سنوات ويكون لأى ملك أوربى الحق في أن يخرقها ، ولتنفيذ ذلك يـــتم تبادل الرهان بين الطرفين (١) . أما المصادر العربيه فيروى بعضها أن الصليبيين طلبوا « الأمان ليسلموا دمياط بغير عوض (٢) ، ويذكر البعض الآخر أنهم أرسلوا إلى الكامل يطلبون الصلح والرهائن ويسلمون دمياط (٣) ، ويضيف النويرى « ويؤمنهم على أنفسهم وأموالهم » (٤) . أما تاريـخ بطارقة الأسكندرية فيتفق مـع المصادر الأجنبية في مدة الهدنه وتبادل الأسرى ، ويضيف أن الشروط شملت قدامى الأسرى أيضا مقابل الجلاء عن دمياط (٥) . ومن الطبيعي أن يشمـل عرض الصلح تسليم مدينة تنيس أيضا الى المسلمين (٦) .

وانا نميل الي الأخذ بما جاء في المصادر الاسلامية ، لسبب بسيط هو أن مصر كانت في مركز القوة وقتها تمسك بيدها زمام المبادأة ، بينما كان الجانب

---

١ — Philip ds Albeney, op, cit., p. 436' Oliver of Padenbord, op. cit,. p. 90; Eracles op. cit., p 351, Matthaw of Westminster . II, p. 1.9. Fabri, op. cit , Vol. 2 Part. 1 361.

٢ — ابن الأثير : المصدر السابق جـ ١٢ ص ٢١٦ ، ابن واصل : المصدر السابق جـ٤ ص ٩٧ ، المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق ١ ص ٢٠٧ .

٣ — ابن الجوزى : المصدر السابق جـ ٨ ق ٢ ص ٦٢٠ ، ابو المحاسن : المصدر السابق جـ٦ ص ٢٤٢ .

٤ — النويرى : المصدر جـ ٢٧ لوحة ٢٢ .

٥ — Hist Patr, Alex, p, 258,

٦ — أشار ابن ايبك أن مدينة تنيس سلمت للمسلمين مع دمياط . أنظر : درر التيجان ورقة ٢٥٨ .

الصليبى فى موقف لايحسد عليه . ولا يعقل فى مثل تلك الظـروف أن يتقدم الفرنج بمثل هذه الشروط وهم فى الموقف الذى يمـلي فيه عليهم وليسـوا فى الموقف الذى يملون فيهم على المصريين .

وعلى أية حال ، فنى ضوء العرض الذى تقدم به الصليبيون إستشار الملك الكامل ملوك أهل بيته وأخوته ، فأشار بعضهم على الكامل بعدم أعطاء الأمان للصليبيين وعليه آن يأسرهم جميعا خاصة وأن القوات الاسلامية مسيطرة عليهم سيطرة تامة . وأضافوا أنه لو فعل ذلك فانه بامكانه استرداد مدينة دميـاط وليس ذلك فحسب بل سيستطيع أن يأخـذ منهم جميع ما تبقى فى أيديهم من الامارات الصليبية بالشام مثل عكا وغيرها (١) .

وكان كل من الملك المعظم والملك الأشرف من أنصار هذا الرأى (٢) ، فان المعظم كان يرى عدم عقد الهدنة مع الصليبيين وهم الذين يفتقرون الى الانسانية علاوة على ما إتصفوا به من البربرية فى حروبهم وعـدم الوفاء بعهودهم فى السلام . كما أنه كان يرى أن الصليبيين أتوا إلى مصر للاستيلاء عليها ، وبذلك يتمكنوا من السيطرة على الشرق الإسلامى كله (٣) . وربمـا يرجع مناداه

---

١ ـ ابن واصل : المصدر السابق ج ٤ ص ٩٧ ، البغدادى : المصدر السابق لوحة ٤١٤ ، العينى : المصدر السابق ج ١٧ لوحة ٤١٩ ، ابن الوردي : المصدر السابق ج ٢ ص ١٤٢ ، ابو الفدا : المصدر السابق ج ٣ ص ١٣٦ ، المقريزى : المصدر السابق ج ١ ق ٩ ص ٢٠٨ .

٢ ـ المقريزى : المصدر السابق ج ١ ق ١ نفس الصفحة . أنظر أيضا :
Oliver of Padenborn op. cit., p. 87.

٣ ـ Michaud, op, cit., II, p. 2-0,

المعظم بهذا الرأى أنه كان يرى فى عودة الصليبيين الى الشام بكامل معداتهم مصدر خطر على ممتلكاته هناك ، ولذلك رأى القضاء عليهم وهم فى هـذه المحنة حتي لاتقوم لهم بعد ذلك قائمة .

ولكن الملك الكامل برهن على أنه منطقى مع نفسـه ، وهى صفه من الصفات التى لم تذكرها له كتب التراجم ، فقد مال كل الميل إلى الموافقـة على عرض السلام الذى تقدم به الصليبيون وهو رأيه الأصلى من قبـل (١) . وعلى أية حال فثمه أمور أخرى دفعت الكامل إلى هذه الموافقة ، منها أنه كان يخشى حضور الامـبراطور فريدريك الثـانى على رأس قواته فينتقم لمـا حل بالصليبين (٢) . كما أنه كان يعلم أنه يوجـد بدميـاط عشرات الألوف من القوات الصليبية ـ وقد حددها تاريخ بطارقة الاسكندرية بتسعين الفاـ وأنهم متحصنين بداخلها وإن إستعادتها عن طريق القوة العسكرية يحتاج لمجـزرة بشرية لا داعى لها (٣) . وربما لايقدر عليها خاصة وأن القـوات الإسلامية قد ضجرت من طول مدة الحرب التى بلغت ثلاث سنوات وثلاثة أشهر تقريبا (٤) . ثم أن الامـدادات الصليبية تصـــل تباعا إلى دمياط ممـــا سيجعل مهمة القوات الاسلامية صعبة ومعقدة ، وربما لاتحقق النتائج التى يعرضها الصليبيون أضف الى هذا كله أخطار التتار التى ملأت أسماع العالم عامـــة والشرق

١ ــ محمد مصطفى زيادة : المرجع السابق ص ٥٨ .

٢ ــ سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق جـ ٢ ص ١٨٥ .

٣ ــ Hist. Patr. Alex., p. 257.

٤ ــ ابن واصل : المصدر السابق جـ ٤ ص ٩٧ ــ ٩٨ .

خاصة(١) . وربما كان الملك الكامل يرى إنهاء الخطر الصليبي بالطريقة السليمة ليدخر قواته ويتفرغ للخطر المغولي إذا ماتقدم في قلب العالم الاسلامي .

وتغلب رأى الملك الكامل في الموافقة على إقتراح الصليبيين بالجلاء عن مصر ويروى ابن الجوزى أن الصليبيين « لو أقاموا يومين لأخذ المسلمون برقابهم » . (٢) ولكن المهم أن الكامل وضع شروطا عملية لتنفيذ ذلك(٣) . ومما تجدر الاشارة اليه أن قبول المسلمين للعرض الذى تقدم به الصليبيون يدل على سخاء وكرم الملك الكامل (٤) . واتفق الملوك المسلمون على أن يكون مقرر الصلح بينهم وبين الصليبيين المجاهد شير كوه (٥) .

وضمانا لتنفيذ ماتم عليه الاتفاق بين الطرفين طلب الملك الكامل من الصليبيين تقديم الرهائن وكان عددها أربع وعشرين حتى يتم تسليم دمياط . وإشتملت الرهائن الصليبية على الملك جان دى برين والمندوب البابوى بلاجيوس ولويس دوق بافاريا ورؤساء جماعة الرهبان العسكرية وهم جارنيه مونتاجو مقدم الاسبتارية بالأراضى المقدسة وأخيه بطرس مونتاجو مقدم الفرسان الداوية وهرمان فون سالزا مقدم الفرسان التيوتون وثمانية عشر

---

١ — Michaud, op. cit., II, p. 2.0.

٢ — ابن الجوزى : المصدر السابق حـ ٨ ق ٢ ص ٦٢٠ ، السلامى : المصدر السابق ورقة ٢٣٢ .

٣ — Stevenson op. cit. p. 307.

٤ — Lamb, op. cit., q. 250

٥ — ابن الفرات : المصدر السابق جـ ١٠ لوحه ٣٢ أ .

آخرين (١) . وتذكر بعض المراجع الأجنبية أن جاك دى فترى كان من بين هؤلاء الرهائن (٢) ، وتشير بعض المصادر العربية أن الملكة صاحبة عكا كانت ضمن الرهائن الصليبية (٣) .

كما أشار إبن أيبك أن مجموع الرهائن كان أربعة عشر ، من بينهم « كرموك » صاحب صقلية (٤) ، « وكندنور » صاحب جزيرة النمسون (٥) ، « وكندريس » الكبير (٦) أما بقية الأسماء التى أوردها فغير مستوفاه ومحرفة

---

١ — ابن واصل : المصدر السابق جـ ٤ ص ٩٨ وحاشية ١ ، ٢ ، ٣ ؛ أنظر أيضا : Olive of padenborn, op. cit., p. 90, Phillp de Alwanney. op. cit. ,p. 439, Eraclss. op. cit., p, 531.

٢ — Michaud, op. cit., II. p. 260 & n. 1 , Archer and Kingsford op. cit. ; p. 373.

٣ — ابن ايبك : كنز الدرر جـ ٧ ورقة ١٩٦ ، Hist Patr Alex., p. 2 8 وقد أخطأت هذه المصادر فى ذكر ملكة عكا ضمن الرهائن لأن الملكة استيفانى زوجة الملك جان دي برين الاخيره قد مات فى عام ١٢٢٠ م أثناء تواجد الملك فى عكا غائبا عن الحملة أنظر ما سبق ص ٣٥٣ . وربما يقصد بها مارجريت أينة أخى الملك جان دى برين التى وصلت الى دمياط مع بعض الأمدادات فى سبتمبر ١٢١٩ م . انظر ما سبق ص ٢٣٤ .

٤ — لعل المقصود به متى كونت أبوليا الذي وصل دمياط فى يوليو ١٢٢٠ م . أنظر ما سبق ص ٣٥٧

٥ — هي جزيرة قبرص وصاحبها آنذاك هنرى الأول وكان طفلا لم يتجاوز عمره تسعة أشهر ، ولعل المقصود به ابوسترج رئيس اساقفة نبوتسيا أو جوتيه قائد جيش قبرص الذى حضر الى دمياط وانضم الى القوات الصليبيين بعد مؤامرة ابن المشطوب .

٦ — لم أتمكن من تحديد هذا الاسم ولعله أحد الكونتات .

تحريفا كبيرا (١) .

أما الرهائن الاسلامية ، فقد أرسل الملك الكامل إبنه الصالح نجم الدين أيوب ، كان عمرة آنذاك خمس عشرة سنة وجماعة من خواصه (٢) . وكان من بين هؤلاء الخواص شمس الدين ابن أخت الملك الكامل (٣). ويضيف تاريخ بطارقة الاسكندرية اليهم غياث الدين أخ الملك الكامل (٤) . ويذكر النويرى ان المفضل قطب الدين كان من بين الرهائن الاسلامية أيضا (٥) وبعد ان تبادل الطرفان الرهائن تقررت الهدنه بين المسلمين والصليبيين لمدة ثمانى سنوات طبقا للشروط المتفق عليها . وأقسم الملك الكامل وأخوته كما أقسم القادة الصليبيون على ذلك (٦) . وأرسلت سفارة صليبية على رأسها بطرس مونتاجو مقدم الفرسان الداوية وهرمان فون سالزا مقدم الفرسان التيوتون بعد أن أطلق الكامل سراحها ومعها لويس دوق بافاريا الى دمياط لابلاغ الحامية الصليبية التى تعسكر بالمدينة بما تم عليه الأتفاق (٧) . وفى

---

١ ـ ابن ايبك : المصدر السابق ج ٦ ورقة ٩٧ .

٢ ـ ابن واصل : المصدر السابق ج ٧ ، ص ٩٨ .

٣ ـ ابن الجوزى : المصدر السابق ج ٨ ق ٢ ص ٦٣١ ، السلامى : المصدر السابق ورقة ٣٢٢ .

٤ ـ Hist Patr, Alex, p, 238.

٥ ـ النويرى : المصدر السابق ج ٢٧ لوحة ٣٢ .

٦ ـ المقريزى : المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ٢٠٩ أنظر أيضا :
Hist Part. Alex., Ibid, Albertus Stadensis , op. cit., p, 938 .

٧ ـ Oliver of Pbenborn, op. cit., p. 91.

الوقت الذى وصلت فيه هذه السفارة وصل هنرى كونت مالطة والمارشال أنسلم Anselm (١)، وولتر باليز Walter de Paleat (٢) . من قبل الأمبراطور فرريديك على رأس نجدة عظيمة محمولة على أربعين سفينة (٣) .

وعندما أبلغت الحامية بأخبار الاتفاق ثارت وتمردت وهاجت منازل الملك الصليبى وجماعة الرهبان العسكرية (٤) ، وفى الوقت نفسه سرت ضجة عظيمة فى المدينة وقرر البعض العودة إلى أوربا بعد ما ملأهم يأس الهزيمة ، كما أسرع البعض الآخر باقامة الحواجز داخل المدينة ، واستولوا على الابراج واقسموا بالدفاع عنها ، وقرروا عدم تسليمها للمسلمين (٥) وقد شجعهم على ذلك الامدادات التى بعث بها الامبراطور فريدريك الثانى . فقد أستعد هنرى كونت مالطه ومن معه للدفاع عن المدينة(٦) . كماأن هذه الإمدادات قد شعرت بالمرارة لهذه النتيجة التى انتهت اليها الحملة ، ولأن الإمدادات التى وصلت من قبل بقيادة لويس دوق بافاريا قد تصرفت من تلقاء نفسها على عكس الأوامر التى تلقها من الامبراطور فريدريك . والمهم أن الألمان والايطاليين وأهل صقلية قد تكتلوا مع بعضهم وعارضوا تنفيذ المعاهدة ، على العكس من فرسان الداوية

---

١ — Wiegler, op· oit ; p 107.

٢ — Setton' op. eit.' II, p. 427

٣ — Oliver of Padenborn, op' cit., p. 91.

٤ — Setton, op' cit,. IT. p. 4 7. also.: Runciman, op. cit , 1iI, P. 129.

٥ — Michaud, op. cit., II, 261.

٦ — Petre de Montacute , op. cit.,p, 437.

الاسبتارية والفرنسيين وصليبي الشام الذين وقفوا إلى جانب تنفيذ المعاهدة . وانتهت وجهات النظر بين الطرفين بالصدام المسلح (١) وعندما علم الملك جان دى برين بما حدث أرسل اليهم يخبرهم بأنه سيضطر ومن معه من القاده الصليبيين إلى تسليم عكا للمسلمين اذا رفضوا تنفيذ المعاهدة (٢) . وكان هـذا التهديد كفيلا بانهاء هذا التمرد . وفى النهاية وافق الجميع على شروط المعاهدة (٣) . ومما تجدر الاشارة اليه أن الملك الكامل لم يتأثر بالصراع الذى دار في دمياط ولم يلق له وزنا ، لأنه كان يعلم أن القوات الرئيسية للحملة واقعـة تحت رحمته (٤) . ومن الملاحظ أن من شروط الصلح أن الهدنة بين المسلمين والصليبيين المحددة بثمان سنوات قد أستثنى منها ملوك أوربا فلهم أن ينقضوها اذا أرداوا، ولقد كانت الامدادات التى وصلت الى دمياط بقياده هنرى كونت مالطه من قبل الامبراطور فريريك الثانى من حقها خرق هذه الهدنه دون أن تخـل بشرط الصلح (٥) ، غير أن وجود الرهائن لدى الملك الكامل ، وتهديد الملك جان دى برين بتسليم عكا للمسلمين ، ووقوع معظم القوات الصليبيـة تحت السيطرة التامة للقوات الاسلاميه ، قد أخافهم من عواقب ذلك (٦) .

وعانت القوات الصليبية طوال هذه الفترة آلام الجوع والمرض والفيضان فى الوقت الذى عامل فيه المسلمون الملك جان دى برين ومن معه من الرهائن بكل

١ — Setton, Ibid, cf also : Runciman, Ibid.

٢ — Michaud, Ibid .

٣ — Setton, Ibid

٤ — Runciman, Ibid.

٥ — Lane-Poole, op. cit., p. 224.

٦ — Stevenson, op. cit, p. 297.

إحترام وكرم . فقد قدمت لهم الاطعمة والفاكهة بما فيها الرمان والبطيخ (١). ولم ينس الملك الصليبي الهلاك الذى يحيط بقواته فذهب الي خيمةالملكالكامل والقى بنفسه على الارض ورأسه بين يديه الأمر الذى دفع الملك الاسلامى إلى سؤاله ـ بلغة الملوك ـ عن سبب هـذا الحزن ، فأجابه الملك الصليبي أن ذلك من أجل القوات التى تموت جوعا (٢) ،. وتأثر الكامل من منظرالملكالصليبي وبكي هو الآخر (٣) ، وتجلت الرحمة فى نفسه وأمر بامداد القوات الصليبيـه بما يلزمها من المؤن (٤) . فارسل اليهم خمسة آلاف رغيف مـن الخبز ومائتا أردب من القمح والشعير يوميا (٥) . بينما تذكر المراجع الأجنبية أن الكامل أرسل ثلاثين ألف رغيفا الي الصليبيين يوميا ولمدة أربعة أيام متواليـة حتى حتى إنحسرت مياه الفيضان (٦) . ثم قام بعد ذلك بارسال الخبز واللحم ليشتريها من يستطيع ذلك ، أما الفقراء منهم فقـــد إستمر الملـك الاسلامى فى إرسال ما يحتاجون اليه من الخبز لمدة خمسة عشر يوما وهى المدة التى سبقت إجـلاء القوات الصليبية عن المنطقة الغارقة (٧) . ولم تشمل الرحمـة القوات الصليبية فحسب بل شملت دوابهم أيضا . فقد أرسل اليها الملك الكامل العليـــق دون

---

١ — Hist. Patr. Alex., p. 258.
٢ — Lamb, Ibid.
٣ — Michaud, op. cit., II. p. 261.
٤ — Ludlow' The Ahe of The Crusades, pp. 311-2.
٥ — ابن ايبك : درر التيجان (مخطوط) ورقة ٢٥٨ .
٦ — Michaud, op. cit., II, p. 252.
٧ — Petre de Montacute, op. cit., p. 439

مقابل ، كما أمر أيضا بنقل المرضي والضعفاء من الصليبيين من معسكرهم الغارق بالمياه إلى دمياط . وقد أثرت هذه المعاملة الانسانية وتلك الرأفة التي تجلت في أسمى معانيها من قبل الملك الاسلامي في أولفر أف بادنبورن،فأرسل خطابا الى الملك الكامل يشكره على ذلك ويصفه فيه بالأب الخير الرؤوف الحازم الكريم (١) .

وبعد أن أستقرت الأوضاع بين الطرفين جلس الملك الكامل فى المنصورة مجلسا عظيما فى خيمة كبيرة عالية ومد سماطا عظيما ، وأحضر ما عنده من الرهائن الصليبيه ووقف الملك الكامل والمعظم والأشرف وبقية الملوك في خدمته (٢) ، بينما يروى النويرى أن الملك الكامل أجلس إلى جانبه الملك المعظم لأنه كان يعظمه تعظيما كبيرا لما أبداه في الجهاد إلي جانبه منذ وصول الصليبين إلى أرض مصر . ويضيف النويرى أنه زيادة فى تعظيمه فوضه الكامل نيابةعنه حتى إذا حضر رسول من الفرنج يقول لهم « أنه الآن لا حكم لى وحديثكم مع ملك الشرق والأمر له » (٣) . وفى هذا المجلس رأى الفرنج من عظمة الملك الكامل « وناموسة ما هالهم » (٤) . وأكرم الملوك الأيوبين الملك الملك جان دى برين ومن معه وتبادل الملك الاسلامي والملك الصليبي الهدايا بعد

١ — Oliver Scolastiqus, Letter to The King of Egypt, El-Kamel Mohamed, cf. Rohricht, Geschichte des Konigreichs Jerusalem, p. 753.

٢ — ابن الجوزى المصدر السابق ج ٨ ق ٢ ص ٦٢١ .

٣ — النويرى : المصدر السابق ج ٢٧ لوحة ٣٢ .

٤ — ابن واصل : المصدر السابق ج ٤ ص ٩٨ — ٩٩ .

ما قام الملك الكامل بكل واجبات الضيافه (١) . وتبادل الشعراء (٢) المديح فى في تخليد هذه الذكرى (٣). ثم أرسل الفرنج قساوسهم ورهبانهم الى دمياط لتسليم المدينة الى المسلمين (٤) .

وعهد الملك الكامل الى الأمير شجاع الدين جلدك المظفري التقوى (٥) باستلام المدينة من الصليبيين بعدما ولاة إياها (٦) . ويروى ابن واصل أن

---

١ — Hist. Part. Alex., p. 259 ;

٢ = من هؤلاء الشعراء شرف الدين بن عنين وست الفخر مغنية الأشرف . ابن واصل ج ٤ ص ١٠٠ وما بعدها ، وجارية الملك الكامل ، وهبه الله بن محاسن قاضى غزه . المقريزي : المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ٢١٠ وراجح بن ابى القاسم الاسد الحلى وهو من مداحى الملوك بمصر والشام والجزيره. أبو المحاسن : المصدر السابق ج ٦ ص ٢٤٢. كما مدح كمال الدين على بن محمد بن النبية الملك الأشرف موسى بهذه المناسبة . أنظر : ديوان ابن النبية ص ٦٦—٦٨ . وعن شعر بهاء الدين زهير فى هذه والمناسبة أنظر : ديوان البهاء زهير ص ١٢١ — ١٢٤ .

٣ — ابن الجوزي : المصدر السابق ج ٨ ق ٢ ص ٦٢١ .

٤ — ابن واصل : المصدر السابق ج ٤ ص ٩٩ .

٥ — كان شاعرا وسمع كثيرا من الحديث النبوى على الحافظ السافى وولي نيابة الاسكندرية أيضا ويقال أنه نسخ بيده أربعا وعشرين مصحفا وكان سمحا جوادا ، محبا للعلم والعلماء مكرما لهم يساعدهم بمالة وجاهة وقد توفى فى شعبان عام ٦٢٨ هـ (يونية ١٢٣٠ م) . أنظر : الكتبى : فوات الوفيات ج ١ ص ٢١٠ — ٢١١ .

٦ — أبو الفداء : المصدر السابق ج ٣ ص ١٣٦ .

المدينة كانت فى غاية الحصانة « ولا يوصل اليهـا » كما كان للفرنج بالمدينة صوار عظام جداً ، وقد أراد الصليبيون حملهـا معهم عند رحيلهم إلى بلادهم ، ولكن شجاع الدين منعهم من ذلك ، فاشتكوا إلى الملك الـكامل يقولون « أن هذه الصوارى لنا ، وأن مقتضى الصلـح أن تردد الينا » ، فكتب الكامل إلى شجاع يأمرة برد الصوارى اليهم ، ولكن شجاع أصر على الامتناع وقال « أن الفرنج أخذوا منبر جامع المدينة وكسروه وأهـدوا كل قطعة منه إلى ملك من ملوكهم ، وطلب من الملك الكامل أن يأمرهم برد المنبر ليرد اليهم الصوارى ، فأبلغ الكامل الصليبيين بما طلبه شجـاع الدين فعجزوا عن رد المنبر ، وأعرضوا عن ذكر الصوارى (١) . وأن دلت هذه الرواية على شىء فانها لتدل على ديمقراطية القيادة وشجاعة الأمير جلدك .

أما عن القوات الصليبية الغارقة فان الملك الـكامل أمر فى اليوم الرابـع لاستسلام الصليبيين الموافق الثانى عشر من رجب عام ٦١٨هـ (أول سبتمبر ١٢٢١م) باقامة السدود فانحسرت المياه عن الأراضى التى عليها القوات الصليبية(٢). ويروى تاريخ هرقل أنه أمكن بعد ذاك للصليبيين أن يعودوا إلى المدينة ولكنهم لم يدخلوها (٣) . ويذكر تاريخ بطارقة الاسكندرية أن الملك الكامل أمر أخيه الملك الحافظ نور الدين أرسلان صاحب قلعـة جعـبر ببناء جسر من السفن

---

١ ــ ابن واصل : المصدر السابق جـ ٤ ص ٩٩ ــ ١٠٠ .

٢ ــ Crousset, op. cit., III, p. 242.

٣ ــ Eracles op. cit., p. 342.

بين الضفة الشرقية والضفة الغربية للنيل ليعبر عليه الصليبيون (١) . والواقع أن الكامل أمر باقامة السدود حتى يوقف تدفق الفيضان إلى المنطقة التي يعسكر عليها الصليبيون وهى المثلث المحصور بين النيل وبحر أشموم. وبذلك أمكن للصليبيين السير شمالا حتى وصلوا إلى العادلية تقريبا ، ثم أقام الملك الكامل جسرا لتعبر عليه القوات الصليبية إلى جيزة دمياط وبذلك يتجنب الكامل دخول الصليبيين المدينة . لأنه لو أقام الملك الجسر شمالي بحر أشموم للعبور إلى الضفة الغربية لاحتاج الأمر إلى جسر آخر عبر بحر المحلة وجسرا ثالثا لعبور الخليج الأزرق حتى يصل الصليبيون إلى جيزة دمياط .

وبعد خروج القوات الصليبية من المنطقة الغارقة سلمت مدينة دمياط نهائيا للمسلمين يوم الخميس التاسع عشر من رجب ٦١٨ هـ (٨ سبتمبر ١٢٢١ م) بعد آذان العصر (٢) ، وكان تسليمها يوما مشهودا « عاد به الدين الاسلامى جديداً بعد أن ساءت به الظنون وخيف على الديار المصرية والشامية من الفرنج خوفا شديدا » (٣) . وبعد أن تمت كافة الترتيبات واطمأن كل من الفريقين إلى تنفيذ الطرف الآخر للشروط المتفق عليها وإستلم المسلمون مدينة دمياط ، أطلق كل فريق ما لديه من الرهائن (٤) . ويذكر تاريخ بطارقة الإسكندرية

---

١ — Hist. Patr. Alex, p. 253.

٢ — ابن ايبك : كنز الدرر جـ ٧ ورقة ١٩٧ — ١٩٨ أنظر أيضا :

Philip de Albeney, op, cit, p. 436,. Annales de Terre Sainte, p. 437; Matthew of Westminster, op. cit, II p. 139.

٣ — ابن واصل : المصدر السابق جـ ٤ ص ٩٩ .

٤ — Setton, op, cit,. p. 428.

أن الرهائن الاسلامية كانت محجوزة في إحدى السفن الصليبيــة الراسية في البحر المتوسط (١) ، بينما يروى تاريخ هرقل أنها أستضيفت فى أحد المنــازل البعيدة عن نهر النيل . وظل الصليبيون يحتفظون بهم حتى دخل المندوب البابوى بلاجيوس ورجاله سفنهم ، وبدأت فى الأبحار من النيل (٢)، شمالا إلي البحــر المتوسط . وعلى أية حال ، فانه فى نفس اليوم الذى عــادت فيه مدينة دمياط للمسلمين جلت أيضا القوات الصليبية عن مصر ، وقد سار بعضها عن طريق البحر وفريق منها فى طريقه إلى أوربا والفــريق الآخر في طريقة عكا . كما سار البعض الآخر عن طريق البر (٣) . ومن الطبيعي أنهــا إتخذت طريقهــا شمال صحراء سيناء فى طريقها إلى الامارات الصليبية بالشام . وذكــــرت المراجع الأجنبية أن الكامل قد وعد الصليبيين بحمل صليب الصلبوت معهــم عند رحيلهم من دمياط (٤) ، ولكنهم لم يأخذوه ، وإدعى الكامل أن كهنة كنيسة القيامة قد خبأوه (٥) . بينما ذكرت بعض المصادر الأجنبية المتأخــرة أن الصليبيين حملوه معهم عند الرحيل(٦). ولكن من الثابت تاريخيا أن الصليبين إستولوا على صليب الصلبوت عندما دخــلوا بيت المقدس لأول مرة واسترده

---

١ – Hist, Patr. Alex p, 258

٢ – Eracles, op, cit. p' 352.

٣ – ابن الجوزى : المصدر السابق جـ ٨ ق ٢ ص ٦٢٠ ، أبو المحاسن : المصدر السابق جـ ٦ ص ٢٤٣ أنظر أيضا .

Rohricht, Geschichte du Kreuzzuge im Umriss ,P . 209.

٤ – Runcimani op, cit, III, p' 169.

٥ – Dnggan, op, cit, p. 220.

٦ – Albertus Stadensis, op. cit, p. 938.

صلاح الدين في موقعة حطين ولم يعد للصليبيين بعد ذلك (١). ويروى تأريخ البطارقة أن الملك الكامل زود الصليبيين بالمؤن والحاجيات الضرورية اللازمة لهم أثناء عودتهم إلى بلادهم (٢) . وإن دل ذلك على شيء فانه يدل على كرم الملك الكامل وسماحته .

ولم يتبق بعد ذلك سوى إطلاق سراح الأسرى من الجانبين (٣) ، وفيما يتعلق بالأسرى الصليبيين الذين كانوا بمصر فقد تولى أمرهم الوزير الصاحب صفى الدين بن شكر فأطلقهم في الثانى عشر من رمضان عام ٦١٨ هـ (٣٠ أكتوبر ١٢٢١ م). وكان من بينهم أسرى منذ عهد صلاح الدين الأيوبى(٤). ويتضح من هذا التاريخ أن عملية اطلاق الأسرى تمت بعد رحيل القوات الصليبية من دمياط ، وربما أعدت هذه الترتيبات حتى يعود القادة الصليبيون إلى عكا ويستعدون لإطلاق سراح أسرى المسلمين من جانبهم أيضاً . وذكرت بعض المصادر الأجنبية المعاصرة أن عدد الأسرى الذين أطلق سراحهم بلغ ثلاثة آلاف من الصليبيين (٥) . وهو نفس العدد الذى ذكره جاك دى فترى فى خطابه المؤرخ فى الثامن عشر من إبريل عام ١٢٢١ م (١ صفر ٦١٧ هـ)

---

١ — Waltherus de Hemingburgh, op. cit, p. 940. cf. also : Runciman, op. cit, 1, p. 204, II p. 459.

٢ — Hist. Patr. Alex; p. 259.

٣ — Waltherus de Heminhburgh, Ibid.

٤ — المقريزى : المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ٢٠٩ .

٥ — Albertus Stadensis, Ibid.

المرسل للبابا هونوريوس الثالث (١) .

وكانت عمليه إطلاق الأسرى هى الجولة الأخيرة للحملة الصليبية الخامسة، وهكـذا «أعاد الله سبحانه وتعالى الحق إلى نصابه ورده إلى أربابه وأعطى المسلمين ظفراً لم يكن في حسابهم فانهم كانت غاية أمانيهم أن يسلموا البــلاد التى أخذت منهم بالشام ليعيدوا دمياط فرزقهم الله إعادة دميـــاط ، وبقيت البلاد علي حالها فالله المحمود المشكور على ماأنعم به على الإسلام والمسلمين» (٢) .

أما الملك الكامل فقد دخل مدينة دمياط ومن حوله أخوته وأهــل بيته ، وكان يوم دخوله لها يوما غظيما مشهوداً (٣) . ثم عاد إلى القاهرة ودخلها فى الثامن من رمضان ٦١٨ ﻫ (٢٦ اكتوبر ١٢٢١ م) ، وكان دخوله يوم عيد وزينت البلاد بالأعلام (٤) ، وكافأ الملك الكامل أخوته وأنعم عليهــم بالذهب والخيل والقماش (٥)، وأذنــ لهم في العودة إلي بلادهم. فرجــع كل منهم إلي بلاده وعمت بشائر النصر آفاق البلاد الإسلامية كلها (٦) ، إبتهاجا بالإنتصار على الصليبيين وجلاء القوات المعتدية عن الأراضى المصرية .

---

١ — Vitry. Lettres de Jacques de Vitry. p. 138.

٢ — ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ٢١٦ .

٣ — ابن واصل : المصدر السابق ج ٤ ص ١٠٥ .

٤ — Hist. Patr. Alex., p. 257

٥ — ابن دقماق : الجوهر الثمين (مخطوط) ورقة ٩٨ ،

٦ — ابن واصل : المصدر السابق ج ٤ ص ١٠٥ .

ولقد تسامع الشرق والغرب بأخبار الحملة الصليبية التي هدفت الإستيلاء على مصر ، وهال المعاصرون أن هذه الحملة استولت فعلا على ثغر دمياط لمدة غير قصيرة (١) ، وهالهم أيضا أنها انتهت بفشل ذريع بعد ماقاربت النجاح (٢) ، ورحلت وهى تحمل عار الهزيمة والخذلان (٣) .

أما عن أسباب فشل الحملة الصليبية الخامسة فيرجع إلى عدة عوامل بعضها يتعلق بالجانب الصليبى ، والبعض يتعلق بالجانب الأوربى ، والبعض الآخر يتعلق بالجانب الاسلامى . كما أن بعض هذه الأسباب جوهرى والبعض الآخر ثانوى وقد تكاتفت كلها معا فى إلحاق شر أنواع الهزيمة بالصليبيين .

والسبب الرئيسى لفشل الحملة يرجع إلى الجانب الصليبى ويشمل عدة نواح . ومن أهمها إن لم يكن أهمها على الاطلاق أخطاء رجال الدين وغرورهم وإعتدادهم بأنفسهم (٤) ، وعلى رأسهم المندوب البابوى بلاجيوس الذي وصفته المراجع الأجنبية بالغباء والعجرفة وعدم الحيلة ، فضلا عن أنه كان متشبثا برأيه وغير محبوب (٥) . كما أنه تناسى وضعه في الحمله كمندوب للبابا وليس قائدا عسكريا ، وتدخل فى إتخاذ القرارات العسكرية وكان عليه أن يترك هذه

---

١ ـ محمد مصطفى زيادة : المرجع السابق ص ٩٥ .

٢ ـ Runciman, op. cit., III, p. 169.

٣ ـ Lane - Poole, The Story of Cairo, p. 19۵ .

٤ ـ Eracles, op, cit., p. 352.

٥ ـ Ruciman, op. cit., III, p. 170.

الأمور للخبراء العسكريين . وكانت حجته أن الصليبيين ليسوا أداه في يد مملكة بيت المقدس ، ولكنهم أداة الكنيسة وبصفته مندوب البابا والكنيسة فيكون له الحق فى إدارة الحملة بالكيفية التى يراها (١) . وعلى هذا تصرف كقائد عسكرى وليس كرجل دين (٢) . وقد أدى تصرف المندوب البابوى على هذا النحو إلى إختلاف وجهات النظر بينه وبين الملك جان دى برين . وأخذت الخلافات بين الطرفين تزداد يوما بعد يوم مما أدى إلى إزدواج القيادة على الحملة . وقد أدى هذا الازدواج مع اختلاف الآراء إلى ضياع الفرص الذهبية التى أتيحت للقيادة الصليبية لتحقيق أهداف الحمله . ذلك أن الملك الكامل عرض على الصليبيين الجلاء عن دمياط نظير إستعادة جميع الأراضى التى فتحها صلاح الدين عدا الكرك والشوبك بعد مؤامرة إبن المشطوب وعبور القوات الصليبية إلى الضفة الشرقية للنيل . ووافق الملك ومؤيدوه على هذا العرض الذى يحقق أهداف الحملة سلميا ، بينما وقف المندوب البابوى ومن يساندوه فى جانب المعارضة . ثم تقدم الكامل بهذا العرض مع بعض الأموال بعد ذلك مرتين قبل سقوط دمياط ومرة أخرى أثناء زحف الصليبيين على القاهرة . وتمسك الملك والمندوب كل منهما بموقفه السابق من العرض . وكان على المندوب البابوى تدارك الأمر في المرات الأخرى . وقد تسبب تمسكه بقرار الرفض في ضياع مملكة بيت المقدس والقضاء على الهدف الأصلى للحملة وضياع دمياط وفقدان الأرواح وأخيرا الحاق الهزيمة بالقوات الصليبية . ويرى فلكس فابرى أنه كان يجب عقاب الممثل البابوى بتقطيعه ألف

١ - Setton, op. cit., II. p. 403.

٢ - Gibbon, The Crusades, p. 71.

قطعة على ما اقترفت يداه فى حق الحملة وعلى تسببه فى الحاق العار والخزى بالصليبين جميعا لرفضه عروض الصلح التى تقدم بها المسلمون متجاهلا تعليمات البابا اليه (١) . ويرى رانسيمان أن بلاجيوس كان له العذر عندما رفض عروض الصلح لأنه كان يرى أنه من المتعذر على الصليبيين الاحتفاظ بمملكة بيت المقدس بدون وجود قلعتى الكرك والشوبك فى حوزتهم (٢) . وأيا كان موقف كل من المندوب البابوى والملك جان دى برين من عروض الصلح السخية التى تقدم بها الملك الكامل محمد ، فقد كشفا النقاب عن أطماعها وتطلعاتها إلى الزعامة والقيادة الأمر الذى أضر بالحملة ضررا بالغا .

وإذا كان ذلك هو الجانب الأساسى الذى تسبب فى ضياع أهداف الحملة ، فان من أهم الأسباب العسكريه التى تسببت فى هزيمة الحملة عسكريا هو جهل الصليبيين بجغرافية البلاد المصرية وطبوغرافية الطريق الذى اختاروه للزحف صوب القاهرة، وهو الطريق المحاذ لفرع النيل الشرقى (فرع دمياط) مارا بفارسكور وشار مساح والمنصورة، رغم علمهم بمواعيد ارتفاع وإنخفاض مياه النيل . (٣) وكان يعترض هذا الطريق العديد من الترع والقنوات التى

---

١ — Fabri, op. cit., Vol. 2, Part I, p. 361. ، أنظر أيضا سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق جـ ٢ ص ٩٨٠ .- Archer & Kingsford, op. cit., p. 378, Grousset, op, cit., III, p. 235. King op. cit., p. 192, Michaud, op. cit., II, p. 263.

٢ — Runciman, op cit., III, p. 170 .

٣ — ورد فى التقرير الذى أرسله بطريق بيت المقدس الى البابا أنوسنت الثالث عام ١٢١٤ م أن فيضان النيل يبدأ من شهر يونيه كل عام وتبلغ قمة الزيادة لماء النيل فى عيد الصليب ١٧ سبتمبر . أنظر .

Patriarche de Jerusalem, op. cit., p. 932.

تتفرع من النيل وهى أشبه بشبكة الصائد وتصلح لأن تكـون أفخاخا وكمائن للايقاع بالجيش الصليبى . أضف إلى ذلك أنه محصن بمراكز الدفاع القـوية التى تستطيع القوات المصرية استغلالها ضد القوات الصليبية . وفى الحقيقة أن غزو مصر من هذا الطريق كان مصيره الفشل (١) . وقد فطن أحد المعاصرين لهذا الخطأ ، إذ كتب نيقولا الأول بطريق طائفة المكانيين بالاسكندرية فى عام ١٢٢٢ م (٦١٩ هـ) ، بعد رحيل الحملة ، إلى البابا هـونوريوس الثالث يدعوه فيه إلى حث الأمبراطـور فريدويد الثانى على سرعة المجىء إلى الشرق لمحو العار الذى لحق بالحمله الصليبية الخامسة ، ويسجل فيه أن طريق السلامة هو أن تدخل السفن الصليبية من فرع النيل عند رشيد وترسى فى مدينة فوة وبذلك تكون بعيدة عن الأخطار. ويستطيع الأمبراطور حينئذ أن يستولى على مصر كلها ، خاصة أن فرع النيل الغربى (فرع رشيد) واسـع وعميق ، كما أن المنطقة التى سترسى فيها قوات الأمبراطور محصنة ومليئة بالخيرات (٢). ورغم هذه المعلومات القيمة والخطيرة عن طبوغرافية البـلاد المصرية ، إلا أن حملة لويس التاسع ملك فرنسا على مصر عام (١٢٤٨ — ١٢٥٠ م / ٦٤٦ — ٦٤٨ هـ) إتخذت نفس الطريق الذى اتخذته حملة جان دى برين، ولذلك كان نصيبها الفشل (٣) . وفى الحقيقه أن مسئولية الفشل فى هذا الجانب ترجع إلى

---

١ — جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على مصر ص ٢٤١ .

٢ — Nicolaus I, op. cit , pp - 647 - 9

٣ — جوزيف نسيم يوسف : المرجع السابق ص ٢٤١ وما بعدها ، أنظر أيضا :
Oman, C, A History of The Art of the War in The Middle Ages, I, p. 267.

الملك جان دى برين . فهو الذى اختار مدينة دمياط لبداية العمليات العسكرية ضد مصر . فلم تكن دمياط بالمدينة التى تصلح لتكون قاعدة يتقدم منها الصليبيون لغزو مصر (١) .

وكما أخطأت القيادة الصليبية فى اختيار الطريق السليم للزحف صوب القاهرة فقد أهملت أيضا العامل الزمنى الذى يعتبر من أهم العوامل فى انتصار أو هزيمة الجيوش . فقد أهملت هذا العامل بعد ما تمكنت القوات الصليبية من العبور إلى الضفه الشرقية بعد مؤامرة إبن المشطوب . ولو بادر الصليبيون بالزحف مباشرة تجاه مصر لتمكنوا من الإستيلاء عليها (٢) ، وخاصه وأن الصدمة العنيفة التى لحقت بمصر جيشا رشعباً وحالة الإرتباك التى سيطرت على القوات الإسلامية كانا سيجعلان مهمة القوات الصليبية سهلة ويسيرة ، وربما تغيرت نتائج الحملة بأكملها .

ومرة أخرى تغافلت القيادة الصليبية عن عامل الزمن . ذلك أنه رغم علم الصليبيين بموعد فيضان النيل ، ورغم تحذير الملك جان دى برين للمندوب البابوى ، إلا أن بلاجيوس قرر الزحف صوب القاهرة فى أواخر شهر يوليو ١٢٢١ م (أوائل جمادى الثانية ٦١٨ هـ) أى فى الوقت الذي أخذت بوادر الفيضان تبدو واضحة أمام أعين الصليبيين . وكان على القيادة الصليبية بزعامة بلاجيوس أن تختار الوقت المناسب لبداية عملية التقدم من دمياط جنوبا إلى مصر متجنبين الفيضان وأخطاره .

---

١ — Lane-Poole, The History of Egypt, p. 222.

٢ — أحمد شلبى : الحروب الصليبية ص ٧٢ .

والمرة الثالثة التي تجاهل فيها الصليبيون عامل الوقت هو أن الحملة بدأت تعمل على الزحف الى قلب مصر بعد حوالى ثلاث من قدومها إلى الشواطىء المصرية . مما أعطى القيادة الاسلامية الفرصة الكافية لاعادة تنظيم صفوفها مرة بعد أخرى أضف الي ذلك أنه طوال هذا الوقت والملوك الايوبيين يعملون على دعم الجبهة المصرية سواء بالمال أو الرجال أو العتاد مما أعاد للجيش الاسلامي قوته ورفع من روحه المعنوية ، وأخذ فى إقامة التحصينات الكافية في الأماكن المناسبة ، وتم تجهيز البحرية تجهيزا قويا حتى تمكنت من تطويق البحرية الصليبية من بحر المحلة (١) . وفى الواقع أن فشل الحمله من هذا الجانب مرجعه إلى المندوب البابوى بلاجيوس لإتخاذ قرار الزحف فى هذا الوقت غير المناسب ضاربا بنصائح الملك جان دى برين عرض الحائط سواء فيما يتعلق بموعد الزحف أو بحراسة بحر المحلة الذي بدأت منه أولى الهزائم التى لحقت بالصليبيين بعد ما سيطرت البحرية الاسلامية عن سفن الصليبيين .

وإلى جانب العامل السياسى وإختيار الطريق الخطأ للزحف صوب القاهرة وإهمال عامل الوقت ، فمن الأسباب الرئيسية التي أدت الى فشل الحملة ما يرجع إلى الملك جان دى برين شخصيا . فلم يحظ الملك الصليبى بطاعة كافة رجال الجيش (٢) . ويرجع ذلك إلى الدعاية التى روجها ضده المندوب البابوى بانه ليس ملكا وإنما وصيا . ولم يكن لبلاجيوس من وراء ذلك إلا هدف محدد هو هدم شخصية الملك فتعلوا شخصيته على كل أفراد

---

١ — أنظر ما سبق ص ٣٨٣—٣٨٤ .

٢ — Duggan, op. cit., p. 220.

الحملة وبذلك تتحقق له الزعامة المطلقة . وقد أدت هـذه السياسة إلى إنقسام الجيش الصليبي إلى فرق وشيع أحداها يسانده الملك والأخرى تؤيد المندوب البابوى الذى تسانده السلطة الروحية ممثله فى رجال الديـن . ونجحت سياسية بلاجيوس وطغى بشخصيته على شخصية الملك الذى سلم بالأمر الواقع وانتحل الأعتذار وعاد إلى عكا وبقى بها أكثر من عام مما أعطى بلاجيوس فرصة ثمينة لاعلاء كلمته وإتخاذ قرار الزحف على مصر متغافلا سلطة الملك . وفى الواقع فان الملك الصليبى أصبح لا حول له ولا قوة بعـد ماركب بلاجيوس قمـة القياده على الحملة التي منحه إياها البابا هونوريوس الثالث بعد رحيل الملـك . ورغم ما اتصف به الملك جان دى برين من شهامة وشجاعة وخـبرة عسكرية، فلم تكن له الهيبة أو الشخصية القوية لقيادة جيش صليبى دولى (١) .

اذا كانت هذه الأسباب الرئيسية تتعلق بالقيادة الصليبية فهنـــاك بعض الأسباب الأخرى التى تتعلق بالقوات الصليبية نفسها . فقد كان الصليبيـون كثيرا ما يتصرفون من تلقاء أنفسهم والأمثله على ذلك كثيره . منها أن بعض القوات قررت الهجوم على القوات الإسلامية عندما كانت ترابطفى فارسكور، وكان لها ما أرادت مما تسبب في قتل المئات من الصليبيين . كما كانت هـــذه ترحل الى بلادها عندما يحلو لها الرحيل غير عابئة بالاوامر التى تصدرمن قادتها أو بالتهديد بقرار الحرمان . أضف الى ذلك الخلافات التى نشبت بينهم بسبب تقسيم الغنائم التى أدت إلى الصدام المسلح . وعلاوة على ما تقـدم فان القوات الصليبيه قد إنغمست فى الفساد واللهو طوال بقائها في دمياط . وان دل ذلك

---

١ — Runciman, op. cit., III, p. 170

على شيء فانما يدل على الانهيار الخلقي عند الصليبيين أنفسهم وضعف القيادة أيضا . هذا فضلا عن عدم إكتراث بعض القادة الصليبيين بالاوامر التى تصدر اليهم مثل ما حدث من لويس دوق بافاريا عندما تناسى التعليمات التى تلقاها من الامبراطور فريدريك بعدم القيام بأية عملية عسكرية كبيرة الا بعد حضوره(١). ورغم ذلك فقد كان من المؤيدين لفكرة الزحف إلى القاهرة مع بلاجيوس .

واذا تركنا أسباب الفشل التى ترجع إلى الجانب الصليبى وانتقلنا الى الجانب الأوربى، فنجد أن البابوية ضالعة في المسئولية. ويرجع ذلك إلى أن الحملة الصليبية الخامسة قد وضعت تحت القيادة البابوية مسيطرة عليها وحتى إلا تتعرض لما تعرضت له الحملة الرابعة . وكان إختيار البابا هونوريوس الثالث للكاردينال بلاجيوس مندوبا عنه في الحملة ، ثم إعطائه من السلطات ما جعله يتعالى على الملك جان دى برين ، وعدم حسم الخلاف الذى نشأ بين الملك والمندوب الذى تصاعد إلى صراع بين السلطه الزمنية والسلطة الدينية على مستوى الحملة بأكملها ـ كل هذا قد أسهم في هزيمة الحملة ـ إلى جانب العوامل السابقة (٢) . أضف الى ذلك أن شخصية البابا هونوريوس الثالث لم تكن من القوة التى يخشاها بلاجيوس ويعمل لها حسابا ، وإلا لما تصرف من تلقاء نفسه برفض العرض الإسلامي بالصلح دون الرجوع إلى البابا حسب التعليمات التي صدرت منه اليه .

---

١ — Duggan, op. cit., p, 219,

٢ — La-Mont, op: cit., p, 500,

ومن الأخطاء التى إرتكبتها البابوية وأدت الى فشل الحملة هو عدم إختيار الوقت المناسب لارسال الحملة ، ففى ذلك الوقت كانت الروح الصليبيــة قد تقلصت عند الأوربيين . فلم يعد لديهم الحماس الكافى للانخــراط فى صفوف الحملات الصليبية القادمة إلى الشرق . أضف إلى ذلك قيام الحمــلة الالبيجنسية والحروب الدائرة بين المسلمين والمسيحيين الغربــين في أسبانيا الأمر الذى أمتص جهدا ومالا ورجالا كان من الممكن الاستفادة بهم وضمهم إلى امكانيات الحملة الخامسة . وفوق هذا كله الصراع الذى كان دائرا بين ملوك أوربا من أجل تدعيم مراكزهم (١) ، مما أعجز البابا هونوريوس الثالث عن إرسال الامبراطور فريدريك الثانى إلى دمياط .

ونخص فريدريك الثانى بالذات لأنه كان قد وعد بتحرير الأراضى المقدسة منذ عهد البابا أنوسنت الثالث(٢) ، كما حمل الصليب عندما توج فى آخن (٣) فى الخامس والعشرين من يوليو ١٢١٥ م (٤) . وقام بحث الشعب الألمانى عــلى الانخراط فى صفوف الحملة بعد ما تقررت فى مجلس اللاتيران الكنسى . ولذلك عقد عليه البابا إنوسنت الثالث الآمال الكبار فى قيادة الحملة المرتقبة التى تحددها أول يونية ١٢١٧ م (٢٢ ربيع أو سنة ٦١٤ هـ) للابحار الى الشرق . ولم يظهر فريدريك الثانى أية علامة تشير إلى الوفاء بوعده للرحيل مع الحملة فى الموعــد المحدد واللحاق بها . فارسل مونتفرات Montferrot رئيس دير القــديس

---

١ — Gibbon, op. cit , p. 71.

٢ — Ludlow, The Age of The Crusaades, p. 14

٣ — آخن ، هى مدينة اكس لا شابل الالمانية .

٤ — Rohricht, Beitrage Zur Grschichte der Krenzzuge, pp. 3-4

جال Gall يعتذر للبابا هونوريوس الثالث عن الذهاب مع القوات الصليبية بسبب مشاكله مع أوتو ، وحتى يتمكن من تأمين مملكته . ولكى تبحـــر الحملة فى فى موعدها طلب البابا من أندرو ملك هنغاريا قيادة الحملة فى الوقت الذى لم يستطع فيه القيام بعمل ما، سوى معاتبة الامبراطور والأمراء الذين ساندوه على عدم الوفاء بوعدهم فى الموعد المحدد (١) .

وبعد ما تطورت الحوادث ووطأت أقدام الصليبيين أرض مصر ، طلب البابا من الامبراطور اللحاق بالحملة ولكنه أعتذر مرة أخرى فى الثانى عشر من يناير عام ١٢١٩ م (٢٣ شوال سنة ٦١٥ هـ) وكانت حجته فى ذلك أن هنرى دوق برونزويك أصبح يهدد مملكته (٢) . وأعلن وهو يطلب التأجيل هـذه المرة بأن أى إنسان لا يفى بوعده ويلحق بالحملة حتى الرابع عشر من يونيه من نفس العام (٢٧ ربيع أول ٦١٦ هـ) يستحق أن يصدر ضده قرار الحرمان . ولكنه عاد مرة أخرى وأخبر البابا بأنه سوف لا يتمكن من اللحاق بالحملة فى هذا الموعد، فحدد له البابا شهر أكتوبر من نفس العام (رجب ـ شعبان ٦١٦هـ) ليكون موعدا يلحق به بقوات الحملة المحاصرة دمياط . ولكن فريدريك إقترح أن يكون الحادى والعشرين من مارس عام ١٢٢٠ م (١٤ محـرم ٦١٧ هـ) موعدا للرحيل، ولكى يظهر الامبراطور حسن نوياه كان يرسل الامدادات إلى الحملة مثل ما حدث عام ١٢١٩ م (٦١٦ هـ) وعام ١٢٢٠ م (٦١٧هـ)(٣). ومن الملاحظ أن القـــوات الصليبية كانت تسير فى عملياتها العسكرية عاقـدة الأمل على حضور الأمبراطور فيشتد به ساعدها ، وتتمكن من إلحـاق الهزيمة الكاملة بالقوات الإسلامية وتغزو مصر .

١ ـ Wiegler, The Infidel Emperror' p, 98.

٢ ـ Brehier, op. cit., p. 197.

٣ ـ Rohricht, op cit, p, 7,

ويبدو أن البابا قد أحسن بأن الامبراطور لاينوى الذهاب إلى مصر فى الوعد الجديد فأسرع وأرسل اليه كونراد أف متز Conrad of Metz فى السادس عشر من فبراير عام ١٢٢٠ م (١٠ ذو الحجة ٦١٦ هـ) يذكرة بالذهاب إلى مصر ويوضحله أن دمياط أصبحت في يد الصليبيين منذ الخامس من نوفمبر عام ١٢١٩ م (٢٥ شعبان ٦١٦ هـ) . وفي الواقع لم يكن البابا وحدة هو الذى يطالب الامبراطور بالرحيل ، فان القيادة الصليبية من دمياط كانت تكتب اليه هى الاخرى تبلغه ما دار من أحداث على أرض مصر ، وتطالبة بالحضور اليها (١) . ولكن الامبراطور لم يكن مستعدا للرحيل هذه المرة أيضا وطلب مهله أخرى فحدد البابا أول مايو ١٢٢٠ م (٢٥ محرم سنة ٦١٧ هـ) بدلا من مارس وأبدى فريدريك من الأعمال ما يشير إلى تنفيذ وعدة . ولكنه عاد وأعلن أنه سيذهب إلى مصر في أغسطس عام ١٢٢١ م (جمادى الآخرة - رجب ٦١٨ هـ) ووعد بارسال بعض الامدادات للحملة ، وفعلا وصلت أمداداته فى مايو ١٢٢١ م (ربيع ثان ٦١٨ هـ) ، ثم أعقبتها امدادات أخرى فى الوقت الذى لحقت الهزيمة بالقوات الصليبية ، فكان وصولها بعد فوات الأوان .

والواضح أن الامبراطور لم يكن لديه النيه فى القدوم إلى مصر في ذاك الوقت ، كما أنه وجد في تلهف البابا عليه للذهاب الى مضر فرصه لتحقيق

---

١ — كانت الخطابات ترسل تباعا من دمياط الى البابا والي كبار الشخصيات فى أوربا ومنهم الامبراطور فريدريك وعلي سبيل المثال ما أرسل في ١٠ ، ١١ ، ١٢ نوفمبر ١٢١٩م . أنظر : Rohricht, Funften Kreuzzuges, pp. 39-43

أطماعه فى أوربا . ذلك أن إبنـه هنري السابع كان يتولى عرش صقليـه ، ثم عمل على توليته على ألمانيـــا، وحجته فى ذلك أنه لا يستطيع التوجه إلى الشرق دون أن يترك ابنه ملـكا على ألمـانيا . وكان الغرض الحقيقى من وراء ذلك هو توحيد عرش صقليه وألمانيـا والتهرب من اللحاق بالحملة ، وقد تم ذلك رغم إحتجاج البابا . ومن جانب آخر فان الامبراطور فريدريك إستغل الحمـلة فى الحصول على اللقب الامبراطورى ، وساوم البـابا ليقوم بتتويجه ليتوجه بعد التتويج إلى مصر . وبالفعل إنخدع البابا فى نوايا الامبراطور وكتب الى المندوب البـابوى بلاجيوس فى الرابع والعشرين من يوليو عام ١٢٢٠ م بأن فريدريك سيتوج إمبراطورا فى التاسع والعشرين من سبتمبر عام ١٢٢٠ م ، وأنه بدون شك سيتوجه بعد ذلك الى مصر (١) . وانتهى عام ١٢٢٠ م (٦١٧ هـ) دون أن يتوجه فريدريك الى دميـاط . وفى بداية عام ١٢٢١ م (٦١٨ هـ) عاد فريدريك للمراوغه مرة أخـرى وأرسل أوجلينو أف أوستيا Ugalino of Ostia مندوبا عنه إلى شمال إيطاليا لجمع المال والجنود لدعم الحمـــــلة (٢) ، وتعهد فى ذلك الوقت مرة أخرى بالتوجه إلى مصر فى أغسطس من العـام نفسه (جمادى الآخرة – رجب ٦١٨ هـ) (٣) . ويبدو أن البـابا هونوريوس الثالث كان رجلا ساذجا وأعتبر وعود فريدريك الثانى وعودا صـادقة ، فقد ظل يبعث بالرسائل إلى الصليبيين يخبرهم بأن يترقبوا

---

١ – Donovan, op. cit., pp. 77-8.

٢ – Rohricht., op. cit., p 9.

٣ – Wiegler, op cit., p 105.

وصول الامبراطور فريدريك وجيشه فى القريب العاجل (١) . وبعد فوات الأوان تنبه البابا إلى نوايا فريدريك الثانى وكتب الى مندوبة بلاجيوس فى العشرين من يونيه عام ١٢٢١م (٢٧ ربيع الثانى ٦١٨هـ) يخبره أن الامبراطور لم يصل قريبا الى دميــــاط ، وعليه أن يتصرف بنفسه (٢) ، خاصة أن الملك جان دى برين كان غائبا عن الحملة مقيما بعكا فى هذا الوقت . ونظرا لما أبداه الامبراطور فريدريك الثانى من إهمال للحملة ، وعدم الوفاء بوعده واللحاق بالقوات الصليبية التى سبقته ، هــــذا بالاضافـــة إلى المراوغه التى إتبعها مما أضاع كثيرا من الوقت على القوات الصليبية ، فقد اعتبره بعض المؤرخين المحدثين الأجانب مسئولا عن فشل الحمله (٣) .

هذه هى العوامل الصليبية والأوربية التى أدت الى فشل الحملة . ولكن فى الحقيقة هناك عامل هام جدا يرجع اليه الفضل الأول في الهزيمة العسكرية التى لحقت بالقوات الصليبية ، وهذا العامل هو الجانب الاسلامى بقيـادة الملك الكامل ومساندة الملك المعظم . فان الفضل يرجع إلى الملك الـكامل فى إعداد خط دفاع العادلية فى مواجهـة الصليبيين . إذ ظل صامدا هو وقواته طوال ثمانية أشهر ، ولكنه إضطر للتراجـع نتيجة مؤامرة إبن المشطوب التى ساعدت القوات الصليبية على العبور إلى الضفة الشرقية وحصار دمياط . ويأتى دور أخيه الملك المعظم فى دفع هذا الخطـر وازاله إبن المشطوب من المعسكر

١ — Runciman, op. cit., III, p. 164.

٢ — Rohricht, Ibid.

٣ — Duggan, op. cit., p. 120; Stevenson, op. cit., p. 307; Rohricht, Geschichte der Kreuzzuge im Umriss, p. 211.

الاسلامى . ثم أعاد الأخوان تنظيم القوات الاسلامية مرة أخرى و بدأ الكامل فى جمع المال والرجال لدعم الجبهـــة المصرية فى الوقت الذى تولى فيه المعظم الجبهة الشامية والضغط على أملاك الصليبيين فى الشام وهدم القلاع الاسلامية خشيه إستيلاء الصليبيين عليها بعد ذلك ، وتركها بحالة يتيسر على المسلمين إستردادها اذا ما سقطت فى يد الصليبيين . أضف إلى ذلك الجهود العظيمة التى قام بها لجمع الامدادات من الشام وإرسالها إلى أخيه الكامل . حقيقة أن كافة ملوك البيت الأيوبى تعاونوا فى إرسال هذه الإمدادات ، ولكن دور الملك المعظم كان أبرزها على الاطلاق ، فانه لم يتوان لحظة عن إنجاد أخيه الكامل وإنقاذ دمياط . وفى الحقيقة فان عامل الوقت الذى أهمله الصليبيون كان عاملا من أهم العوامل التى ساعدت المسلمين على إعداد هذه الامدادات ، وجعلت من الميسور على الملك الكامل إستقبالها وإنزالها فى الأماكن الحصينة التى تناسبها . أضف إلى هذا أن الملك الكامل قد استفاد من تراخي الصليبيين فى الزحف صوب القاهرة ، وأقام مدينة المنصورة وهى الصخرة التى تحطمت عليها آمال الصليبيين فعلا .

كما أن الفضل الأكبر فيما لحق بالصليبيين من هزيمة يرجع إلى خطط الملك الكامل البحرية والبرية . ذلك أنه تمكن من تطويق الصليبيين بحرا عن طريق السفن التى سيرها فى بحر المحلة وضرب مؤخرة الأسطول الصليبي وقطع الاتصال بين القوات الصليبية المتقدمة وبين قاعدتها فى دمياط فى الوقت الذى طوقت فيه القوات الصليبية من الخلف . هذا ، بالاضافة إلى إختيار الوقت المناسب لكسر الجسور وإغراق القوات الصليبية بينما حملت القوات الاسلامية على الصليبيين حمله شعواء . فقد كان لهذه العوامل التى تمت فى وقت واحـد

تقريبا أثرها البالغ في إنهاك القوى الصليبيـــة وتبديد قواها والحاق الهزيمة النكراء بها دون خسارة عسكرية تذكر فى الجانب الاسلامى . وعلى ذلك تعتبر الخطة العسكرية التى أعدها الملك الكامل العامل الأساسي فى هزيمة القوات الصليبية وفشلها في تحقيق أطماعها .

هكذا فشلت الحمله الصليبية الخامسة على مصر سياسيا عندما رفضت عرض الصلح الذى تقدم به الملك الكامل أكثر من مرة للقيادة الصليبية بسبب تعصب المندوب البابوي بلاجيوس، وكذلك بفعل جهل الصليبيين بطبوغرافية ميدان المعركة ، وإهمالهم العامل الزمني الذى يعتبر من أهم عوامل الحروب فى أى زمان ومكان . أضف إلى ذلك ازدواج القيـادة على الحمله ، وفساد وتهور وعصيان القوات الصليبية وعدم توفيق البابا فى إختيـار مندوبه على الحمله ، وكذلك إخفـاقه في تحديد الوقت المناسب لقيام هذه الحمـــله ، وانشغال الامبراطور فريدريك الثانى بأمور دولتـه فى أوربا عن اللحـاق بالحمله فى دمياط . ويكلل هذه العوامل جميعها إتحاد الجبهة المصرية والشامية جيشا وشعبا وعلى رأسها القيادة الرشيدة التى إضطلع بهـا الملك الكامل محمد في هذه الفترة العصيبة من تاريخ مصر التى تمكنت من رد المعتدين على أعقابهم مدحورين .

خاتمة

— تخريب مدينة تنيس .

— حملة الامبراطور فريدريك الثانى على الشام .

— تقلص الروح الصليبية .

— نهاية الامارات الصليبية بالشام وموت الفكرة الصليبية .

رحلت الحملة الصليبية الخامسة عن دمياط تجر وراءها أذيال الخذلان ، بعد أن قضت فيها وعلى شاطئيها الغربى والشرقى الفترة الواقعة بين الثالث من ربيع أول عام ٦١٥ ﻫ إلى التاسع عشر من رجب عام ٦١٨ ﻫ (٣٠ مايو ١٢١٨ م إلى ٨ سبتمبر ١٢٢١ م). هكذا غادرت الحملة مصر وهى تحمل عار الهزيمة ، بعد أن فشلت فى تحقيق أهدافها . وقد ترتب على ذلك نتائج مباشرة وأخرى غير مباشرة .

أما النتائج المباشرة فأولها يتعلق بمدينة تنيس . إذ كانت هذه المدينة هدفا لغارات الفرنج منذ بداية الحركة الصليبية . ولهذا الغرض فقد تم إخلاؤها ونقل أهلها إلى دمياط عام ٥٨٨ ﻫ (١١٩٢م) . ولم يبق بها غير حاميتها التى كانت تحمى قلعتها . وقد إستولت عليها القوات الصليبية فى الثالث والعشرين من نوفمبر عام ١٢١٩ م (٤ رمضان ٦١٦ ﻫ) وبعد سقوط دمياط فى أيديهم بثمانية عشر يوما . وفى عام ٦٢٤ ﻫ (١٢٢٧ م) وبعد جلاء القوات الصليبية عن البلاد بحوالى ست سنوات أمر الملك الكامل محمد بتخريبها ، وذلك بسبب كثرة غارات الصليبيين عليها (١). فخربت أركانها الحصينة وعمائرها المكينة ، ولم يبق منها إلا رسومها فى وسط البحيرة (٢). وهكذا إختفت مدينة تنيس المشهورة بصنع الثياب المعروفة بالتنيسى التى كانت تكسى بها الكعبة(٣)

---

١ ـ أبو الفدا : تقويم البلدان ص ١١٨ ـ ١١٦ ، أبو المحاسن : المصدر السابق ج ٥ ص ٣١٢ حاشية (٢) .

٢ ـ المقريزى : السلوك ج ١ ق ١ ص ٢٢٤ .

٣ ـ ياقوت الحموى : المصدر السابق ج ١ ص ٨٨٢ ، المقريزى : الخطط : ج ١ ٢٨٦ ، ٢٩٢ ـ ٢٩٣ .

ويلاحظ أن هدمها قد أضاع على الخزانة الأيوبية آلاف الدنانير التى كانت تؤول اليها سنويا كعائد عليها من وراء وجود المدينة وإشتغال أهلها بصيد الأسماك من بحيرتها . ولكن السلطات الأيوبية آثرت دكها حتى تأمن شر إعتداء الفرنج عليها مرة أخرى .

والنتيجة الثانية المباشرة لهزيمة الحملة وفشلها ، هى قيام حملة صليبية أخرى ونعنى بها حملة الإمبراطور فريدريك الثانى المعروفة بالحملة السادسة فى عداد الحركة الصليبية . وموجز أخبار هذه الحملة أن الإمبراطور فريدريك الثانى قد وعد أكثر من مرة بقيادة الحملة الصليبية الخامسة . ولكن هذا الوعد لم ينفذ ورحلت القوات بدونه ووطأت أرض مصر على أمل أن يلحق بها . وأرسل القادة الصليبيون ورجال الدين إلى البابا يحثونه على دفع الأمبراطور للحاق بالحملة فى دمياط . وإنتحل الإمبراطور العذر بعد الآخر حتى هزمت الحملة وجلت عن مصر . وألقى البعض اللوم عليه وإعتبروه السبب فى فشل الحملة .ورغم ذلك فقد كان لدى البعض أمل كبير فى أن يتولى الامبراطور قيادة حملة أخرى لغزو مصر وتحقيق الهدف الذى فشلت فيه الحملة الخامسة . كما أن الملك الصليبي جان دى برين توجه إلى إيطاليا لاستجداء البابا فى إرسال المساعدات لبيت المقدس ، وزار أسبانيا وإنجلترا وفرنسا لنفس الغرض . وفى هذه الجولة زوج إبنته إيزابيلا وريثة مملكة بيت المقدس الاسمية إلى الامبراطور فريدريك الثانى فى عام ١٢٢٥ م (١) ، وقد بارك البابا هونوريوس الثالث هذا الزواج حتى يصبح للامبراطور مصلحة فعلية فى التوجيه بحملته إلى الشرق

١ — Kantorowicz, Fredericke the Second p. 139 .

وتعهد فريدريك بالقيام بحملتـه فى أغسطس عام ١٢٢٧ م (شعبان ـ رمضان ٦٢٤ هـ) (١) ومع ذلك ظل يتباطأ في القدوم بحملته المزعومة إلى الشرق مما دفع البابا جريجورى التاسع Gregory IX (١٢٢٧ – ١٢٤١ م) إلى إصـدار قرار الحرمان ضده فى التاسع والعشرين من سبتمبر عام ١٢٢٧ م (٢) .

ولعل هذا التصرف من قبل الامبراطور يرجع إلى عدم توفر الحافز الذى يدفعه للدخول في حرب ضد الاسلام والمسلمين بالذات، وهو الذي نشأ في صقلية في كنف الحضارة الاسلامية وشب على حب المسلمين وحضارتهم . ومن هنا قامت علاقة الود والصداقة بينه وبين الملك الكامل ، لأن الأخير كان صورة شرقية من الامبراطور (٣) . وكان كلاهما بفكرها يسبقان العصر الذى يعيشان فيه . فكل منهما لا يلجأ إلى السيف إذا استطاع أن يحل مشكلاته بالسياسة والطرق السلمية (٤) .

ورغم ذلك فقد دفعت الظروف الامبراطور للخروج بحملتـه إلى الشرق وجاءت الأسباب التى دفعته إلى ذلك من قبل المسلمـين أنفسهم . فقـد ساءت العلاقات بين الملك الكامل وأخيه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق ، وإتصل المعظم بجلال الدين خوارزم شاه (٥) (٦١٨ – ٦٢٨ هـ / ١٢٢١ – ١٢٣١ م)

---

١ ـ جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الاسلامية جـ ٢ ص ١١٢ .

٢ ـ Kantorowicz, op. cit., p. 139.

أنظر أيضا : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على مصر ص ٣١ .

٣ ـ سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٩٩٥ ـ ٩٩٦ .

٤ ـ جمال الدين الشيال : المرجع السابق جـ ٢ ص ١١٤ .

٥ ـ عن شخصية جلال الدين أنظر : فؤاد عبد المعطى الصياد : المرجع السابق ص ٧٣ وما بعدها .

ملك الدولة الخوارزمية ووطد علاقته به ليستعين به إذا هاجمه أخوه الكامل . وسعى الكامل من جانبه بعقد صلات الود والصداقة مع الامبراطور فريدريك الثانى وأرسل اليه الأمير فخر الدين يوسف يطلب منه الحضور إلى الشام ليسلمه بيت المقدس (١) . وهكذا إنفرط عقد الدولة الأيوبية ، وأصبح بيت المقدس عرضة للضياع .

وساعد على قيام الإمبراطور الألمانى بحملته إصرار البابا جريجورى التاسع على ضروره توجهـــه إلى الشرق دون ابطاء (٢) . وبذلك كان على الامبراطور الذهاب إلى الشرق لإرضاء البابوية من ناحية وإستلام البيت المقدس سلما من الملك الكامل من ناحية أخرى .

ووصل فريدريك إلى عكا عن طريق قبرص فى أبريل ١٢٢٨ م (جمادى الأولى ٦٢٥ هـ) ومعه حوالى خمسمائة فارس بعد أن سبقته اليها قوات الحملة (٣) وكان وصوله اليها بعد وفاة الملك المعظم وتولى إبنه الناصر داود (٦٢٤-٦٢٦هـ/ ١٢٢٧ - ١٢٢٩ م) (٤) ، ولما كان العاهل الأخير قد اشتغل باللهو وأعرض عن مصالح الدوله (٥) ، لذلك أصبح الكامل فى غير حاجة إلى مساعدة الامبراطور فريدريك الذى أدرك ذلك وأصيب بخيبـة أمل شديدة لتبـدل الموقف (٦) ،

---

١ — إبن واصل : المصدر السابق ج ٤ ص ٢٣٣ — ٢٣٤ ، المقريزى : السلوك ج ١ ق ١ ص ٢٢١ — ٢٢٢ .

٢ — The Cambridge Medieval History, Vol. 6, p. 146.

٣ — Mas Latrie, op. cit., I, pp. 238 - 246.

٤ — سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ج ٢ ص ١٠٠١ ، ١٠٠٢ .

٥ — المقريزى : السلوك ج ١ ق ١ ص ٢٢٥ .

٦ — سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ج ٢ ص ١٠٠٤ — ١٠٠٥ .

خاصة وأنه خرج من أوربا وهو محروم من الكنيسة معتمدا على وعد الكامل له لاعلاء شأنه بين ملوك أوروبا (١) .

أما موقف الكامل فقد كان أشـــد حرجا من الامبراطور ، فهو يخشى الاصطدام بالصليبيين لتخوفه من الخوارزمية والمغول من خلفهم ، فضـلا عن الخلافات الداخلية بين أفراد البيت الأيوبى . ومما زاد فى تحرج الملك الكامل أن البابا أرسل اليه يحرضه على عدم تسليم بيت المقدس للامبراطور حتى لايكسبه ذلك شرفا ونصرا على البابوية (٢) .

وإزاء هذه الظروف لم يبق أمام فريدريك غير سلاح المفاوضة والاستعطاف واستخدام كل الوسائل الدبلوماسية لتحقيق هدفه واستلام بيت المقدس (٣) . وانتهى الأمر بين الكامل وفريدريك بعقد صلح يافا فى الثانى والعشرين من ربيع أول ٦٢٦ هـ (١٨ فبراير ١٢٢٩ م) (٤) . وينص هـذا الصلح على أن يتسلم الامبراطور بيت المقدس باعتبارها ملكا للصليبيين بشرط أن تظل خربة على حالها ، ولايجدد سورها ، وأن تكون سائر قرى القدس للمسلمين لاحكم للصليبيين فيهـا ، وأن الحرم الشريف بما حواه من الصخرة المقدسة والمسجد الأقصى يكون بأيدى المسلمين ولا يدخله الصليبيون الا للزيارة فقط ، ويتولاه قوام من المسلمين وتقام فيه شعائر الاسلام من الآذان والصلاة . يضاف الى

---

١ - Wiegler, op. cit., p. 136.

٢ - Kantrowicz, op. cit, p. 184.

٣ - Wiegler, op. cit., p. 136. أنظر أيضا : سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق جـ ٢ ص ١٠٠٩ .

٤ - Mas Latrie, op. cit, I, p. 249

ذلك استلام الصليبيين لبيت لحم والناصرة (١) وتبنين (٢) . وان يطلق الكامل ماعنده من الأسرى الصليبيين نظير أن يتعهدفريدريك بمحالفته ضد أعدائه حتي ولو كانوا من الصليبيين . وكذلك تم الاتفاق على عـــدم وصول إمدادات صليبية أخرى الي الامارتين الصليبيتين في الشام وهما أنطاكية وطرابلس وأن تسرى هذه المعاهدة لمدة عشر سنوات (٣).

وهكذا استطاع فريدريك الثانى أن يستولى على بيت المقدس دون إراقة الدماء رغم ضعف إمكانيـــاته ، وأن يحقق ماعجزت عنه الحملتان الصليبيتان الثالثة والخامسة رغم ضخامة الامكانيات التى حشدت لهما (٤) .

وقوبلت هذه المعاهدة بالغضب في الغرب والشرق على السواء . فقــد ثار الصليبيون لأنهم كانوا لايرون مسالمة المسلمين ويعتقدون بوجوب محاربتهم (٥) وثار المسلمون ضد الملك الكامل لتفريطه فى أملاك المسلمين (٦) .

ومهما يكن الأمر فقد ظلت الهدنة قائمة بـين المسلمين حتى عام ٦٣٧ هـ (١٢٣٩ م) حيث قدمت إلى الشام حملة صليبية أخرى دعا اليها البابا جوريجورى

١ — ابن الاثير : المصدر السابق جـ ١١ ص ٣١٥ ، ابن واصل : المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٤١ — ٢٤٤ .

٢ — المقريزى : المصدر السابق جـ ١ ق ١ ص ٢٣١ .

٣ — Wiegler, op. cit., pp. 136-7. أنظر أيضا : جمال الدين الشيال المرجع السابق جـ ٢ ص ١١٦ .

٤ — سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق جـ ٢ ص ١٠١١ .

٥ — Fabri, op. cit., Vol 2. part I, p. 383.

٦ — ابن واصل : المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٤٥ ، المقريزى : المصدر السابق جـ ١ ق ١ ص ٢٢١ .

التاسع واستجاب لها بعض الفرسان الفرنسيين وعلى رأسهم تيبوت الرابع Thibaut IV، أمير شامباني وملك نافار، وهيو الرابع Hugh IV أمير برجنديا، وبطرس موكلرك Peter Mauclerc أمير بريتاني وغيرهم (١). ووصلت هذه الحملة الى عكا فى أول سبتمبر ١٢٣٩ م (٣٠ محرم ٦٣٧ هـ) .

وعندما علم الناصر داود صاحب الأردن بوصول الصليبيين تذرع بنقض الصليبيين لصلح يافا وقيامهم بتحصين القدس وطردهم منها (٢)، وإنتهى أمر الحملة باستلام الصليبيين للقدس مره أخرى ومعها طبريه وعسقلان(٣)،بالاضافة الى قلعة شقيف أرنون وأعمالها وقلعة صفد وبلادها وبعض البلادالاخرى (٤).

ولم تكد هذه الحملة تغادرالأراضى المقدسة حتى وصلتها حملة أخرى تعرف باسم الحملة الإنجليزية فى الحادى عشر من إكتوبر عام ١٢٤٠ م (٢٢ ربيع ثانى ٦٣٨ هـ) وعلى رأسها ريتشارد أف كورنول Richard of Cornouall أخو هنري الثالث ملك انجلترا (٥). وقد نجحت الحملة فى تأكيد حق الصليبيين فى ملكية بيت المقدس، واقليم الجليل وشقيف أرنون وعسقلان وجدد يافا (٦).

ولم يمضى وقت طويل على رحيل هذه الحملة حتى تمكن الصالح نجم

---

١ — Eracles, op. cit., pp. 413-4.

٢ — سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ج ٢ ص ١٠٢٤ .

٣ — ابو المحاسن : المصدر السابق ج ٦ ص ٣٤٢ .

٤ — المقريزي : المصدر السابق ج ١ ق ١ ٣٠٣ .

٥ — Mas Latrie, op. cit., I, p. 315.

٦ — سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ج ٢ ص ١٠٤٠ . أنظر أيضا : Grousset, op. cit. III p. 394.

الدين أيوب بمساعدة الخـــوارزمية من إستعادة بيت المقدس فى عام ٦٤٢ هـ (١٢٤٤ م)، وبذلك فقد الصليبيون إلى غير رجعة تلك المدينة المقدسة . وكان هذا السبب بالإضافة إلى أسباب أخرى دافعا لقيام لويس التـاسع بحملته على مصر (١)،وكان نصيبها الفشل وأسر قائدها لويس التاسع (٢) . وكان من الأسباب المباشره التى ترتبت على حملتى جان دى برين ولويس التاسع علىمصر تخريب مدينة دمياط التى عانت الأمرين (٣) ، وهكذا كانت الحملات الصليبية شؤما على دمياط (٤) :

ولم تكن حملة لويس التاسع على مصر هى الحلقة الأخـيرة فى الصراع بين الغرب اللاتينى والعالم الإسلامى . فقد إتجه لويس الى الشام بعدمغادرته الأراضى المصرية ، ولا يقل الدور الذى قام به فى حملتـه على الشام (٦٤٨ – ٦٥٢ هـ / ١٢٥٠ – ١٢٥٤ م) عن الدورالذىقام به في مصر (٥) ولكنه فى فشل فى مهمته وعاد إلى فرنسا مجروحا في كرامته وعزته وكبريائه . وبعد ثلاثة عشر عـاما

---

١ — جوزيف نسيم : العدوان الصليبى على مصـــر ص ٤٨ – ٥٠ • وعن هذه الحملة أنظر ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول ص ٤٥٢ – ٤٥٦ •

٢ — Eracles op. cit. p. 433. Matthew Paris, English. Hiltory, II, p. 458.

٣ — أبو المحاسن: المصـــدر السابق جـ ٥ ص ٣١٢ ، حاشية (١) ، جـ ٧ ص ٢٣ ، القلقشندى المصدر السابق جـ ٣ ص ٤٠٦ .

٤ — ابن واصل : تاريخ الواصلين (مخطوط) جـ ٢ لوحة ٣٧٣ ب •

٥ — عن هذه الحمله أنظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على الشام ، سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق جـ ٢ ص ١٠٨٣ – ١١٠٣ ، العصر المملوكى في مصر والشام ص ٥٦ – ٥٧ ،

أخرى قام لويس بحملته على تونس سنة ١٢٧٠م (٦٦٠هـ) بقصد استمالة صاحبها محمد بن يحي المقلب بالمستنصر إلى المسيحية ومواصله الزحف على مصر، ولكنه مات وهو على أبواب قرطاجنة دون أن يتمكن من محـو عار هزيمته على ضفاف النيل(١). وقد عجل موته باضمحلال الروح الصليبية وتقلصها. ومع بداية هذا الشعور لدى الغرب الأوربي ضاع أمل الأمارات الصليبية في الشام في أية مساعدة تأتي اليها من هناك (٢).

واذا كان ذلك هو حال الامارات اللاتينية بالشام وقتـذاك، فان المماليك الذين خلفوا الايوبيين في حكم مصر والشام، لم يكونوا أقل حماسا من سابقيهم في طرد الصليبيين من رقعـة الشرق الأدنى (٣). وكان لدولة المماليك البحرية فضل كبير في توجيه الضربة الناضية الى حكم اللاتين بالساحل الشامي، فقد تمكن الظاهـر بيبرس (٦٥٨–٦٧٦هـ / ١٢٦٠–١٢٧٧م) من الاستيلاء على أنطاكية في رمضان عام ٦٦٦هـ (مايو ١٢٦٨م) (٤)، وكان

---

١ – عن هذه الحمله أنظر: السراج: الحلـل السندسية حـ ١ ق ٤ ض ١٠٣٢ وما بعدها أنظر أيضا: Joinvills, op. cit, p. 524 - 531.

٢ – جوزيف نسيم يوسف: العدوان الصليبي على مصـر ض ٢٨١ — ٢٨٢ والعدوان الصليبي على بلاد الشام ض ٢٦٨. وعن أسباب انصراف الغرب الاوروبي عن الحروب الصليبية أنظر: العدوان الصليبي والرأى العـام الغربي محضرات: العام الجامعي ٦٧ / ١٩٦٨ ص ٤٠ وما بعدها.

٣ – على ابراهيم حسن: مصر في العصور الوسطى من الفتـح العربي الى الفتح العثماني ص ٢٧٦.

٤ Eracles, op. cit. pp. 455 - 7.

عودة هذه المدينة الحصينة الى أيدى المسلمين نذيرا بانتهاء حكم الصليبيين فى الشرق (١) . وسار الملك المنصور سيف الدين قلاوون على نهج أسلافه فأستولى على طرابلس فى ربيع الثانى سنة ٦٨٨ هـ (إبريل ١٢٨٩ م (٢) .

وأخيرا فى يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الأولى سنه ٦٩٠ هـ (١٨ مايو ١٢٩١ م) استولى الأشرف خليل بن قلاوون (٦٨٩ – ٦٩٣ هـ / ١٢٩٠ – ١٢٩٣ م) على عكا آخر معاقل الصليبيين الهامة بالساحل الشامى (٣) ، ولم يبق إلا بعض الجيوب الضعيفة وهى بيروت وصور وصيدا وحيفا ، وقد تم طرد الصليبيين منها فى نفس السنة ، وإنتهى أمر البقية من الوجود الصليبى فى الأرض المقدسة (٤) ، عدا من تحصن منه فى جزيرة إرواد (٥) . التي استولى عليها الناصر محمد فى ولايته الثانيـة (٦٩٤ – ٧٠٨ هـ / ١٢٩٠ – ١٣٠٩ م) فى عام ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) (٦) .

---

١ – جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على مصر ص ٢٨٣ .

٢ – ابو المحاسن : المصدر السابق ج ٧ ص ٣٢١ ؛ المقريزى : المصدر السابق ج ١ ق ص ٧٤٧ .

٣ – ابو الفداء : تقويم البلدان ص ٢٤٣ والمختصر فى أخبار البشر ج ٤ ص ٢٥ – ٢٦ ، أبو المحاسن : المصدر السابق ج ٨ ص ٨ ، ابن الفوطى : الحوادث الجامعة ص ٤٧٠ ، المقريزى : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٧٦٣ – ٧٦٥ .

٤ – ابن خلكان : المصدر السابق ج ٢ ص ٧٨ .

٥ – جزيرة ارواد ، جزيرة الى الغرب من طرطوس ، يرتفع بناؤها عاليا فى الجو وهو حصين وله أربعة أبواب من الحديد ، وتعتبر الجزيرة كلها نقطة حراسة . لى سترانج المرجع السابق ص ٣١٤ ، ٣١٧ .

٦ – ابو الفدا : المختصر ج ٤ ص ٤٩ . ابو المحاسن : المصدر السابق ج ٨ ص ١١ ومن المراجع الحديثة أنظر : سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٢٥ – ١٢٢٧ وقبرس والحروب الصليبية ص ٦٢ – ٦٣ والعصر المملوكى فى مصر والشام ص ١٣١ – ١٣٣ .

ورغم انتهاء أجل المعاقل الصليبيه بالشام في أخريات القرن الثالث عشر الميلادى (أواخر القرن السابع الهجرى) فان الحركة الصليبية لم تمت ، فقد قامت عدة حملات أخرى خلال القرن الرابع عشر الميلادى (القرن الثامن الهجرى) لعل أهمها حملة بطرس لوزجنان Pierre de Lusignan ملك قبرص اللاتينى (١٣٥٩ – ١٣٦٩ م) على الاسكندريه عام ١٣٦٥ م (٧٦٧ هـ) (١). ومن بعدها صليبية نيقوبوليس عام ١٣٩٦ م (٧٩٨ هـ) التى تحالفت فيها أوربا باسرها لإخراج العثمانيين من شبه جزيرة البلقان والوصول الى بيت المقدس . وقد انتهت هذه الحملة بهزيمة القوات الأوربية المتحالفة أمام قوات بايزيد الأول (٧٩١ – ٨٠٤ هـ / ١٣٨٩ – ١٤٠١ م) (٢) . ولم تقم للصليبيين من بعد ذلك قائمه وإستبد بهم اليأس مما جعلهم ينصرفون عن فكرة الحروب الصليبيه وينشغلون بمصالحهم الخاصة التى استحدثتها النهضة الأوربية والعصور الحديثه (٣) .

وإذا كانت الأراضى المقدسة بخاصة ودول المشرق العربى بعامه قد

---

١ — Machaut, G. de Le prise d, Ajexandria an Chronibue de Roi pierre I de Lusiznan, pp. 64 ff.

أنظر أيضا : Atiya, Tge Crusadd in The Later Midple Ageea, pp: 345-373.

٢ — سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١٢٥١ – ١٢٥٢ . ولمزيد من التفاصيل عن هذه الحملة أنظر : Atiya, op. cit., pp. 435-462.

٣ — جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على مصر ص ٢٨٤ .

خضعت للأتراك العثمانيين بعد زوال دولة المماليك ، فقد ظلت دول أوربا بعيدة عن منطقة الشرق الأدنى خشية القوة العثمانية . ولكن بعد أن بدأت عوامل الضعف تدب في كيان العثمانيين أخذت أوربا تتطلع مرة أخرى الى أملاك الدولة العثمانية وبصفة خاصة المشرق العربى . وتمكن الإنجليز والفرنسيون من الحصول علي الامتيازات فى الشام حتى إستولوا على بيت المقدس فى التاسع من ديسمبر عام ١٩١٧ م (١) ، وعملوا على إقامه دوله اسرائيل فى فلسطين لشطر العالم العربى شطرين ، لتمزيق وحدته تحقيقا للأهداف الاستعمارية فى المنطقة العربية وهى شبيهة بالأهداف التى من أجلها قامت الحركة الصليبية فى أخريات القرن الحادي عشر .

وأن كان هناك مانخرج به من العدوان الصليبى فى العصور الوسطى والعدوان الصهيونى الاستعمارى فى العصر الحديث فهو ضرورة توحيدالقوى العربية لدفع الخطر عن المنطقة وهو ما أكدته الأحداث في الماضى ومايجب أن نستفيد منه في عالمنا الحاضر .

١ — Antonius, G., The Arab Awakening, p. 229.

المصادر والمراجع

مختصرات لبعض المصادر والمراجع

A.O L. — Les Archives de l'Orient Latin.

Ency. Brit. — Encyclopaedia Britannica.

Ency. Intr. — Encyclopaedia International.

G.D.F. — Bongasr, *Gesta* Dei per Frances.

Hist. Part. Alex. — L'Histoire des Patriarches d'Alexandrie.

L. F. Crusade. — The Leaders of The Fifth Crusade.

Mon. Cart. — Y. Kamal, Monumenta Cartographica Africae et Aegypti.

R.H.C.-H. Occ. — Recueil des Historiens des Croisades Historiens Occidentaux.

R.O.L. — Revue de l'Orient Latin.

مجموعات الحروب الصليبية

Bongars, J. (ed.). *Gesta* Dei per Frances, sive orientalium e peditionum et regni Fracorum hierosolimitani historia (ab a. 1095. ad 1420) a variis sed illius aevi scriptoribus, litteris. 2t Hanover 1611.

Michaud, J., Bibliothéque des Croisades. 4 vols. Paris, 1829:

I. Chroniques de France;

II. Id. et Chroniques d'Italie et d'Angleterre;

III. Chroniques d'Alelmagne, des pays du nord, grecques;

IV. Chroniques arabes.

Recheil des Historiens des Croisades, publié par les soins de l'Académie des Inscriptions et Belles-Leetres; in 16 huge folio vols, 1841-1906.

I. Historiens Occidentaux, tomes (1844-18 5);

II. Historiens Orientaux, (Arabes), 5 tomes (1872-1906);

III. Historiens Grecs, 2 tomes (1875-1881),

IV. Documents Armeniens, 2 tomes (1869-1906),

V. Lois, 2 tomes (1841-1843).

Les Archives de l'Orient Latin. publiéés par la Société de l'Orient Latin. 2 vols. Paris, 1881 et 1887. Textes, inventaires, et études originales.

Palestine Pilgrims' Text Society. 13 vols. and general Index. London, 1887-1897.

Revue de l'Orient Latin, publiée sous la direction de MM. Le Marquis de Vogué et Ch. Schefer. Paris, 1893-1911.

دوائر المعارف

Encyclopaedia (An) of The World History, London, 1948.

Encyclopaedia Americana. 29 Vol. & Index. New-York 1944-5.

Encyclopaedia Britannica. 22 Vol. & Index. Chicago 1968.

Encyclopaedia International, 19 Vol. & Index. New-York 1970.

Encyclopoedia (The) of Islam. Vol. I — III. Leiden 1960-71.

المصادر الأجنبية

أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس – ترجمة وقدم له وعلق عليه الدكتور حسن حبشي – القاهرة دار الفكر العربي ١٩٨٥.

Albertus Standensis,

Chronique se Terminant en L'an 1256, cf. Y. Kamal, Mon. Cart. t. III, fasc. IV, 1934. (p. 938).

Alexandre III,

Lettre au Pretre-Jean 1177, cf. Y. Kamal, Mon. Cart. t. III fasc. IV, 1934. (pp. 891-2).

Annales de Terrr Sainte, cf. A. O. L., tome II, Paris, 1881. (pp. 429-461).

Burchard of Mount Sion,

A Description of The Holy Land, tran. from The Original Latin by Aubrey Stewart, London, 1896.

Chronique de Tours, d'Auteur Inconnu et se Terminant en 1227, cf. Y. Kamal, Mon. Cart. t. III, fasc. IV, 1934. (p. 938).

كلارى، روبرت :

سقوط القسطنطينية – ترجمه الدكتور حسن حبشي – القاهرة – مركز كتب الشرق الأوسط – ١٩٦٤

Devizes, Richard of, & Vinsauf, Geoffrey de, Crusade of Richard

Coeur de Lion, tan. by Colonel Johnes Hofod. Chronicles of the Crusades Bohn's ed. London, 1848. (pp. 2-339)

Eracles,

L'Estoire de Eracles Empereur et la Conquette de la Terre d'Outremer, cf. R.H.C. - H. Occ., t, II, 2e. partie, Paris, 1859. (pp. 1-481).

Fabri, Felix,

The Book of Wandering (1480-1483), 2 Vol., 4 parts. tran. by Aubrey Stewart. London, 1893.

Frederick II,

Promise to Innocent III 1213, cf. Thatcher, O., A Source Book for Mediaeval History, New-York, 1904. (pp. 230-232).

Gesta Crucigororum Rhenanorum, «Les Exploits de Croisés Rhénons», écrits entre 1217 et 1219, cf. Kamal, Mon. Cart., t. III, fasc. IV, 1934. (p. 935).

Histoire des Archevéques Latins de L'Ils de Chypre, cf. A. O. L. tome II, Paris, 1884. (pp. 207-326).

Innocent III,

Annunce a Crusade in The Lateran Council 1215, cf. Thatcher, O , A Source Book for Mediaeval History. New-York, 1905. (pp. 537-544).

Innocent III,

Lettre to The English Barons 1216, cf. Thatcher, O., A

Source Kook for Mediaeval History New-York. 1905 (pp. 219-220).

Innocent III,

Letter to the People of Vince 1198, cf. Thatcher O., A Source Book for Mediaeval History. New-York, 1905. (pp. 535-537).

Joinville, Jean Sire de,

Memoirs of Louis IX. King of France (commonly called Saint Louis), tran, by Colonel Johes of Hafod, cf. Chronicles of The Crusades. Bohn's ed. Londod, 1848. (pp. 341-556).

L.F. Crusade,

Letter to The Pope Honorins III, dated 5 June 1218, cf. Röhricht, R., Fünften Kreuzzuges. Innsbuck, 1891. (pp. 39-40).

Letter to The Pope Honorius III, dated 10 nov. 1219, cf. Rohricht, R., Funften Kreuzzugest. Innsbrck, 1891 (pp41-43).

Letter of The Pope Honorius III, dated 11 nov. 1219, cf. Rohrict, R., Funften Kreuzzuges Innstuck, 1891. (pp. 44-46).

Letter to The Pope Honorius III, dated 12 nov. 1219, cf. Rohricht, R., Funften Kreuzzuges Innsbuck, 1891, (pp. 46-48).

Ludolph von Suchem,

Description of The holy Land, tran. by Aubrey Stewart, London, 1895.

Machaut, Guillaume de,

Le Prise d'Alexandrie ou Chronique du Roi Pierre I de Lusiznan. Publice pour La Premiere fois pour La Societé de L'Orient pas Mas Latrie, Geneve, 1877.

Matthew of Weestinster,

The Flowers of History, tran. by C. D. Yonge, 2 Vol. London, 1853.

Matthew Paris,

English History from The year 1235 to 1273, tran. from The Latin by J. A. Giles. 2 Vols. London, 1852-3.

Marino Sanuto,

Secrets for True Crusaders tran. by Aubrey Stewart. London, 1896.

Nicolaus I,

Lettre au Pape Honoré III 1222, cf. Michaud, Histoire des Croisades, III, Paris. 1629. (pp. 647-9).

Nicolaus Trivet,

Chronique se Terminant en L'an 1307, cf. Y. Kamal, Mon. Cart., t. III, fasc. IV, 1934. (p. 940).

Oliver of Podenborn.

The Capture of Damietta tran. John J. Cavigan, Philadelphia, 1948.

Oliver Scolastiqus,

Lettre a Engelbert, Archeveque de Cologne, cf. Bongars, G.D.F. Hannover, 1611. (pp. 1185-1192)

Lettre to The King of Egypt, El-Kamel Mohamed (1218 — 1238), cf. Rohricht, Geschichte des Königreichs Jerusalem (1100 -1291) Innsbruck, 1898. (p. 753(.

Patriarche de Jerusalem,

Rapport au Pape Innocent III, dated 1214, cf. Y. Kamal, Mon Cart., t. III, fasc. IV, 1934. (p. 932).

Prtriarches de Jerusalem, cf. R. O. L. II, Paris, 1894. (pp. 192-205).

Pater de Montacute,

Letter to A. Martel entitled « Of The Loss of Damietta », cf. Roger of Wendover, Flowers of History, II, London, 1849. (pp. 436-9).

Letter to The Bishop of Elimenum entitled "Of The Condition of The Holy Land after The Capture of Damiette" cf. Roger of Wendover, Flowers of History, II. London, 1849. (pp. 433-5).

Philipe de Albeney,

Lettre to Ralph Earl Of Chester entitled "Of The Loss of

Damietto", cf. Roger of Wendover, Flowers of History, II, London, 1849. (pp. 435-6).

Pretre-Jean,

Lettre au Le Emperor Byzantine Manuel (1143—1180), dated 1155, cf. Y. Kamal, Mon. Cart. t. III, fasc IV, 1934. (pp. 890—1).

Roger of Wendover,

Flowers of History 2 Vol., tran. from The Latin by J. A. Gilles, London, 1849.

Vitry, Jacques de,

Orientalis, fiue Hierosolymitanae : Alter Occidientalis (Libri-Duo) Isbn 1579, printed in offset, Western Germany, 1971.

The History of Jerusalem; tran. from The Original Latin by by Aubrey stewart, London, 1896.

Historia Hierosolymitana au Historia Orientalis, apres 1220. An extract in Y. Kamal, Mon. Cart. t. III, fasc. IV, 1934. (p. 944).

Lettres de Jacques de Vitry, edition critque par R. B. C. Cuygens Leiden, 1960.

Waltherus de Hemingburgh,

Chronique se Terminant en L'an 1343, cf. Y. Kamal. Mon. Cart, t. III, fasc, IV, 1934. (p. 940).

Wiegler, Paul,

The Infidel Emperor and his Struggles against The Pope. A Chronicle of The 13th. century by P. Wiegler, tran. by Brian W. Downs London, 1930.

William Archbishap of , Tyre,

A History of Deeds Done Beyond The Sea, 2 Vol. tran. & annotated by Emily Atwater Babcock & A. C. Kery. New-York 1943.

المخطوطات (1)

إبن أبي السرور (ت ١٠٢٠ هـ / ١٦١٩ م) محمد بن أبي السرور زين الدين البكرى :

« النزهه الزهيه في ذكر ولاه مصر والقاهرة المعزية » - دار الكتب المصرية - رقم ٢٦٦ تاريخ .

إبن أيبك (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) أبو بكر بن عبد الله :

١ - « دور التيجان وغرر تواريخ الأزمان » - دار الكتب المصرية - رقم ٤٤٠٩ تاريخ .

٢ - « كنز الدرر وجامع الغرر » - ٩ جـ - دار الكتب المصرية - رقم ٤٦٤٣ تاريخ .

إبن بهادر (عاش في القرن التاسع هـ/ الخامس عشر م) محمد بن محمد بن بهادر :

« فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر » - دار الكتب المصرية - رقم ٤١٢٧ تاريخ .

إبن حبيب الحلبي (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) بدر الدين أبو محمد الحسن بن عمر :

« جهينه الأخبار فى أسماء الخلفاء وملوك الأمصار » - دار الكتب المصرية - رقم ١٦١٠ تاريخ .

إبن دقماق (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٧ م) صارم الدين ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلائى :

« الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين » - دار الكتب المصرية - رقم ١٥٢٢ تاريخ .

---

١ - المخطوطات المصورة رمزت لها بـ (لوحه) والمكتوبة بخط اليد رمزت لها بـ (ورقة) .

إبن رسـول (ت ٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م) عباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر : « نزهة العيون في تاريخ طوائف القرون » ـ مجلدان ـ دار الكتب المصرية ـــ رقم ٤٩٦٤ تاريخ .

إبن الفرات (ت ٨٠٧ هـ/١٤٠٥ م) ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات. « تاريخ الدول والملوك » ـــ ١٨ ج ـــ دار الكتب المصرية ـ رقم ٣١٩٧ تاريخ . « تصوير شمس » .

إبن واصـل (٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م) جمـال الدين أبو عبد الله محمد بن سليم : « تاريخ الواصلين » ـــ٢ـــ جـ ـــ دار الكتب المصرية ـــ رقم ٥٣١٩ - تاريخ « تصوير شمس ».

أبو الفدا (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) الملك المؤيد عماد الدين :

« التبر المسبوك في تواريخ أكابر الملوك ـ دار الكتب المصرية ـ ميكروفيلم رقم ١٥٦٧ عن النسخة رقم ٢٠١٨ تاريخ .

أبو المحاسن (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) جمـال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى :

١ ـــ « المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافى » ٥ ج ـــ دار الكتب المصرية رقم ٢٣٥٥ تاريخ .

٢ ـــ « مورد اللطافة فيمن ولو السلطنه والخـــلافه » ـــ دار الكتب المصرية ـــ رقم ١٣٥٦ تاريخ .

باخرمة (عاش فى القرن العاشر هـ / السادس عشر م) أبو محمد بن عبد الله ابن أحمد بن على :

« قلادة النحر فى وفيات أعيان الدهر » — ٦ جـ — دار الكتب المصرية رقم ٤٤٠٠ تاريخ .

البغدادى (ت ١١٠٢ هـ / ١٩٦٠ م) أحمد بن عبد الله :

« عيون أخبار الأعيان ممن مضى من سالف العصر والأزمان » — مجلدان دار الكتب المصرية — رقم ٢٨١٠ تاريخ . « تصوير شمس » .

السلامى (تاريخ الوفاة غير معروف) شهاب الدين أحمد :

« مختصر التواريخ » دار الكتب المصرية — رقم ١٤٣٥ تاريخ .

العينى (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) بدر الدين :

« عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان » — ٢٣ جـ فى ٦٩ مجلدا — دار الكتت المصريه — رقم ١٥٨٤ تاريخ « تصوير شمس » .

مرعى المقدسي (ت ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٤ م) مرعى بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد :

« نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين » — دار الكتب المصرية — رقم ٢٠٧٦ تاريخ .

مؤلف جهول :

« كتاب في التاريخ لم يعلم مؤلفه — دار الكتب المصرية — رقم ٤٠٣٠ تاريخ

النويرى الكندى (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) شهاب الدين أحمد :

« نهاية الأرب في فنون الأدب » — ٥ مجلدا — دار الكتب المصرية — رقم ٥٤٩ معارف عامة « تصوير شمسى » .

اليونينى (ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م) موسى بن محمد أحمد قطب الدين :

« ذيل مرآة الزمان في تاريخ الأعيان » — جـ ١٥ و ١٧ — دار الكتب المصرية — رقم ١٥١٦ تاريخ .

المصادر العربية

إبن الأثير الجزرى (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٤) أبو الحسن على بن أبى الكرم الملقب عز الدين :

« الكامل فى التاريخ — ١٢ جـ فى ١٢ مجلد — ليدن ١٨٥٣ م .

إبن إياس (ت ٩٣٠ / ١٥٢٣ م) أبو البركات محمد بن أحمد :

« كتاب تاريخ مصر ، المعروف ببدائع الزهور في وقائع الدهور » — ٤ جـ الطبعة الأولى — القاهرة (بولاق) ١٣١١-١٣١٤ هـ

إبن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) أبو عبد الله محمد بن عبد الله :

« مهذب رحلة ابن بطوطة المسماه تحفة النظار فى غرائب الأمصار ، وعجائب الأسفار » — ٢ جـ — القاهرة (بولاق) ١٩٣٤ — ١٩٣٧ م .

إبن جبير (ت ٦١٤ هـ / ١١٧ م) أبو الحسن محمد بن أحمد الأندلسى :

« رحلة ابن جبير » — الطبعة الأولى — القاهرة — (مطبعة السعادة) ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م .

إبن الجيعان (ت ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ – ١ م) شرف الدين يحى بن المعز :

« التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية » – القاهرة (بولاق) ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨ م .

إبن الجوزى (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) أبو المظفر شمس الدين :

« مرآة الزمان في تاريخ الأعيان » – المجلد الثامن – ق ١ ، ٢ – حيدر أباد – ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م .

إبن حوقل (عاش في القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) أبو القاسم محمد :

« كتاب صورة الأرض » – الطبعة الثامنة – ليدن ١٩٣٨ – ١٩٣٩ م .

إبن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) عبد الرحمن محمد :

« العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » – ٧ جـ – القاهرة (بولاق) ١٢٨٤ هـ .

إبن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) شمس الدين أبو العباس احمد بن ابراهيم :

« وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » – ٢ جـ – القاهرة (بولاق) ١٢٧٥ هـ .

إبن دقماق (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م) صارم الدين ابراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى :

« الإنتصار لواسطة عقد الأمصار » جـ ٤ و ٥ فى مجلد واحد – بولاق – ١٣٠٩ – ١٣١٠ هـ .

ابن الشحنة (ت ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ م) أبو الفضل محمد بن الشحنة الحلبي :

« الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب » - بيروت (مطبعة الآباء اليسوعيين) ١٩٠٩ م .

إبن الشحنة (ت ٨٩٥ هـ / ١٤١٣ م) محب الدين محمد بن محمد بن محمود :

« روضـة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر » - على هامش كتـاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي - طبعة أولى - القاهرة (المطبعة الأزهرية المصرية) - ١٣٠٣ هـ .

إبن شداد (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٨م) أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة.

« سيرة صلاح الدين الأيوبي المسماه بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية» تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال - الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٦٤ م .

إبن الطقطقي (المتوفى بعد ٧٠١ هـ / ١٣٠١ م) فخر الدين محمد بن علي :

« الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلاميـة » - راجعه ونقحـه محمد عوض ابراهيم وعلي الجارم - الطبعة الثانية القاهرة ١٩٣٨ م .

إبن العماد (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٩ م) ابو الفلاح عبد الحي بن عبي بن محمد :

«شذرات الذهب في أخبار من ذهب» ٨ جـ القاهرة ١٣٤٠ - ١٣٥١ هـ .

إبن الفارقي (ت ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م)

« تاريخ ابن الفارقي » - على هامش ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي - بيروت (مطبعة الآباء اليسوعيين) ١٩٠٨ م .

إبن الفرات (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤م) ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن على.
« تاريخ إبن الفرات » ـ المجلد الرابع جـ ١ ، ٢ والمجلد الخامس جـ ١ ـ عنى بتحرير نصه و نشره الدكتور حسن محمد الشماع ـ البصرة (مطبعة حداد) ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠ م.

إبن الفوطى (ت ٧٢٢هـ / ١٣٣١ م) عبد الرازق بن أحمد الفوطى البغدادى:
« الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة » ـ بغداد ـ (مطبعة الفرات) ١٣٥١ هـ.

إبن القلانسى (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) أبو يعلى حمزة بن أسـد بن على ابن محمد : « تاريخ أبو يعلى حمزة بن القلانسى ، المعروف بذيل تاريخ دمشق : ـ بيروت (مطبعه الآباء اليسوعيين) ١٩٠٨ م.

إبن كثير القرشى (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م) عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر
« البداية والنهايه فى التاريخ » ـ ١٤ جـ ـ القاهره (مطبعة السعادة ١٣٥١ ـ ١٢٥٨ هـ.

إبن مطروح (ت ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م) جمال الدين يحيى :
« ديوان إبن مطروح » ـ الطبعة الأولى ـ قسطنطينية (مطبعة الجوائب ١٢٩٨ هـ.

إبن مماتى (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) أبو المكارم أسعد بن الخطير أبى سعد :
« كتاب قوانين الدواوين » ـ جمعة ونشره وعلق عليه الدكتور عز سوريال عطية ـ القاهرة (طبعه الجمعيه الزراعية) ١٩٤٣م .

إبن ميسر (ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨م) محمد بن علي بن يوسف بن جلب :
« أخبار مصر » – ٢ جـ – نشر هنري ماسية – القاهرة (مطبعة المعهد العلمي الفرنسي) ١٩١٩م .

إبن النبيه (ت ٦١٩ هـ / ١٢٢٢م) كمال الدين بن النبيه المصري :
« ديوان ابن النبيه » – القاهرة ١٣٠٢ هـ .

إبن واصل (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليم :
« مفرج الكروب في أخبار بني أيوب » – ٤جـ – جـ١ ، ٢ ، ٣ تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال – القاهرة – ١٩٦٠ م جـ ٤ تحقيق الدكتور حسنين محمد ربيع – القاهرة (دار الكتب)١٩٧٢م.

ابن الوردي (٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م)أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر:
«تتمة المختصر في أخبار البشر ، ويعرف بتاريخ إبن الوردي » – ٢جـ – القاهرة (المطبعة الوهبية)١٢٨٥ هـ / ١٨٦٨ م.

أبو شامة (ت٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م)عبد الرحمن بن إسماعيل بن ابراهيم بن عثمان شهاب الدين :
١ – « كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية » – جزءان في مجلد واحد – القاهرة (مطبعة وادي النيل) ١٢٨٧ – ١٢٨٨ هـ
٢ – « تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين» نشره السيد عزت العطار الحسيني – الطبعة الأولى – القاهرة ١٣٦٦/ هـ ١٩٤٧ م.

أبو الفداء (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١م) الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء إسماعيل إبن على :

١ — « المختصر فى أخبار البشر ، ويعرف بتاريخ أبى الفداء » — ٤ج — استانة (دار الطباعة الشاهانية) ١٢٨٦ هـ.

٢ — « تقويم البلدان » — نشره رينو وديسلان — باريس (دار الطباعة السلطانية) ١٨٤٠م صورة بالأفست لمعرفة مكتبة المثنى ببغداد .

٣ — Adulfeda, Descriptio Aegypti. Arabice et Latine, edidit, Loannes David Michaelis Goettingae, 1776.

أبو الفرج الملطي (ت ٦٨٥ هـ ١٢٨٦م) غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون:

« تاريخ مختصر الدول » — بيروت (المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين) ١٨٩٠م.

أبو المحاسن(ت٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م)جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى:

« النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » — ٩ج — القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) ١٣٤٨ — ١٣٦١، هـ / ١٩٢٩ — ١٩٤٢ م .

الأصطخرى (عاش فى القرن الرابع هـ / القرن العاشر م (أبو اسحق إبراهيم إبن محمد :

١ — « كتاب الأقاليم » — جوته ١٨٣٩ م . صوره بالأوفست بمعرفة مكتبة المثني ببغداد .

٢ — « مسالك الممالك » (وهو معول على كتاب صوره الأقاليم) ليدن ٩٢٧ م

البدرى الدمشقى (عاش فى القرن التاسع ﻫ / الخامس عشر م) عبد الله بن محمد البدرى المصرى الدمشقي المعروف بأبى البقاء :

«نزهة الأنام فى محاسن الشام » ـ القاهرة (المطبعة السلفية) ١٣٤١ ﻫ .

البلاذرى (ت ٢٧٩ ﻫ / ٨٩٢ م) أبو الحسن أحمد بن يحى بن جابر :

« فتوح البلدان » ـ عنى بمقابلته والتعليق عليه رضوان محمد رضوان ـ القاهرة (مطبعة الأزهر) ١٩٣٢ م .

بهاء الدين زهير (ت ٦٥٦ ﻫ / ١٢٥٨ م) أبو الفضل بهاء الدين زهير :

« ديوان بهاء الدين زهير » ـ بيروت ١٣٨٣ ﻫ / ١٩٦٤ م .

بنيامين التطيلى (ت ٥٦٩ ﻫ / ١١٧٣ م) بنيامين بن يونة التطيلى النبارى الأندلسى.

« رحلة بنيامين » ـ ترجمها عن الأصل العبرى وعلق على حواشيها وكتب ملحقاتها عزرا حداد ـ الطبعة الأولى ـ بغداد (الطبعة الشرقية) ١٣٦٤ ﻫ / ١٩٤٥ م.

الحسن بن عبد الله (عاش فى القرن الثامن ﻫ / الرابع عشر م)

« آثار الأول فى ترتيب الدول » ـ القاهرة (بولاق) ١٢٩٥ ﻫ .

الدمشقى (ت ٧٢٧ ﻫ / ١٣٢٧ م) محمد أبى طالب الأنصارى الصوفي المعروف بشيخ الربوة والمكنى بالدمشقي :

« نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر » ـ بطرسبرج ١٨٦٦ م .

الذهبى (٧٤٨ ﻫ / ١٣٤٧ م) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان قايماز شمس الدين:

« دول الإسلام » — ٢ جـ — الهند (مطبعة دائرة المعارف النظامية الكائنة بمدينة حيدر أباد الدكن) ١٣٣٧ هـ

ذو النسبين (ت ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م) عمر بن الشيخ الإمام أبي على حسن بن على المكنى بأبي الخطاب والمعروف بذى النسبين دحيه والحسين :

كتاب النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس » صححه وعلق عليه عباس العزاوى — بغداد (مطبعة المعارف . ١٩٤٦ م.

السخاوى (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م) شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن :
تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات ومايتبع ذلك » — الطبعة الأولى — القاهرة (مكتبة النشر والتأليف الأزهرية) ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م .

السراج (ت ١١٤٩ هـ / ١٧٣٦ م) محمد بن محمد الأندلسى:

« الحلل السندسية في الأخبار التونسية » — جـ ١ ع أجزاء — تحقيق محمد الحبيب الهيلة — تونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٧٠ .

السيوطى (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين .

١ — « تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين » — تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد — الطبعة الأولى — القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م .

٢ — « كتاب بغيه الوعاء في طبقات اللغويين والنحاه » — القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٦ هـ .

الشابشتى (ت ٣٨٨ ﻫ / ٩٩٨ م) أبو الحسن على بن محمد :

« الديارات » ـ تحقيق ونشر كوركيس عواد ـ بغداد (مطبعة المعارف) ١٩٥١ م .

الأصفهانى (ت ٥٩٧ ﻫ / ١٢٠١ م) عماد الدين محمد بن محمد بن حامد :

« الفتح القسى فى الفتح القدسى » ـ تحقيق وشرح وتقديم محمد محمود صبح ـ القاهرة (الدار القومية للطباعة والنشر) ١٩٦٥ م .

عبد اللطيف البغدادى (٦٢٩ ﻫ / ١٢٣٢ م) الملقب بموفق الدين والمعروف بابن اللباد :

« وصف مصر حوالى سنة ١٢٠٠ للميلاد » ـ القاهرة (مطبعة المجلة الجديدة) .

العمرى (ت ٧٤٨ ﻫ / ١٣٤٨ م) شهاب الدين أبو العباس المعروف بابن فضل الله :

« مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار » ـ ج ١ ـ نشره أحمد زكى ـ القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) ١٣٤٢ ﻫ / ١٩٢٤ م .

القزوينى (ت ١٨٢ ﻫ / ١٢٨٣ م) أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود :

« آثار البلاد وأخبار العباد » ـ نسخه فى مجلد طبع جوتنجن ، لها مقدمة باللغة الألمانية للاستاذ وستنفلد غوتا ـ جوتنجن ١٨٤٨ م .

القلقشندى (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) احمد بن على بن أحمد عبد الله :

« صبح الأعشى في صناعة الانشــا » ـ ١٤ جـ ـ للقاهرة ١٩١٣ ـ ١٩٢٠ / ١٣٣١ ـ ١٣٣٨ هـ .

الكتبي (ت ٧١٤ هـ / ١٣٦٣ م) محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن فخر الدين :

« فوات الوفيات » ـ ٢ حـ ـ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ـ القاهرة (مطبعة السعادة) ١٩٥١ م .

المقريزى (ب ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) تقى الدين أبو العباس أحمد :

١ ـ « المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار » ـ ٤ جـ ـ القاهرة (مطبعة النيل) ١٣٢٤ ـ ١٣٢٦ هـ .

٢ ـ « السلوك لمعرفة دول الملوك » ـ الجـزءان الأول والثانى الى سنة ٧٤١ هـ ـ نشره وعلق عليه الدكتور محمد مصطفى زيادة ـ القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) ١٩٣٤ ـ ١٩٤٢ م .

٣ ـ « اتعاظ الحنفا بأخبـار الائمة الفاطميين الخفا » ـ نشر وتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ـ القاهرة ١٩٤٨ .

٤ ـ « اغاثة الأمة بكشف الغمه » ـ نشره الدكتور محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال ـ القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م .

L'Histoire des Patriarches d' Alexandria, extraits, tran. Blochet.
cf. R. O. L., Vol. XI. Paris. 1908 (pp. 240 - 260).

ياقوت الرومي الحموى (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الملقب شهاب الدين :

« معجم البلدان » - ٥ ج وفهرس - ليبزج ١٨٩٠ م .

المراجع الأجنبية

Antonius, G.

The Arab Awaking. London, 1938.

Archer, T.A. & Kingsford, C.L.,

The Crusades : The Story of The Latin Kingdom of Jerusalem; London. 1894.

Atiya, A.S.,

The Crusade in The Later Middle Ages. London, 1938.

Balzani. U.,

Early Chroniclers of Europe, Italy. London, 1883.

Barker, E.,

The Crusades. London, 1925.

Bray, A.,

The Good St. Louis and his Times. London, 1870.

Brehier, L.

L'Eglise et L'Orient au Moyen age: Les Croisades. 5me. éd, Paris, 1928.

Cahen, C.,

La Syrie du Nord. Paris, 1940.

Calthrop, M.,

The Crusades. London, 1913.

The Cambridge Medieval History; 8 Vol, Cambridge, 1911—1936,

Gampbell, G.,

The Crusades. London, 1935.

Chalondon, F.,

Histoire de La Premiére Croisade Jusqu'a L'election de Godefroi de Bouillon. Paris, 1925.

Chesterton, G.K.,

Saint François d'Assise, Paris (Bibliotheque Nationale) 1925.

Conder, C.R.,

The Latin Kingdom of Jerusalem. 1099-1291 A. D. London, 1897.

Delaville Le Roulx, J.,

Les Hospitoliers en Terre Sainte et a Chypre (1100-1310). Paris, 1904.

Donovan, J.P.,

Pelaguis and The Fifth Crusade. Philadephia' 1950.

Duggan, A.,

The Story of The Crusades 1097-1291. London, 1963.

Duruy, V.,

Histoire du Moyen Age. 9th. ed. Paris, 1877.

Dussaud, R. — Deschamps. P. — Seyrig H.,

La Syrie Antique et Medievale Illustrée. Paris 1931.

Frood E.,

The Byzantine Emp're. London, 1911.

Funck-Brentano, F.,

Les Croisades. Paris, 1934.

Gibbon, E.,

The Crusades A. D. 1095-1291. London, 1870.

Grousset, R.,

Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jérusalem. 3 Vol. Paris, 1936.

Heyd, W.,

Histoire du Commerce de Levant au Moyen Age. 2 Vol. Leipzig, 1885-1886.

Iorga, N.,

Bréve Histoire des Croisades et de Leurs Fondations en Terre Sainte. Paris, 1924.

Jullien, C.P.,

Note sur L'Emplacement de L'Amcienne Damiette, cf. Bulletin. de Institut Egyptien Caire, 1887. (pp 72-77).

Kantorowicz, E., Frederick the Second, London, 1931.

King, E.,

The Knights Hospitallers in The Holy Land, London, 1931,

Lacroix, P.,

1 — Vie Militaire et Religieuse au Moyen Age et a L'Epoqne de La Renaissance. 2e. ed. Paris, 1873.

2 — La Chevalerie et Les Croisades. Féodalité, Blason, Ordres Militaires. Paris, 1887.

Lamb, H.,

The Crusades : The Flame of Islam. London, 1931.

La-Monte, J.,

The World of The Middle Ages. New-York. 1949.

Lane-Poole St.,

1 — A History of Egypt in The Middle Ages. 4th. ed, London, 1925.

2 — The Story of Cairo. London, 1902.

Ludlow, J. M.,

The Age of The Crusades. Edinburgh, 1897.

Maimbourg, P,

Histoire Universelle des Croisades d'aprés Les Principaux Historiens. Paris, 1838.

Mas Latrie, M. L. de.,

Histoire de l'ile de Chypre sous Le Régne des Princes de La Maison de Lusignan. 3 Vol. Paris, 1861.

Maurois, A.,

A History of France. London, 1964.

Michaud, M.,

History of The Crusades. tran. from The French, by W. Robson in 3 Vol. London, 1852.

Miller· W.,

Mediaval Rome from Hildebrand to Clemedt VIII (1073-1600). London, 1901.

Molinier, A.,

Les Sources de L'Histoire de France depuis Les Origines jusqu'en 1815. Cf. Vol. III : Les Capétiens, 1180-13.8. Paris, 1903.

Muir, R.,

British History. London 1936.

Oman, C.,

A Aistory of The Art of war in The Middle Ages. 2 Vol, 2nd. ed. Revised and Englared London, 1924.

Omar Tousson,

Mémoire sur L'Histoire du Nil. 3 t. Le Caire, 1925.

Ostrogorsky, G.,

History of The Byzantine State. tran. by Joan Hussey. Oxford, 1956.

Previté-Orton, C.,

A History of Europe from 1198 to 1378. London, 19ͻ7.

Röhricht, R.,

1 — Beiträge zur Geschichte der Kreuzzuge. Berlin, 1874.

2 — Funften Kreuzzuges. Innsbruck, 1891.

3 — Geschichte des Königreichs Jerusalem (1100 - 1291) Innsbruck, 1998.

4 — Geschichte de Kreuzzuge in Umriss. Innsbruc, 1898.

Runciman, S,

1 — A Story of The Crusades. 3 Vol. Cambridge, 1954.

2 — The Christian Arabs of Palestine. U.S.A. (University of Essex). 1970.

Mahmud, S. F.,

A Short History of Islam. Oxford, 1960.

Schlumberger, G.,

Campagnes du Roi Amaury I de Jérusalem en Egypte, Paris, 1906.

Setton, K. M., (ed.)

A History of The Grusades. 2 Vol. Pennsylvania, 1958—1952.

Smail, R.,

Crusading Warfare (1097-1193). Chambridge, 1956.

Stephenson, C.,

Mediaeval History: Europe from The Second to The sixteenth Century. 3 th. ed. New-York, 1951.

Stevenson, W.,

The Crusoders in The Eost. Cambridge, 1907.

Stubbs, W.,

Germony in The Early Middle Ages, 476-1250, ed. by A. Hassoll. London, 1908.

Thatcher, O. J., & Mcneal, E. H.,

A Source Book for Medieval History. New-York, 1905.

Thompson, J. W,

History of The Micdle Ages, 300 - 1500. Loddon, 1931.

Tilly, A.,

Medievel France. Cambridge, 1922.

Tout, T.,

The empire and The Papacy, European History, 918-1273. 5th. ed. London, 1909.

Trevelyan, G.M.,

History of England. London, 1943.

Vambery, A.,

Hungary in The Ancient, Mediaeval, and Modern Times 3th. ed. London, 1889.

Vasiliev, A.,

Histoire de l'Empire Byzantin tr. du Russe par P. Brodin et A. Bourguina. Préface de M. Ch. Diehl. 2 vols. Paris, 1932.

Woodhouse, F.,

The Military Religious Orders of The Middle Ages : The Aospitallers, The Templars. The Teutonic Knihhts, and others. London 1878.

Youssouf Kamal,

Monumenta Cartographica Africae et Aegypti. t. III. Epoque Arabe, 5 fasc. (1930-5).

Zambaur, E. ed.,

Manuel de Généalogie et de Chronologie pour l'Histoire de l'Islam. Hanovre, 1927.

المراجع العربية والمعربة

أحمد شلبي (دكتور) :

الحروب الصليبية « احدى حلقات الصراع بين الشرق والغرب » القاهرة (المجلس الأعلى للشئون الاسلامية) ١٩٦٦ .

أحمد مختار العبادى (دكتور) ، السيد عبد العزيز سالم (دكتور) :

تاريخ البحرية الاسلامية فى مصر والشام ـ جامعة بيروت العربية ١٩٧٢.

السيد الباز العرينى (دكتور) :

١ ـ مصر في عصر الأيوبيين ـ القاهرة (مطبعه الكيلانى الصغير) ١٩٦٠.

٢ ـ مؤرخو الحروب الصليبيه ـ القاهرة ١٩٦٢ .

السيد عبد العزيز سالم (دكتور) :

تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى حتى الفتح العثمانى ـ طبعة أولى ـ (دار المعارف بمصر) ١٩٦١ .

السيد عبد العزيز سالم (دكتور) ، أحمد مختار العبادى (دكتور) :

تاريخ البحريه الاسلاميه فى المغرب والأندلس ـ بيروت (دار النهضه) ١٩٦٩.

انستاس مارى الكرملى (البغدادى) الأب :

النقود العربيه وعلم النميات ـ القاهرة (المطبعه العصرية) ١٩٣٩ .

أرنولد (سير توماس) :

الدعوة الى الاسلام ـ ترجمه الى العربية الدكتور حسن ابراهيم حسن

وعبد المجيد عابدين واسماعيل النحراوى ـ القاهرة (مطبعة الشبكشى بالأزهر) ١٩٤٧ .

أومان (تشارلس) :

الامبراطورية البيزنطيه ـ تعريب الدكتور مصطفى طه بدر ـ القاهرة (دار الفكر العربى) ١٩٥٣ .

أومبرتو ريتزيتانو :

صفحة من تاريخ العلاقات بين غليالم الثانى النورماندى وصلاح الدين الأيوبى ـ مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية (المجلد ٥) ١٩٤٩ ص ٤٧ ـ ٥٨ .

إيريس حبيب المصرى :

قصة الكنيسه القبطية ـ ٣ حـ ـ الاسكندرية (مطبعة الكرنك) ١٩٧١ .

جرجس فليوثاوس :

القبط ـ القاهرة (المطبعة المصرية الأهلية الحديثة) ١٩٣٢ .

جمال الدين الشيال (دكتور) :

١ ـ مجمل تاريخ دمياط سياسيا واقتصاديا ـ الاسكندرية (مطبعة مدرسة دون بوسكو) ١٩٤٩ .

٢ ـ تاريخ مصر الاسلامية ـ حـ ـ الاسكندرية (دار المعارف) ١٩٦٧ .

الجمعية المصرية للدراسات التاريخية :

بحوث في التاريخ الاقتصادى ـ ترجمة توفيق اسكندر ـ القاهرة (مطابع دار النشر للجامعات المصرية) ١٩٦١ .

جوزيف جاى ديس :

الزنديق الأعظم « قصته وسيرته » ترجمة أحمد نجيب هاشم ـ القاهرة (دار الكتاب العربى للطباعة والنشر) (د. ت.) .

جوزيف نسيم يوسف (دكتور) :

١ ـــ الدافع الشخصى في قيام الحركة الصليبية ـ مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية (العدد ١٦) ١٩٦٢ . ص ١٨٣ – ٢٠٥ .

٢ ـــ العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى ـ الطبعة الثانية ـ الاسكندرية (دار المعارف بمصر) ١٩٦٧ .

٣ ـــ الوحدة وحركات اليقظه العربية إبان العدوان الصليبى ـ الاسكندرية ـ (دار المعارف بمصر) ١٩٦٧ .

٤ ـــ العدوان الصليبى والرأى العام الغربي ـ سلسلة محاضرات جامعة الاسكندرية ٦٧ / ٦٨ ـ مطبعة جامعة الاسكندرية ١٩٦٨ .

٥ ـــ العـــدوان الصليبي على مصر « هزيمة لويس التاسع في المنصورة وفارسكور » الطبعة الأولى ـ الاسكندرية (دار الكتب الجامعية ١٩٦٩ .

٦ — العدوان الصليبي على بلاد الشام « هزيمة لويس التاسع فى الأراضى المقدسة » — الطبعة الثالثة . الاسكندرية (دار الكتب الجامعيه) ١٩٧١ .

٧ — نشأة الجامعات والعصور الوسطى . طبعه أولى . الاسكندرية (منشأة المعارف) ١٩٧٦ .

جيمس دوورثى :

الماجنا كارتا « العهد الأعظم » — ترجمه مصطفى طه حبيب — القاهرة (مكتبه الانجلو المصرية) ١٩٦٥ .

حسن ابراهيم حسن (دكتور) :

١ — انتشار الإسلام بين المغول والتتار — القاهرة ١٩٣٣ .

٢ — تاريخ الدولة الفاطميه فى المغرب ومصر وسوريا و بلاد العرب — الطبعة الثالثة — القاهرة (مكتبه النهضه) ١٩٦٤ .

حسن حبشى (دكتور) :

١ — الحرب الصليبيه الأولى — الطبعه الأولى — القاهرة (مطبعه الاعتماد) ١٩٤٧ .

٢ — نور الدين والصليبيون « حركة الافاقه والتجمع الاسلامى فى القرن السادس الهجرى .... القاهرة (دار الفكر العربى) ١٩٤٨ .

٣ — الشرق العربى بين شقى الرحي « حملة القديس لويس على مصر والشام » — القاهرة ١٩٤٩ .

حسنين محمد ربيع (دكتور) :

النظم الماليه في مصر زمن الأيوبيين ـ القاهرة (مطبعه جامعة القاهرة) ١٩٦٤ .

حسين عبد الرحمن :

النقود ـ القاهرة (مطبعة الاعتماد) (د . ت) .

ديفز (هـ . و .) .

أوروبا في العصور الوسطى ـ ترجمة الدكتور عبد الحميد حمدى محمود ـ الطبعة الأولى ـ الاسكندرية (منشأة المعارف) ٩٥٨ .

ديمتريوس الكرام (القديس) :

شرح حساب الكنيسه القبطية ـ الاسكندرية (مطبعة الكرنك) ١٩٦٩ .

سعاد ماهر (دكتوره) :

١ ـ البحرية فى مصر الاسلامية وأثارها الباقية ـ القاهرة ١٩٦٧ .

٢ ـ مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ـ حـ ١ ـ (المجلس الأعلى للشئون الاسلامية) ١٩٠١ .

سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) :

١ ـ قبرس والحروب الصليبيه القاهرة (مكتبة النهضه المصرية) ١٩٠٧ .

٢ ـ الحركه الصليبيه «صفحه مشرقه في تاريخ الجهاد العربى في العصور

الوسطى » ٢ حـ — طبعـة أولى — القاهرة (مكتبة الأنجلوا المصرية) ١٩٦٣ .

٣ — أوروبا العصور الوسطى — ٢حـ — الطبعة الثالثة — القاهرة ١٩٦٤ .

٤ — العصر المملوكى فى مصر والشام — الطبعـة الأولى — القاهرة (دار النهضة العربية) ١٦٦٥ .

سليم أمين حـداد :

الرياضيات التجارية والماليه — المجلد الأول حـ ١ — القاهرة ١٣٤٩ هـ / ١٩٤١ م .

عبد الرحمن زكـى (دكتور) :

معارك حاسمه فى تاريخ مصر — القاهرة (مطبعة النيل) ١٩٤٥ .

سفن الاسطول الاسلامى وأنواعها ومعـداتها فى الاسلام — القاهرة (مطبعة الهلال) بالفجالة بمصر ١٩١٤ .

عبد المسيح صليب المسعودى البرموسى (القمص) :

تحفه السائلين فى أديره الرهبان المصريين — القاهرة (مطبعـة الشمس) ١٩٣٢ .

على ابراهيم حسن (دكتور) .

مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى حتى الفتـح العثمانى — الطبعة الثانية — القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٤٩ .

على مبارك ت ١٣١١هـ / ١٨٩٣م) على مبارك بن سليمان بن ابراهيم الرومى:

الخطط التوفيقية لمصر والقاهرة وتعرف بخطط على مبارك — ٢٠ حـ فى ٤ مجلدات - القاهرة (بولاق) ١٣٠٤ — ١٣٠٦ .

عمـــر طوسون

وادى النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطارقة، مذيل بكتاب تاريخ الأديرة البحرية — الاسكندرية ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م.

عمر كمال توفيق (دكتور) :

١ — مملكة بيت المقدس الصليبية - الاسكندرية مطبعه (رويال) ١٩٥٨.

٢ — تاريخ الامبراطوريه البيزنطية - الاسكندرية (دار المعارف) ١٩٦٧.

٣ — مقدمات العدوان الصليبى على الشرق العربى « الامبراطور يوحنا تزيمسكس وسياسته الشرقية ٩٦٩ — ٩٧٦ م » — طبعة ثانية — الاسكندرية (دار المعارف) ١٩٦٧ .

٤ — المؤرخ وليم الصوري — مجلة كلية الآداب، جامعة الاسكندرية (العدد ٢١ لسنة ١٩٦٧) — مطبعة جامعة الاسكندرية ١٩٦٨ — ص ١٨١ — ٢٠٠ .

فالـــتر هنتس :

المكاييل والأوزان الاسلامية وما يعادلها فى النظام المترى — ترجمة عن الألمانية الدكتور كامل العسلى — عمان (مطبعـــة القوات المسلحة الأردنية) ١٩٧٠ .

فرج جرجس :

تاريخ الكنيسه القبطيه — ٢ حـ القاهرة (مطبعة الفجالة) ١٩١٧ — ١٩٢٠ .

فؤاد عبد المعطى الصياد (دكتور) :

المغول في التاريخ — حـ ١ — بيروت (دار النهضة العربية) ١٩٨٠ .

فيشر (هـ . أ . ل .) :

تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى — حـ ١ — ترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة ، الدكتور السيد الباز العرينى — الطبعة الثالثة — القاهرة (دار المعارف بمصر) ١٩٦٦ .

لجنة التاريخ القبطى :

تاريخ الأمة القبطيه « خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر » — القاهرة (المطبعة الحديثة) ١٩٣٢ .

محافظة الاسكندرية :

تاريخ الاسكندرية وحضارتها منذ اقدم العصور — الاسكندريه ١٩٦٣.

محمد صالح داود القزاز (دكتور) :

الحياة السياسية في العراق فى عهد السيطرة المغوليه — النجف — (مطبعة القضاء) ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .

محمد رمزى :

القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين حتى سنة ١٩٤٥ — ٣ حـ — القاهرة (مطبعة دار الكتب مطبعة وزارة التربية والتعليم) ١٩٥٣ — ١٩٦٩ .

محمد زغلول سلام (دكتور) :

ضياء الدين بن الأثير — القاهرة (دار المعارف بمصر) (د . ت) .

محمد كرد على :

كتاب خطط الشام — ٦ حـ . دمشق (دار المطبعة الحديثه) ١٣٤٣ ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٥ — ١٩٣٨ م .

محمد محمد مرسى الشيخ (دكتور) :

الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها ١٠٩٧ م — ١١٤٤ م — الاسكندرية ١٩٧٢ .

محمد مصطفى زيادة (دكتور) :

حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٦١ .

محمد ياسين الحموى :

تاريخ الأسطول العربى « صفحة مجيدة من تاريخ العرب » — دمشق (مطبعة الترقى) ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م .

مكسيموس مونروند :

تاريخ الحروب المقدسة في المشرق المدعوة حرب الصليب — ترجمة من الفرنسية الى العربية مكسيموس مظلوم — ٢ ح في مجـــلد واحد — أورشليم ١٨٦٥ م .

منير شكرى :

أديرة وادى النطرون — الاسكندرية ١٩٦٢.

ميخـــائيل عواد :

المآصر فى بلاد الروم والاسلام — بغداد (مطبعة المعارف) ١٩٤٨ .

نعيم زكى فهمى (دكتور) .

دور اليهود في تجارة العصور الوسطى بين الشرق والغرب — طبعة أولى — القاهرة (مطابع سجل العرب) ٩٧١ .

نورمان بينز :

الامبراطورية البيزنطيه — تعريف الدكتور حسين مؤنس، محمود يوسف زايد — الطبعة الثانية — القاهرة (الدار القومية للطباعة والنشر)١٩٥٧.

وليم سليمان (دكتور) :

الكنيسة المصريه تواجه الاستعمار والصهيونية — وزارة الثقـــافة (دار الكتاب العربى للطباعة والنشر) (د . ت) .

لى سترانـج :

فلسطين في العصر الاسلامي — ترجمة محمود عمايرى — الطبعة الأولى — عمان ١٩٧٠ .

يوسف أشباخ :

تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين - ترجمه ووضع حواشية محمد عبد الله عنان - ٢ حـ - القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٥٩ - ١٣٦٠ هـ / ١٩٤٠ - ١٩٤١ م .

يوسف اليان سركيس :

معجم المطبوعات العربية والمعربة - مجلدان - القاهرة (مطبعة سركيس) ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م .

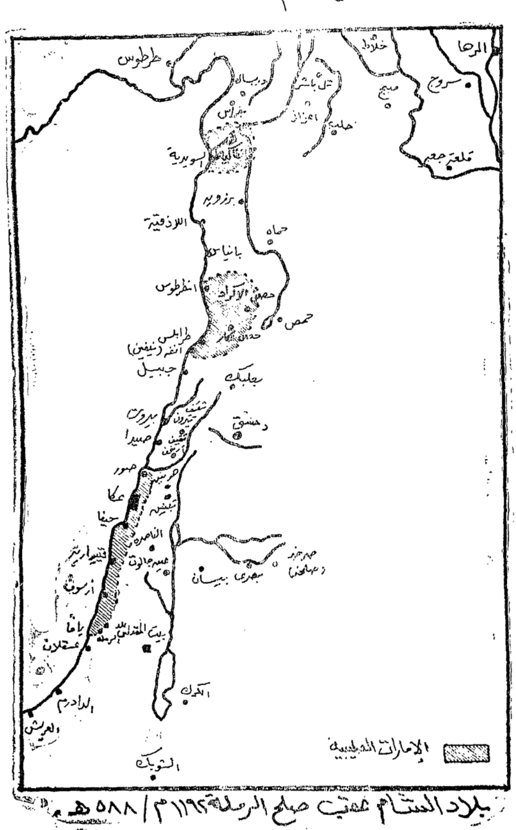
فهرس الاعلام والمدن

(أ)

(ج)

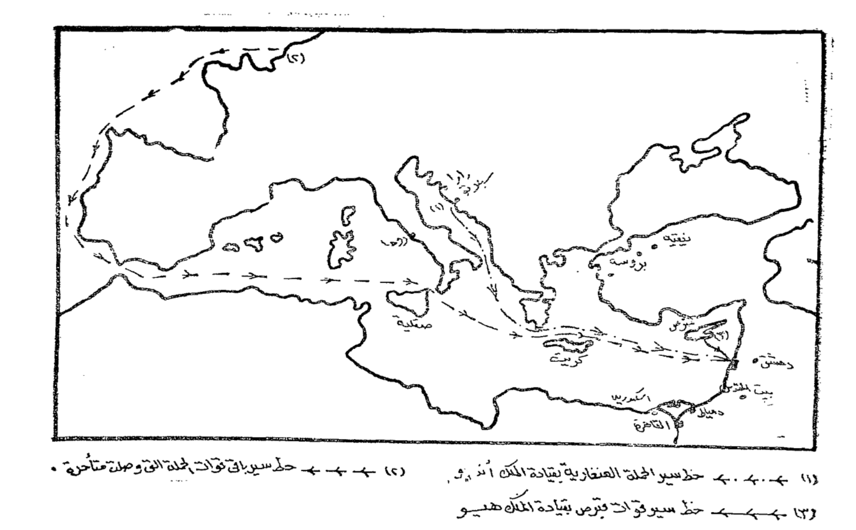
(ح)

خريطة رقم (١)



بلاد الشام عقب صلح الرملة ١١٩٢م / ٥٨٨هـ

خريطة رقم (٢)

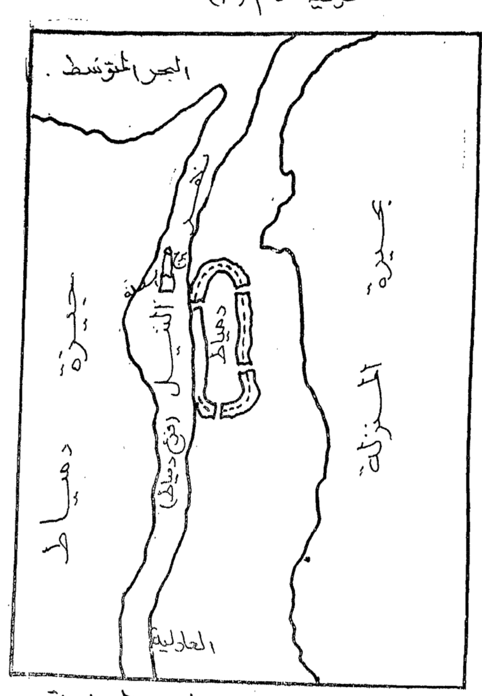


(١) ـ . ـ . ـ خط سير الحملة الهنغارية بقيادة الملك أندريه.

(٢) ـــ ـــ ـــ خط سير باقي قوات الحملة التي وصلت متأخرة.

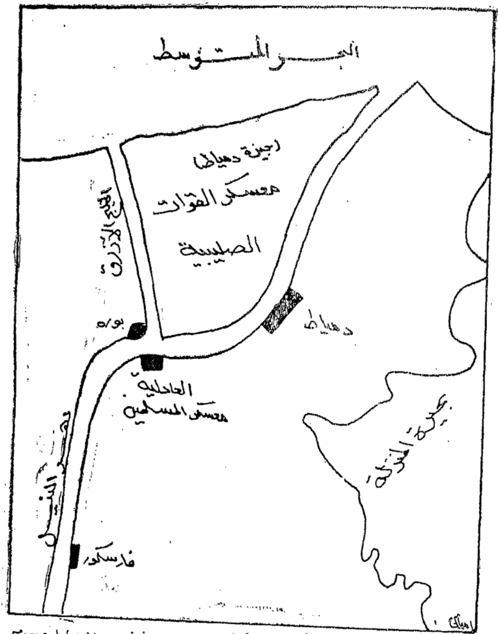
(٣) ـــــــ خط سير قوات قبرص بقيادة الملك هيو

خريطة رقم (٣)



دمياط القديمة زمن الحملة الصليبية

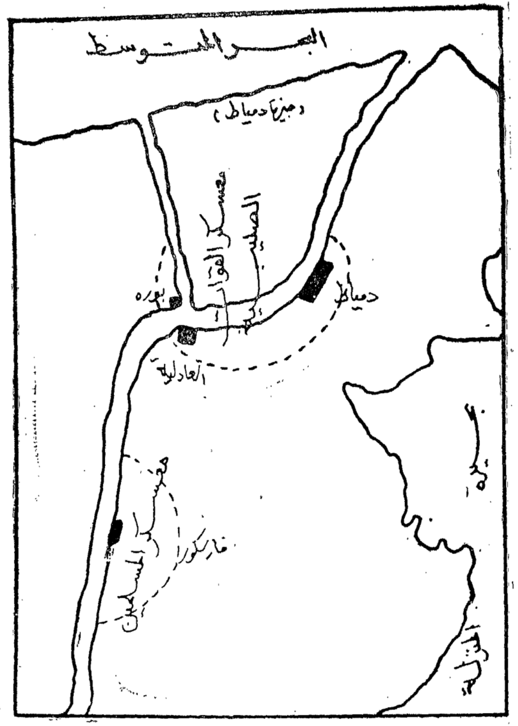
خريطة رقم (٤)



مواقع القوات الإسلامية والصليبية في الفترة من يونيه ١٢١٨ إلى ٤ فبراير ١٢١٩م

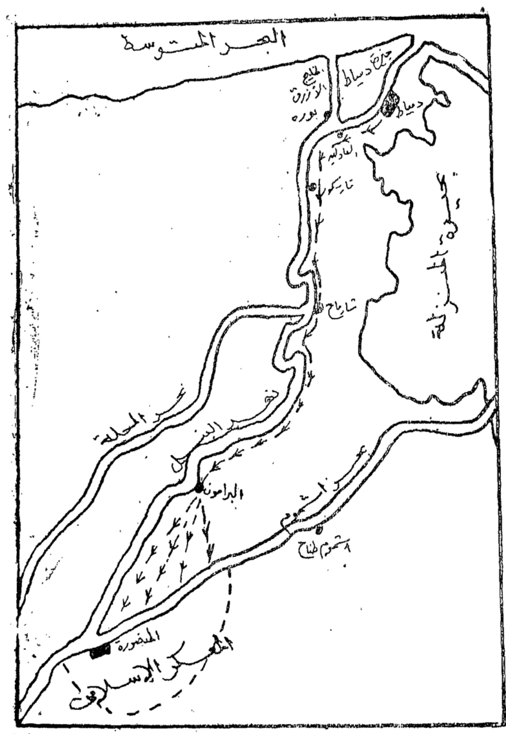
(ربيع أول إلى ١٧ ذو القعدة ٦١٥هـ)

خريطة رقم (٥)



مواقع القوات الإسلامية والصليبية بعد ٨ فبراير ١٢١٩م / ٨ ذو القعدة ٦١٥هـ.

خريطة رقم (٦٦)



←←← خط سير القوات الصليبية من دمياط إلى المنصورة

(إبتداء من ١٧ يوليو ١٢٢١م / ٢٥ جمادى الثانى ٦١٨هـ)

خريطة رقم (١٧)

البحر المتوسط
البرلس
بحيرة البرلس
دمياط
فارسكور
بحيرة تنيس
شارمساح
دميرة
طلخا
أشمون طناح
سمنود
بلقينه
ترعة البوهية
المحلة
الجعفرية
فرع مليج
القاهرة

بحر المحلة

(تصويب)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣	١	الاعتما.	الإعتماد
٣	٤	الجملة	الحملة
٤	٣	المجموع	المجموعة
٤	٥	زمنا	زمنيا
٤	٨	اخنبيا	أجنبيا
٦	١١	بالإصافة	بالإضافة
٦	ح ١	هرشت	رهرشت
١٠	١٢	ذتك	ذلك
١٤	١٢	١٢٤٥	١٢٣٥
١٤	ح ١	جا	جاء
١٨	ح ٣	باديبورن	بادنبورن
١٩	ح ١	جوليه	حوليه
٢١	٩	تتضل	تتصل
٢٢	ح ١	الرخله	الرحله
٢٤	٤	جواء	جراء
٢٥	٢	القوات	للقوات
٢٨	٨	يادنبورن	بادنبورن
٢٩	٨	الفرت	الغرب
٣٥	ح ١	موكاس	فوكاس
٣٩	١١	بلذوبن	بلدوين
٤٥	١	١٠٤٩	١١٤٩
٤٦	٨	تتيس	تنيس
٤٦	ح ١	مصقليه	الصقلية
٤٧	٨	المؤرحين	المؤرخين
٥٠	١	حطيرا	خطيرا

(تابع الصواب والخطأ)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٢	ح١	الزهراء	الزاهرة
٥٥	ح١	المرجع	المصدر
٥٦	ح٢	Hlctory	History
٥٧	١	فارش	فأرسل
٥٨	١	الدوام	الداروم
٥٨	١٤	الحماش	المحاسن
٦٢	١٢	باسقن	السقن
٦٢	ح٣	العبرجه	العبر حـ ٥
٦٤	٤	أنزل	إنزال
٦٤	٩	صلاغ	صلاح
٦٤	١٧	الحماس	الحامى
٦٥	٧	وإتفقو	وإتفقوا
٧١	الأخير	صاخب	صاحب
٧٣	١١	الجنوبين	الجنيويين
٧٤	١٢	المنبع	المنيع
٨١	الأخير	أخمه	أخيه
٨٢	ح١	خصن	حصن
٨٤	ح٢	الدأن	الدين
٨٥	١١	هولشين	هولشتين
٨٦	٣	١١ د	رد
٩١	ح٢	مناظرين	الناظرين
٩٧	ح٢	الخموى	الحموى
٩٨	٧	الفوات	القوات
٩٩	٣	ذابق	دابق
١٠١	١٠	النلاد	البلاد

(تابع الصواب والخطأ)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٠١	ح٤	المصدز	المصدر
١٠٢	الاخير	دوما	روما
١٠٢	ح١	(١١٢٧ - تروى	(١١١٨ - ١١١٩م) ووضعت قواعدهـا فى فى مؤتمر تروى
١٠٣	ح٤	انه للنيل	للنيل
١ ٧	ح٢	سيد	سعيد
١٠٨	١٣	اريا	ماريا
١١٠	الأخير	Ren art	Renoart
١١٠	٨	أومد	أوفد
١١١	٩	وخاصر	وحاصر
١١١	ح١	داحل	داخل
١١٢	٨	نظرا	نصرا
١١٢	١٢	وفوض	وفرض
١١٣	١	البابا وية	البابوية
١١٣	٥	Sim n	Simon
١١٣	٨	جنرب	جنوب
١١٤	٧	قاق	قلق
١١٤	١٧	Rnncimae	Runciman
١١٥	٤	(٢)	(٣)
١١٥	١١	(٣)	(٤)
١١٥	١٢	(٤)	(٥) وتكون حاشيتها ابن الجـوزى : المصدر السابق جـ٢ ق ٢ ص ٥٧٢
١١٥	ح٣	Cahen (٣)	(٢)

(تابع الخطأ والصواب)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١٧	٣	كما	كما
١١٨	٥	لتحفيق	لتحقيق
١١٩	١٣	نصيب	نصب
١٢٢	١٦	(٥)	(٤)
١٢٢	٢٠	٣٠	٤٠٠
١٢٣	٦	إنجبرح	إنجبرج
١٢٦	٤	رئنس	رئيس
١٠٦	٤	كانتريرى	كانتربرى
١٢٧	٢	نقسها	نفسها
١٢٧	٤	قشته له	قشتاله
١٢٧	٦	للنا بوية	للبا بوية
١٢٧	١٢	الاهميه	الاهمية
١٢٨	١	الحذ	الحد
١٢٨	١٠	بام	قام
١٢٩	١	مراء	أمراء
١٢٩	٤	هنرى الثامن	هنرى الثالث
١٣٠	١١	هذة	هذه
١٣١	٣	وهو طريقة	وهو فى طريقه
١٣١	٨	إعاء	إدعاء
١٣١	١٢	عماته	عماته
١٣١	١٥	الامبراطمريه	الأمبراطورية
١٣٢	٤	أنوست	أنوسنت
١٣٢	١٤	الترتيتات	الترتيبات
١٣٣	١١	القاد	القائد
١٣٤	٩	٩٠٦ هـ	٥١٦ هـ
١٣٥	٣	سياسيه	سياسة

(تابع الصواب والخطأ)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٣٥	٤	أو	أن
١٣٥	١٣	وعرش	وعرض
١٣٧	٦	وإزاله	وإقامه
١٣٨	١٥	الأوضاغ	الأوضاع
١٤٠	١	سبيفن	ستيفن
١٤٠	٩	للباطله	الباطله
١٤٠	ح ٢	االاساعيليه	الاسماعيليه
١٤٣	٥	والنبشير	التبشير
١٤٥	١٤	تتحمل	لاتتحمل
١٥٠	١٣	الليافه	اللياقه
١٥٥	٤	ويتهكون	ويتهكمون
١٥٦	٨	ونافش	وناقش
١٥٧	٧	يحثو	يحتوا
١٥٧	ح ٢	Thatcger	Chatcher
١٥٨	١٢	أجر	تاجر
١٦٠	ح ٢	الوسالل	الوسائل
١٦٢	١٣	للنبلاء	النبلاء
١٦٤	٧	الذين	الدين
١٦٥	١٣	تحطي	تخطى
١٨١	٦	الامبراطود	الإمبراطور
١٨١	١٠	للقاره	القاره
١٨٢	٣	تعارب	تقارب
١٧٤	٧	لدبه	لديه
١٨٧	٩	النقط	النفط
١٩٠	١٥	١٢٢٨ م	١٢١٨ م

(تابع الصواب والخطأ)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢١٠	٣	الموجهه	الوجهه
٢١١	١	المقز نزى	المقريزى
٢١١	٨	للقوات	القوات
٢١٣	١٠	أقاسام	أقسام
٢١٨	٩	ربما	ربمـا
٢٢٣	٦	الحشب	الخشب
٢٢٤	١٢	البرح	البرج
٢٢٨	٥	أولاء	أولاده
٢٣٠	١٥	يقومو	يقوموا
٢٣٢	٥	القوال	القوه
٢٣٥	٧	حاضعون	خاضعون
٢٣٧	٥	ويلاحط	ويلاحظ
٢٣٩	٢	لافت	لاقت
٢٥٧	١١	تفريبا	تقريبا
٢٦٣	٥	وخوفه على	وخوفه من
٢٦٥	١٠	سيبا	سيئا
٢٧٧	ح ٢	Eracl	Eracles
٢٩٧	٤	وليفر	أو ليفر
٣٠٠	١	بغض	بعض
٣٠١	٥	ماوشالات	مارشالات
٣٠٨	١٥	يعامه	بعامه
٣٠٩	١٣	الصليثيه	الصليبيه
٣١٢	١٧	Vity	Vitry
٣١٣	١٠	الغر	الغربى
٣٢٢	١٣	اكترهم	اكثرهم

(تابع الصواب والخطأ)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٢٤	١٦	تريخ	تاريخ
٣٣٠	١٦	الأرثوزكسية	الأرثوذكسية
٣٣٧	١٣	ما تقه	عاتقه
٣٣٧	١٤	مسئوليتة	مسئوليته
٣٤٣	٢	العميان	العصيان
٣٥٠	١٨	الصراح	الصراع
٣٥١	١٣	زوج	وزج
٣٥٥	٨	وتخرج	ونخرج
٣٦٨	١٣	هدا	هذا
٣٧١	٣	أشار	وأشار
٣٧٨	٨	بعرض	بغرض
٢٧٨	١٦	القواب	القوات
٣٨٢	٧	لأهدف	لاهدف
٣٩٧	٣	إفتراح	إقتراح
٣٩٩	٣	، كان	وكان
٣٩٩	٦	الرهائن	الرهائن
٤٠٠	٣	نحده	نجده
٤٠٠	١٢	تلقها	تلقتها
٤٠٢	١٠	إنحسرت	إنحسرت
٤٠٥	٤	تردد	ترد
٤٠٧	ح ٤	Runcimani	Runciman
٤١٠	٧	فريدويد	فريدريك
٤١٦	٥	الاعتذار	الأعذار
٤١٦	١٥	هذه ترحل	هذه القوات ترحل
٤١٨	٣	تقلصلت	تقلصت

(تابع الصواب والخطأ)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤١٩	١٥	١٣٢٠ م	١٢٢٠ م
٤١٩	١٧	١٣١٩ م	١٢١٩ م
٤٢٧	١٤	يسبب	بسبب
٤٣٢	١٣	جريحورى	جريجورى
٤٣٧	ح ١	Ajexandria	Alexandria
٤٣١	ح ١	Chronibue	Chronique
٤٣٧	ح ١	*L*usiznan	*L*usignan
٤٣٧	ح ١	Crvasadd	Crusade
٤٣٧	ح ١	Midple	Middle
٤٣٧	ح ١	Agees	Ages
٤٣٧	ح ٢	عبد الفتا	عبد الفتاح




Bibliotheca Alexandrina
03600786